وزارة الثقافة
المملكة الأردنية الهاشمية
The Hashemite Kingdom of Jordan

مكتبة الأسرة الأردنية
القراءة للجميع
2015

مصطفى صادق الرافعي

ديوان الرافعي

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE KASHLAN & K.RABABAH

الدكتور
غيث حلمي الملكاوي

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

ديوان
الرافعي

وزارة الثقافة
مكتبة الأسرة الأردنية / مهرجان القرأة للجميع

• ديوان الرافعي
• المؤلف : مصطفى صادق الرافعي
• الناشر : وزارة الثقافة
شارع صبحي القطب
المتفرع من شارع وصفي التل
ص.ب. ٦١٤٠ - عمان - الأردن
تلفون : ٥٦٩٦٢١٨ / ٥٦٩٩٠٥٤
فاكس : ٥٦٩٦٥٩٨
Email : info@culture.gov.jo

• الطباعة : مطبعة السفير ٠٦٤٦٥٧٠١٥
• رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠١٥/٧/٣١٧٦)

•جميع الحقوق محفوظة للناشر : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر .

All rights reserved. no part of this part of this book may be reproduced , stored in a retrieval system , or transmitted in • any form or by any means without the prior written permission of the publisher .

الدكتور
غيث حلمي الملكاوي

ديوان الرافعي

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

تأليف

مصطفى صادق الرافعي

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناظم

أول الشعر اجتماع أسبابه . وإنما يرجع في ذلك إلى طبع صقلته الحكمة وفكر جلا صفحته البيان . فما الشعر إلا لسان القلب إذا خاطب القلب . وسفير النفس إذا ناجت النفس . ولا خير في لسان غير مبين . ولا في سفير غير حكيم .

ولو كان طيرًا يتغرد لكان الطبع لسانه . والرأس عشه . والقلب روضته ولكان غناؤه ما تسمعه من أفواه المجيدين من الشعراء . وحسبك بكلام تنصرف إليه كل جارحة . وتضم عليه كل جانحة . ويجنى من كل شيء حتى لتحسب الشعراء من النحل تأكل من كل الثمرات فيخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس .

وكأنما هو بقية من منطق الإنسان اختبأت في زاوية من النفس فما زالت بها الحواس حتى وزنتها على ضربات القلب وأخرجتها بعد ذلك ألحانا بغير إيقاع ، ألا تراها ساعة النظم كيف تتفرغ كلها ثم تتعاون كأنما تبحث بنور العقل عن شيء غاب عنها في سويداء الفؤاد وظلماته . لذلك كان أحسن الشعر ما تتغنى به قبل عمله وهى طريقة تفنن فيها الشعراء حتى لكأن الحطيئة يعوى في أثر القوافى عواء الفصيل في أثر أمه .

وترى المجيد من أهل الغناء إذا رفع عقيرته يتغنى ذهب في التحرك مذاهب حتى كأنما ينتزع كل نغمة من موضع في نفسه فيتألف من ذلك صوت إذا أجال حلقه فيه وقعت كل قطعة منه في مثل موضعها من كل من يسمع فلا يلبث أن يستفزه طربه . كأنما انجذب قلبه وتصبو نفسه . كأنما أخذ حسه.

لا فرق في ذلـك بين أعجمي وعـربي ومن أجل هذا ترى أحـسن الأصوات يغلب عـلى كل طبع وإنما الـشاعر والمغنـى في جذب القلـوب سواء . وفي سحـر النفـوس أكفـاء ، إلا أن هذا يوحـى إلى القلـب وذاك ينطق عـنه . وأحدهما يفيض عـليه والثاني يأخذ منه . والويل لكليـهما إذا لم يطرب هذا ولم يعجب ذاك .

والشعـر موجود في كل نفـس من ذكر وأنثى . فإنـك لتسمع الفـتاة في خدرها . والمرأة في كسر بيتها . والرجل وقد جلس في قومه . والصبى بين إخوته يقصون عليك أضغاث أحلام فتجد في أثناء كلامهم من عبق الشعر ما لو نسمته لفغمك . وحسبك أن تكـسر وسادك تتحدث إليهم فتراه طائرًا بين أمثالهم وفي فلتـات ألسنتهم وهو كأنما قد ضل أعشاشه ، ولـقد نبغ فيه من نسـاء هـذه الأمة شـموس سطعن في سماء البيان . وطلـعن في أفق البلاغة ولا يزال النـاس إلى اليوم يـروون للخنسـاء وجنوب وعـلية وعنـان ونزهون وولادة وغيرهن وبحبـسك قول النواسى : ما قلت الشعـر حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء وليلى .

ولو كان الـشعر هذه الألـفاظ الموزونة المقـفاة لعـددناه ضربًا من قـواعد الإعراب لا يعرفهـا إلا من تعلمها ولكنه يتنزل من النـفس منزلة الكلام فكل إنسان ينطق به ولا يقيمه كل إنســان . وأما ما يعرض له بعد ذلك من الوزن والتقفية فكما يعرض للكلام من استقامة التركيب والإعراب . وإنك إنما تمدح الكلام بإعرابه ولا تمدح الإعراب بالكلام .

ولم أقرأ أجمع فيه من قول حكيم العصر . وإمام الإفتاء في مصر . «لو سألوا الحقيقة أن تختار لها مكانـا تشرف منه على الكون لما اختارت غير بيت من الشـعر » ولا فيمـا قالوه في الشـعراء أجمـع من قول كعب الأحـبار : «الشعراء أناجيلهم في صدورهم تنطق ألسنتهم بالحكمة » .

ولم يكن لأوائل العرب من الشعراء إلا الأبيات يقولها الرجل في الحاجة تعرض له كقول دويد بن زيد حين حضره الموت وهو من قديم الشعر العربى:

اليوم يبني لدويد بيته   لو كان للدهر بلى أبليته

أو كان قرنى واحدا أكفيته

وإنما قصدت القصائد على عهد عبد المطلب أو هاشم بن عبد مناف .

وهناك رفع امرؤ القيس ذلك اللواء وأضاء تلك السماء التي ما طاولتها سماء . وهو لم يتقدم غيره إلا بما سبق إليه مما اتبعه فيه من جاء بعده .

فهو أول من استوقف على الطلول ووصف النساء بالظباء والمهى والبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصى وفرق بين النسيب وما سواه من القصيدة وقرب مآخذ الكلام وقيد أوابده وأجاد الاستعارة والتشبيه . ولقد بلغ منه أنه كان يتعنت على كل شاعر بشعره .

ثم تتابع القارضون من بعده فمنهم من أسهب فأجاد . ومنهم من أكب كما يكبو الجواد . وبعضهم كان كلامه وحى الملاحظ . وفريق كان مثل سهيل في النجوم يعارضها ولا يجرى معها . ولقد جدوا في ذلك حتى إن منهم من كان يظن أن لسانه لو وضع على الشعر لحلقه . أو الصخر لفلقه .

ذلك أيام كان للقول غرر في أوجه ومواسم بل أيام كان من قدر الشعراء أن تغلب عليهم ألقابهم بشعرهم حتى لا يعرفون إلا بها كالمرقش والمهلهل والشريد والممزق والمتلمس والنابغة وغيرهم ومن قدر الشعر أن كانت القبيلة إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس . وأيام كانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج . وكانت البنات ينفقن بعد الكساد إذا شبب بهن الشعراء .

ولم يترك العرب شيئًا مما وقعت عليه أعينهم أو وقع إلى آذنهم أو اعتقدوه في أنفسهم إلا نظموه في سمط من الشعر وادخروه في سفط من البيان حتى إنك لترى مجموع أشعارهم ديوانًا فيه من عوائدهم وأخلاقهم وآدابهم وأيامهم وما يستحسنون ويستهجنون حتى من دوابهم . وكان القائل منهم يستمد عفو هاجسه وربما لفظ الكلمة تحسبها من الوحي وما هى من الوحي ولم يكن يفاضل بينهم إلا أخلاقهم الغالبة على أنفسهم . فزهير أشعرهم إذا رغب ؟ والنابغة إذا رهب ؟ والأعشى إذا طرب ؟ وعنترة إذا كلب ؟ وجرير إذا غضب وهلم جرا .

ولكل زمن شعر وشعراء ولكل شاعر مرآة من أيامه فقد انفرد امرؤ القيس بما علمت واختص زهير بالحوليات واشتهر النابغة بالاعتذارات وارتفع الكميت بالهاشميات وشمخ الحطيئة بأهاجيه وساق جرير قلائصه وبرز عدى في صفات المطية وطفيل في الخيل والشماخ في الحمير ولقد أنشد الوليد بن عبد الملك شيئًا من شعره فيها فقال : ما أوصفه لها . إني لأحسب أن أحد أبويه حمارًا . . . . وحسبك من ذي الرمة رئيس المشبهين الإسلاميين أنه كان يقول: « إذا قلت كأن ولم أجد مخلصًا منها فقطع الله لساني » ولقد فتن الناس ابن المعتز بتشبيهاته ؟ وأسكرهم أبو النواس بخمرياته ؟ ورقت قلوبهم على زهديات أبي العتاهية وجرت دموعهم لمراثى أبي تمام وابتهجت أنفسهم بمدائح البحتري وروضيات الصنوبري ولطائف كشاجم .

فمن رجع بصره في ذلك وسلك في الشعر ببصيرة المعرى وكانت له أداة ابن الرومي وفيه غزل ابن أبى ربيعة وصبابة ابن الأحنف وطبع ابن برد وله اقتدار مسلم وأجنحة ديك الجن ورقة الجهم وفخر أبى فراس وحنين ابن زيدون وأنفة الرضي وخطرات ابن هانئ وفي نفسه من فكاهة أبى دلامة ولعينيه بصر ابن خفاجة بمحاسن الطبيعة وبين جنبيه قلب أبي الطيب فقد

استحق أن يكون شاعر دهره ؟ وصناجة عصره .

ولا يهولنك ذلك إذا لم تستطع عد الشعراء الذين انتحلوا هذا الاسم ظلمًا وألحقوه بأنفسهم إلحاق الواو بعمرو فكلهم أموات غير أحياء وما يشعرون .

وأبرع الشعراء من كان خاطره هدفًا لكل نادرة فربما عرضت للشاعر أحوال مما لا يعنى غيره فإذا علق بها فكره تمخضت عن بدائع من الشعر فجاءت بها كالمعجزات وهي ليست من الإعجاز في شيء ولا فضل للشاعر فيها إلا أنه تنبه لها . ومن شدَّ يده على هذا جاء بالنادر من حيث لا يتيسر لغيره ولا يقدر هو عليه في كل حين .

وليس بشاعر من إذا أنشدك لم تحسب أن سمعه مخبوء في فؤادك وأن عينيك تنظر في شغافه ؟ فإذا تغزل أضحكك إن شاء وأبكاك إن شاء . وإذا تحمس فزعت لمساقط رأسك . وإذا وصف لك شيئًا هممت بلمسه حتى إذا جئته لم تجده شيئًا . وإذا عتب عليك جعل الذنب لك ألزم من ظلك . وإذا نثل كنانته رأيت من يرميه صريعًا لا أثر فيه لقذيفة ولا مدية ولكنها كلمة فتحت عليها عينه أو ولجت إلى قلبه من أذنه فاستقرت في نفسه وكأنما استقر على جمر .

وإذا مدح حسبت الدنيا تجاوبه وإذا رثى خفت على شعره أن يجري دموعًا وإذا وعظ استوقفت الناس كلمته وزادتهم خشوعًا ؟ وإذا فخر اشتم من لحيته رائحة الملك فحسبت أنما حفت به الأملاك والمواكب .

وجماع القول في براعة الشاعر أن يكون كلامه من قلبه فإن الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان .

ولقد رأينا في الناس من تكلف الشعر على غير طبع فيه فكان كالأعمى يتناول الأشياء ليقرها في مواضعها وربما وضع الشيء الواحد في موضعين أو مواضع وهو لا يدري .

وأبصرنا فيهم كذلك من يجيء باللفظ المونق والوشي النضر فإذا نثرت أوراقه لم تجد فيها إلا ثمرات فجة .

ورأينا في المطبوعين من أثقل شعره بأنواع من المعاني فكان كالحسناء تزيدت من الزينة حتى سمجت فصرفت عنها العيون بما أرادت أن تلفتها به على أن أحسن الشعر ما كانت زينته منه وكل ثوب لبسته الغانية فهو معرضها.

وهو عندي أربعة أبيات : بيت يستحسن وبيت يسير وبيت يندر وبيت يجن به جنونًا وما عدا ذلك فكالشجرة التي نفض ثمرها ، وجني زهرها لا يرغب فيها إلا محتطب .

أما مذاهبه التي أبانوها من الغزل والنسيب والمدح والهجاء . والوصف والرثاء وغيرها فهي شعوب منه وما انتهى المرء من مذهب فيه إلا إلى مذهب ولا خرج من طريق إلا إلى طريق ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ؟ وما دامت الأعمار تتقلب بالناس فالشعر أطوار . آونة تخطر فيه نسمات الصبا ما بين أفنان الوصف إلى أزهار الغزل . ويتسبسب فيه ماء الشباب من نهر الحياة إلى مشرعة الأمل ، وطورًا تراه جم النشاط تكاد تصقل بمائه السيوف ، وتفرق بحده الصفوف . وحينًا تجده وقد ألبسه المشيب ثوب الاعتبار ، وجمله بمسحة من الوقار وهو في كل ذلك يروي عن الأيام وتروى عنه وما أكثر فنون الشعر إذا رويتها عن أفانين الأيام .

وأما ميزانه فاعمد إلى ما تريد نقده فرده إلى النثر فإن استطعت حذف

شيء منه لا ينقص من معناه أو كان في نثره أكمل منه منظوما فذلك الهذر بعينه أو نوع منه . ولن يكون الشعر شعرًا حتى تجد الكلمة من مطلعها لمقطعها مفرغة في قالب واحد من الإجادة وتلك مقلدات الشعراء .

إليك مثلا قول ابن الرومي يصف منهزما :

لا يعرف القرن وجهه ويرى   قفاه من فرسخ فيعرفه

فقلب نظرك بين ألفاظه وأجله في نفسك ثم ارجع إلى قول ذلك الخارجي وقد قال له المنصور : أخبرني أي أصحابي كان أشد إقدامًا في مبارزتك فقال : ما أعرف وجوههم ولكن أعرف أقفاءهم فقل لهم يدبروا أعرفك . ألست ترى في ذلك النظم من كمال المعنى وحلاوة الألفاظ ما لا تراه في هذا النثر .

ولقد بقى أن قومًا لم يهتدوا إلى الفرق بين منثور القول ومنظومه والذي أراه أن النظم لو مد جناحيه وحلق في جو هذه اللغة ثم ضمهما لما وقع إلا في عش النثر وعلى أعواده . ولن تجد لمنثور القول بهجة إلا إذا صدح فيه هذا الطائر الغَرِد . بل لو كان النثر ملكًا لكان الشعر تاجه . ولو استضاء لما كان غيره سراجه .

وما زال الشعراء يأتون بجمل منه كأنها قطع الروض إذا تورد بها خد الربيع . وهذا ابن العباس وكتبه ، وابن المعتز وفصوله والمعرى ورسائله . وانظر إلى قول بشار وقد مدح المهدي فلم يعطه شيئًا فقيل له لم تَجِدّ في مدحه ! فقال : « والله لقد مدحته بشعر لو قلت مثله في الدهر لما حتف صرفه على حر ولكني أكذب في العمل فأكذب في الأمل » .

وبشار هو ذلك الغواص على المعاني الذي يزعم ابن الرومي أنه أشعر من تقدم وتأخر وهو القائل في شعره مفتخرًا :

إذا مـا غضبـنا غضبة مضريـة هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما
إذا ما أعـرنا سيـداً من قبيلـة ذرى منبر صلى عليـنا وسـلما

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تعد وأوسع من أن تحد .

ولا تجد الناظم وقد أصبح لا يحسن هذا الطراز إلا إذا كان جافي الطبع كدر الحس غير ذكي الفؤاد لم تجتمع له آلة الشعر وهو إذا كان هناك وجاء من صنعته بشيء فإنما هو نظام وليس بشاعر .

أما الفرق بين المترسلين والشعراء فإن كان كما يقول الصابى: « إن الشعراء إنما أغراضهم التي يرتمون إليها وصف الديار والآثار ، والحنين إلى الأهواء والأوطار . والتشبيب بالنساء . والطلب والاجتداء . والمديح والهجاء وأما المترسلون فإنما يترسلون في أمر سداد ثغر وإصلاح فساد . أو تحريض على جهاد . أو احتجاج على فئة أو مجادلة لمسألة أو دعاء إلى ألفة أو نهي عن فرقة أو تهنئة بعطية أو تعزية برزية أو ما شاكل ذلك » فذلك زمن قد درج فيه أهله وبساط طوي بما عليه ولم يعد أحد يحذر مؤاخاة الشاعر لأنه يمدحه بثمن ويهجوه مجانًا . وإنما الفرق بين الفريقين أن مسلك الشاعر أوعر ومركبه أصعب وأسلوبه أدق وكلامه مع ذلك أوقع في النفس وعلى قدر إجادته يكون تأثيره فالمجيد من الشعراء أفضل من غيره في صناعة الكلام وإنك إنما تزين النثر بالشعر ولا تزين الشعر بالنثر .

وفي الحديث الشريف : « إنا قد سمعنا كلام الخطباء والبلغاء وكلام ابن أبي سلمى فما سمعنا مثل كلامه من أحد » . وقال الشافعي في كتاب الأم: الشعر كلام كالكلام فحسنه كحسنه وقبيحه كقبيحه وفضله على سائر الكلام أنه سائر في الناس يبقى على الزمان فينظر فيه .

هذا وإن من الشعر حكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب .

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

مقدمة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ، فله الحمد سبحانه وتعالى حمدًا يوافي نعمه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد وعلى آله وأصحابه (أما بعد) :

فقد دعاني حضرة أخي ناظم هذا الديوان إلى شرحه فكنت إلى إجابته أسرع من السيل إذا انحدر ، عالمًا أني إنما أنسق أزهارًا وأجمع رياحين . لا حاجة بي إلى ذكر شيء من أمر الشعر والشعراء فلم يبق في ذلك مجال لقائل وإنما أذكر هنا كلامًا قاله الجاحظ يكون عنوانًا لما ستراه في هذه الأوراق قال :

« أفضل الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه ظاهرًا في لفظه، وكأن الله قد ألبسه من ثياب الجلالة ، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه ، وتقوى قائله ، فإذا كان المعنى شريفًا ، واللفظ بليغًا ، وكان صحيح الطبع ، بعيدًا من الاستكراه منزهًا عن الاختلال ، مصونًا عن التكلف ، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة ، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ، ونفذت من قائلها على هذه الصفة كساها الله من التوفيق ، ومنحها من التأييد ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة ».

وقد قصدت فيما كتبته من هذا الشرح إلى مطلق الفائدة حريصًا على الإيجاز ، وربما ذكرت النادرة لبعض الشبه بينها وبين ما يجيء في النظم ضنًا بفائدة المناسبة أن تضيع . وبهذا يكون الكتاب من نظمه ونثره حاجة الأديب

وملهاة السائر وأنيس المسافر .

وكنت أود لو أمكنني أن أتوسع في القول فأذكر شيئًا مما يمتاز به هذا الديوان ولكن حسبنا أن يحكم القراء بذلك . غير أني لا أجد بدًّا من أن أذكر لهم أن هذا الشعر الذي يقرأونه في هذا الجزء من نظم صاحبه في سنتي (١٣١٩ ، ١٣٢٠) على غير تفرغ له وهو الباكورة الشهية إن شاء الله .

والآن أحبس عنان القلم لئلا يحسب الكلام تزكية والبيان إطراء وخير الكلام ما قل ودل .

« محمد كامل الرافعي »

الباب الأول

في التهذيب

هذه قطع نظمها للنشء العصرى من تلامذة المدارس تهذيبًا لأنفسهم وتحلية لعقولهم [١] .

قال يصف عمر بن الخطاب [٢] :

لا زينة المرء تعليه ولا المال ... ولا يشرفه عم ولا خال

وإنما يتسامى للعلا رجل ... ماضي العزيمة لا تثنيه أهوال [٣]

يريك من نفسه فيما يهم به ... أن النفوس ظبى والناس أبطال [٤]

لا ينثني أن عداه سوء حالته ... وكل حال توافي بعدها حال

ألم يكن عمر يرعى المخاض فهل ... ترى العلا بطن واد فيه آبال [٥]

---

(١) تفرض نظارة المعارف على أساتذة اللغة العربية في مدارسها أن ينتخبوا للتلامذة قطعًا من الشعر المفيد يستظهرونها فيحار أصحابنا لا يجدون فيما بين أيديهم من كتب الأدب والشعر ما فيه غنى ولكنهم يرضون من الغنيمة بقراضات من الحكم وشذرات من الأمثال لا تصيب الغرض الذي ترمي إليه النظارة . أما وقد ظهر هذا الديوان فقد بطل التيمم عند الماء .

(٢) هو رجل الإسلام ،ولي الخلافة يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من التاريخ وقتل في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وهو ابن ثلاث وستين سنة .

(٣) من المجاز أثنيت الرجل على وجهه إذا أرجعته إلى حيث جاء وما يثنى أهوال الحياة من جعل عزيمته فوقها جسرًا وعبر .

(٤) الظبى جمع ظبة وهي حد السيف والسنان ونحوهما والمراد هنا بها السيوف مجازًا .

(٥) المخاض الحوامل من النوق وآبال جمع آبل . قيل إن عمر حج فلما كان يضحنان قال لا إله إلا الله العلي العظيم المعطي من شاء ما شاء كنت بهذا الوادي في مدرعة صوف أرعى إبل الخطاب وكان فظًا يتعبني إذا علمت ويضربني إذا قصرت وقد أمسيت الليلة ليس بيني وبين الله أحد .

وهل سوى نفسه قد سودته وهل ... تنال إلا بشق النفس آمال (١)
رأى الهدى فجلاه للورى قمرًا ... ملء العيون وكل الناس ضلال
وجد في نصرة الهادي ودعوته ... ولا يخيب امرؤ في الحق فعال
وأطلق النفس مما تبتغيه هوى ... وإنما شهوات النفس أغلال
ولم يكن أحد يلهيه عن أحد ... كأنه والد والناس أطفال
بذا تفرغت الدنيا لهيبته ... حتى تداعت عروش الصيد تنهال (٢)
وأرهبت أسد الآفاق زأرته ... وملء آفاقها أسد وأشبال (٣)
فثبت الأرض يلقي في جوانبها ... كتائبًا هن فوق الأرض أجبال (٤)
ومد آماله في كل ناحية ... ولا سرير ولا تاج ولا مال
والمرء إن كان إنسانًا بزينته ... فإنما هو بين الناس تمثال (٥)
وفي الأنام رجال كالنجوم إذا ... أتى الفتى ما أتوه نال ما نالوا

---

(١) سودته نفسه : جعلته سيدًا قال عامر بن الطفيل :

فما سودتني عامر عن وراثة ... أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

(٢) الصيد : جمع أصيد وهو مائل العنق كبرا والمراد بهم : الملوك وتداعت: تنهال أقبلت: تسقط .

(٣) زأرة الأسد : صيحته والضمير في آفاقها راجع إلى الأرض ولم تذكر لأن الإضافة في الجملة تدل عليها فكأنها مذكورة ومثله قوله تعالى : ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ والأشبال أولاد الأسد .

(٤) الكتائب : جمع كتيبة وهي القطعة من الجيش والأجبال جمع جبل شبه الجيوش بالجبال وذكر أنه ألقاها في الأرض تثبيتًا لها أن تميد بعد ما تفرغت وإنما خلقت الجبال لذلك .

(٥) عاتب يحيى بن خالد يومًا العتابي على لباسه وكان يبالي أي ثوبيه ابتذل فقال أبعد الله رجلا يرى أن يكون جماله في لباسه وعطره إنما ذلك حظ النساء وأهل الأهواء حتى يرفعه أكبراه همته ولبه ويعلو به معظماه لسانه وقلبه .

مجد المأمون [1] :

المجد ما بين موروث ومكتسب ... والقطر في الأرض لا كالقطر في السحب [2]
وما الفتى من رأى آباءه نجبًا ... ولم يكن هو إن عدوه في النجب
وإن أولى الورى بالمجد كل فتى ... من نفسه ومن الأمجاد في نسب [3]
فالشهب كثر إذا أبصرتهن ولا ... يعدد الناس غير السبعة الشهب [4]
وما رقى الملك المأمون يوم سما ... للمجد في درجات العز والحسب
ولا استجابت له الأملاك يوم دعا ... بفضل أم غذته الفضل أو بأب [5]
لكن رأى المجد مطلوبًا فهب له ... ومن يكن عارفًا بالقصد لم يخب [6]
وعزز العلم فاعتز الأنام به ... وما إلى العز غير العلم من سبب
ودولة السيف لا تقوى دعامتها ... ما لم تكن حالفتها دولة الكتب [7]
ومن يجدَّ يجد والنفس إن تعبت ... فربما راحة جاءت من التعب [8]

(١) هو أبو العباس عبد الله المأمون بن هارون ولد سنة ١٧٠ وتوفي سنة ٢١٨ وكانت مبايعته لخمس خلون من صفر سنة ١٩٨ وكان نجم بني العباس في العلم والحكمة وقد اختار شاعرنا من أشهر رجال الإسلام رجلين اتفقا غاية واختلفا مبدأ فعمر رضي الله عنه نشأ في القفر والفقر ونشأ المأمون في الحضارة والعز وكلاهما بلغ بنفسه الغاية التي لا وراءها.

(٢) ليس في المجد إلا موروث عن الآباء والأجداد أو مكتسب بالنفس وقد شبه الأول بالمطر ينزل على الأرض عفوًا فترى أكثره قد انقلب وحلا والثاني بالمياه تبخرها حرارة الشمس فترتفع ذرات في الجو ثم تتكاثف سحبًا وهي أنقى ما تكون .

(٣) فلان في نسب من نفسه أي أنه يقول ها أنا ذا لا يقول كان أبي .

(٤) هي زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر .

(٥) الأملاك جمع ملك وقد كان المأمون كاتب الملوك في أن يتحفوه بما عندهم من نفائس كتب الأولين وقيل أنه جعل من شروط صلحه مع بعضهم أن يبعث إليه بما عنده منها وهو الذي استخرج كتاب إقليدس وأمر بترجمته وتفصيله

(٦) القصد استقامة الطريق ومن عرف كيف يسلك إلى حاجته بلغها .

(٧) الدعامة بالكسر عماد البيت والخلاف في تفضيل دولة القلم على دولة السيف مشهور وممن فضل الأول ابن الرومي وممن فضل الثاني المتنبي .

(٨) ما إذا دخلت على رب كفتها عن العمل وقد تعمل قليلا وفي رب ثماني عشرة لغة ليس=

ويـل لمن عــاش في لـهـو وفـي لعب | فـمـيـتـة المجـد بين الـلهـو والـلعـب
(ألم تـر الشـمـس في الميزان هابطة | لما غـدا برج نجم الـلهو والـطرب) (١)

الكمال في التربية :

لـكـل فـتـي مـن الـدنـيـا كـمـال | فـمــا نـقـص الـورى إلا الـفـعــال
ومـن لـم يـرشـدوه فـي صـبــاه | تحـكـم فـي شـبـيـبـتـه الـضـلال
فـمـا قلـب الصـغـيـر سـوى كـتـاب | تـسـطر فـي صـحـائـفـه الخـلال (٢)
ونـفـس المـرء فـي جـنـبـيـه نـصـل | ولـسـن بغـيـر حـامـلـهـا الـنـصـال
فـكـم رجـل ترى فـيـه صـبـيًّـا | وكـم مـن صـبـيـة وهـم رجـال
وإن هـي لـم تكـن صـقـلـت طـواهـا | عـلـى صدأ فـمـا يجـدي الصـقـال (٣)
ومـن لـم يـغـذه أبـواه طـفـلا | هـوى الـعـلـيـاء أسـقـمـه الهـزال

الاعتماد على النفس :

المـرء يمـنـي بـالـرجـا والـيـاس | ويضـيـع بـيـنـهـمـا ضـعـيف الـبـاس (٤)
فـإذا عـزمـت فـلا تـكـن مـتـرددًا | فـسـد الـهـوا بـتـردد الأنـفـاس
وإذا اسـتـعـنـت فـبـالـتـجـارب إنـهـا | لـلـنـفـس كـالأضـراس للأضـراس
وعـلام ترجـو الـنـاس فـي الأمـر الذي | يـعـنـيـك أنت وأنت بـعـض الـنـاس (٥)

= هذا موضع بسطها .
(١) هذا البيت لأبي الفتح اليستي وهو هنا تضمين .
(٢) الخلال جمع خلة بالفتح وهي الخصلة من خصال الإنسان .
(٣) إن السيف لا يكون عضبًا حتى يصقل والنفس لا تنفع صاحبها حتى تجلو صفحتها العلوم والتجارب فإن لم تكن صقلت بذلك طواها صاحبها بين جنبيه على صدأ الجهل وشب بعد ذلك فلا ينفعه التعلم وقد شاب .
(٤) مني بكذا مبني للمفعول ابتلي به والمرء في هذه الحياة مبتلى برجاء تنزع إليه نفسه ويأس مما يرجوه وبينهما موقف للأماني يقفه كل ضعيف البأس واهي العزيمة والأماني كما قيل رأس مال المفلس .
(٥) لكل إنسان منافع لا تعني غيره ومنافع لا ينالها إلا بغيره والناس كلهم مشتركون في =

النفس قوس والعزيمة سهمها ... فارم الرجا من هذه الأقواس
وأضئ حياتك بالمعارف إنما ... هي في ظلام العمر كالنبراس
واجعل أساس النفس حب الله إذ ... لا خير في بيت بغير أساس [1]

زمن الدراسة [2] :

زمن كالربيع حل وزالا ... ليت أيامه خلقن طوالا
يحسب الطفل أنه زمن الهم ... وما الهم يعرف الأطفالا
يا بني الدرس من تمنى الليالي ... كلياليكم تمنى المحالا
ليلة بعد ليلة بعد أخرى ... وليالي الهنا تمر عجالا
قد خبرنا الأنام في كل حال ... فإذا الطفل أحسن الناس حالا
وهو إن جد لم يزل في صعود ... وكذا البدر كان قبل هلالا
غير أن الكسول في كل يوم ... يجد اليوم كله أهوالا
وبرى الكتب والدفاتر والأقلا ... م وأوارق درسه أحمالا [3]
وإذا ما مشى إلى قاعة الدر ... س ذراعًا يظنه أميالا [4]

= هذه فمن سعى لحاجة فقد نالها بنفسه في الحقيقة إذ لولا سعيه لما جاءته ومن أمثال الإنكليز أن الأرانب لا تسعى إلى أفواه الكلاب النائمة . أما منافعه التي لا تعني سواه فهو حين يرجو الناس في أمرها كالميت لا يكفن ولا يحمل حتى يكفنه ويحمل سواه .

(١) قال حكيم لابنه وهو يعظه يا بني قد خلقك الله فسواك فعدلك وإن نعمه عليك وعلى الناس لفوق الحصر فإن أحببتني فلأنه أوجدني وأوجدك منى وإن أحببت نفسك فلأنعمه التي أسبغها عليك فأحبب الله تقم بحقه وحقى وحق نفسك .

(٢) إن كلام الشاعر في هذه القطعة من السحر فقد نفذ بيانه إلى نفس الطفل وجنانه . فجعل يرجم كل شيطان من الوهم بشهاب من العلم حتى إذا أخلى عقله من خياله وخباله ملأه بحكمة لا ينساها إلا إذا نسي صباه وإن لم يكن هذا هو البيان فما هو إذن ؟

(٣) ينعكس في عين الكسول كل شيء من أمر العلم وعلامته أن لا يظهر عليه سروره . قال بعض الحكماء لتلميذه وقد ضرب الموسيقى : أفهمت؟ قال : نعم قال : بل لم تفهم لأني لا أرى عليك سرور الفهم .

(٤) مشى ذراعا أي قدر ذراع وهو من طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى وهذا شيء =

من يقم في الأمور بالجد يهنا والشقا للذين قاموا كسالى (١)
وزمان الدروس أضيق من أن يجد الخاملون فيه مجالا
أيها الطفل لا تضيع زمانًا لست تلقى كمثله أمثالا
ربما نلت ما يفوت وهيها ت إذا فاتك الصبا أن تنالا

بعد المدرسة :

ما لأيام ذا الصبا تتفانى وقديمًا عهدتها تتوانى (٢)
ذهبت بالصبا سلام عليها من فؤاد بحبها ملآنا
كل ذي حالة سيمنى بأخرى ويلاقي بعد الزمان زمانا
والفتى من إذا تغير حال لم يقف في وجوهه حيرانا (٣)
هذه ساعة الحصاد فمن كا ن تعنى أراحه ما عانى (٤)
والذي يزرع التهاون في الأشياء لا يجتنيه إلا هوانا
ليس يجدي الإنسان أن يأمل النا س فلانًا من قومه وفلانا
فاسع في الأرض إن عقبان هذا الجو لا يرتضين منه مكانًا (٥)

= رأيناه بأعيننا فهل يحسن الكسول بعد ذلك أن يكون كميت الوغى لا يؤلمه وخز الأسنة.

(١) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ ﴾ [النساء: ١٤٢].

(٢) سمى أيام الدراسة أيام الصبا لأن ما بعدها كله من هم المشيب . ويعجبني أن أديبًا سأل بعض ظرفاء الفرنسويين عن الشهر الذي يقضيه العروسان معا في الخلاء بعد زواجهما لماذا يسمونه شهر العسل؟ فقال : لأن ما بعده مر كله .

(٣) يريد بهذا أن الفتى من كان عارفًا بطرق منافعه في كل أمر فإن تغيرت حال غير طريقه وكما قيل :

البس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بؤسها

(٤) تعنى وعانى بمعنى كد وتعب .

(٥) العقبان جمع عقاب ومن عجيب أمرها وفيه موعظة أنها إذا صادت الأرانب تبدأ بصيد الصغار ثم تصيد الكبار بعد ذلك وقيل لبشار بن برد: لو خيرك الله أن تكون حيوانًا ماذا كنت تختار؟ قال: العقاب لأنها تلبث حيث لا يبلغها سبع ولا ذواريع وتحيد عنها سباع=

واحذر الناس إنما يأمن الناس صبي يظنهم صبيانا
واركب الجد في الأمور ولا تجبن إذا فات بعضها أحيانا [1]
إن هذا الوجود كالحرب لا يكرم في الحرب من يكون جبانا

الشرف بالمعارف :

إن المعارف للمعالي سلم وأولو المعارف يجهدون لينعموا
والعلم زينة أهله بين الورى سيان فيه أخو الغنى والمعدم [2]
فالشمس تطلع في نهار مشرق والبدر لا يخفيه ليل مظلم [3]
لا فخر في نسب لمن لم يفتخر بالعلم لولا الناب ذل الضيغم [4]
وأخو العلا يسعى فيدرك ما ابتغى وسواه من أيامه يتظلم
والخاملون إذا غدوت تلومهم حسبوك في أسماعهم تترنم [5]
في الناس أحياء كأموات الوغى وخز الأسنة فيهم لا يؤلم
فاصدم جهالتهم بعلمك إنما صدم الجهالة بالمعارف أحزم
واخدم بلاداً أنت من أبنائها إن البلاد بأهلها تتقدم

= الطير (ولا تعانى الصيد إلا قليلا بل تسلب كل ذي صيد صيده) ولعل هذا من سخط بشار على الناس .

(١) ذكر بعض الزهاد أنه ما زال يرقب إحدى حاجاته أربعين سنة يسأل الله أن ييسرها له ولم ييأس حتى نالها .

(٢) أعدم الرجل افتقر فهو معدم .

(٣) الغني والفقير سيان في الإنسانية إلا أن هذا من فقره في وجود مظلم وذلك من يساره في وجود مشرق والعلم على أي الحالين نور لصاحبه فهو فيهما كالنور في الشمس والقمر لا ينقص من قدر هذا ليله المظلم ولا يزيد في قدر تلك نهارها المشرق وإنما التفاوت بينهما على حسب مقدار الضوء في كليهما .

(٤) الضيغم من أسماء الأسد وقد جمع له جلال الدين السيوطي رحمه الله ستمائة وسبعين اسمًا في رسالة سماها فطام اللسد في أسامي الأسد .

(٥) إذا كان الأحول يرى الشيء شيئين فلا عجب إذا سمع الخامل صيحة الزجر غناء . . .

واملأ فؤادك رحمة لذوي الأسى ... لا يرحم الرحمن من لا يرحم (١)

الاجتهاد :

لقد كذب الآمال من كان كسلانا ... وأجدر بالأحلام من بات وسنانا (٢)

ومن لم يعان الجد في كل أمره ... رأى كل أمر في العواقب خذلانا

وما المرء إلا جده واجتهاده ... وليس سوى هذين للمرء أعوانا

كأن الورى يجرون طرًّا لغاية ... وقد دحيت هذي البسيطة ميدانا (٣)

فمن كان مقدامًا فقد فاز جده ... وباء بكل الويل من ظل حيرانا (٤)

فلا تتقاعد إن تلح لك فرصة ... ولا تزدر الشيء الحقير وإن هانا (٥)

ولا تعد أخلاق الكرام فإنما ... بأخلاقه الإنسان قد صار إنسانا

العلم والعمل :

آفة العالم أن لا يعملا ... وشقا الجاهل أن لا يسألا

إنما العلم كمثل المال لا ... تنفع الأموال حتى تبذلا (٦)

ولكل الناس فقر شامل ... والغني فقره أن يبخلا (٧)

---

(١) قال ميمون بن هارون كان محمد بن عبد الملك يقول: الرحمة خور فى الطبيعة وضعف في المنة ما رحمت شيئًا قط فلما وضع في الثقل والحديد قال: ارحموني فقالوا له: وهل رحمت شيئًا قط؟ هذه شهادتك على نفسك وحكمك عليها .

(٢) الأمل كالحلم يلذ المرء لحظة وينقضى فإذا جد حققه وإذا كسل خيبه ومن نام فهو أجدر بأضغاث الأحلام .

(٣) دحا الله الأرض بسطها .

(٤) الجد بالفتح الحظ .

(٥) لابن عباس أن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما ، وقال علي رضى الله عنه: الهيبة مقرونة بالخيبة والحياء مقرون بالحرمان والفرص تمر مر السحاب .

(٦) يقال من كتم علمًا فكأنه جاهله .

(٧) لكل امرئ فقر حاصل أو متوقع فالغني إن جاد كان فقره متوقعًا لأنه لا يأمنه وإن بخل فالذي فعل هو الفقر ومما يجمل ذكره أن الأحنف بن قيس المشهور بأصالة الرأي كان بخيلا فقال مرة لبني تميم: أتزعمون أني بخيل والله لأشير بالرأي قيمته عشرة آلاف=

وأخو العلم كرب المال ... يستزيد المال حتى يعملا [١]
والكسول يتعنى آخرًا ... بالذي قد علموه أولا [٢]
وإذا كان من العلم شقًّا ... فنعيم المرء في أن يجهلا
حامل العلم ولم يعمل به ... كالحمار حامل ما حملا
وإذا لم يك إلا علمه ... كانت الأوراق منه أفضلا
خاب من قال ولم يفعل فما ... يفلح القائل حتى يفعلا [٣]

الوطن:

بلادي هواها في لساني وفي دمي ... يمجدها قلبي ويدعو لها فمي
ولا خير فيمن لا يحب بلاده ... ولا في حليف الحب إن لم يتيم [٤]
ومن تؤوه دار فيجحد فضلها ... يكن حيوانًا فوقه كل أعجم [٥]
ألم تر أن الطير إن جاء عشه ... فآواه في أكنافه يترنم
وليس من الأوطان من لم يكن لها ... فداء وإن أمسى إليهن ينتمي
على أنها للناس كالشمس لم تزل ... تضيء لهم طرًّا وكم فيهم عمي
ومن يظلم الأوطان أو ينس حقها ... تجئه فنون الحادثات بأظلم
ولا خير فيمن أن أحب دياره ... أقام ليبكي فوق ربع مهدم
وقد طويت تلك الليالي بأهلها ... فمن جهل الأيام فليتعلم [٦]

= درهم فقالوا: تقويمك لرأيك بخل.

(١) في الحديث الشريف: « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ».

(٢) قال بعض الحكماء لمريديه: إذا بقي البليد في العلم بليدًا في العمل بما علم كان في نفيه الجهل بما تعلمه كمن ينفض التراب من نعله على رأسه.

(٣) قال بعض النساك أسكتتني كلمة ابن مسعود عشرين سنة وهي من كان كلامه لا يوافق فعله فإنما يوبخ نفسه.

(٤) تيمه الحب عبده.

(٥) الإنسان حيوان ناطق وغيره من الحيوانات أعجم.

(٦) تلك الليالي التي كانت آية حب الوطن فيها أن يبكي عليه أهله بعد خرابه....

وما يرفع الأوطان إلا رجالها وهل يترقى الناس إلا بسلم
(ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم) (١)
ومن يتقلب في النعيم شقى به إذا كان من آخاه غير منعم (٢)

وقال :

ليتلوها طفل صغير في الاحتفال بامتحان تلامذة إحدى مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية .

لكم سادتي أجل احترامي وعليكم تحيتي وسلامي
وإليكم أسوق عني حديثًا حكمًا جل قدرها في الكلام
كنت في حجر والديَّ رضيعًا همتي في البكاء أو في المنام
ثم أصبحت بعد ذلك طفلا لا أقاسي سوى عذاب الفطام
ثم لما شببت أنطقني اللّه مفيض الجميل والإنعام
وأهب السمع والبصائر والأبصار معطي العقول والأفهام
ثم ميزت كل شيء أراه وعرفت الضيا ولون الظلام
ورأى اللّه أن يقدر لي الخير وأحظى بأوفر الأقسام

(١) هذا البيت من معلقة زهير بن أبي سلمى المشهورة ومكانه هنا أحق به من مكانه هناك .

(٢) من أسوأ الأخلاق شح النفس يرى المرء جيرته وإخوانه في الوطنية يتضورون جوعًا وهو ممتلئ البطن ويفترشون الحصى وهو يتقلب في الخز وقد كان العرب يتهاجون بذلك أما اليوم فهذا الشح من حسنات التمدن الذي ألف أهله سماع لفظة الموت من الجوع فإذا قلت لأحدهم إن مائة نفس ماتوا جوعًا فكأنما قلت له عم صباحًا (بنجور) . . . . وفي هذا الجو نشأ الفوضويون .

(تنبيه) قد تمت القطع التي نظمت للنشء من تلامذة المدارس وقال ناظمها أنه إذا وجد الناس أقبلوا عليها أقبل هو على نظم غيرها مما هو أرقى غير مبال بوعورة هذا المسلك الذي لم يسلكه قبله أحد فها نحن أولاء ننتظر من الصحافيين وشبان العصر أن يأخذوا بيده فى هذا المشروع حتى لا يغيض ما بقى في ذلك الينبوع وما هو عليهم إذا شاءوا بعزيز .

فأتى بي إلى المدارس أهلي وجعلت العلوم فيها مرامي
دفتري صاحبي ولوحي رفيقي وكتابي في كل فن أمامي
فتعلمت ما تعلمت مما أتباهي بعلمه في الأنام (١)
راجيًا أن أكون بالعلم يومًا في بلادي من الرجال العظام
فأشيد المدارس الشم فيها لبني البائسين والأيتام
وأربي على محبتها القو م لترقى بهم الأقوام
سادتي انشروا العلوم لتشفي ما يجسم البلاد من أسقام
إنها روحها وما بسوى الرو ح تكون الحياة في الأجسام

وقال ليتلوها طفل أصغر من ذاك

نحن في هذه المدارس نسعى لنبرّ الوالدات والوالدينا
وترانا أوطاننا خير قوم ففلاح الأوطان في أيدينا
عن قريب نكون فيها رجالا ونربي بناتنا والبنينا
فادرأوا الجهل بالمعارف عنا واتقوا اللّه أيها الناس فينا
رب هذي يد الضراعة والذل فوق عبادك المحسنينا
يا إلهي دعاك طفل صغير فتقبل يا أكرم الأكرمينا (٢)

(١) دخل الرشيد على المأمون وهو ينظر في كتاب فقال ما هذا فقال كتاب يشحذ الفكرة ويحسن العشرة فقال الحمد لله الذي رزقني من يرى بعين قلبه أكثر مما يرى بعين جسمه. ولو أن كل أطفالنا يأخذون بقول شاعرنا لما بقينا حيث نحن الآن وراء كل متقدم والأمر لله :

(٢) اللهم تقبل ووفق عبادك المحسنين . حدثت أن شاعرنا كان حاضراً ذلك الاحتفال فلم يتمالك أن بكى حينما سمع هذه الألفاظ الكبيرة يصيح بها ذلك الطفل فتخرج من فمه الصغير وراه يبسط يده خاشع الطرف رافعا رأسه إلى السماء يسأل الله أن يوفق عباده المحسنين . على حين أن هؤلاء (المحسنين) الحاضرين كانوا كالحجارة أو أشد قوة فلا ندري إلى متى هذا الجمود .

وقال :

يتفجع لمجد الشرق القديم ويضرب الأمثال للشرقيين لعلهم يتذكرون .

تمايل دهرك حتى اضطرب ... وقد ينثني العطف لا من طرب
ومر زمان وجاء زمان ... وبين الزمانين كل العجب
فقوم تدلوا لتحت الثرى ... وقوم تعلوا لفوق الشهب
لقد وعظتنا خطوب الزمان ... وبعض الخطوب كبعض الخطب
ولو عرف الناس لم تهدهم ... سبيل المنافع إلا النوب
فيا رب داء يكون دواءً ... إذا عجز الطب والمستطب
ومن نكد الدهر أن الذي ... أزاح الكروب غدا في كرب
وأن امرءًا كان في السالبين ... فأصبح بينهم يستلب
ألست ترى العرب الماجدين ... وكيف تهدم مجد العرب
فأين الذي رفعته الرماح ... وأين الذي شيدته القضب
وأين شواهق عز لنا ... تكاد تمس ذراها السحب (١)
لقد أشرق العلم من شرقنا ... وما زال يضؤل حتى (غرب) (٢)
وكنا صعدنا مراقي المعالي ... فأصبح صاعدنا في صبب (٣)
وكم كان منا ذووا همة ... سمت بهم لمعالي الرتب
وكم من هزبر تهز البرايا ... بوادره إن ونى أو وثب (٤)
وأقسم لولا اغترار العقول ... لما كف أربابها عن أرب

(١) بلغ العرب في ثمانين سنة ما لم يبلغه الرومان في ثمانية قرون ودولتهم إذ ذاك أقوى دول الأرض .

(٢) ما زال يدق ويخفى .

(٣) الصبب الانحدار .

(٤) الهزبر من أسماء الأسد .

ولـولا الـذي دب مـا بـيـنـهـم لما استـصعبـوا في العـلا مـا صـعب
ومـن يطـعـم النفـس مـا تشتـهـي كـمـن يـطـعـم الـنـار جـزل الحـطـب
ألا رحـم الـلّـه دهـرًا مـضـى ومـا كـاد يـبـسـم حـتـى انتـحـب
وحـيـي لـيـالـي كـنـا بـهـا رعـاة عـلى من نـأى واقـتـرب
فـملـكًا نـقـيـل إذا مـا كـبـا وعـرشًا نـقـيـم إذا مـا انـقـلـب (١)
سـلـوا ذلـك الـشـرق مـاذا دهـاه فـأرسـلـه في طـريـق الـعـطـب
لـو أن بـنـيـه أجـلـوا بـنـيـه لأصـبـح خـائـبـهـم لـم يـخـب
فـقـد كـان منـهـم مـفـر الـعـلـوم كـمـا كـان فـيـهـم مـقـر الأدب (٢)
وهـل تـنـبـت الـزهـر أغـصـانـه إذا مـاء كـل غـديـر نـضـب
وكـم مـرشـد بـات مـا بـيـنـهـم يـسـام الـهـوان وسـوء الـنـصـب
كـأن لـم يـكـن صـدره منـبـعًا لمـا كـان مـن صـدره يـنـسـكـب
ومـن يـسـتـبـق لـلـعـلا غـايـة فـأولـى بـه مـن سـواه الـتـعـب
ولـيـس بـضـائـر ذي مـطـلـب إذا كـفـه الـنـاس عـمـا طـلـب
فـكـم مـن مـصـابـيـح كـانـت تضـيء بـيـن الـريـاح إذا لـم تـهـب
ومـا عـيـب مـن صـدف لـؤلـؤ ولا عـاب قـدر الـتـراب الـذهـب
بـنـي الـشـرق أيـن الـذي بـيـنـنـا وبـيـن رجـال الـعـلا مـن نـسـب
لـقـد غـابـت الـشـمـس عـن أرضـكـم إلى حـيـث لـو شـئـتـم لـم تـغـب

(١) يقال أن ملوك الأندلس كان من مبلغ سطوتهم أنهم كانوا يقيمون ملوك الإفرنج إذا انقلبوا عن عروشهم وكانت وفود الملوك تجيء من ألمانيا واليونان إلى الأمير عبد الرحمن الثالث أمير الأندلس المشهور تزلفًا واسترضاءً وتاريخ الخلفاء الإسلاميين مفعم بأكثر من هذا . ولا أظن أن ذا إحساس يرمي بنظره إلى تلك الذروة التي ارتقى إليها مجد الإسلام ثم يمر على الأيام الأخرى منحدراً حتى يصل إلى الحضيض الذي نحن فيه اليوم ولا تتصعد زفراته حتى تبلغ مقر نظره وتنزل عبراته حتى تقف حيث هو . والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

(٢) بحسبك أن فلسفة أرسطو أستاذ الفلاسفة لم تقع إلى الإفرنج إلا من صحائف العرب .

إلى الغرب حيث أولاء الرجال ... وتيك العلوم وتلك الكتب (١)
فإن كان هذا بحكم الزمان ... فتبت يد ذا الزمان وتب
وإن كان مما أردتم فما ... تنال العلا من وراء الحجب
فدوروا مع الناس كيف استداروا ... فإن لحكم الزمان الغلب
ومن عائد الدهر فيما يحب ... رأى من أذى الدهر ما لا يحب

وهذه شذرات من الحكمة ألحقناها بهذا الباب

قال :

رويداً إنما الأيام سفر ... إذا وفد تولى جاء وفد (٢)
كأنا في الجحيم فمن تفرى ... له جلد تبدل منه جلد (٣)
أرى قوماً أعدوا ما استطاعوا ... لدهرهم وقوماً ما أعدوا
فلا يغررك من أحد وداد ... فليس لواحد في الناس ود
رموا شبكاتهم في كل ماء ... فلو راموا السماء إذاً لجدوا

وقال :

حمل فؤادك ما يطيق ولا تكن ... حزناً فإن الحزن ليس يطاق
كم مملق أمسى الثراء ببابه ... ولكم رماه على الثرى الإملاق (٤)
واقنع برزقك ما كفاك فإنما ... زاد المسافر هذه الأرزاق
والناس كالركب الذين إذا سروا ... ناموا ولكن المطي تساق (٥)

---

(١) أصبح الشرق من ظلمته غرباً والغرب من نوره شرقاً واسم كليهما كما هو الشرق شرق والغرب غرب .

(٢) السفر كالركب المسافرون .

(٣) تفرى الجلد تقطع وهذا المعنى من قوله تعالى في أهل الجحيم ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ .

(٤) الثراء بالمد الغنى وبالقصر التراب مجازاً والإملاق الفقر .

(٥) شبه الأعمار بالمطي وهي مسوقة إلى الفناء لا تغفل وإن غفل الناس كالركب الذين =

وقال :

ربما دها حزن فيه راحة المهج
والذي يقدره قادر على الفرج

وقال :

إذا صحت في شرقنا صيحة وقلت أرى الغرب منا اقترب
فما أنت مسمع من في القبور ولا أنت مفرغ من في السحب

وقال :

زرعنا فلم نحصد وكان جدودنا متى يبذروا في أرضنا الحب يحصدوا
وما قتل المحل البلاد وإنما أصاب الصدا محراثنا فهو مبرد (١)

وقال في إنسان لا فخر فيه وهو يفتخر بأجداده :

يا من يرى الفخر بأجداده لست من الأجداد لو تدري
وما أرى أعجب من جدول ينضب والأمواه في النهر (٢)
فاترك عظام الناس في قبرها ولا تقل زيدي ولا عمري
إن كان بالعظم فخار الفتى فما أحق الكلب بالفخر

وقال :

لا تسأل الكذاب عن نياته ما دام كذابا عليك لسانه
ينبيك ما في وجهه عن قلبه إن الكتاب لسانه عنوانه (٣)

= يسيرون ليلا ينامون ومطيهم تساق .

(١) يريد أن الشرقيين أهملوا الأخذ بالأسباب التي ارتقى بها أجدادهم ومثل لذلك بهذا التمثيل البديع وهو أن المحراث إذا ترك علاه الصدأ فإذا طال عليه الأمد كان في خشونة ملمسة كالمبرد والمبرد لا يصلح للحرث وكيف يحصد من بذر الحب ولم يحرث له .

(٢) الجدول الترعة الصغيرة التي تستمد من النهر والأمواه جمع ماء والمراد أن أجداده ممتلئون بالفخر وهو لا فخر فيه فلو كان منهم أي نفسًا وهمة لا تسبا لكان مثلهم في شيء من ذلك الفخر .

(٣) قال حكيم: الكذاب والميت سواء لأن فضيلة الحي النطق فإذا لم يوثق بكلامه فقد بطلت=

وقال :

كل امرئ يسعى بما في وسعه ... إما إلى السرا أو الضراء
وأرى الحظوظ ألفن كل مرفه ... ونأت بجانبها عن البؤساء (١)
سبحانك اللهم تعطي ذا الغنى ... وتقتر الأرزاق للفقراء

وقال :

أرى الدنيا تؤول إلى زوال ... وينضم الأمير إلى الحقير
فإن كان الغنى كالفقر يفنى ... فما شرف الغني على الفقير

وقال :

إذا ما استشارك ذو كربة ... فضيق عليه طريق الأمل
فإن النفوس يؤملن حتى ... ليدخلن سم الخياط الجمل (٢)

وقال :

يا ويح دهري لم يبق في بنيه يصيح

فلا فؤاد سليم ... ولا وداد صحيح
وكل ما يخبأ القلب ... في العيون يلوح
وكلنا في عناء ... فمن أذن يستريح

وقال :

إذا ما دعاك الحق للظلم مرة ... وقد كنت ذا حلم فلا تك ذا حلم

= حياته .

(١) المرفه ذو الرفاهة وهي رخاء العيش والنعم والبؤساء الفقراء البائسون .

(٢) سم الخياط هو الثقب الذي يكون في رأس الإبرة والنفس إذا انطلقت في الأمل لا يصعب عليها أن يدخل فيه الحمل ولذلك قال أفلاطون إذ قويت نفس الإنسان انقطع إلى الرأى وإذا ضعفت انقطع إلى البحث والبحث ابن الأمل .

فإن من الإشفاق إن زاغت النهى عن الحق ميل المشفقين إلى الظلم (١)

وقال :

إن ضقت بالعسر فلا تبتئس فربما دل على ضده

كالبرق يحكي في سناه اللظى وقد يكون الغيث من بعده

فكل إلى اللّه وبت راضيًا فكل ما مسك من عنده (٢)

رمضان :

فديتك زائرًا في كل عام تحيي بالسلامة والسلام

وتقبل كالغمام يفيض حينًا ويبقى بعده أثر الغمام

وكم في الناس من دنف مشوق إليك وكم شجي مستهام

رمزت له بالحاظ الليالي وقد عيّ الزمان عن الكلام (٣)

فظل يعد يومًا بعد يوم كما اعتادوا لأيام السقام

ومد له رواق الليل ظلا ترف عليه أجنحة الظلام

فبات وملء عينيه منام لتنقض عنهما كسل المنام

ولم أر قبل حبك من حبيب كفى العشاق لوعات الغرام

فلو تدري العوالم ما درينا لحنت للصلاة وللصيام

بني الإسلام هذا خير ضعيف إذا غشي الكريم ذرى الكرام (٤)

يلمكم على خير السجايا ويجمعكم على الهمم العظام

(١) زاغت النهى عن الحق مالت عنه والنهى هي العقول فإذا مالت عن الحق فالإشفاق عليها أرحمها إليه وإن ظلمت ولذلك كان خير الناس المستبد العادل .

(٢) السنا النور واللظى اللهب ووكل أمره إلى الله سلمه إليه وتوكل عليه والجناس بين لفظة فكل الأولى ولفظة فكل الثانية لا يحتاج إلى بيان وقد مر شيء كثير من البديع لم ننبه عليه لظهوره بغير تأمل .

(٣) عيّ عن الكلام عجز .

(٤) الذرا المنزل ومن أسمائه المعان والبيت والوكن .

فشدوا فيه أيديكم بعزم كما شد الكمي على الحسام
وقوموا في لياليه الغوالي فما عاجت عليكم للمقام
وكم نفر تغرهم الليالي وما خلقوا ولا هي للدوام
وخلوا عادة السفهاء عنكم فتلك عوائد القوم اللئام(١)
يحلون الحرام إذا أرادوا وقد بان الحلال من الحرام
وما كل الأنام ذوي عقول إذا عدوا البهائم في الأنام
ومن روّته مرضعة المعاصي فقد جاءته أيام الفطام

(١) يشير إلى العوائد المحرمة التي يستقبل بها العامة رمضان ويودعونه بأسوأ منها .

الباب الثاني

في المديح

قال يمدح أمير المؤمنين . وخليفة الرسول الأمين . ويهنئه بعيد جلوسه الميمون لسنة ١٩٠١ ويذكر حادثة الأرصفة التي كانت يومئذ وتهديد فرنسا للدولة العلية حرسها الله :

أراك الحمى هل قبلتك ثغورها ... فمالت بأعطاف الغصون خمورها (١)
وحنت إلى سجع الحمام كأنه ... رنين الحلى إذ لاعبتها صدورها
عذيري من تلك الحبيبة ما لها ... تقول عذيري والمحب عذيرها (٢)
يقلب عينيه إليها ضميره ... ويلفت عينيها إليه ضميرها
وما كل ما يخشاه منها يضيره ... ولا كل ما تخشاه منه يضيرها
وقام إليَّ العاذلات يلمنني ... فقلن ألا (تنفك) قلت أسيرها (٣)
لئن لم يكن للظبي سحر عيونها ... فما شيمة الغزلان إلا نفورها
وما شفني إلا النسيم وتيهه ... عليّ إذا ما لاعبته خدورها
ألا فاعذلوا قد مر ما كنت حاذرا ... وعادت ليالي الدهر يحلو مرورها
وأصبحت الدنيا تضاحك أهلها ... ويبسم فيهم بشرها وبشيرها
تتيه بأعياد الملوك وكيف لا ... وعيد (أمير المؤمنين) أميرها
أعاد به روح الخلافة ربها ... وجاء لها بالنصر فيه نصيرها

(١) الأراك شجر يستاك بأعواده . وكان نساء العرب يستعملن السواك .
(٢) العذير مبالغة في العاذر وهو هنا خبر لمبتدأ محذوف أي من عذيري .
(٣) أردن أن يقلن ألا تنفك تحبها فأسرع فقال أسيرها قبل أن يقلن تحبها فغالطهن وأسجل حبها وقد اجتمع في لفظة « تنفك » التورية والطباق وفي البيت الإسجال بعد المغالطة .

فراعت صناديد الملوك وما سوى مليك البرايا قد أقل سريرها
وجار عليها الدهر شعثًا خطوبه فهب لها (عبد الحميد) يجيرها
بصير بنور اللّه في كل أزمة ترد عيون الصيد حسرى ستورها (١)
وطار بها لا يرتضي النجم غاية تمد جناحيها عليه طيورها
يظن عداه أن في الناس مثله فيا ويحهم شمس الضحى ما نظيرها
وغر (فرنسا) أن ترى الليث باسما فلم تدر حتى لج فيها (سفيرها) (٢)
أيجلوك يا عضب الشباما هذت به وقبلك ما ضر النبى هريرها (٣)
وكم دولة جالت أمامك جولة وسيقت كما ساق الشياه غرورها (٤)
ملأت عليها الأرض أسدًا عوابسًا يردد بين الخافقين زئيرها
فمالت بهم إن شئت يومًا قفارها وماجت بهم إن شئت يومًا بحورها
وقد صفت الآجال في حومة الوغى وحامت على القوم العداة نسورها
إذا انتضلت رسل المنيات أحجمت جيوشهم فاستعجلتها قبورها (٥)
وما لسيوف الترك يجهلها العدى وقد عرفتها قبل ذاك نحورها (٦)

(١) صدر البيت من قوله ﷺ « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل » وعجزه من قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ .

(٢) سفيرها هو المسيو كونستان المشهور في تلك الحادثة وقد انتهت بسلام كما تنبأ الشاعر .

(٣) يشير إلى المقالة التي كتبها المسيو هانوتو وزير خارجية فرنسا في الطعن على الإسلام وما نقله فيها من قول كميون في النبى عليه الصلاة والسلام والهرير نباح الكلاب .

(٤) يسوقها الطمع في غيرها والغرور بنفسها كما تساق الشياه للمجزرة وهي تحسب أنها ذاهبة إلى المرعى ويقال أن أشعب الطماع سئل : هل رأيت أطمع منك قط ؟ فقال : نعم شاة بني فلان رأت قوس قزح وهي على سطح فظنته حبل قت فوثبت إليه فاندقت عنقها وهذا مثل الدول التي تطمع في دولتنا العلية حرسها الله .

(٥) انتضل القوم تراموا بالنبال والمثل ظاهر فى اليونان .

(٦) إنما قال يجهلها ولم يقل يعرفها لأن المخذول يتجاهل خذلانه دائمًا فإن شهد به عليه أثر فيه كان أدعى لتبكيته وعلى هذا جاء قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ ﴾ الآية وكان من هذا المعنى البديع الطباق بين الجهل والعرفان .

يـهـز إليـك المسـلـمين صـليـلـهـا وإن ضم منهـم جانب الصين سـورها [1]
لـيـهن أمـيـر المؤمـنين جلوسـه على العرش وليـهن البـرايا سـرورها
فقـد طارح (البـوسفـور) مصـر تحية أضـاءت لها فـي جانبيـها قـصـورها
وشـاهـد أهـلوهـا مـن الغـيب نـوره ولاح لأهـلـيـه مـن الـغـيـب نـورهـا
وقـام فـتاهـا ينطق الـورق سجـعـه وقـد هز عـطفـيـه إليـهـا هديـرها [2]
بـصـادحـة لا يطـرب القـوم غـيـرهـا وهـل أنا لـلأشـعـار إلا جـريرهـا [3]
تـرف قـوافـيـهـــا إذا هـي أقـبـلـت تـزف مـعـــانيـهـا إليـك سـطورهـا
ومـــا قـــدم المـاضـين أن زمـــانـهـم تـقـــدم أن بذ الجـيـــاد أخـيـرهـا [4]

وقال :

يمدح الجناب العالي الخديوي ويهنئه بعيد جلوسه السعيد على الأريكة الخديوية لسنة ١٩٠٣ :

شـكوت هـواها فـاشـتـكتـني لـلـهـجـر وقـد غلب الأمـران فيـهـا على أمـري

(١) صليل السيـوف صوت قراعها وسور الصين مشـهور ينسب المؤرخون تأسيسه لإمبراطور الصين (تسين ستى هونج) الـذي كان ملكا قبل الميلاد المسيحـي بألفي سنة . ويقال أن المواد التي بني بها هذا السور تكفي لبناء حائط يحيط بالكرة الأرضية كلها مرتين ويكون ارتفاعه سـتة أقدام وعرضه قدمين . وبعـضهم يحسب هذا السور سد يـأجوج ومأجوج المذكور في القرآن الشريف وهو خطأ .
ويقال إن أول من دخـل إلى الصين من المسلمـين رجل من الصحابـة يدعى (رهاب بن رعشة) سـافر إليهـا بعد الهجـرة ونشر هناك الدين الحـنيف وقيل غيـر ذلك والله أعلم وتاريخ الإسلام في الصين مشهور لا حاجة إلى ذكر شيء منه هنا .

(٢) الورق الحمائم جمع ورقاء وهديرها صوتها .

(٣) هو أبو حزرة جـرير بن عطية الـشاعر المشهـور كان حامل لواء الـشعر في زمنه وأخـباره مستفيضة وحسبك بشاعر يفاخر بأبيه ثمـانين شاعراً ويقارعهم به فيغلبهم جميعًا على ما كان للشعراء يومئذ من ذلاقة اللسان في هذا الضرب من الشعر وفي البيت الالتفات وهو معروف .

(٤) بذ الجياد أخيرها سبـقها والمراد بالجياد هنا التي تكون في السباق ولـها أسماء على حسب ترتيبها وهي معروفة .

وبت ولا من حيلة غير أنني ... أرى الذكر يصبيني فأصبو إلى الذكر

مهاة لعينيها تغزلت في المهى ... وما غزلي في سحرهن سوى السحر

وأعشق فيها الشمس والبدر والذي ... يشبهه العشاق بالشمس والبدر

وما مضنى إلا جفاها ولحظها ... فإن كلا السيفين أغمد في صدري

تراءت لنا بالقصر يومًا فلم تزل ... ترفرف نفسي بعد ذاك على القصر

وراحت وقد صدت وبين قلوبنا ... مسافة ما بين الوصال إلى الهجر

فقاسمتها قلبي وقلت لعاذلي ... لها شطرها مما قسمت ولي شطري

وأنفقت أيامي كما أسرفت يدي ... جوادًا بمالي في هواها وبالعمر

ولما تلاقينا ومالت تجافيًا ... كما تحذر الورقاء جارحة الصقر

شددت على قلبي يدي ويد الهوى ... تقلبه بين الضلوع على جمر

وقلت لها أبقي على الود ساعة ... لعل لنا في الغيب يومًا ولا ندري

فقالت أغير (العيد) يوم لشاعر ... بحسبك يوم العيد يا قمر الشعر

فقمت وقد أبصرت قصدي ولم أزل ... بفكري حتى أشرق الوحى من فكرى

وعندي من أشتات ما في كنوزه ... قلائد شتى من نظيم ومن نثر

(أعباس) إن لم يبتدر مدحك الورى ... فلا نطقت لسن بمدحك لا تجرى

على أنك استغنيت عن كل مادح ... بآثارك الغرا وأيامك الغر

وأوحيت لي ذا الشعر حتى كأنما ... لقطت نفيس الدر من ساحل البحر

ولم يك مدحي غير أوصافك التي ... هي الزهر أن يعبق مديحي كالعطر

وإن رخيصًا كل قول وإن غلا ... لملك بلاد تربهن من التبر

جرى النيل فيها حاكيًا نيل كفه ... وهل في الورى من يعدل البحر بالنهر

فأغروا به (الخزان) حتى لخلته ... وصيًا يريه كيف ينفق بالقدر (١)

(١) احتفل بافتتاح الخزان في يوم ١٠ ديسمبر سنة ١٩٠٢ وقد كان النيل يصب في البحر الملح من مائه العذب ما كانت مصر في حاجة إليه فكأن الخزان أقيم وصيًا على هذا=

وما النيل في مصر سوى دم قلبها إذا حفظوه دامت الروح في مصر
يفيض به في عصر (عباس) ما ترى من العلم لا ما كان من نبأ الخدر (١)
فتى الملك لا عسر بعصرك يشتكي وقد كان هذا اليوم فاتحة اليسر
تضيء بك الأيام حتى كأنها دياجي الليالي قابلت غرة الفجر
ويوم تبوأت الأريكة سطروا معالي هذا الشعب في صحف الفخر (٢)
رأوك فتى فوق الملوك عزيمة وشتان ما بين العصافير والنسر
على حلم عثمان وهيبة حيدر وعدل أبي حفص وعزم أبي بكر (٣)

= المبذر المتلاف . يعلمه الإنفاق بالقدر من غير إسراف . ولم يحم أحد حول هذا المعنى على كثرة ما قرأناه للشعراء في وصف الخزان مع أنه أقرب إلى الفكر من كل معنى سواه وأفضل .

(١) في الكلام مضاف محذوف والتقدير ما كان من نبأ ذات الخدر وذلك أن عمرو بن العاص لما فتح مصر أتاه أهلها وقد أصبحوا في بؤونة من أشهر القبط فقالوا أيها الأمير إن لنيلنا سنة لا يجري إلا بها فقال : وما ذاك ؟ قالوا إذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فارضيناهما وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو : أن هذا لا يكون في الإسلام وإن الإسلام يهدم ما قبله فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى لا يجري قليلا ولا كثيراً حتى هموا بالجلاء فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك فكتب إليه عمر قد أصبت إن الإسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت إليك بطاقة فألقها في داخل النيل إذا أتاك كتابي فلما قدم الكتاب على عمرو وفتح البطاقة فإذا فيها من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجري وإن كان الواحد القهار يجريك فنسأل الواحد القهار أن يجريك . فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء فأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله ستة عشر ذراعًا وطمست تلك السنة . والظاهر أن هذه العادة قديمة جداً لورود ما يشبهها في خرافات اليونان الأقدمين .

(٢) تبوأ الأريكة أي ارتقى العرش .

(٣) الحيدر والحيدرة الأسد وهو اسم لسيدنا علي ومن قوله عليه السلام ولم يختلف الرواة في إثباتها له :

أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات غليظ القصره
أكيلكم بالسيف كيل السندره

وأبو حفص كنية سيدنا عمر بن الخطاب . والآثار في حلم عثمان وهيبة علي وعدل =

فـدمت مـرجى في بنيك مـهـنئًـا   دوام جـلال الـبـدر فـي الأنجـم الزهـر

وقال :

يمدح إنسان الزمان . وشرف الإنسان فضيلة الأستاذ العظيم والفيلسوف العليم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية حفظه الله :

لـو كـنـت راضـيـة رعـيـت وفـائـي   بـعـد الـعـواذل فيـك والـرقـبـاء
خـالـقـهـن غداة عـلـمـني الـهـوى   أن الـنـسـاء ضـرائـر الحـسـنـاء
يـا ظبـيـة الـوعـسا وهـل بعـث الجـوى   فـي الـقـلـب إلا ظـبـيـة الـوعـسـاء
كـلـتـا يـدي يـد تـكـفـكـف أدمـعـي   ويـد أشـد بـهـا عـلـى أحـشـائـي
ولـكـم مـلأت الـلـيـل شـجـوًا ظـنـه   الـعـذال شـدو حـمـامـة ورقـاء
حـتـى تـلـثـمـت الـنـجـوم وسـاقـطـت   عـين الـظـلام مـدامـع الأنـداء [١]
فـجـرت عـلـى خـد الـصـبـاح يـراعـتـي   وتـعـلـقـت بـكـواكـب الجـوزاء
فـنـظـمـتـهـا مـدح (الإمـام) وإنـه   لأجـل مـن يـهـدي إلـيـه ثـنـائـي
(يـا عـبـده) والـدهـر فـي غـلـوائـه   وبـنـوه مـا كـفـوا مـن الـغـلـواء [٢]
مـر ذا الـزمـان تـظـلـنـا أفـيـاؤه   وسـم الـلـيـالـي بـالـيـد الـبـيـضـاء
لـولاك كـان الـدهـر بـؤسًـا كـلـه   والـدهـر يـومـا شـدة ورخـاء
مـغـض ولـولا أن تـهـابـك نـفـسـه   لـهـوت صـواعـقـه عـلى الـبـؤسـاء
أذكـيـت لـلـشـرك الـبـيـان فـذره   والـنـار لا تـبـقـي عـلـى الحـلـفـاء

= عمر وعزم أبي بكر رضى الله عنهم مشهورة ولم نعلم أحدًا جمع الخلفاء الراشدين في بيت واحد قبل شاعرنا .

(١) مما نذكره فكاهة أن قدماء اليونان كانوا يعتقدون آلهة اسمها (أورور) أي الفجر فزعموا أنه قد كان لها ولد يدعى (ممنون) فذهب لإعانة الملك (إبريام) في حرب مدينة (ترواده) فقتله (أشيل) وبكت عليه أمه زمنًا طويلا فكانوا يقولون أن دمعها هو الندى .

(٢) غلواء الدهر غلوه في نكبة أهله .

وأريتنا الخلفاء فيك وإننا	لنقول عنك خليفة الخلفاء [1]
من مبلغ الدنيا بأنك مجدها	والدين أنك مرغم الأعداء
كشفت لك الأشياء عما أبطنت	حتى اجتليت بواطن الأشياء
يا واحد الدنيا المضيء على الورى	كالشمس جاءك واحد الشعراء
لما رآه الناس يمدح حاتما	نظروا إليه فلقبوه الطائي [2]
مرت لياليها ولما ترجع	فالعين إن هجع السها لم تهجع [3]
أيام تهتف بي المهى ويغرن أن	ذكروا حنيني للغزال الأتلع
وأرى تحيتهن في جيب الصبا	وسلامهن مع البروق اللمع
زمن به كان الزمان يهابني	وحوادث الأيام ترهب موضعي
ينظرن مني قيصراً في قصره	ويخفن من همي عزيمة تبع [4]
في حين لا العبرات تكلم أعيني	حزنا ولا النيران تكوي أضلعي
وبلوت من ظلمات يونس ليلة	فنسخت آياتها بآية يوشع [5]

(١) الخلفاء هم الأربعة الراشدون رضي الله عنهم وعنا بهم .

(٢) حاتم هو كريم طيئ المشهور . الذي لم تمح اسمه الدهور وأخباره في الكرم لا تعد بل لا يعدل به غيره في ذلك . والطائي هو أبو تمام حبيب بن أوس الشاعر الكبير المشهور وكان واحد عصره في شعره واحتجاج صاحبنا على أنه واحد الشعراء بهذا البيت من أبدع ما يسمع . قال العلماء : خرج من قبيلة طيئ ثلاثة كل واحد مجيد في بابه حاتم الطائي في جوده وداود بن نصير الطائي في زهده وأبو تمام حبيب بن أوس الطائي في شعره . والذي ننبه إليه هنا المناسبة بين حاتم والطائي وفي الطائي الاستخدام إذا اعتبر علمًا بالغلبة على أبي تمام ولم نقف في البديع على اسم لهذه المناسبة ولعله نوع جديد منه فليسمه العلماء بما شاءوا .

(٣) السها كوب خفي من بنات نعش الصغرى وكانت العرب تمتحن به أبصارها .

(٤) يسمى كل من يملك على الروم قيصر وكل من يملك على الفرس كسرى وتبع لمن يملك على اليمن ولا يسمى به إلا إذا كانت له حمير وحضرموت والهم والهمة بمعنى .

(٥) يونس هو ذو النون عليه السلام المراد بقوله تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ الآية [الأنبياء: ٨٧] وقال صاحب الكشاف في الظلمات أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله تعالى : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي =

يجري الهوى طربًا على آثارها ... مشى الجآذر للغدير المترع [1]
ظمآن لا ترويه إلا عبرة ... أو مهجة سالت بجنبي مولع
حسبوه غصنًا في الثياب وزهرة ... تحت القميص ووردة في البرقع [2]
أمسيت من آماله في ليلة ... ضل الصباح بها طريق المطلع
تشكو نجوم الليل أني رعتها ... ومتى تروع أنة المتوجع
وكأنها إذ أحدقت في جانبي ... حسبت هلال سمائها في مضجعي
غر (كمحمود) السريرة أن دعا ... زهر كغرته المضيئة إن دعى
لو أنصفوها لاستبانوا أنها ... حبات ذياك القريض المبدع
عرفوا به شعر الفحول وأهله ... وسجية المطبوع والمتطبع
فلو أن عمرًا أسمعوه حماسه ... لحما به الصمصام أن لم يقطع [3]
أو أنشدوا المجنون بعد نسيبه ... لنسي به ليلى فلم يتفجع [4]
لم أتل يومًا آية من آيه ... إلا حسبت الكون يتلوها معي

= ظُلُمَاتٍ﴾ [البقرة:١٧] ويوشع هو ابن نون صاحب موسى عليهما السلام وقد جاء في الإصحاح العاشر بعد أن ذكر اجتماع ملوك الأموريين الخمسة ونزولهم بجيوشهم على جيعون) وصعود يشوع إليهم برجال الحرب وجبابرة البأس وأن الرب رماهم بحجارة عظيمة من السماء « ١٢ حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الرب الأموريين أمام بنى إسرائيل وقال أمام عيون إسرائيل يا شمس دومى على جيعون ويا قمر على وادي أيلون ١٣٠ فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه . أليس هكذا مكتوبا في سفر ياشر . فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل » .

(١) الجآذر جمع جؤذر وهو ولد الظبية والمترع الملآن .

(٢) يعني الزهرة المنعقدة في القوام المتهدلة بجانب أختها على الصدر .

(٣) هو عمرو بن معد يكرب الزبيدي فارس زبيد المشهور والصمصام أو الصمصامة سيفه . يقال أن طوله سبعة أشبار وافية وعرضه شبران.

(٤) المجنون هو مجنون ليلى المشهور واختلفوا في اسمه كما اختلفوا في وجوده ومن نظر في الشعر المروي عنه وجد أكثره لغيره والتجنيس بين نسيبه ونسي به هو الذي يسمونه المفروق لاتفاق الكلمتين لفظًا لا خطًّا ولم يسبق شاعرنا إليه فيما نعلم .

وأراه أحـيـا للـبـلاغـة دولـة مـات ابن بـرد دونهـا والأصـمـعي [1]
وأبيك لـولا مـعـجـزات بيـانـه مـا كـان في أحـيـائهـا مـن مـطمـع

وقال :

يمدح شاعر العصر . وإمام النظم والنثر . الأستاذ الكامل الشيخ عبد المحسن الكاظمي الشهير حفظه الله :

لـك أن تـشـا وعلي أن لا أجـزعـا ولـي الهـوى وعـليـك أن تـتـمـنـعـا
مـا الحـب إلا أن تـكـون مملـكـا ونـذل يا مـلك القلـوب ونـخـضـعـا
زعـم الوشـاة بأنـني لـك (صـارم) أو مـا رأيت لـكل واش مـصـرعـا [2]
ولـو أن حـبـل هواي كـان مـقـطـعـا مـا بـات قـلـبي في هـواك مـقـطـعـا
غـادرت عـيـنـي لو يـفـرق سـهـدهـا في الـنـاس مـا بـات العـواذل هـجـعـا
وأمـنـت أن أهـوى سـواك فـرعـتـني حـتـى أمـنـت علـيـك أن تـتـوجـعـا
لا تمـض في هـذا الـدلال فـإنمـا أهـوى دلالـك أن يـكـون تـصـنـعـا
إنـي ليـقـتـلـني الـصـدود فكـيف بـي وأرى صدودك والـنوى اجـتـمـعـا معـا

(١) ابن برد هو بشار بن برد الشـاعر الشهير وسيأتي شيء من خبـره في باب الغزل والنسيب والأصمعـي هو أبو سعيد عـبد الملك بن قريب وكـان إمامًا في الأخبـار والنوادر والملح والغرائب يحفظ من الأراجيز وحدها ستة عشر ألـف وقال فيه أبو عبيدة ما قرأ كتابًا قط فاحتاج إلى أن يعود فيه ولا دخل قلبه شيء فخرج عنه .

(٢) في هذا البيت الاستخـدام وهو إطلاق لفظ مشترك بين معنيين ثم يؤتـى بلفظين يفهم من أحدهمـا أحد المعنيين ومن الآخر المـعنى الآخر وقد يكون الـلفظان متأخريـن عن اللفظ المشترك وقد يكونان متقدمين وقد يكون المشـترك وقد يكونان متقدمين وقد يكون المشترك بينهما كما هنا فإن لفظة صارم مشتركة بين معنى الهاجر والسيف وقد أريد المعنيان جميعًا فالوشـاة يزعمون أنه صـارم أي هاجر لينفـروا حبيبـه وهو يقول أنه صارم لـه أي سيف ويستدل على ذلك بأن لكل واش مصرعًا والفـرق بين الاستخدام والتورية إن الاستخدام وإرادة المعنيين وأما التورية فإرادة أحدهمـا وهذا الاستخدام في لفظة « صارم » والذي مر في لفظة « الطائي » مما لم يسبق إليه .

فسل الدجى عني تنبئك الدجى   واسأل عن العينين هذي الأدمعا
وأصغ لشعري إن رحمت فلم يزل   شعري يحن إليك حتى تسمعا
أمسى بحسنك مولعًا وخلقت لا   تهوى الذي يمسى بحسنك مولعا
لو لم أزنه بمدح (عبد المحسن) المولى   لما باهى الدراري لمعا (١)
ملك البيان ومن غدا في أهله   فذ المشارق والمغارب أجمعا
نثروا على تاج الزمان قريضه   فغدا به تاج الزمان مرصعا
ولو أن للعرب الكرام عقوده   ما عطلوا في البيت منها موضعا (٢)
يا كوكب الفلك الذي آياته   تأبى على كل (امرئ) أن يطمعا
عدوا أكاسرة القريض ثلاثة   ولقد أراهم أصبحوا بك أربعا (٣)
سل ذلك الغطريف ماذا يدعي   لو أدركته معجزاتك ما ادعى (٤)
أو ما تركت السابقين إذا جروا   ومشيت هونًا دون شأوك ظلعا (٥)

---

(١) المولى من أعظم الألقاب في العراق لا يطلق إلا على أكابر الأئمة ولذلك استعمل هنا فإن الممدوح من العراق وهو فخره وزينته .

(٢) كان العرب في الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الأرض فلا يعبأ به ولا ينشده أحد حتى يأتي مكة في موسم الحج فيعرضه على أندية قريش في سوق عكاظ فإن استحسن روي وكان فخرًا لقائله وعلق على ركن من أركان الكعبة حتى ينظر إليه وإن لم يستحسن رمي وطرح ولم يعبأ به وكانت المعلقات تسمى المذهبات لأنها كانت تكتب بماء الذهب ثم تعلق فيقال مذهبة فلان أي معلقته .

(٣) أجمع العلماء على أن أشعر الناس ثلاثة : أبو تمام والبحتري والمتنبي حتى قال بعضهم أنه حفظ ما لا يحصى من شعر المتقدمين والمتأخرين ووقف على كل ديوان ثم كان اختياره بعد ذلك على دواوين هؤلاء الثلاثة .

(٤) الغطرفة الخيلاء يشير إلى أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الشاعر الكبير المشهور وقد كان ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلا ثم استتابه وأطلقه ولذلك سمي المتنبي وقيل بل لأنه قال أنا أول من تنبأ بالشعر .

(٥) مشى الهوينا ومشى هونًا أي :على مهل والشأو الغاية والظلع جمع ظالع وهو الذي يغمز في مشيته .

ولقد أطاعتك الكواكب مثلما ... كانت ذكاء وقد أطاعت يوشعا
وسطا على الشعر الزمان وغاله ... فحفظت ما غال الزمان وضيعا
وأريتنا من سحر بابل أعينًا ... تجري علينا البابلي مشعشعا (١)
تركت فؤاد الدهر يخفق صبوة ... وحنين أهل الخافقين مرجعا
فإذا تلوها أصغت الدنيا لها ... حتى كأن لكل شيء مسمعا
وسجعت في مصر وملك الشعر في ... مصر إذا اشتقت العراق لتسجعا
ما زلت تذكرها الفرات ودجلة ... حتى بكى النيل السعيد وما وعى (٢)
فاجعل لمدحي من قبولك موضعًا ... واجعل لشعري في بيانك منزعا
إني إذا أرهفت حد براعتي ... لم تلق في الشعراء غيري مبدعا

وقال :

يمدح فضيلة عمه الأستاذ الأفضل . والعالم الأكمل الشيخ عبد الحميد أفندي الرافعي ويهنئه بإسناد قضاء المدينة المنورة إليه على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. من لدن أمير المؤمنين أعزه الله وأيده وأعز به الإسلام والمسلمين :

أتتك القوافي ما لها عنك مذهب ... فأنت بها برٌّ وأنت لها أب
وما وجدت مثلي لها اليوم شاعرًا ... أياديك تمليها عليَّ فأكتب (٣)
وهل كلساني إن مدحتك مبدع ... وهل كبياني ساحر حين أنسب (٤)
دع الشعر تقذفه من البحر لجةٌ ... إليك ويلقيه من البر سبسب (٥)

(١) بابل بلد فى العراق إليه ينسب السحر والخمر وسيأتي ذكره في باب الوصف ويقال قصيدة فلان التي يقول فيها كذا عين شعره أي أحسنه فالملاحة كلها في العيون وشعشع الماء بالثلج والراح بالماء مزجهما .
(٢) الفرات ودجلة نهران مشهوران ،ويقال لهما الرافدان ولا تخفى مراعاة النظير في البيت .
(٣) الأيادي جمع يد وهي النعمة أما الجارحة فجمعها أيدي .
(٤) نسب بالمرأة نسبًا ونسيبًا شبب بها .
(٥) السبسب المفازة أو الأرض المستوية البعيدة والمراد أن الشعر يسافر إليه من مصر فيجتاز =

فإن يمم الغر الميامين (مكة) حجيجًا فهذي كعبة الشعر (يثرب) [1]
طلعت عليها طلعة البدر بعد ما تجللها من ظلمة الظلم غيهب [2]
بوجه لو أن الشمس تنظر مرة إليه لكانت ضحوة الصبح تغرب
فجليت عنها ما ادلهم وأبرقت أسارير كانت قبل ذلك تقطبُ [3]
وهل كنت إلا ابن الذي فاض بره عليها كما انهلَّ الغمام وأعذبُ [4]
فكن مثله عدلاً وكن مثله تقى وصن لبنيه ما يد الدهر تنهبُ
سما بك أصل طبق الأفق ذكره وسارت به الأمثال في الأرض تضربُ
وقوم هم الغر الكواكب كلما تغيب منهم كوكب لاح كوكبُ
وهم معشر الفاروق من كل أغلب نماه إلى ليث العرينة أغلبُ
حفظت لهم مجداً وكان مضيعًا وأبقيت فخراً كاد لولاك يذهبُ
ونالك فضل الله والملك الذي أرى كل ملك دونه يتهيبُ
إذا ذكروه كبر الشرق بهجة وإن لقبوه أكبر الشرق مغربُ [5]

= البحر ثم يمر في البر حتى يقع إليه .

(١) الغر الميامين هم المؤمنون وقد وصفوا بالغر المحجلين أيضًا . والحجيج والحاج الذين يقصدون الحج ويثرب ويقال لها أثرب اسم مدينة الرسول ﷺ سميت بأول من سكنها من ولد سام بن نوح وقيل باسم رجل من العمالقة وقيل هو اسم أرضها . قال ابن الأثير : يثرب اسم مدينة النبي ﷺ قديمة فغيرها وسماها طيبة وطابه كراهية التثريب وهو اللوم والتعبير .

(٢) تجللها أي غشيها والغيهب القطعة من ظلام الليل .

(٣) ادلهم أظلم والأسارير محاسن الوجه والخدان والوجنتان يقال برقت أسرة الرجل وأبرقت إذا تهلل والقطوب العبوس .

(٤) يريد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فإنه الجد الأكبر لهذه الأسرة الشريفة والأصل لهذه الدوحة الباسقة بارك الله فيها .

(٥) إذا ذكر لقب أمير المؤمنين في الغرب تركه يقعد تارة ويقوم وأخوف ما يخافون على أنفسهم أن تجمع كلمة المسلمين حتى أن بعض قوادهم قال أنه لا يصعب عليه أن يفتح أوربا كلها بمائة ألف من جيوش المسلمين .

يصدع قلب الحاسدين وإنه | إلى كل قلب في الورى لمحببُ
ويرضى رعاياه فيردي عدوه | وما زال في الحالين يرجى ويرهبُ
حباك بها غراء يفتر تغرها | وكنت لها بعلا وغيرك يخطبُ (١)
وكم أملتها أنفس فتحجبت | وبنت العلا إلا عن الكفؤ تحجبُ
سموت إليها ما ونيت وقد أرى | ذوائب قوم دونها تتذبذب (٢)
فطر فوقها ما العز عنك بمبعد | وفضل أمير المؤمنين مقرب
كأني برب الروضة اليوم باسما | وصديقه يزهى وجدك يعجب (٣)
ويثرب مما أدركت من رجائها | بمقدمك الميمون باتت ترحب

(١) كان أمير المؤمنين أيده الله قد وعده بها قبل ذلك فمثل بهذا التمثيل البديع .
(٢) تتذبذب تتردد في الهواء . بعد أن ذكر سموه إليها ذكر سقوط غيره عنها .
(٣) رب الروضة أي صاحبها وهو النبي ﷺ والروضة ما بين القبر الشريف والمنبر لقوله عليه الصلاة والسلام : « **ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة** » والصديق هو أبو بكر رضي الله عنه وجد الممدوح والمادح والشارح هو سيدنا عمر ولم يدفن معه ﷺ غيرهما رضي الله عنهما .

الباب الثالث

في الوصف

قال يصف القرى وفجرها والعيش فيها :

دموع الفجر هذي أم دموعي ترقرق بين أجفان الربيع (١)
مصفقة كصافية جلاها بأكؤسه الخليل على الخليع (٢)
وهن من الأزاهر في شفاه كما يحلو اللمي بعد الهجوع (٣)
وثدي الروض در على جناه درور المرضعات على الرضيع (٤)
ومد الليل أنفاسًا عذابا كأنفاس المليحة للضجيع
ولاح الصبح يسفر عن جبين عليه الشمس حالية السطوع
وقد بكرت لتملأ جرتيها فتاة الريف كالرشاء المروع
فوردت الطبيعة وجنتيها ونضر وجهها الحسن الطبيعى
تروح وتغتدي والزهر يرنو إليها في الذهاب وفي الرجوع
وثغر النهر يبسم عن لماها وإن لم تشف ريقته ولوعي (٥)

(١) ترقرق الدمع دار في حملاق العين .

(٢) المصفقة المصفاة يقال صفق الماء إذا صفاه والصافية من أسماء الخمر .

(٣) أصل هذا المعنى الذي تناوله الشعراء كلهم لعلقمة في قوله :

يحملن أترجة نضخ العبير بها كأن تطيابها في الأنف مشموم

يشير إلى أن ما نال هذه المرأة التي يصفها من مضض السير واصفرار لونها كالأترجة وأنها ما تحركت تزيد طيبًا بخلاف تحرك الناس . ومنه أخذ ابن الرومي وغيره تشبيه المرأة بالروضة لطيب تغرها في السحر بخلاف أنفاس البشر .

(٤) شبه أكمام الثمر بثدي المرضعات وهي تقطر ندى في الصبح على الجني وهو الحشيش الذي شبهه هنا بالرضيع .

(٥) اللمى والريقة بمعنى الريق .

وتخبرنا النسائم عن شذاها ... كلما تروي الهواجر عن ضلوعي
مكحلة ولا كحل ولكن ... سل الظبيات عن ذاك الصنيع
وقد مدت حواجبها شراكًا ... وطير الروح دانية الوقوع
أراها أن تكنفها حسان ... كنور الكهرباءة في الشموع
وتحجب حين تخفى الشمس لكن ... تسابق أختها عند الطلوع (١)
فيا قلب اعص كل هوى سواها ... ويا نفسي سواها لا تطيعي
فذاك الحسن لا ما تشتريه ... ضرائرها من الحسن المبيع (٢)
وما تحوى المدائن غير بدع ... وإن حسبوا التبدع كالبديع
فقد حسنت هنالك كل أنثى ... كأن الحسن قسم في الجميع
يدمن الخدود وأي عين ... تحب الخد يصبغ بالنجيع (٣)
وكم شغفن ذاك الحسن لكن ... متى احتاج الغواني للشفيع
وهل تقف القلوب على قوام ... كأن ذيوله قطع القلوع (٤)
فما لي والمدائن ما تراها ... مدافن ما بهن سوى صريع
وهل كان التمدن في بنيه ... سوى ما يفعلون من الفظيع
وهل أبصرت بين القوم طرًا ... سوى رجل مضاع أو مضيع

(١) ما ألطف ما عبر عن خروجهن قبل بزوغ الشمس وتلك عادة نساء القرى وقد كان العرب يصفون المرأة الناعمة بأنها نؤوم الضحى والكسل ممدوح في النساء فخالفهم الشاعر هنا .

(٢) في قوله الحسن المبيع إشارة بديعة وذلك أن هذين اللفظين احتويا على كل اسم لما تبتاعه النساء للتحسن والإشارة احتواء اللفظ القليل على المعنى الكثير كقوله تعالى: ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ [طه: ٧٨] .

(٣) دممت المرأة خدها صبغته (بالأحمر) والنجيع الدم .

(٤) قال بعض الشعراء :

كتب القتل والقتال علينا ... وعلى الغانيات جر الذيول

وكلهم على ذلك وما أدري كيف غايرهم شاعرنا وإني لعلى غير رأيه إن كان لا يزال عليه فإن حمل اللطف إحدى الحسان عليس إقامة دعوى فلتعدنى من (ذيلها) .

فهذا بات في شبع وري | وذلك مات من ظمأ وجوع
وأحلى من أولئك في عيوني | بأرياف القرى نظر القطيع (١)
وأن الأمر تمضيه فتاة | لخير من فتى غر جزوع
وما شظف المعيشة في هناء | تقر به سوى العيش المريع (٢)
فلو مزجوا ببعض الهم ماءً | لصار الماء كالسم النقيع
ولو أن الرواسي كن تبراً | لما كان الغنى غير القنوع (٣)
أرى ذا الليل قد خفقت حشاه | وبيض عينه نزف الدموع (٤)
أكب يرى له كبداً تنزى | زجاجتها منوعة الصدوع
وأبصر بعد ذلك من قريب | جيوش الصبح تمرح في الربوع

(١) سلك في هذا مسلك ميسون بنت بحدل في تفضيل البداوة ونرى من واجب الأدب أن نذكر أبياتها هنا . لما اتصلت بمعاوية رحمه الله ونقلها من البدو إلى الشام كانت تكثر الحنين إلى أناسها والتذكر لمسقط رأسها فاستمع إليها ذات يوم وهى تنشد :

لبيت تخفق الأرواح فيه | أحب إليّ من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني | أحب إليّ من لبس الشفوف
وأكل كسيرة في كسر بيتي | أحب إليّ من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج | أحب إليّ من نقر الدفوف
وكلب ينبح الطراق دوني | أحب إليّ من من قط ألوف
وبكر يتبع الأظعان صعب | أحب إليّ من بغل زفوف
وخرق من بني عمي نحيف | أحب إليّ من علج عنيف

فقال معاوية : ما رضيت ابنه بحدل حتى جعلتني علجًا عنيفًا .

(٢) شظف المعيشة خشونتها .

(٣) من خرافات قدماء اليونان التي لا تخلو من حكمة وفائدة أنهم زعموا أن شخصًا اسمه (ميداس) كان يلح على إلههم الأكبر (جوبتير) في أن يغنيه غنى واسعًا فلما غضب الإله من كثرة الحاحه دعا عليه أن لا يمس بيده شيئًا إلا انقلب ذهبًا فكان بعد ذلك إذا تناول الرغيف صار ذهبًا وإذا مس الماء عاد كذلك وما يضع يده علي شيء إلا صار ذهبًا وكان آخر هذا الغنى الواسع أنه مات جوعًا (من كثرة الذهب) وهي شر ميتات الفقر . والرواسي هي الجبال .

(٤) نزفت العبرة كسمع فنيت .

فخلى ما تملكه وولى ... كما فرق الجبان من الجموع [1]
وكنت مخبأ في جانبيه ... فيا شمس اكتميني أو أذيعي

وقال :

يصف الأصيل وإقبال الليل ونضرة الرياض وتغريد الطيور ثم استطرد من ذلك إلى ما يخطر على قلبه . وعارض بها النابغة على غير طريقة الجاهلية [2] :

ثوب السماء مطرز بالعسجد ... وكأنها لبست قميص زبرجد
والشمس عاصبة الجبين مريضة ... تصفر في منديلها المتورد
حسدت نظيرتها فأسقمها الأسى ... أن السقام علامة في الحسد
ورأت غبار الليل ينفض فوقها ... في الأفق فانطبعت كعين الأرمد
ومضى النهار يشق في أثوابه ... حزنًا وأقبل في رداء أسود
فتهللت غرر النجوم كأنما ... كانت لضاحية السماء بمرصد [3]
وكأنها عقد تناثر دره ... من جيد غانية ولم تتعمد
أو حلي ربات الدلال أذلنه ... شتى يروح على النهود ويغتدي [4]
والأفق بين مفضض ومذهب ... كالجيد بين معطل ومقلد
وكأن صفحة بدره إذ أشرقت ... مصقولة الخدين صفحة أمرد
وكأن ضوء الفجر رونق صارم ... نضيت صحيفته ولما تغمد
والأرض في حلل كست أطرافها ... إلا معاصم نهرها المتجرد

---

(١) فرق الجبان من الجموع فزع وخاف من الجيوش .

(٢) قصيدة النابغة التي عارضها الشاعر بهذه القصيدة هي التي يقول في مطلعها :

أمن آل مية رائح أو مغتدي ... عجلان ذا زاد وغير مزود

وهى مشهورة .

(٣) ضاحية السماء هي الشمس .

(٤) أذلن الحلي أي أرسلنه على غير ترتيب وكذلك النجوم تكون بددا .

حفت جوانبه الرياض كأنها وشي الفرند على غرار مهند
وكأنه صدر المليحة عاريًا ما بين لبتها وبين المعقد (١)
وكأن أثواب الرياض من الصبا عبقت بأنفاس الحسان الخرد
يمشي النسيم خلالها مترنحًا بين الغدير وبين ظل أبرد
والطير مائلة على أوكارها منها مغردة وغير مغرد
باتت تناغى لا تحاذر فاجعًا مما نكابد في الزمان الأنكد (٢)
يا طير ما في العيش إلا حسرة إن خلتها نقصت قليلا تزدد
لم يمنع القصر المشيد ملوكه منها فكيف وقاكها الغصن الندي
تابى على الأحرار الأذلة ولو أنهم صعدوا مدار الفرقد
فانعم بوكرك أنه لك جنة كالخلد لولا أنت غير مخلد
كم واجد منا تقاذف قلبه ذات الدلال فإن دنا هو تبعد
فتاكة الألحاظ أني يممت سمعت زفير متيم متنهد
كالبدر لولا أنها إنسية والشمس لولا أنها لم تعبد
قالت عشقت وما قضيت كمن قضوا هذا الطريق إلى الردى فتزود
دع عنك أمر غد إذا ما خفته يومًا لعلك لا تعيش إلى غد
فلقد أراك اليوم من أثر الهوى كالشمس إن لم تحتجب فكأن قد (٣)

(١) اللبة موضع القلادة من الصدر والمعقد مكان عقد الإزار ولعله اليوم موضع (قفل الحزام الذهبي) . والضمير في كأنه عائد على النهر وهذا حده طولا وأما عرضًا فلا شك أنه ما بين النهدين . كالنيل إذ ينساب بين الجبلين .

(٢) ناغت المرأة صبيها كلمة بما يجذله والمراد هنا التعبير عن تجاوب الطيور إذا مالت على أعشاشها وقد حدثنا الناظم قال : أنشدت شيخ الشعراء سعادة محمود باشا البارودي هذه القصيدة فلما بلغت هذا البيت قال أنها تحاذر الصقر فقلت ما بلغ إلى علمنا أن الطيور إذا تناغت على أوكارها وقد بسط الليل جناحيه تبيت تحاذر الجوارح إلا أن تكون علمت منطق الطير اهـ .

(٣) بحذف الفعل بعد قد إذا علم مما قبلها كما هنا وكما في بيت النابغة =

وقال في الخيام والقصور :

أما حـدثوك بأخـبـارهـا وقـد نـزل الـبين فـي دارهـا
لـيالي (امرؤ القيس) بين الخيام يـبـاهي الـسـمـاء بأقـمـارهـا (١)
فـمـا لـك تـذكـر تـلـك الـديار ومـا لـك تـبـكي لـتـذكـارهـا
وبين الـضـلـوع قـلـوب عـفـت وضـن الـغـرام بـآثـارهـا
قـلـوب فـزعـنا بـهـا لـلـدموع فـمـا أطـفـأ الـدمع من نـارهـا
تـهـز لـهـا الـغـانـيـات الـقـدود إذا مـا تـنـاجـت بـأسـرارهـا
ألا فـرعـى الله تـلـك الـقـصـور وحـلـى الـسـمـاء بـأنـوارهـا
هـي الخـلـد والحـور مـكـنـونـة مـقـاصـيـرهـن (بـأدوارهـا)
ببـيـت يـحـن لـهـا جـارهـا وإن لـم تحـن إلـى جـارهـا
قـصـور تـدل بـأيـامـهـا دلال الـريـاض بـآذارهـا (٢)
إذا طـلـع الـصـبـح حـيث ذكـاء شـمـوسًـا تـوارت بأسـتـارهـا (٣)
تـكـاد لـرقـة سـكـانـهـا تـرد الـسـلام لـزوّارهـا
هـم عـلـمـوهـا اجـتـذاب الـقـلـوب وشـق مـرائـر نـظـارهـا
وقـد سـامـحـتـهـا خـطـوب الـزمـان وضـنـت عـلـيـهـا بـأكـدارهـا

= أفد الترحل غير إن ركابنا لما نزل برحالنا وكأن قد

والمعنى أراك من أثر الهوى وهي الصفرة التي تمسح وجه العاشق كالشمس ساعة مغيبها إن لم تكن احتجبت فكأن قد احتجبت لقرب موعدها .

(١) هو أبو وهب أو أبو الحارث امرؤ القيس بن حجر الكندى إمام شعراء الجاهلية بالإجماع وحامل لوائهم واسمه في الأصل جندح وامرؤ القيس لقب غلب عليه ومعناه رجل الشدة وهو أول من فتح للشعراء باب البيان وقد مر ذلك في مقدمة الديوان ومات امرؤ القيس قبل النبي ﷺ بثمانين سنة تقريبًا .

(٢) آذار أحد الشهور الرومية وهي آب وأيلول وتشرين أول وتشرين ثاني وكانون أول وكانون ثاني وشباط وآذار ونيسان وآيار وحزيران وتموز .

(٣) ذكاء اسم للشمس ولا تدخله أل ومنه ابن ذكاء للصبح .

ودارت بمعصمها كالسوار رياض تسامت بأسوارها
تحاكي المجرة أنهارها وتحكي النجوم بأزهارها
كساها الشتاء ثياب الربيع وزرت عليها بأزرارها
إذا اعتل فيها نسيم الصباح ناحت بألسن أطيارها
وإن طلب الظل فيها الهجير تأبت عليه بأشجارها
وإن حل فيها الندامى رأوا لياليها مثل أسحارها (١)
ودب النسيم لعيدانهم فباتت تنوح بأوتارها
وأنستهم معبداً والغريض وشدو القيان بأشعارها (٢)
وأهل البضيع وذكرى حبيب وشد المطى بأكوارها (٣)
سقتها السماء بما تشتهي وجادت عليها بأمطارها

وقال في الخمر (٤) :

مل بي عن الورد واسقني القدحا فوردها من خدودك افتضحا

---

(١) يقال في الأماكن المعتدلة الهواء ليلها كله سحر ونهارها كله غداة .

(٢) معبد هو ابن وهب وقيل ابن قطنى المغني المشهور مات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق وقال الجمحى بلغني أن معبداً قال والله لقد صنعت ألحانًا لا يقدر شبعان ممتلئ ولا سقاء يحمل قربة على الترنم بها ولقد صنعت ألحانًا لا يقدر المتكئ أن يترنم بها حتى يقعد مستوفزًا ولا القاعد حتى يقوم .

وأما الغريض فاسمه عبد الملك ولقب بالغريض لأنه كان طري الوجه نضرًا غض الشباب حسن المنظر والغريض الطري من كل شيء وكان أحذق أهل زمانه بالغناء بمكة بعد ابن سريج وقيل أنه اعترض الحجاج وهم في حجهم فوقف حيث لا يرى وترنم فما سمع أحسن من صوته وتكلم الناس فقالوا طائفة من الجن حجاج . . . والقيان جمع قينة وهي الجارية المغنية .

(٣) البضيع اسم مكان وكور الناقة رحلها والمراد أن الطرب ألهاهم عن تذكر القديم .

(٤) قيل أن المهدي أنشد الأبيات التي منها

قل لمن يلحاك فيها من فقيه أو نبيل
أنت دعها وارج أخرى من رحيق السلسبيل =

وقد شكا للنسيم خجلتهُ فحين مر النسيم بي نفحا (١)
وقم بنا نصطبح معتقةً واسمح بها فالزمان قد سمحا
كأنها فرحةٌ على كبد تنفض عنها الهموم والترحا
فأجلُ بها النفس إنها صدأت وأسُ بها القلب إنهُ قرحا (٢)
وقل لمن لامني على سفه ما ضرنا أن نابحًا نبحا
أما ترى الدَّن قد جرى دمه كأنه من لحاظك الجرحا
يمج راحًا كأن شعلتها تحت الدياجي شعاع شمس ضحى
أخف عندي ممن صنيت به روحًا وأخفى من الضنا شبحا
وإن تر الهم قاتلا فرحي فانظر لها كيف تبعث الفرحا
الفجر ما كاد ينزوي حزنًا في الأفق حتى رآك فانشرحا (٣)
والطير قد كان فوق منبره عيًا فلما سكبتها صدحا
والفل والياسمين من حسد كلاهما فوق غصنه انطرحا
تنافسا في الجمال آونةً فحينما لاح وجهك اصطلحا (٤)

= وغني فيها بحضرته فسأل عن قائلها فقيل آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فدعا به فقال له: ويلك تزندقت؟ فقال: لا والله يا أمير المؤمنين ومتى رأيت قرشيًا تزندق والمحنة في هذا إليك ولكن طرب غلبني وشعر طفح على قلبي في حال الحداثة فنطقت به فخلى سبيله . وإنما أراد شاعرنا أن يكون ديوانه جامعًا من كل ما تشتهي الأنفس .

(١) نفح الطيب إذا فاح وخجلة الورد احمراره وهذا من حسن التعليل .

(٢) قرح القلب أي جرح وأسا الجرح داواه .

(٣) انشراح الفجر كناية عن طلوع الصبح وهي كما ترى أرق من الصبا وأندى من الصباح .

(٤) الآونة الحين من الزمن . وقد قيل أن حسناوين كانتا جارتين فنظرت كلتاهما في المرآة فأعجبها حسنها فتاهت على صاحبتها وتنافستا في ذلك حتى أدت المنافسة بينهما إلى العداوة وهما كذلك إذ مرت غانية بارعة الجمال فقالت إحداهما للثانية : انظري (يا صديقتي) كيف ترين هذا الجمال والقبح يجمع بين الحسان .

وقال فيها :

زفت ولما يفترعها المزاج كما تزف البكر عند الزواج (١)
فهلل الشرب سروراً بها وكبر الديك وصاح الدجاج
كأنهم رهبان في بيعة قدأ وقدوا في كل كأس سراج (٢)
كأن حاسيها المريض ارتمى على سرير يتعاطى العلاج
كأننا إذ نحن صرعى بها فرسان حرب صرعوا في العجاج
من كف حوراء غلامية مفعمة الحجلين خود رجاج (٣)
شك فؤادي لحظها وانثنى فلم يزل من لحظها في انزعاج
يبصرها من خلف أضلاعه كأنما يبصرها من زجاج (٤)

وقال فيها وهي من أول قوله :

هات اسقنيها والدجى ساحب ذيل الصبا كالملك الأشوس
واقبس لنا من نارها جذوة تثور بالنخوة في الأرؤس
قد شبها الليل لمن يهتدي فصبها الفجر لمن يحتسي (٥)

(١) افترعت البكر إذا افتضت والمزاج ما تمزج به الراح وهو إذا وقع عليها فكأنما افترعها .
(٢) البيعة معبد النصارى .
(٣) الغلامية المتشبهة بالغلام في شمائلها وهذا وصف تمدح به النساء كما كانوا يمدحون الغلمان بالتأنيث وهي طريقة (السلف الصالح) من الشعراء الذين ائتموا بأبي نواس والمفعمة الممتلئة والحجل بالكسر الخلخال والخود المرأة الناعمة والرجاج التي ترتج إذا مشت .
(٤) هذا البيت مما لم يسبق إليه الشاعر ولا أحسن من تشبيه الضلوع التي أضناها الهوى بالزجاج لأنه شفاف سريع الكسر وقد قيل أن القلوب تتشاهد فإذا كان تعليل المشاهدة كما هنا كان ذلك غاية في الإبداع .
(٥) قال الحمدوني الشاعر سمعت دعبل بن على يقول أنا ابن قولي :
لا تعجبى يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى
وسمعت أبا تمام يقول أنا ابن قولي :
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول
قال الحمدوني وأنا ابن قولي في الطيلسان : =

كـــالخـــد والـدمـع ولـكــنـهـــا لـيـسـت من الـورد ولا الـنرجـس [1]

وعـــاطــنـي والـروض مـــن حـــسـنـه يـرقـص فـي الأطـلــس والـسـنـدس

وقال فيها :

يـا غـــلام ارقـــب الـفـجــر حـــتـى يـتـجـلـى فـنــادني لـلـمــدام [2]

بـين شــمــس تــدور فـي كـف بـدر وعـــيـــون مـــن الـزهـــور نـيـــام

تـترامى بـهــا الـصـبـــا عـــن يمـيـنـي ويـســاري وتـنـثـني مـن أمـــامـي [3]

وإذا مـــا شــربـت خـــديـه فـــامـــلأ واســقــنيـهـــا كــخـــده يـا غـــلامـي

وأدرهـــا تـــروني فـــلـــو أنـــي غـيـر مـضـنـى سكبتـهـا فـي عظـامي

واطـرح الـهـمّ لـلـعـــواذل حـــتـى يـقـــضـي الـلّـه بـيـنـنـا بـســـلام

وقال فيها :

تجنى الحـبـيـب فـقـالوا غـضـب وتـــاه دلالا فـــقـــالـــوا اجــتــنـب

= طال ترداده إلى الرفو حتى لو بعثناه وحده لتهدى

وسمعت أنا شاعرنا يقول أنا ابن قولي في الراح

قد شبها الليل لمن يهتدي فصبها الفجر لمن يحتسي

قال الحمدوني ومعنى قولنا أنا ابن قولي أي أني عرفت به .

(١) كالخد لونا والدمع صفاء ولكنها لم تعتصر من الورد الذي يشبه به الخد ولا النرجس الذي تشبه به العيون .

(٢) قد غلا صاحبنا هذه المرة غلوًا باردًا فأحق بالقافية هنا أن تكون (فنادني للصلاة) وأفحش من ذلك ما يروى أن هشامًا لمانعي للوليد بن يزيد بن عبد الملك وقد كان ولى العهد بعد هشام وكان هشام هذا يضايقه لأنه كان سكيراً قال والله لأتلقبن هذه النعمة بسكرة قبل الظهر . . . .

(٣) قال المأمون لمن حضر من جلسائه أنشدونى بيتًا لملك يدل البيت وإن لم يعرف قائله أنه شعر ملك فأنشده بعضهم قول امرئ القيس :

أمن أجل أعرابية حل أهلها جنوب الملا عيناك تبتدران

قال وما فى هذا مما يدلك على ملكه قد يجوز أن يقول هذا سوقة من أهل الحضر فكأنه يؤنب نفسه على التعلق بإعرابية ثم قال الشعر الذي يدل على أن قائله ملك قول الوليد:

أسقنى من سلاف ريق سليمى واسق هذا النديم كأسًا عقاراً

أما ترى إلى إشارته في قوله هذا النديم وأنها إشارة ملك . ا هـ ولو أن المأمون يسمع هذا البيت لما كان يشك أن كلمة تنثني من أمامي كلمة ملك تعود أن يتنحى الناس عن طريقه ابن سار هيبة وإجلالا .

ألا دعهم ذاك بدر السما | إذا ما أضاء السماء احتجب
وهذي عروس الصبا أقبلت | تزف إلينا عجوز الحقب [1]
فقم فاجلها أن بنت الضحى | تخاف أشعة بنت العنب
ولا تأمن الماء يخلو بها | فيولدها من بنات الحبب
وكم غشني حين عاملته | فمز بين فضته (والذهب)
وأما دعاني داعي الصبا | ومالت بعطفي أم الطرب
فقل لخطيب الرياض ارتجل | فإن خطيب الهوى قد خطب
وللصبح يبدي تباشيره | ويروي الهنا عن إمام الأدب [2]

وقال في غرض يصف القمر:

زهته الملاحة حتى سفر | وخلى الدلال لذات الخفر
وبات يسامر أهل الهوى | وقد طاب للعاشقين السمر
يحدثنا عن بني عذرة | ويروي لنا عن جميل خبر [3]
وليلى وعن حب مجنونها | وعمن وفى للهوى أو غدر

(١) من أسماء الخمر العجوز وهي تمدح بالقدم قيل أن أول من استخرجها جمشيد ملك الفرس في خبر مشهور وفي التوراة أن نوحا « غرس كرمًا وشرب من الخمر فسكر » وفي الخرافات اليونانية أنه ولد (لجوبتير) من (شميله) بنت (قدموس) ملك طيوه اليونانية أنه ولد اسمه (بخوس) وزعموا أنه ولد قبل أوانه فأدخله جوبتير في فخده ليكمل مدة الحمل التي كان يمكثها في بطن أمه وقالوا أنه أول من اعتصر النبيذ ولذلك كانوا يقربون له التيوس لأن من دأبها إتلاف شجر العنب .

(٢) تباشير الصبح أول ما يلوح منه وقد أنزل الشاعر هذه الكلمات في أحسن منازلها واستعملها في ألطف المعاني وأكملها فكانت الطرب أو هى أم الطرب .

(٣) بنو عذرة قبيلة مشهورة في العرب بالعشق وإليها ينسب الهوى المبرح فيقال هوى عذري قال بعض بني فزارة : قلت يوما لعذري : أتعدون موتكم في الحرب مزية وهو من ضعف البنية ووهن العقيدة وضيق الرئة فقال أما والله لو رأيتم المحاجر البلج . ترشق بالعيون الدعج . من تحت الحواجب الزج . والشفاه السمر . تبسم عن الثنايا الغر . كأنها شذر الدر . لجعلتموها اللات والعزى . وجميل هو صاحب بثنية المشهور .

ويذكرنا فعلات الردى بأهل البوادي وأهل الحضر
كحظ السعيد إذا ما ارتقى وحظ الشقي إذا ما انحدر
أرى كل شيء له آية وآية هذي الليالي العبر
فيا قمر الأفق ماذا الزمان جيل تخلى وجيل غبر
ويوم يمر ويوم يكر فآنًا نساء وآنًا نسر
بربك هل بالدجى لوعة فإن غاب عنه سناك اعتكر (١)
كغانية فارقت صبها فأرخت عليها حداد الشعر (٢)
إذا ما سهرنا لما نابنا فما للنجوم وما للسهر
أترثي لمن بات تحت الدجى يقلب جنبيه حر الضجر
على لوعة يصطلي نارها وجمر الهوى في حشاه استعر
وقد بسط البدر فوق الثرى بساطًا فنام عليه الزهر
إلى أن طوته يمين الصبا وقد بللته عيون السحر
وباح الصباح بأسراره فحجبت الشمس وجه القمر (٣)

---

(١) اعتكر الليل أظلم .

(٢) المشهور أن الحداد أسود ولكن ذكروا عن أوروبا أن علامة الحداد فيها كانت لبس الأحمر في القرون الوسطى ودام ذلك حتى القرن الخامس عشر حيث كانوا يرتدون الثوب الأحمر ويضعون عليه علامة سوداء . وقبائل (المورس) في زيلانده الجديدة لا تزال حتى اليوم تلبس الأحمر حدادًا . وكان بعض الأقدمين يفرطون في اتخاذ اللون الأحمر علامة على الحداد حتى إنهم كانوا يصبغون وجوههم بدهان أحمر حينما يشيعون جنازات موتاهم . والأعجب من كل ذلك أن البياض كان حدادًا في الأندلس وقد قال قائلهم :

يقولون البياض لباس حزن بأندلس فقلت من الصواب
ألم ترني لبست بياض شيبي لأني قد حزنت على شبابي

(٣) قال الناظم أنه لم يصف القمر في هذه القطعة إلا بما يناسب الغرض الذي كان في نفسه يومئذ .

(وقال) يصف الصور المتحركة المعروفة (بالسنوغراف) وهي من أول قوله :

كيف فؤادي والهوى شاغل ... يهيجه المنزل والنازل [1]
ما زلت أخفيه وأخفي به ... في الناس حتى فضح العاذل
فعادنا المطل وعدنا له ... رحماك فينا أيها الماطل
كل امرئ أيامه تنقضي ... لا أمل يبقي ولا آمل
وما (السنوغراف) وما مثلت ... إلا الصدى ينقله الناقل [2]
تبعث فيها أمم قد خلت ... وتجتلي في (لندن بابل) [3]
كم مثلت من طلل ماثل ... فكاد يحيى الطلل الماثل [4]
كأن فيها للهوى منزلا ... فكل قلب عندها نازل [5]
تلهو به عطبولة خاذل ... وقد بكت عطبولة خاذل [6]
وعانق العاشق معشوقه ... فاجتمع المقتول والقاتل
يا ويح نفسي هل رؤى نائم ... أم خطرات ظنها غافل
لا تضحك الجاهل في نفسه ... إلا بكى في نفسه العاقل
مواعظ مثلها هازل ... ورب جد جره الهازل

---

(١) إن للابتداء بهذا الغزل سببًا على أنه جاء تمهيدًا حسنًا للوصف .

(٢) توجد آلة أخرى غير السنوغراف ترى بها الصور مجسمة واسمها (السترسكوب) اخترعها كارلوس هوتستون المولود سنة ١٨٠٢ للميلاد .

(٣) لندن عاصمة البلاد الإنكليزية وبابل هي البلدة التي ينسب إليها السحر والخمر واختلفوا في حد موضعها ويقال أن أول من سكنها نوح عليه السلام وهو أول من عمرها وقال بعضهم أن الذي بناها هو (بيوراسف) الجبار واشتق اسمها من اسم المشتري لأنه بابل باللسان البابلي الأول اسم للمشتري . هكذا قالوا والله أعلم .

(٤) الطلل الماثل الذي عفا رسمه .

(٥) هذا وصف فصل من فصول هذه الصور .

(٦) العطبولة المرأة الطويلة الجيد والخاذل الظبية العاطفة على ولدها .

تــزول مــن بـــعـــد إلـــى عـــبـــرة　　وكـــل شـــيء غـــيـــره زائـــل [1]
كـــالـنفـس تنـسـى المـوت فـي لهـوهـا　　ولـيـس يـنـسـى الأجـل الـعـاجـل
وهـكـذا الـدنـيـا انـتـقـاض ومـا　　يـكـون فـيـهـا فـرح كـامـل [2]

وقال (في الساعة) :

تـضـرب كـالـقـلـب شـفـه الـسـقـم　　كـأن فـيـهـا الـهـمـوم تـصـطـدم
ذات مـحـيـا أظـل أقـرأ مـن　　خـطـوطـه مـا يـخـطـه الـقـلـم [3]
تـذكـرنـي مـا يمـر مـن عـمـري　　فـكـل يـوم يـجـد لـي نـدم
ولـيـس إمـا سـعـت عـقـاربـهـا　　يـدب فـي غـيـر مـهـجـتـي الألـم [4]
ولا إذا عـجـلـت فـجـائـعـهـا　　فـي غـيـر ضـيـق الـقـلـوب تـزدحـم
مـا إن تـراعـى لأهـلـهـا ذممـا　　إن رعـيـت عـنـد أهـلـهـا الـذمم
ومـا أراهـا سـوى الـزمـان أمـا　　يـدور فـيـهـا الـنـعـيـم والـنـقـم
يـا أخـت ذات الـبـروج هـل حـجـبـت　　طـوالـع الـسـعـد هـذه الـظـلـم [5]
وهـل تـعـود الجـدود ثـانـيـة　　مـن بـعـد هـذا الـعـبـوس تـبـتـسـم
مـا أثـبـت الـهـم فـي الـصـدور إذا　　أمـسـت لـيـالـي الحـيـاة تـنـهـزم [6]

(١) كل شيء غيره أي غير الله تعالى وكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.
(٢) انتقاض أي منتقص كل ما فيها .
(٣) المحيا الوجه وللخطوط التي تكون في وجه الإنسان فوائد تعرف من علم الفراسة أما التي في محيا الساعة فهي علامات الدقائق فإذا كان مما خطه القلم الأزلي أن يلقى المرء شيئًا في الزمن الذي ينقضي (بين الساعة واحدة والساعة اثنين) مثلا فلا تكاد تنتهي عقارب الساعة إلى هذه العلامة حتى يقع ما قدر فكأنه قرئ في هذه الخطوط .
(٤) لا تخفى التورية هنا في العقارب .
(٥) ذات البروج هي السماء ووجه الشبه هنا هي العلامات الاثنتا عشرة والحركات الزمنية العجيبة .
(٦) قيل أن القدماء كانوا يكتبون هذه العبارة اللاتينية على الساعات رمزًا لانقضاء العمر بمرور الأوقات وهي « كلهن جارحات والأخيرة تقتل » .

وقال (في وردة) :

وردة هب في الريا ... ض على الفجر طيبها
عانقتها الصبا كما ... ضم خودا حبيبها
فرمتها من الزهور ... عيون تريبها
تركتها من الضحى ... في هموم تنوبها
ثم جفت عروقها ... وتجافت جنوبها
وشكت في الهجير من ... زفرات تذيبها
فدعا روضها الأصيل ... فوافى طبيبها
وشفاها بنسمة ... كان طبا هبوبها
ساءلت عن مصابها ... فتنادى يجيبها
ليس تخلو مليحة ... من عيون تصيبها (١)

وقال (في شبان اليوم) :

أرى عجبًا إذا أبصرت قومي ... وما تخلو من العجب الدهور
صعاليك إذا ما ميزوهم ... وكل في عشيرته أمير (٢)
ومن يك أعورًا والقلب أعمى ... فكل الخلق في عينيه عور

---

(١) انظر يرعاك الله إلى الوردة كيف تفتحت في فجر هذا الشعر ثم هبت عليها صبا هذه السلاسة فاعتنقتها فغارت منها الألفاظ التي هي كعيون الزهر فطلعت عليها شمس من البلاغة جفت لها عروقها وتجافت جنوبها ثم زفر عليها حر هذا الكلام فكاد يذيبها ماء كالرضاب فهبت عليها نسمة من تلك الخطرات أنعشتها فأعلمها الشاعر أن المليحة لا تخلو من عيون تصيبها وعادت الوردة في الأصيل كما كانت في الفجر طيبًا ونضرة . أليس هذا هو البيان ؟

(٢) لا عجب فإن كلمات السيادة الكاذبه التي يخاطب بها (شبان اليوم) من مثل « يا باشا ويا بيك) تعمي قلب الأعور فيرى الناس كلهم عورًا ويرى نفسه عليهم أميرًا وهو صعلوك في نفسه .

فيا لله أي فتى أراه … كما انعطفت بشاربها الخمور
كأن قوامه غصن ولكن … تفتح فوق عروته الزهور
كأن ثيابه شدت عليه … كما لبست من الريش الطيور
فتحسب قده فيهن خصرا … وتحسن في (المشدات) الخصور
كأن الحلي يبرق في يديه … لتكمد من تلألئه النحور
ألا أبقوا الحجاب على الغواني … قد اشتبه الحمائم والصقور (١)

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

(١) يريد بالحمائم العذارى والفتيات وبالصقور الشبان وهذا البيت من أحسن ما وجدته في الكناية ولو تقدم به الزمان لكان في صدر الأمثال وماذا يقول قاسم بك أمين في هذا البرهان إن كان لا يزال على رأيه من وجوب رفع الحجاب ؟

وقال في حريق ميت غمر(1) :

ألا لا تلمه اليوم أن يتألما ... فإن عيون الحى قد ذرفت دما
رأى من صروف الدهر في الناس ما رأى ... وعلمه الدهر الأسى فتعلما
ولم يك ممن يملك الهم قلبه ... ولكن أتاه الهم من جانب الحمى
هنالك حي كلما عنّ ذكرهم ... تقسم من أحشائه ما تقسما
يمثلهم في قلبه كل لاعج ... وترمي به ذكراهم كل مرتمى
فمن مرسل عينيه يبكى ولو جرت ... مدامعه بين الغضا لتضرما (2)
ومن واجد طاو على حسراته ... ولو أنها في شامخ لتهدما
ومن ذي غنى يشكو إلى اللّه أمره ... وقد بات محتاجًا إلى الناس معدما
ومن ذات خدر لم تجد غير كفها ... نقابا ولم تترك لها النار محتمى
جرت في مآقيها الدموع عفيفة ... وقد كشفت للناس كفا ومعصما (3)
وباتت وبات القوم عنها بمعزل ... مناجية ربا أبر وأرحما (4)
وعذراء زفتها المنون فلم تجد ... سوى القبر من صهر أعف وأكرما (5)

(1) شبت النار في ميت غمر بعد ظهر الخميس أول يوم من مايو سنة ١٩٠٢ وقدرت الخسائر بأكثر من ٤٠٠ ألف جنيه وأصبح نحو ٥٠٠٠ نفس وبضع مئين بلا مأوى وجرت إذ ذاك حوادث عجيبة منها أن رجلا جمع من حطام الدنيا ٣٠٠ جنيه ودفنها فلما شبت النار في منزله وكان غائبًا عنه جاء إليه ودفع به حرصه إلى حيث دفن خبيئته فوجد بعد ذلك محروقًا وماله في يده ، وكان لرجل حمار فخرج يعدو به وقد اصطفت لهما مواكب النار . فكان كأم عمرو لا رجع بعد ذلك ولا رجع الحمار .

(2) أرسل عينيه وعصرهما إذا بكى والغضا شجر ناره حامية ودموع الحزن تكون حارة ولذلك يقال في الدعاء على الإنسان أسخن الله عينه .

(3) قوله عفيفة احتراس إذ من الجائز أن يكون مجرى دمعها لريبة مثلا .

(4) في البيت القلب بين « ربًا وابر » ومثاله قوله تعالى : ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ [المدثر: ٣] .

(5) قال عبيد الله بن طاهر :

لكل أبي بنت يرجى بقاؤها ... ثلاثة أصهار إذا ذكر الصهر
فبيت يغطيها وبعل يصونها ... وقبر يواريها وخيرهما القبر

فحطت أكف الموت عنها لثامها … وهيهات بعد الموت أن تتلثما
ومن والد بر وأم رحيمة … تنوح على من غاله الموت منهما
فجيعان حتى لا عزاء سوى الرضا … وكان قضاء اللّه من قبل مبرما
فإن رأيا طفلا تجشمت البكا … على طفلها بعد الرضا وتجشما
وإن هجعا أرضاهما الوهم في الكرى … وساءهما بعد الكرى ما توهما (١)
ووالدة ثكلى وزوج تأيمت … ومرضعة حسرى وطفل تيتما (٢)
وقوم وراء الليل لا يطرق الكرى … عيونهم إن باتت الناس نوّما
فمن مطرق يروى الثرى بدموعه … كأن الثرى يشكو إليه من الظما
ومن طامح للأفق حتى كأنه … على العدم يستجدي من الأفق أنجما
حنانيك يا رباه كم بات سيد … يمد يديه يسأل الناس مطعما
وكم من أشم الأنف أرغم أنفه … وما كان يومًا يطرق الرأس مرغما
إذا هم بالتسآل أمسك بعدها … حياء فلم يفتح بمسألة فما
وكم من فتى غلت يداه عن العلا … وقد كان مجدول الذراعين ضيغما
أتتهم وراء النار كل فجيعة … تسوق لهم في (ميت غمر) جهنما
إذا عصفت شدت على الناس شدة … فلم تبق بين البائسين منعما
وإن زفرت شاب الوليد لهولها … وكان خليقًا أن يشيب ويهرما
يحوم عليها الموت من كل جانب … وقد نظر الأرواح أقبلن حوما

(١) يريد أنهما إذا ناما رأيا أولادهما في الحلم فيسران ثم يستيقظان متحرقين جوى وذكرى ومن عجيب أمر القوة الخيالية أن شاعرًا أوروبيًا مات له ابن فكان يراه حيثما توجه وهو يبتسم له فيجري وراءه حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ونظم في ذلك قطعة باردة ولكن الأعجب من ذلك هذا البيت الذي يروونه للمجنون :

أريد لأنسى حبها فكأنما … تمثل لي ليلى بكل سبيل

(٢) الثكلى فاقدة الولد والأيم فاقدة الأزواج واليتيم فاقد الوالدين جميعًا .

فلو كان يستسقى الغمام بمثلها ... لأغرقنا من صيب الغيث ما هما [1]
سلام على تلك الديار وقد غدت ... طلولا تناجيها الدموع وأرسما
فكم طلل قد بات يرثي لصحبه ... ولو أنه اسطاع الكلام تكلما
وكم منزل قد بات قبرًا لأهله ... وباتوا به جلدًا رفاتًا وأعظما
سلام على الباكين مما دهاهم ... على حين لا تجدي دموع ولا دما
سلام عليهم إن في مصر عصبة ... سراعًا إلى دفع الردى أين خيما
فكم فرجوا كل نفس حزينة ... (فما عبس المحزون حتى تبسما)

(١) يشير إلي نار الاستسقاء وهي إحدى نيران العرب الأربع عشرة وذلك أن العرب كانت إذا أرادت الاستسقاء في سنة الجدب عقدت السلع والعسر وهما ضربان من الشجر في أذناب البقر وبين عراقيبها ثم أطلقوا فيها النار وصعدوا بها الجبال ورفعوا أصواتهم بالدعاء ليرحمها الله فيمطرهم أما باقي نيرانهم فهي نار المزدلفة توقد حتى يراها من دفع من عرفة وأول من أوقدها قصي بن كلاب ،ونار التحالف لا يعقدون الحلف إلا عليها يطرحون فيها الملح والكبريت فإذا استشاطت قالوا هذه النار قد تهددتك ،ونار الغدر كانوا إذا غدر الرجل بجاره أوقدوا له نارًا بمنى أيام الحج ثم صاحوا هذه غدرة فلان . ونار السلامه توقد للقادم من سفره سالمًا غانمًا .
ونار الزائر والمسافر وذلك أنهم إذا لم يحبوا الزائر ولا المسافر أن يرجع أوقدوا خلفه نارًا وقالوا : أبعده الله وأسحقه ، ونار الحرب وتسمى نار الأهبة يوقدونها على يفاع إعلامًا لمن بعد منهم ، ونار الصيد : يوقدونها للظباء لتعشى أبصارها .
ونار الأسد يوقدونها إذا خافوه لأنه إذ رآها حدق إليها وتأملها ونار السليم توقد للملدوغ إذا سهر والمجروح إذا نزف ومن الكلب الكلب يوقدونها حتى لا يناموا .
ونار الفداء كانت ملوكهم إذا سلبوا قبيلة وطلب منها الفداء كرهوا أن يعرضوا النساء نهارًا لئلا يفتضحن ، ونار الوسم التي يسمون بها الإبل لتعرف إبل الملوك فترد الماء أولا. ونار القرى وهي أعظم نيرانهم ، ونار الحرتين وهي النار التي أطفأها الله لخالد بن سنان العبسي احتفروا له بئرًا ثم أدخل فيها والناس يرونه ثم اقتحمها وخرج منها وكانت في بلاد عبس تسطع في النهار دخانًا وتكون بالليل نارًا وربما بدر منها عنق فأحرق من مر بها وزيد عليها نار السعالى وهو كل شيء يقع للمتغرب والمتفقر ونار الحباحب وهي كل نار لا أصل لها مثل ما يقتدح من نعال الدواب وغيرها ،ونار اليراعه وهي طائر صغير إذا طار في الليل حسبته شهابًا وضرب من الفراش إذا طار في الليل حسبته شرارًا.

الباب الرابع

في الغزل والنسيب[1]

قال:

عصافير يحسبن القلوب من الحب ... فمن لي بها عصفورة لقطت قلبي[2]
وطارت فلما خافت العين فوتها ... ذالت لها حبًّا من اللؤلؤ الرطب
فيا ليتني طير أجاور عشها ... فيوحشها بعدي ويؤنسها قربي
ويا ليتها قد عششت في جوانبي ... تغرد في جنب وتمرح في جنب
ألا يا عصافير الربى قد عشقتها ... فهي أعلمك الهوى والبكا هبي
أعلمك النوح الذي لو سمعته ... رثيت لأهل الحب من شغف الحب
خذي في جناحيك الهوى من جوانحي ... وروحي بروحي للتي أخذت لبي
نظرت إليها نظرة فتوجعت ... وثنيت بالأخرى فدارت رحى الحرب
فمن لحظة يرمى بها حد لحظة ... كما التحم السيفان عضبًا على عضب

---

(١) النسيب ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتصرف أحوال الهوى بالصب معهن وقد يذهب على قوم موضع الفرق بين النسيب والغزل والفرق بينهما أن الغزل هو المعنى الذي إذا اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء ينسب بهن من أجله فكأن النسيب ذكر الغزل والغزل المعنى نفسه . والغزل إنما هو التصابي والاستهتار بمودات الحسان ويقال في الإنسان : إنه غزل إذا كان متشكلا بالصورة التي تجانس موافقات النساء لحاجته بالوجه الذي يجذبهن إلى أن يملن إليه .

(٢) مما يحسن ذكره أنه كان لأحد بني المنجم جارية صفراء مولدة فبلغ به الوجد بها إلى أن مرض ونحل فدخل عليه الطبيب فجسه وقال : هذا الفتى قد أحرقته الصفراء « يريد إحدى الطبائع الأربع » فقال العليل : أصبت وأحسنت من حيث لا تشعر .

ومن نظرة ترتد من وجه نظرة كما انقلب الرمحان كعبًا إلى كعب
فساقت لعيني عينها أي أسهم قذفن بقلبي كل هول من الرعب
وساق لسمعي صدرها كل زفرة أقرت بصدري كل شيء من الكرب
ودارت بي الألحاظ من كل جانب فمنهن في سلبي ومنهن في نهبي
فقلت خدعنا إنها الحرب خدعة وهون خطبي أن أسر الهوى خطبي
فقالت إذا لم تنج نفس من الردى فحسبك أن تهوى فقلت لها حسبي
ولي العذر إما لامني فيك لائم فأكبر ذنبي أن حبك من ذنبي
ويا من سمعتم بالهوى إنما الهوى دم و دم هذاك يصبو وذا يصبي [1]
متى ائتلفا ذلا ودلا تعاشقا وإلا فما في رونق الحسن ما يسبي
سلوني أنبئكم فلم يدر ما الهوى سواي ولا في الناس مثلي من صب
إذا شعراء الغيد عدوا فإنني لشاعر هذا الحسن في العجم والعرب [2]
وإن أنا ناجيت القلوب تمايلت بها نسمات الشعر قلبًا على قلب
وبي من إذا شاءت وصفت جمالها فوالله لا يبقى فؤاد بلا حب
من الغيد أما دلها فملاحة وأما عذابي فهو من ريقها العذب
ولم يبق منها عجبها غير خطرة ولا هي أبقت للحسان من العجب [3]
عرضت لها بين التذلل والرضا وقد وقفت بين التدلل والعتب

(١) حدثنا الناظم ذات مرة قال: ليس العشق ما يظنونه من مليح يستحسن أو حسن يستملح ولكنه دم يتحرك دلالا ودم يتحرك غرامًا وهذا آخر رأيه فيه ومن أجله قدمنا هذه القصيدة.

(٢) لابد أن يلقب صاحبنا بعد اليوم بشاعر الحسن ولكن هل من فاتنة تصدر أمرها بذلك..؟

(٣) يريد أنها دائمًا تتمايل من العجب حتى لا يرى الإنسان منها إلا خطرات.

وأبصرت أمثال الدمى يكتنفنها   فقلت أهذي الشهب أم شبه الشهب [1]
فما زال يهدي ناظري نور وجهها   كما نظر الملاح في نجمة القطب [2]
وقد رحن أسرابًا وخفت وشاتها   فعيني في سرب وقلبي في سرب
وقالت تجلد قلت يامي سائلي   عن الحزن يعقوبا ويوسف في الجب [3]
وما إن أرى الأحباب إلا ودائعًا   ترد فإما بالرضاء أو الغضب

وقال
ووصف فيها القطار:

جارتي هل رأيت مثلي جارا   كلما جنه الظلام استجارا
ينثني مرة على الكبد الحرَّا   ويبكي على الفؤاد مرارا
فأعيني على الأسى اليوم وارعي   بيننا الود والهوى والجوارا
كيف تنأين والقلوب بكفيك   ولما تفك هذي الأسارى
كل يوم تبلو العذاب جديدا   وهي ليست تحب إلا اضطرارا
وإذا ما عذبت ذي العين بالما   ء فكيف استحق ذا القلب نارا [4]
أمهليني أذر المدامع حينا   إن في أعيني دموعا غزارا
وبنفسي على الحبيبة عتب   مثل هز النسائم الأزهارا

---

(١) الدمى جمع دمية بالضم وهي تصاوير العاج يشبه بها النساء لحسنها ونقائها ويكتنفنها أي حافات حولها .
(٢) هي نجمة معروفة عند الملاحين توجد دائمًا جهة الشمال وهي آخر نجمة من ذنب الدب الأصفر فإذا ضلوا في البحر اهتدوا بها إلى الجهة التي يقصدونها والنكتة هنا في «الناظر» لأنه غريق في العيون ضال في بحر الجفون .
(٣) شبه ظلمة النوى بالجب وكأنها يوسف وقد ألقيت فيه وكأنه يعقوب وقد حزن عليه حتى ابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم .
(٤) لست متضلعًا من القانون فأشرح هذه المسألة وأبين وجه الظلم فيها فإن الطرف والقلب شريكان في جناية الهوى ولا ندري لماذا عذبت العين بالماء والقلب بالنار . . . .

ليتها حينما تجنت ولا ذنـ ـب جنيناه تقبل الأعذارا
كيف هام القطار حين رآها أترى حسنها استهام القطارا
ليس في قلبه سوى الشوق لكن كتم الدمع فاستحال بخارا (1)
وإذا صاح صيحة البين فينا ترك العاشقين طرا حيارى
سار يطوي جوانب الأرض طيا ولو اسطاع أن يطير لطارا
كزمان الصبا ونومي إذا نمـ ـت وطيف الحبيب ليلة زارا (2)
أو كمعنى يمر بالفكر لا ينقا د أو مثل خاطري لا يجارى
وكأن البلاد أرسلن منه مثلا راح بينها سيارا
يا شبيه الدجى إذا غابت الشمـ ـس انطلق سالمًا وقيت العثارا (3)
لو درى الأفق أنها فيك ما أطلع شمس الضحى لئلا تغارا
سوف تأسى كما أسيت إذا ما آنست أهلها وتلك الديارا
وسرور الفتى غرور إذا كا ن يرى ما يسره مستعارا
ليت شعري أنافعي اليوم أني لا أرى كالذي ترى أشعارا
تحسب الناس إن تلوها سكارى قد حسوها وما هم بسكارى
وإذا ما أنشدتها الفجر يوما سحر الفجر حسنها فاستطارا (4)
ورأيت النجوم غارت حياء وسمعت الهزار يشجى الهزارا

(1) من كان يقول من الشعراء مثل هذا فحسبه وإلا فالصمت زين والسكوت سلامة .

(2) زمان الصبا ونوم العاشق وطيف المعشوق كلها لحظات ولذلك شبه بها القطار في سرعته على أن المقام يقتضي هذا التشبية .

(3) إن يكن في الحشو نوع لا يحسن الشعر إلا به فمثل قوله : « إذا غابت الشمس » وقد كان ابن حجة يسمى مثل هذا الحشو حشو اللوزينج وهو الطعام المعروف « لمن يأكله » .

(4) يقال استطار الصباح إذا انتشر ضوؤه واستطار الرجل بالكلمة إذا طرب لها طربًا استخف وقاره وإن من البيان لسحرًا .

إن عدمنا في الناس من يبعد الناس فإنا لم نعدم الأطيارا
يا ليالي الفراق كوني طوالا داجيات أو مشرقات قصارا
ما لمن فارق الحبيب جفون تعرف الليل بعده والنهارا
والذي يعشق الحسان إذا سر ته دهرا أسأنه أدهارا
كيف تقضى الأوطار نفسي من العز على أن للهوى أوطارا
والأماني يسعى لها الناس لكن قصر الحظ دونها الأعمارا (١)

وقال :

أرى في ذلك الثغر طلا وشفاهك الكاس (٢)
فإن جدت شفيت وإن بخلت أمضني الياس (٣)
وأحلى الحب ما كان ولم يعلم به الناس

وقال

ووصف فيها القطار أيضًا :

أترى زمانك بالحمى سيعاد أم طول دهركما نوى وبعاد
سارت فما لبث الفؤاد كأنما بين الفؤاد وبينها ميعاد
ودرت عيوني بعدها كيف البكا ودرى بعيني بعدها التسهاد (٤)

---

(١) جاء بعض الأعراب إلى الأصمعي وهو في مجلسه فاستنشده فأنشده شيئًا من شعر الفحول فاستخف به ثم أنشد الأعرابي لنفسه فقال الأصمعي لأصحابه : اكتبوه ولو بأطراف المدى فى رقاق الأكباد أما نحن فنقول أنه من حق هذه القصيدة أن تكتب ولو بجمرات الرصاص على ألواح الصدور .

(٢) الطلاء بالكسر الخمر وهو مقصور هنا ضرورة .

(٣) مضه وأمضه بلغ من قلبه الحزن به .

(٤) هذا هو الالتفات على ما عرفه بعضهم . فإنه ابتداء يخاطب شخصًا جرده من نفسه ثم التفت بعد ذلك فتكلم عنها واستعمل ضمائر المتكلم .

وحسدت واشيها إذ استعمت له ... فعرفت كيف توجع الحساد
للّه أي مدامع من بعدها ... تجري وأية لوعة تنقاد
كدنا نجن وقد تأهب أهلها ... وجننت لما ودعوا أو كادوا
لو أنهم زموا النياق لسلمت ... عين وودع جانبيه فؤاد
لكن جرى بالبين فيما بيننا ... (برق) له في مره إرعاد
يتخطف الأرواح والأجساد إن ... عرضت له الأرواح والأجساد
ويفرق الشمل الجميع فإن دها ... لم يمهل الأحباب أن يتنادوا
متضرم الأحشاء لا من لوعة ... لكنما استعرت به الأكباد
كالقصر فيه لكل خود حجرة ... ولكل صب مضجع ووساد
وكأنه إذ أشرقت منه المهى ... فلك تحفف حوله الأرصاد (١)
وكأن أبراج السما حجراتها ... في كل برج كوكب وقاد
لو لم يكن للبين فيه علامة ... ما كان فيه من الغراب سواد (٢)

---

(١) هذا وصف « المفتخر » بعينه حينما تفتح نوافذه وتطل منها أوجه الحسان المسافرات ما بين مصر والإسكندرية . . .

(٢) من خرافات الرومان ما رواه « أوقيد » عن سبب اسوداد الغراب قال كان المعبود أبلون يعشق كورونس وكان الغراب صديقه وسميره وهو أبيض كالثلج فوقف الغراب ذات يوم على أن كورونس تهوى غير عشيقها فسعى بها إليه فاستفزت الغيرة أبلون فرشقها بسهم أثبته في فؤادها ثم ندم فعالجها فما أغنى شيئًا فعاد إلى الغراب النمام وحوله أسود ولذلك قيل النميمة يسود العرض . وكان أهالي الجنوب يتطيرون به ويستدلون بطيرانه على ما خبئ لهم في الغيب من الرزايا وذلك من عهد اليونان والرومان قبل أن يعرف شيء عن العرب وطيرتهم . ومن الفكاهة ما حكاه الخليل بن سعيد قال مررت بسوق الطير فإذا الناس قد اجتمعوا يركب بعضهم بعضًا فاطلعت فإذا أبو السائب المخزومي قائم على غراب يباع وقد أخذ بطرف ردائه وهو يقول للغراب يقول لك قيس بن ذريح :

ألا يا غراب البين قد طرت بالذي ... أحاذر من لبنى فهل أنت واقع

لم لا تقع ويضربه بردائه والغراب يصيح فقال له قائل : أصلحك الله ليس هذا ذاك الغراب قال قد علمت ولكن آخذ البريء حتى يقع الجريء .

يا سعد هذا عصرنا فدع النيا ... ق يشفها الإتهام والإنجاد [1]

واهجر حديث الرقمتين وأهله ... بادت ليالي الرقمتين وبادوا

واذكر أحبتنا الذين ترحلوا ... ولو أنهم رحموا القلوب لعادوا

إني أراهم كلما طلعت ذكا ... أو مال غصن البانة المياد

أو لاح لي قمر السما أو اتلعت ... بين الرياض من الظبا الأجياد

ولقد رأيت لحاظهم مسلولة ... يوم انتضت أسيافها الأجياد

تلك السيوف وما سواء في الهوى ... ما تحمل الظبيات والآساد

أتراهم ذكروا هواي وقد جفا ... ذات الجناح على الغصون رقاد

فبكت على شجن ورجعت البكا ... وتمايلت جزعا لها الأعواد

أم يذكرون هواي إن قيل انقضى ... أجل المريض وخفت العواد

بخلوا وجدت كأنما خلق الهوى ... من عاشقين بخيلة وجواد

قف بي على القصر الذي ودعنه ... وعليه من ظلم الفراق حداد

واسأله هل لهم إليه مرجع ... ولذلك الزمن القديم معاد

فعسى يجيبك أنني أرعى له ... عهد الوداد وللقصور وداد

ولعله يحكي تنهدها فقد ... يحكي الجماد الصوت وهو جماد [2]

(١) الإتهام والإنجاد المسير إلى تهامة وإلى نجد ويراد بهما الارتفاع والانخفاض

(٢) يريد بالجماد (الفوتوغراف) وهو حاكي الأصوات والمعنى الذي يريده أن القصر يرعى له الوداد وأنها تحبه ولذلك تتنهد ساعة الخروج فيحفظ القصر هذا الصوت ليتحفه به إذا جاء مسلمًا .

وقال :

قمر أطلعت أخاه السماء … وغزال ما شابهته الظباء
إن رنا يفضح النساء وإن قيـ … ـل تأبى تغار منه النساء
يدعي البان قده وتثنيـ … ـه وما البان والقدود سواء
ويرى الورد أنه مثل خديـ … ـه وتأبى خدوده الحمراء
هل سبيل إلى لقاه وإن لم … يشف ما بي من الغرام اللقاء
فأناجيه مثلما غرد الطيـ … ـر وناجت أليفها الورقاء
يا مليك الهوى اتق اللّه في النا … س فقد قطع القلوب الجفاء
إن تكن راعي المحاسن فينا … فأنا من رعيتي الشعراء

وقال :

يا طير ما للنوم قد طارا … وما قضينا منه أوطارا
كأن هذا السهد لا يأتلي … يطلب من أجفاننا ثارا (١)
إن كنت ظمآن فذي أدمعي … تفجرت في الأرض أنهارا
أو كنت ذا مسغبة فالتقط … حبة قلبي كيفما صارا (٢)
أو كنت مشتاقا فكن مثلنا … على الهوى يا طير صبارا
وجارني إن كنت لي صاحبا … فإن خير الصحب من جارى
يا طير كم في الحب من ساعة … يزيد فيها العمر أعمارا
إن قلت تلهيني بها فكرة … جرت على الأفكار أفكارا
أو قلت أنساها أقام الهوى … من حرها في القلب تذكارا
والصب ما ينفك في حيرة … تزيده حزنا وأكدارا

---

(١) لا يأتلي أي لا يزال .
(٢) المسغبة الجوع .

ما لي أرى الأطيار نواحة ... كأنما فارقن أطيارا
وما لأغصان الربى تلتقى ... كأنما يبثثن أسرارا
فاسأل نسيم الصبح إن مر بي ... هل حملته الغيد أخبارا
وسل عن الدار ويا ليتني ... أزور يوما هذه الدارا
كأنها الجنة لكنني ... أبطنت من وجدى بها النارا
سماؤها مطلعة أنجما ... وأرضها تطلع أقمارا
وكم بها من أكحل إن رنا ... سلت لك الأجفان بتارا (١)
وإن مشى يخطر في تيهه ... هزت لك الأعطاف خطارا
لا أنكر السحر وذا طرفه ... أصبح بين الناس سحارا
يا فاتن الصب على رغمه ... والمرء لا يعشق مختارا (٢)
طورا بنا هجر وطورا نوى ... أهكذا نخلق أطوارا (٣)
لو شبهوا بدر السما درهما ... لشبهوا وجهك دينارا (٤)
وكم درار فيك نظمتها ... تجل أن تحسب أشعارا
لو أن بشارا حكى مثلها ... أعطوا لواء الشعر بشارا (٥)

(١) الأكحل ذو الأجفان الكحيلة .
(٢) مسألة فيها نظر ولا يسع المقام تحقيقها .
(٣) قال تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ⑬ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح: ١٣ ـ ١٤] أي أحوالا من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلخ ولكن الشاعر حول المعنى مع مراعاة الأدب فقال : (أهكذا) وإنما يكون منتقدًا إذا قال : (وهكذا) مثلا .
(٤) تشبيه الوجوه بالدنانير كثير في الشعر العربي ويمكن أن يكون وجه الشبه ما نظر إليه أبو العباس الأعمى في قوله مادحًا :

في حلوم إذا الحلوم اسفزت ... ووجوه مثل الدنانير ملس

على أنا لم نجد في كل ما قرأناه من ذلك كهذا البيت فقد راعى النظير في كل من المشبه والمشبه به فذكر الدرهم والدينار والوجه والبدر وهذا من بدائع الاتفاق .
(٥) بشار هو ابن برد الشاعر الشهير وكان أعمى . زعم أنه أشعر الشعراء لأنه قال اثنى عشر ألف قصيدة لا تخلو واحدة منها من بيت نادر فيكون النادر من شعره اثنى عشر ألف =

وقال (في غادة رآها والشمس في الطفل) :

لاحت لنا والشمس من غيظها ... قد ضرجت أثوابها بالدم
فاتنة من بخلها لم تزل ... وجنتها معصورة في الفم
فما أراها راهب راهبا ... إلا شكا المغرم للمغرم

وقال (في مليح غربي) :

بأبي أنت يا غزال وروحي ... وفؤادي ونور عيني وعيني
أنت كالبدر حين يطلع لكن ... في سواد القلوب والمقلتين
لو رآك الذين قالوا ثلاث ... بعد وهن لثلثوا القمرين (١)
خفق الحلي فوق صدرك والقلب ... فهل أنت مالك الخافقين
وأرى السحر في العيون فهل جئت ... بها (بابلا) إلى الساحرين (٢)
وبخديك جنتان ولكن ... في فؤادي لظى من الجنتين
يا قضاة الغرام في أي شرع ... أن يحولوا بين الحبيب وبيني
في يديكم غريم ظبي من الغرب ... سبى المشرقين والمغربين
فاتقوا اللّه في قتيل حبيب ... (حسن) طل دمه (كالحسين) (٣)

وقال :

سهرت والليل أمسى للورى سكنا ... فمن يدل على أجفاني الوسنا
أرعى كواكبها حتى إذا أفلت ... ألقيت للطير في تحنانها الأذن

= بيت وهو ما لا يوجد لغيره . وسمي أبا المحدثين لأنه فتق لهم أكمام المعاني ونهج لهم سبيل البديع فاتبعوه وكان ابن الرومى يقدمه ويزعم أنه أشعر من تقدم وتأخر .

(١) الوهن والموهن نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه ويريد بالذين قالوا ثلاث من يعتقدون أن الإله ثلاثة آلهة وما من إله إلا الله .

(٢) الساحران هما هاروت وماروت وقصتهما معروفة .

(٣) قتل الحسين عليه السلام صبراً وظلماً .

واسأل الحب عن روحي وعن بدني ... فلا أرى لي لا روحًا ولا بدنا
وما نظرت لأعضائي وقد بليت ... إلا حسبت ثيابي فوقها كفنا
يا من يعز على نفسي تدلله ... كم ذا أكابد فيك الذل والوهنا
دروا بما بي ولولا الدمع كان دما ... لما تظنوه إلا عارضًا هتنا (١)
ورب ذي سفه قد هب يعذلني ... فقال أنت الفتى المضنى فقلت أنا
وهل أخاف على سر الهوى أحدًا ... وقد خلقت على الأسرار مؤتمنا
فدع غرامك يطويني وينشرني ... ودع عذولي يطوي جنبه الضغنا (٢)
من كان مثلي لم يحفل بمثلهم ... ومن أحب استلان المركب الخشنا
كأنما الحسن أمسى فيك مجتمعًا ... فأينما نظرت عيني رأت حسنا
وإن تكن فتنة للعاشقين فما ... يزال أمر الهوى ما بيننا فتنا
فاسأل محياك كم أخجلت من قمر ... وسل قوامك ذا المياس كم غصنا
وكم يبيعك أهل العشق أفئدة ... وأنت لا عوضًا تعطي ولا ثمنا (٣)
فيم اقتصاصك من قلبي تعذبني ... وما جنيت ولا قلبي عليك جنى
أما كفاني ما ألقاه من زمني ... حتى أغالب فيك الشوق والزمنا
إني وإياك كالمنفي عن وطن ... أي البلاد رأى لم ينسه الوطنا (٤)
وما أطاف بقلبي في الهوي أمل ... إلا بعثت عليه الهم والحزنا
ليهنك اليوم أني ممسك كبدي ... وأنها قطع تجري هنا وهنا

(١) العارض الهتهن السحاب الممطر وتظنوه وظنوه بمعنى يريد أن دمعه لو لم يكن ممتزجًا بالدم لظن الوشاة أن السماء قد أمطرت ولم يحسبوه يبكي .

(٢) الضغن الحقد والحسد .

(٣) هذا والله هو فقه الهوى فما البيع إلا بثمن أو عوض .

(٤) المنفي عن الوطن المبعد عنه وهذا المعنى من مبتكرات شاعرنا ولا يزال الباب مفتوحًا إلى يوم القيامة .

وفي الجوانح شيء لست أعرفه ... لكن أهل الهوى يدعونه شجنا
يبيت ينبض قلبي من تقلبه ... حتى إذا ذكروا من هاجه سكنا [1]
فهل رثيت لمن لو بث لوعته ... مع الصباح لأبكى الطير والفننا
وهل تعللنا يومًا بموعدة ... وإن تكن لا تفي سرًّا ولا علنا
لو أن نفسي على كفيك لانحدرت ... ولو دفنت لما باليت من دفنا [2]
وذو الشقاوة مقرون بشقوته ... أنى تقلب جرت خلفه المحنا

وقال

وهي من فنون الجنون :

خداك يا ذات العيو ... ن الفاترات النعس
كالورد إلا أنه ... يحميه لحظ النرجس
وأما قدك وهو من ... تلك الغصون الميس
وشفاهك الحمراء والخمـ ... ـر التي لم أحتس
إني إذا رقص القوا ... م ومال تحت السندس
ونظرت ثغرك ضاحكا ... وبقيت لي لم تعبسي
وسقيتني راح الهوى ... من غير تلك الأكؤس
لأرى الكواكب خادما ... تي كالجواري الكنس
وأظنني بين الملو ... ك مليك كل الأنفس
وأرى بحبك كل النا ... س حاضرا في مجلسي

---

(١) نبض القلب خفق وهاجه وهيجه بمعنى واحد ولا يقال أهاجه .

(٢) يريد أن نفسه لو كانت على كف هذا الحبيب لرماها وتركه يموت وأنه لو مات في حبه ودفن لبقى الهجر كما كان حيًّا وهجر الميت ترك زيارة قبره وتناسيه . وهذا غاية في الإعراض .

وقال (وهما من أول قوله)

قالت سألت الورد عن وجنتي يوما ووجناتي عن الورد
فقال لي خدي أنا وردة ثم انتمي الورد إلى خدي

وقال في مثله:

أهديت ذا الحسن وردا وقلت (مني إليكا)
فقال يا شبه خدي خدي يغار عليكا

وقال:

هذا الدجى والهم في صدري كالفحم زاد توهج الجمر
وكأن أنفاسي بها شعل طفئت من الأجواء في بحر (١)
وكأن أحزاني بها شرر زحم الكواكب فهي لا تسري
يا ليل قطعت القلوب أسى فابعث لها بنسائم الفجر
حتام تطويني وتنشرني خلق الردا بالطي والنشر (٢)
ما طال عمرك يا دجى أبدا ألا ليقصر دونه عمري
فإذا قضيت وأنت ذو نفس فاخبأ صباحك لي إلى الحشر
وإذا دجا ليل الحياة فدع يا ليل مصباحا على قبري
أنا والسما خصمان في قمر من حين أخجل بدرها بدري
حجبوه في ظلم كما سدلت ذات الدلال غدائر الشعر
يا بدر لا تكمد وفيك ضني لك أسوة بالجفن والخصر
وإذا احتجبت ففي الحجاب هوى وجمال ذات الخدر في الخدر
هل كنت شاهدنا ونحن كما قرن الضمير السر بالسر
إلفان منطلقان في جذل وهما من الأشواق في الأسر

(١) الأجواء جمع جو .
(٢) خلق الثوب كنصر خلوقة وخلقا محركة بلي .

هـذا لـذاك هـوى وذاك بـذا ... صب كحاسي الخمر والخمر

ثغرا علـى ثغر وأحسن ما ... تجد الهوى تغرا على ثغر

يا بدر كانت ليلة ومضت ... وقع العصافير على الغدر [1]

بتنا ومن شفة على شفة ... حينا ومن نحر على نحر

أشكو ولا شكوى ويعذرني ... بالحب والحب من العذر

مثل الحمام تباكيا وهوى ... إما التقى إلا لفان في وكر

هيهات أرسل بعدها أملا ... ضاع الرشاء اليوم في البئر [2]

يا من شفا عين الزمان وما ... بصر الهوى إلا عمى الدهر

هبني كتابا أنت مالكه ... واقرأ ولو حرفين من صدري [3]

وعلام تهملني وأنت ترى ... واو الهجا حسبت على عمر(و)

إن الذين هجرتهم خلقوا ... كالنحل لا تحيا بلا زهر

فلئن تكن قد سؤتني زمنًا ... فالحب ذو يسر وذو عسر

يرجى الغنى للفقر وهو شقا ... أفليس يرجي الوصل للهجر

إن تبتعد تقرب إلى أملي ... والدهر منعكس بما يجري

وإذا قسوت تزيدني طمعًا ... كم يخرج الماء من الصخر

وبأضلعي قلب أعلله ... بالوعد أحيانا وبالصبر

من كان يجني الحلو من ثمر ... وأمر فليصبر على المر [4]

وقال (في فلسفة الحب)

لا تلم ذا الهوى على أن يبوحا ... هكذا العطر دأبه أن يفوحا

كيف تخفي بين العواذل نار ... ساورتها الرياح ريحا فريحا

---

(١) الغدر جمع غدير .

(٢) الرشاء حبل الدلو شبه به الأمل .

(٣) إن الكتاب متى قرئ عنوانه عرف موضوعه . . .

(٤) أمر الثمر ومر صار مرًّا .

وسقام الهوى يلوح على العا ... شق مهما أراد أن لا يلوحا
غلب الشوق أهله فترى القو ... م طريحا قضى ونضوا طريحا
وكأن الغرام حين شرى الأنـ ... ـفس ألفى الكرام أرخص روحا
يا أخا الحب ما أرى الحب إلا ... نظرا جارحا وقلبا جريحا
ثم من عاش بعد ذاك فقد عا ... ش ليبكي مما به أو ينوحا
وترى الطير ربما قام يسعى ... لحظة بعد أن تراه ذبيحا
ليس هذا الهوى سوى سكرة المو ... ت فهيئ للعاشقين الضريحا
يطمع النفس في الجمال فأما ... طمعت ألفت الجمال شحيحا
وهو بين العيون والقلب وحي ... كلما جالت اللواحظ يوحى
آه ما أوجع الغرام وما أعـ ... ـجب جسما على الغرام صحيحا
لم أكد أعرف الصبابة حتى ... برحت بي همومها تبريحا
وألفت العناء حتى من الرا ... حة عندي أن لا أرى مستريحا
وإذا ضاقت الحياة بنفس ... وجدت وادي الممات فسيحا

وقال :

رأته عيني فوق كرسيه ... كالشمس أو أبهى من الشمس
مثل سليمان على عرشه ... يحكم بين الجن والإنس
فقال لي العاذل آمنت ما ... أجحد فيه (آية الكرسي) (١)

وقال :

ذات ملك طغت بها عزة المـلـ ... ـك فلم ترع في هواها العبيدا
ظلمتهم وجاهدوا علم اللّـ ... ـه فمن مات راح فيها شهيدا
هي غصن الرياض والزهر والور ... د قواما ونفحة وخدودا

(١) إذا جحد آية الكرسي وهي الآية القرآنية كفر ، وإذا جحد حسنه قيل له أنك جحدت (آية الكرسي) وبمثل هذه الحجة يفحم العذال .

وهي شمس السماء والظبية الغيـ ـداء وجهـا ومقلتين وجيدا
ولها النهي في الهوى ولها الأمـ ـر وما كان موعدا ووعيدا
ليس في الحب أن تشاء ولا في قدر الحب والقضا أن تريدا
إنه في الرقاب مسكنة الدهـ ـر كما طوق الهوان اليهودا (١)

وقال :

حطي نقابك لحظة فالحسن أجمع في نقابك
ظمأ الفؤاد إلى رضا ك ظمأ الشفاه إلى رضابك

وقال :

غرامك لا يبقي على نفس إنسان فسله لماذا غال قلبي وإبقائي
أفي كل يوم لي من الحب حسرة وحزن وقد ضاق الفضاء بأحزاني
وها أنا ذا بين الصبابة والصبا تجاذبني الأولى فيدفعني الثاني
ولم يبق من جسمي الهوى غير ذرة كما أبقت الكاسات من عقل نشوان
أكاد لذاك الحي إن مرت الصبا أطير وإن لم يحتملني جناحان
وتنظر هذي الشمس عيني كأنها وقد أذكرتني حسن وجهك شمسان
هم عبدوها في الجمال ضلالة ويمنعني من مثل ذلك إيماني
على أنهم ذلوا لسلطان حسنها وحسنك سلطان على كل سلطان
وقالوا حكيت الظبي جيداً ولفتة وأشبهت غصن البان في هيف البان
وأقسم ما الغزلان في لفتاتها ولا هيف الأغصان إلا الشبيهان
لك الحسن من كل الحسان وللذي يحبك في أشعاره كل إحسان
وأنت الذي قربت من جسمي الضنا وأنت الذي باعدت ما بين أجفاني
فإن قيل عني أنه مات عاشقًا فقل لهم ما رحمة الميت من شاني
إذا كنت لا ترثي وفيّ بقية فكيف إذا ما أدرجوني بأكفاني

(١) قال الله تعالى في اليهود ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾[البقرة: ٦١] ولا يزالون كذلك إلى اليوم ولم نر هذا المعنى لغيره .

وإن يقرأ العذال ما أنا كاتم ... فقد خط في خديَّ بالدمع سطران
ولو شئت لم يدروا بما دار بيننا ... ولو أن حسادي عليك من الجان
أبى الدهر أن يلقي أخو الحب صاحبًا ... من الإنس إلا دونه ألف شيطان
فيا ليت أن الأفق تهوى نجومه ... على كل واش بالمحبين خوان
ويا ليت نيران الجحيم تزيدهم ... قلوبًا تلظى حسرة فوق نيران
ويا ليت أن الأرض دكت جبالها ... فكم فيهم من مثل رضوى وثهلان (١)
وما كنت أدرى قبلهم أن في الورى ... من الناس أقوامًا على شكل أوثان
فيا من لحاني في الصبابة ما ترى ... ملامك هذا بالصبابة أغراني
وبي رشاء لم يبق منى دلالة ... سوى ما تراه من هموم وأشجان
تعشقته ظمآن للحب فارتوى ... فؤادي ولكن ردني جد ظمآن
وأضحكني دهري زمانًا بقربه ... ولكنه من بعد ذلك أبكاني
ولن تجد الدنيا سوى ما وجدتها ... ولا سائر الأزمان إلا كأزماني
ويا جيرتي والنفس جمٌّ عناؤها ... ألا عاشق عان لذا العاشق العاني
رأيت فؤادي مطبقًا جفنه الأسى ... كما اكتحلت بالنوم أجفان وسنان
وقد كان لي كأسًا لدى مجلس الهوى ... إذا الحب راحي والحبائب ريحاني
وفي الحب سلوان ولكنني أرى ... تأسي ذي الحاجات ليس بسلوان
وهذا الهوى تاج على كل عاشق ... فما شرف الأملاك من غير تيجان

وقال :

يا قوام الغصن منثنيا ... ومثال الحسن والظرف

---

(١) رضوى وثهلان جبلان عظيمان وقد ثبت أنه لولا الجبال لاقتضى ثقل الأرض أن تميد كما قال الله تعالى : ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [لقمان: ١٠] فتمنى الشاعر أن تنسف هذه الجبال لأن ثقل عذاله يكفي وسيأتي أنه يشبه ظلهم الذي يقع على الأرض بالصخر فكيف بهم .

أنت (والطربوش) منحرف كهلال الأفق في النصف
فاتق الخالق في قوم عبدوا اللّه على حرف [1]

وقال (في مليح تكاد وجنته تتقد) :

لا تلوموا إذا تعذبت فيه وقضيت الحياة وجداً عليه
ففؤادي وإن أطال عذابي ليس يلقى النعيم إلا لديه
وجهه جنة العيون وإن كا ن تلظى السعير في وجنتيه

وقال :

سائلوه متى يفيق الذي جن وهل أصبحت تباع العقول
واذكروا أنني سلوت عن السلـ وان فالصبر في الهوى مستحيل
أعشق الحب والحبيب لأني في هوى الحب والحبيب قتيل
نضب الدمع بعدما كان ينسا ب كما فاض في البلاد النيل
فرعى اللّه من تصدق بالدمـ ـع على أعين كواها الهمول
أيها العاذل ابغني كبداً لم تتقصف بجانبيها النصول
واستعر لي عمراً طويلا فإني أجد العمر في الهوى لا يطول
وأعني على العزاء فقلبي ثاكل واصطباره مثكول
أتراني أعيش والحب في النا س دليل وراءه عذريل
أم تراني ألذ عيشي وفي المو ت من العيش للحزين بديل
يأمل الناس في الحياة نعيما وقليل من سره المأمول

(١) حدث أبو عمر الزاهد قال ذلك بعض الزهاد المرائين جبهته بثوم وعصبها ونام ليصبح بها كأثر السجود فانحرفت العصابة إلي صدغه فأخذ الأثر هناك فقال له ابنه ما هذا يا أبت؟ فقال : أصبح أبوك ممن يعبد الله على حرف ومعنى العبادة على حرف أي على وجه واحد وهو أن يعبده على السراء لا الضراء أو على شك أو على غير طمأنينة على أمره والنكتة في البيت ظاهرة .

والأمــانـي عـلـى رقـاب الـلـيـالـي صــارم فـي يـدِ الـردى مـســلـول
كم تريـني مصـارع الأولى قتـل الوجـ ـد ومن أهـلـكـتـه تـلـك السـبـيـل
أنـا منـهـم فـذر أخـاك ضـجـيـعًـا كـيـف يـأسـى عـلـى أخـيـك عـذول
لا تـعـب مـا تـرى بـه مـن نـحـول زيـنـة الـعـاشـقـين هـذا الـنـحـول
واعـذر الصـب ما بـقيت خلي القـلـ ـب فـالـصـب قـلـبـه مـتـبـول
أنـا مـن تـرتمـي الحـسـان عـلـيـه إن رأتـه جـمـيـلـة أو جـمـيـل
وأقـل الـغـرام عـنـدي أنـي بـين قـومـي عـلـى الـغـرام دلـيـل
يـا عـيـون الأغـن لا تـرهفـي اللحـ ـظ فـسيف اللـحاظ عـضب صـقـيل
مـا لـهـذا الـقـوام يـخـطـر كـبـرًا كـغـصـون الـريـاض حـين تمـيـل
ولـذاك الـدلال يـتـرك مـن عـز ذلـيـلًا فـكـل صـب ذلـيـل
عـلـلـيـنـي بـالموت كـيـف تـشـاءين فـإنـي عـلـى المـمـات عـلـيـل
أنـا والله أشـتـهـي المـوت في الحب لـيـأسـى عـلـيّ هـذا الـبـخـيـل (١)

وقال :

مـري عـلـيـنـا يـا صـبـا نجـد تـشـكـو إلـيـك مـدامـعـي وجـدي
أمـسـيـت والأشـواق مـضـنـيـة عـنـدي مـن الأشـواق مـا عـنـدي
تجـري عـيـونـي فـي مـحـاجـرهـا ومـدامـعـي تجـري عـلـى خـدي
مـا أنـس والأيـام تجـمـعـنـا وكـأنـنـي فـي جـنـة الخـلـد (٢)

(١) قال بشار أنا والله أشتهى سحر عينيك وأخشى مصارع العشاق .
وكان أبو تمام يقول : ما رأيت شعرا أغزل منه . وليس فيه من الغزل إلا أنه جبان غير محب وما الجبن من شيم العاشقين . وأين هذا ممن يشتهي الموت في هوى من أحبه ليذكره فيحزن عليه ويشتد في ذلك حتى يجعل نفسه عليلا من أجل هذا الموت ؟ والحق أن بشارا لو قال مثل هذا لجن به أبو تمام .

(٢) فائدة بديعة . تقول العرب ما أنس لا أنس كذا ويريد القائل أن له به شغفًا فلا يغيب عن خاطره أبدًا . وما فيه شرطية والفعلان مجزوما بحذف حرف العلة وهو تركيب شائع =

تشكو كما أشكو الهوى وإذا   طارحتها أبدت كما أبدي
وتراع من ذكر الصدود إذا   خطرت بقلبي لوعة الصد
وإذا بكيت جرت مدامعها   جري الندى صبحًا على الورد
قلبي وما في العيش لي طمع   ما دمت يا قلبي على وقد
هل كل من يهوى يموت أسى   أم قد بليت بذا الأسى وحدي
سل مسرح الآرام ما فعلت   تلك الظباء الغيد من بعدي
لهفي عليها كم وفيت لها   لو أن لهفي بعدها يجدي
ولكم حفظت لها الوداد على   بعد المزار وضيعت ودي
ماذا أصابك بعدما نظرت   ورمتك عيناها على عمد
أو ما نهيتك في (الجزيرة) عن   كنس المهى ومصارع الأسد
وأريتك الألحاظ مغمدة   كالسيف مسلولا من الغمد
أعدى على كبدي هواك فلو   أعلمتني أن الهوى يعدي
يا قلب مالي ما أضن به   من بعدما فقدت سوى فقدي
حمل تحيتك الصبا فعسى   يومًا تعود إليك بالرد
واجزع على قرب الديار فقد   صبرت أو انسها على بعدي
يا غادة أرعى العهود لها   هل أنت باقية على عهدي
أمسيت في قلبي وليت إذن   قلبي يساعدني على الوجد

وقال :

يا من أطال الهجر من بعدما   مسنيَ الحب بما مسني

= في كلامهم وقد وقع حذف الجملة الشرطية كما في قوله :

ما أنس قولي لها في الفجر إذ طلعت   يا لذة العيش ردي الروح في بدني

فإن تقديره أن أنس شيئًا ما أنس إلخ . ولا يختص هذا (بأنس) بل له نظائر كقول كعب بن مالك (ما نجن لا نجن من إثم) البيت .

أنت وإن أسرفت في ذا الجفا　　أحسن خلقَ اللّه في أعيني

وقال :

هيفاء تأمر بالحسـ　　ـن من تشاء سوتنهى
تغني عن البدر والبد　　ر ليس يغنيك عنها
أعطبتها بيدي رو　　حي ولما تصنها
يدي التي قتلتني　　فكيف أقتص منها (١)

وقال

(من بعد سلوه) :

ويحك يا قلب عدت للنزق　　أما رمتك الظباء بالحدق
وهل نسيت الهوى وما بعدت　　أيام ذاك الوداد والملق (٢)
وكيف ينسى الغريق روعته　　إذا نجت روحه من الغرق
رحماك يا قلب ليس من شيمي　　أني أبيع الوفاء بالحمق
فاقبر بلحد الهوى لواعجه　　إنك إن نمت فيه لم تفق
ما خلق القلب للغرام ولم　　تخلق عيوني لذلك الأرق

وقال :

جافيتني والذنب ذنبك　　وظلمتني فاللّه حسبك
ما بال قلبك لا يـ　　ـرق أمن صميم الصخر قلبك
وبخلت حتى بالرسائـ　　ـل خوف أن تشفيه كتبك
وضننت حتى بالعتا　　ب وربما يكفيه عتبك
ومنعت حتى الطيف لا　　يدنو وقرب الطيف قربك
صلني أو اهجر إنني　　في الوصل والهجر أحبك

(١) هذا السؤال يعني الفقهاء أكثر مما يعني الأدباء فهل من فقيه أديب أو أديب فقيه يبين لنا كيف يكون القصاص هنا .

(٢) الملق التملق وهو من صفة الحب الكاذب .

ولـقـد تـرى أن الـوفـا   دأبـي فـمـا لـلـصـد دأبـك
كـل الأنـام عـواذلـي   صـحـبـي يـعـنـفـنـي وصـحـبـك
فـاعـجـب وتـه مـاذا عـلـيـ   ـك إذا أذل الـنـاس عـجـبـك
إن تـبـتـعـد أو تـقـتـرب   فـأنـا عـلـى الحـالـين صـبـك

وقال :

أنـاديـك يـا قـلـب مـذ ودعـوا   فـمـا لـي أنـادي ولا تـسـمـع
أمـا أنـت أخـضـعـتـني لـلـهـوى   ومـا كـنـت لـولا الـهـوى أخـضـع
أمـا قـد أطـعـتـك فـي حـبـه   وكـنـت لـه الـعـبـد بـل أطـوع
ألـم أئـتـمـنـك عـلـى أضـلـعـي   وكـانـت مـغـانـيـك الأضـلـع
أمـا أنـت بـيـت حـيـاتـي وهـل   لـنـفـسـي مـن بـعـدهـا مـطـمـع
وكـنـت أظـنـك لـي راجـعًـا   فـمـا لـك يـا قـلـب لا تـرجـع
أمـا والـذي فـي يـديـه الـقـلـوب   لـقـد أمـسـت الـعـين لا تـهـجـع
وبـاتـت مـن الـدمـع مـطـروفـة   فـأنـى ذكـرت اسـمـه تـدمـع
ويـسـرع فـي خـاطـري ذكـره   ودمـعـي مـن ذكـره أسـرع
وقـد غـادرتـنـي الـنـوى بـعـده   إذا وصـفـوا لـي الـنـوى أجـزع
نـحـيـل كـأنـي مـن خـصـره   ولـكـنـنـي دونـه الـمـوجـع
وقـد حـسـبـونـي طـيـف الخـيـال   لـولا الـوسـادة والمـضـجـع
فـيـا ظـبـي كـيـف أسـلـت الحـشـا   وكـنـت بـوادي الحـشـا تـرتـع
ويـا بـدر كـيـف صـدعـت الـفـؤاد   وكـنـت بـآفـاقـه تـطـلـع
أقـام بمـوضـع قـلـبـي الأسـى   فـلـو عـاد لـم يـسـع المـوضـع

وقال :

يـا فـاتـن الـنـسـاك مـا عـهـدنـا   أن يـدخـل المـسـجـد ريم الـفـلاه

أمـــا تـخـــاف الـلّـه فـي خـلـقـــه ... لـو تـركــوا أن شـاهـدوك الـصــلاه

وقال موريا :

وخـلـيـل ضـــمـــمـــتـــه فـــتـــأبـى ... وانـثـنـى نـافـراً كـظـبـي الـصــريـم

قـالَ نار (الخليل) في القلب شبت ... قلت أقبل فتلك نار (الكليم) (١)

وقال :

أرقـنـــي يـا حـــمــــام ذا الــكــمــد ... فـهـل وجـدت الهـوى كـمـا أجـد

بـت عـلـى الـغـصـن نـائـحًا غـردا ... وبـت أبـكـي الـذيـن قــد بـعـــدوا

وأعـــيـــنـــي مـــا تـزال واكـــفـــة ... وأضـلـعـي مـا تــزال تـتـقــد (٢)

إنـــا كـــلانـــا لـعـــاشـق دنــف ... طـار بـنـومـي ونـومـك الـسـهـــد

فـــتـح رويداً فـــمـــا ســوى كـبـدي ... تـذوب يـا بـاعـث الجـوى كـبـد

لـي مـهـجـة تـعـشـق الجـمـال وهـل ... يـلام فـي حـب روحــه الجـســد

عـــذبـهـــا بـالـــصـــدود ذو هـــيـف ... أغـيـد قـد زان جـيـده الجـيـد (٣)

تـعـــز فـي حـــسـنـه الـظـبـاء وقــد ... ذلـل فــي مـلـك حـسـنـه الأسـد

قـــفـــا عـــلـى داره فـــاســـألـــه ... أقـل مـن وعـده الـذي يـعــد

وغـــنـيّـــا إن رأيـــتـــمـــا طـلـــلا ... (أقـفـر بـعـد الأحـبـة الـبـلـد)

وقال :

عـزمـت عـلـى الـتـجـنـب أم تـدل ... وهـل لـسـواك فـي قـلـبـي مـحـل

أمـــا يـرضـــيـك مـني أن نـفـــسـي ... تـــذل ومـــثـــل نـفــســي لا تــذل

---

(١) التورية هنا فى الخليل والكليم فإن الخليل الصاحب وهو لقب سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وناره هي التي أوقدها النمرود وطرحه فيهـا فعادت بردًا وسلامًا والقصة مشهورة والكليم أي المكلـوم بمعنى المجروح من كلمه أي جـرحه وهو لقب أيضًا لسيـدنا موسى عليه الصلاة والسلام وناره هي التي آنسها من جانب الطور ووجد عليها الهدى

(٢) وكيف الدمع سال .

(٣) الجيد محركة طول الجيد .

وقد أحرقت قلبي ما تبالي ... وفيه إليك شوق ما يبل
فسل عينيك ما لهما استحلا ... دمي ودمي حرام لا يحل
لقد كذب العواذل يوم قالوا ... سلا أو سوف ينساه فيسلو
وما أنا والسلو ونحن قوم ... إذا بلغوا الهداية لم يضلوا
أرى أيام عمري فيك تطوى ... كأنك الشمس والأيام ظل

وقال يتلهف:

ألا أيها القلب لا تبأس ... وأيتها النفس لا تيأسي
أئن نفروا الظبي لم تأنسا ... لوحشة ليلي فلم آنس
وضاقت بي الأرض حتى كأني ... من الضيق أمسيت في محبس
دعاه يحجبه داجي الهموم ... فما تطلع الشمس في الحندس (١)
وإلا تعينا على سلوة ... فصبرًا على الأعين النعس
عهدتكما طاثري بانة ... وعودكما خضر مكتسي
فأيبسه حر هذا الهوى ... وماء الصبا فيه لم ييبس
وسامكما الشوق هذا الهوان ... وساءكما في النوى ما يسى
وإني ليحزنني بعد ذاك ... أن يذهب الحب بالأنفس
فيا آنس اللّه أهل الهوى ... ومن يخلقون بلا مؤنس
ترى الصب تحسبه ميتًا ... ضجيعًا على القبر لم يرمس
وحسب بني الشوق أن يعرفوا ... بدل رءوسهم النكس
لقد ضل بين الهوى والعيون ... رأي الفتى الحازم الأكيس
كما ضيع العقل أهل العقول ... بين المدامة والأكؤس
فيا كوكب الصبح أما بزغت ... تألق تاجًا على الأرؤس
ويا طلعة البدر أما سفرت ... كما تسفر الخود في المجلس
ويا غادة الروض أما جررت ... ذيول الحرائر والسندس

(١) الحندس بكسر الحاء والدال الظلام .

ويـا أذن الـريـح أمـا وعـيـت سـلام ذوي الـكـلـف الـبـؤس
ويا شـفـة الـورد أمـا لـثـمـت عـيـونًـا تـفـتـح فـي الـنـرجـس
ويـا لمـة الآس فـيـنـانـة كـلـمـة ذي الـصـيـد الأشـوس (١)
ويا قـضـب الـبـان مـيـاسـة تـرنـح كـالأهـيـف المحـتـسـي
خـذي لـلـمـحـجب عـني الـسلام وقـولـي نـسـيـت فـتـى مـا نـسي

وقال :

زعـمـوني نسـيـت والهـجـر ينسى وتـلاهـيـت بـعـد أيـام أنـسـى
سـائـلوا الـنـوم هـل رأتـه عـيـوني واسـألـوا عـن هواي مـالك نـفـسي
فـورب الـسـمـاء والأرض إني لأرى في مـصـارع الحـب رمـسـي
كـيـف أسـلو وقـد حـسـوت كـؤسي مـن خـدود مـن مـراشف لـعـس (٢)
كـلـمـا دارت الـشـفـاه بـكـأس دار خـداه لـي بـكـأس وكـأس
و أرى وجـهـه وقـد بـدت الـشـمـ ـس فـاغـدو مـا بين شـمـس وشمس
ومـتـى كـنـت نـاقـض الـعـهـد حـتـى أتـنـاسـى عـهـوده بـالـتـأسـي
إنمـا الحـب فـي الـكـرام حـبـيـس أنـزلوه مـن صـدرهـم خـيـر حـبـس
هـل تـرى جـب عـبـلـة مـات إلا يـوم مـات الـكـريم فـارس عـبـس
وإذا كـان بـين قـوم وداد لـم يخـنـه فـي الـقـوم غـيـر الأخـس
اكـفـني ذلـك الـصـدود فـإني لا أرى الـصـد غـيـر طـالع نـحـس
وارو مـن مـهـجـتـي عـلـيك غـلـيـلا سـعـرتـه في أضـلـعـي نـار يـأسـي
إنـنـي ذاكـر ودادك مـا عـشـ ـت وإن كـانـت الحـوادث تـنـسـي
لا أرى عـبـرتـيّ والـنوح والـسـهـ ـد ووجـدي سـوى فـرائض خـمـس
ولـقـد شـفـنـي الـعـواذل حـتـى خلـت عـمـري مـا بين يـومي وأمـسي

---

(١) اللمة بالكسر الشعر المجاوز شحمة الأذن والفينانة الحسنة الشعر الطويلة .

(٢) اللعس سواد مستحب في الشفة .

وقال :

سحر عينيك سال في تشبيبي فانتشى منه عطف كل أديب
وتمشي إلى القلوب كبشرى يوسف إذ مشت إلى يعقوب
يستميل المشوق نحوك هز الخمـ ـر عطف الطروب نحو الطروب
فاعجبي كيف شاء حسنك ما التيـ ـه إذا شاءه الهوى بعجيب
واخضبي بالقلوب لحظك إنا لا نحب الحسام غير خضيب
وتجني كما بدا لك فينا وبدا للدلال في تعذيبي
واتركيني تراقب النجم عيني ودعيني وما يشاء رقيبي
كل ما تكره النفوس من الضر حبيب إن مسها من حبيب
يا دعاة السهاد في كل ليل وعداة الكرى وأهل النحيب [1]
وذوي المدنفات والكبد الحر راعيها من كل صب كئيب
أطلعوها على القلوب عساها تستحي من فعالها بالقلوب
لا تضني يا ظبية أن تحيي عاشقًا هام في النقا والكثيب
من بعيد إذا اغتدى من بعيد وقريب إذا اغتدى من قريب
أنا أيوب من هواك فأين الصـ ـبر يسرو الهموم عن أيوب [2]
وفؤادي في راحتيك وخير أن يكون العليل عند الطبيب

وقال (وهو معنى غريب) :

قلت للغادة البخيلة لما رفضت رقعتي وخافت جوابي
ما لمر النسيم يجرح خديك ومر النسيم مثل عتابي
وللمس الحرير يوجع كفيك ولمس الحرير مثل كتابي

(١) السهاد السهر والنحيب البكاء .
(٢) سرا عنه الهم يسروه أزاله .

فرأيت العيون تنطق بالسحر   وقالت علي فصل الخطاب
عوذت منك قلبها بالتجني   ووقت منك كفها بالخضاب [(١)]

وقال مثله :

حجبوه عن عيني فباتت صبة   كيلا ترى في النوم طيف خياله
وبقيت يعذلني المنام بصده   ويسومني التبريح في إذلاله
يا رحمتا للصب فيما نابه   حتى كرى جفنيه من عذاله

وقال :

ما لك عند الحبيب عذر   وكل يوم نوى وهجر
إذا تناءيت لا يبالي   وإن تقربت لا يسر
يأبى عليه الدلال أن لا   يزال فيه عليك كبر
ليس سوى الحب من جنون   وليس غير العيون سحر [(٢)]
تشكو إلى البدر من جفاه   كلاهما لو علمت بدر
وترقب الفجر في الدياجي   وهل لليل المحب فجر
قد عرف الناس ما تعاني   وليس للعاشقين سر
فلا تطع من يلوم فيه   ولا يغرنك ما يغر

(١) المعنى أنه كتب إلى غادة كتاب عتاب فرفضت قبوله لئلا تتكلف الجواب فاحتج عليها بأنها تترك النسيم يجرح خديها بخطراته وأن عتابه لكالنسيم وأنها تلمس الحرير فيوجع كفيها وأن كتابه لكالحرير فأجابته عيناها من السحر الذي لا يفقهه إلا القلب بأنها خافت على قلبها من تأثير العتاب فيه فعوذته بالتجني الذي ألجأها إلى رفض الكتاب ووقت كفها منه بالخضاب كي لا تلمس يدها ذلك الكتاب (كأنها شافعية) والاحتجاج غريب والجواب أغرب منه وفي البيت من حسن التضمين ما فيه .

(٢) من عجيب ما يروى عن (سحر العيون) أن فتى رأى عينًا سوداء من كوة فافتتن بها وطال تردده على الكوة زمنًا حتى ضني فشكا لبعض أصدقائه فقال تلك دار بعض أقاربي ولا عهد لي بمثل تلك العين فيها ثم دخل الدار فلم ير كما وصف إلا عين (شاة) مربوطة عند الكوة فعاد متعجبًا وأخبره فلم يصدقه صاحبنا وقضى غرامًا .

ولا تكن للوشاة عبداً ... فليس بين الوشاة حر
واصبر على اللغو صبر قوم ... مروا كراماً غداة مروا [1]
وهون الخطب كم عسير ... أعقبه في الأمور يسر
ماذا على الدهر إن تمادى ... وكل يوم عليك دهر
وكيف ترضاه وهو حلو ... وتجزع اليوم وهو مر
لا ترج من أغيد وفاءً ... شيمة أهل الجمال غدر
واصبر لها ما دهاك خطب ... إن دواء الهموم صبر
تفنى الليالي وليس يبقى ... ما ينفع المرء أو يضر
يا من تعذبت في هواه ... أما لصبري الطويل أجر
بي حسرات عليك ما إن ... يقوى على مسهن صدر
نسيتني والزمان بؤس ... وكنت لي والزمان نضر
إذا رضينا فما علينا ... أن ليس يرضى زيد وعمرو

وقال:

يا صاح من للقلب من نائم ... كل محب فيه سهران
هجرت نومي وهو لي هاجر ... فكل عمري فيه هجران
لو سلطوا عينيه في عسكر ... لم يبق في العسكر إنسان

وقال (من أول قوله):

أبصرته تحت ظلام الدجى ... تضيء في خديه لي جمرتان
فقلت في الخدين نار الحشا ... فقال لكن فيهما جنتان

وقال:

حكمه الله في القلوب فما ... ترحمنا عينه من الحور

(١) المعنى من قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٢] واللغو السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره.

ومـــا أرى قـــلـبـــه لـــنـــا كـــأنمـا قـلـبـــه من الحـــجـــر
يا فـاتـن الـناس حـسـن صـورتـه مـا تـتـقـي الـلَّـه خـالـق الـصـور

وقال :

أطـاب لـذلـك الـرشـإ الجـفـاء فـلـذ لأعـيـنـي فـيـه الـبـكـاء
رشـا ذلـت لـه الأسـد الـضـواري وعـزت فـي مـلاحـتـه الـظـبـاء
تـعـلـم كـيـف تـنـبـعـث المنـايا وكـيـف تـراق فـي الحب الـدمـاء
وعـلـم نـاظـريـه الـفـتـك حـتـى كـأن عـلـيـهـمـا وقـف الـقـضـاء
تـلـقـتـه الـصـبـا سـحـراً فـمـرت وفـيـهـا لـلـمـحـبـين الـشـفـاء
لـه مـنـي الـتـدلـل والـرضـاء ولـي مـنـه الـتـذلـل والإبـاء
فـمـا ألـقـاه إلا فـي الأمـانـي وهـل يـشـفـي الجـوى هـذا الـلـقـاء
إذا مـا شـاء رد عـلـي نـومـي ولـكـنـي أراه لا يـشـاء
لـعـمـري ليس فـي الـدنـيـا مـلـيـح يـكـون سـجـيـة فـيـه الـوفـاء
ولـو مـثـل الجـمـال لـكـان نـفـسًـا خـلائـقـهـا الخـيـانـة والـريـاء
عـفـت تـلـك المرابـع والمغـانـي ومـا عـفـت المـودة والإخـاء
وأصـبـحـت الـلـيـالـي حـاسـرات كـمـا لـطـمـت عـوارضـهـا الـنـسـاء
وفـي قـلـبـي مـن الـهـجـران سـقـم وفـي كـبـدي مـن الأشـواق داء
ولـيـل بـت أقـضـيـه بـكـاء ومـا لـلـيـل بـعـدهـم انـقـضـاء
تمـر بـه الـفـجـائـع مـسـرعـات وأنجـمـه كـآمـالـي بـطـاء
لـو أن عـلـى الكـواكـب مـا بـنـفـسـي لألـقـتـهـا إلـى الأرض الـسـمـاء
هـمـوم تـشـفـق الأطـواد مـنـهـا وأحـزان يـضـيـق بهـا الـفـضـاء
كـأنـي مـا لـبـسـت الـصـبـح تاجـا تـألـق فـوق مـفـرقـه ذكـاء

ولم أنض الكؤوس محجلات تخف بها إلى الهم الطلاء
بروض تصدح الآمال فيه ويرقص بين أيدينا الهناء
وقد هب النسيم على فؤادي كنضو اليأس هب له الرجاء
كأن من المجرة فيه نهراً تحوم عليه أفئدة ظماء
وقد أنس الحبيب ومر يلهو كما تلهو بمسرحها الظباء
وضرجت المدامة وجنتيه فكاد الورد يفضحه الحياء
ومال فراح يرقص كل غصن وللأغصان بالقد اقتداء
زمان كان مثل الصبح راحت به الدنيا وأعقبه المساء
كذاك الدهر حال بعد حال لأهليه التنعم والشقاء
إذا سرتك أيام أساءت فليتك لا تسر ولا تساء
وإن لم يبق في الدنيا حبيب فأولها وآخرها سواء

وقال (وهي في أول القول) :

إذا ما بكيت فنح يا حمام وطارح أخاك شجون الغرام
ويا نفحات الصباح احملي بجيب الصبا نفحات السلام
ومري بتلك الديار التي بكيت عليها بكاء الغمام
فكم زمن هام فيها الفؤاد بين الفتاة وبين الغلام
بكيت لصحبي فأبكيتهم وكم مستهام بكى مستهام
وذو الشوق يرثى لإخوانه كذى السقم يرحم أهل السقاء
ألا فرعى اللّه ذاك الأنيس وإن كان روعنا بالخصام
هو البدر لكنه ظالم وذلك يكشف عنا الظلام
وقال صحابي خذ في المنى فقلت أراه ولو في المنام

ومن لي بذاك الرضاب الذي أرى كل خمر سواه حرام
لقد هجر الحب كل القلوب ولكنه في ضلوعي أقام

وقال :

أما آن لهذا المعر ض الغضبان أن يرضى
رمت عيني الفؤاد به فبعضي قاتل بعضا
وقد آلهه الحب فأدينا له الفرضا [1]
وما أصبح مثل الشمس حتى فتن الأرضا
فإن يقضي عليَّ به فقد قدر أن يقضي
ولست إذا الطبيب جنى أرى الذنب على المرضى

وقال :

لم يأل صبراً عنك حين هجرته لو كان ينفع صبره لسلاكا
تطوى الليالي في هواك حياته وأراه ينساها ولا ينساكا
رحماك يا من قد أطال بليتي يا من أطال بليتي رحماكا
أعلي هذا الهجر طال عذابه وعلى الذي يهواك صال هواكا
فلقد عرفت بك الشقا بعد الهنا لما غضبت علي بعد رضاكا
نهنه دموعك يا حزين فإنها دول سيضحكك الذي أبكاكا [2]

وقال :

قولوا لهذا الرشأ الهاجر أن دموعي جرحت ناظري
أبيت لا بدر الدجى مسعدي ولا أخوه في الكرى زائري

---

(١) آلهه جعله إلها ومن كلام ابن عباس رضي الله عنهما الهوى إله معبود .
(٢) دول أي حالات فيوم لك ويوم عليك ونهنه الدمع حبسه وكفه .

والليل في خطوة أقدامه   أبطأ من تأميلي العاثر
وطائر البان على أيكه   مكتحل من نومي الطائر
وبي هوى قام على مهجتي   ينفذ أمر الملك الجائر
أطيعه في قتل نفسي وما   علي إلا طاعة الآمر
من لم يكن مثلي فلا يدعي   حب ذات النظر الفاتر
أنا الذي أرسل ذكر الهوى   في الناس مثل المثل السائر
من معشر نالوا العلى كابرًا   تعزى له العلياء عن كابر
حلوا ذرى الفخر وما غيرهم   يسمو إلى الذروة من فاخر
فقل لهذي الأرض تزهى بنا   زهو السما بالفلك الدائر
أنَّا ليوث شهدوا أنها   أشبال ذاك الأسد الكاسر
المفزع الدنيا بسمر القنا   والضارب الآفاق بالباتر
والمحكم العدل كما شاءه   من بات يخشى بطشة القاهر
ما عابني إن قيل ذو صبوة   أو قيل (مجنون) بني عامر
والحب أهدى لفؤاد الفتى   من حاجة النفس إلى الخاطر
يحار عقل المرء فيه فهل   من حيلة في عقلي الحائر
وبي مليح الدل ذو طلعة   تكمد وجه القمر الباهر
أوحت إلي المعجزات التي   ليس لها غيري من شاعر
لو مرَّ بالظبيات لاستأنست   وجدًا بمثل الرشأ النافر
ولو رأته الأسد في غابها   رأت مذل الأسد الخادر
براه من صوره فتنة   مهفهفا كالغصن الناضر

يسومني الصبر وهل عاشق ... من لم تمته لوعة الصابر
راح بنومي واصطباري معًا ... يتيه تيه الملك الظافر
وما اتقى اللَّه ولا يتقي ... في مدمعي الملتطم الزاخر
يا مرهف الأعطاف ماذا الذي ... ترهفه من لحظك الساحر
سلبتني النوم وضيعته ... فرد بعض النوم للساهر
كم عادل فيك وكم عاذر ... وما على العاذل والعاذر
إني امرؤ في نفسه عزة ... تجله عن شيمة الغادر
إن قتلتني صبوتي فالهوى ... أوله يقتل في الآخر

وقال :

خلق اللَّه الجمال حكمة ... تذكر الناس نعيم الآخرة
كل عين سهرت فيه ولم ... تك من قبل الهوى (بالساهرة) [1]
ليس ما يروى عن السحر سوى ... ما نراه في العيون الساحرة

ومن أول قوله :

زارت وقد طافت بناسنة ... فطفقت أسمعها من العتب
وكأنما أشفي جوى بجوى ... وأتوب من ذنب إلى ذنب
فبدا لها فتدللت ونأت ... تدعو على الأحباب والحب
فنهضت مضطربًا أرى فإذا ... بيديَّ من أسفي على قلبي

وقال :

بنفسي من تشفي أناملها الجوى ... فلو قبل المضنى يديها لما اشتكى

---

(١) الساهرة من أسماء جهنم قال تعالى : ﴿ فإذا هم بالساهرة ﴾ [النازعات: ١٤] وهي أيضًا اسم فاعل من سهرت ففيها التورية .

ولو أن قلبي كان في القبر ساكنًا ومرت عليه كفها لتحركا [1]

وقال وهي في أول القول :

صدت فكان سلامها نزرا وغدت تضن بذلك النزر [2]
ومضت ليال كنت أحسبها قبل التفرق آخر العمر
أيام نحن وعيشنا رغد يجري الزمان بنا ولا ندري
من عاشق يشكو لعاشقة بث الأسير أخاه في الأسر
وتميس في أثوابها الحمر كالغصن في أثوابه الخضر
وكأن ليلة إذ تقابلني بعد التمنع ليلة القدر
كانت سلامًا لا نحاذر في ما كان إلا مطلع الفجر
وأرى الندى في الورد منحدرًا كالدمع فوق خدودها يجري
كل امرئ لاق منيته والحب جالبها على الحر

ومن أول قوله أيضًا :

سلي بعدك الواشين هل ذاع لي سر وإن كان أضناني بتبريحه الهجر
على أنني كاتمت صدري ما به وفي كبدي ما ليس يعلمه الصدر
حفظتك لا أني أرجي من الهوى وفاءً ولكن ليس من شيمي الغدر
إذا هجعت عيناك جافاني الكرى وباتت تناجيني الخواطر والفكر
أقاتلتي ظلمًا لي الصبر والرضا وإن كان قلبي ليس يحلو له الصبر

(١) ليس في تحرك قلب الميت إذا مرت عليه يد الحبيبة غرابة ولا هذا مستحيل فقد ظهر أن طبيبًا من أطباء (بطرسبرج) صنع جهازًا يعيد به الحياة إلى القلب بعد الموت وجربه في غلام بعد موته بأربع وعشرين ساعة فجعل قلبه ينبض نبضًا منتظما وبقى كذلك ساعة والطبيب لا يزال واثقًا بالنجاح طامعًا فيه . وما يمنع أن نقوم كف الحبيب مقام جهاز الطبيب ؟ .

(٢) النزر القليل.

إذا كـان ذنبي أنني لك عاشق ... فمنك إليك العذر لو يشفع العذر
لك النهي ألا عن هواك والهوى ... بلحظك في ألبابنا النهي والأمر
وقد ذقت من حلو الزمان ومره ... فلا الحلو أنساني هواك ولا المر
ويرحم اللَّه الليالي التي مضت ... ليالي كنا والزمان بنا نضر
وكانت حمامات اللواحظ بيننا ... تروح وتغدو والقلوب لها وكر
ألا رب ليل أسفرت تحت جنحه ... فما شك أهل الحي إن طلع البدر
وقالت عذيري منك أمسيت غادرًا ... فقلت معاذ اللَّه أن يغدر الحر
فقالت فما للفجرتشكو له الهوى ... فقلت وهل ليل المحب له فجر
فقالت نسيت العهد قلت وهل سوى ... غرامك خصمي يوم يجمعنا الحشر
فقامت على كبر تقول قتلته ... كأن لم تكن تدري ولا عندها خبر
ومثلي فتى الدنيا الذي إن مشوا به ... إلى القبر لا يطوي مآثره القبر

وقال:

أراك تنظر للغزلان شاردة ... ولا يرد شبا عينيك عينان
ما دمت تهوى حبيبًا فالفؤاد له ... وليس ينزل في قلب حبيبان

وقال:

نزع القلب بي فسرت رويدًا ... فإذا من أحبه في طريقي
يتجنى كأن (قاضي الجنايا ... ت) نصير لقده الممشوق (1)
ورآني بذلة العاشق الصب ... فصدته عزة المعشوق

(1) لا يمكن أن يكون هذا القاضي مصريًا ولعله فرنسوي فإن الذي يدفعه حبه في فرنسا إلى ارتكاب جناية يعذره القضاة لأنه مدفوع بباعث الحب وهو شيء اضطراري كالقضاء والقدر . ومن نوادرهم أن شابًا ولع بفتاة واشتد كلفه بها على تمنعها فرصد لها مرة في طريقها وقبلها بالرغم عنها فرافعته إلى المحكمة لأنه أهان شرفها ودافع عنه محام درب فكانت النتيجة أن المحكمة ألزمتها بأن تأخذ ثمن القبلة أو تقبله بدلها عشرا . . . فانصرفت الفتاة وعلى وجهها وردتان من غير الورد المقطوف .

وقال :

أنت غرست الحب في أضلعي | فكيف لا أسقيه من أدمعي
لو شئت يا حلو اللمى لم تبت | غلة هذا القلب لم تنفع
ولم أبت ليلة جافيتني | من مضجع جاف إلى مضجع
إذا دعاني السهد لبيته | وإن دعوت النوم لم يسمع
أسأل ليلي ما له لم يغب | وما لنجم الصبح لم يطلع
وأحسب الطير إذا رجعت | حنت لمن أهوى فناحت معي
ذو هيف يقنعني طيفه | وهو بغير الروح لم يقنع
لم ألق ممن نظروا وجهه | إلا فتى يعشق أو يدعى
يا هاجراً أسقمني طرف | كل دواء فيّ لم ينجع
كم حرقة قد ضاق صدري بها | ولوعة كاتمتها أضلعي
وحسرة في النفس ما غادرت | قبلي الفتى العذري حتى نعى
أخلفها بعدي لأهل الهوى | من موجع القلب إلى موجع
تستنزل المالك عن عرشه | بين يدي عرش الهوى الأرفع
وتبعث الروعة يوم الوغى | إلى فؤاد البطل الأروع
فابعث لقلبي منك تسليمة | أبثها في ذلك الموضع
تسترجع النوم إلى أعيني | فقد مضى النوم ولم يرجع
كم أمر الحب وكم قد نهى | فبت باكي العين لم أهجع
ومن يكن قائده حبه | يقده بالرغم إلى المصرع

وقال :

أمن الظبا ذاك الغرير المعجب | يلهو بحبات القلوب ويلعب
قد كنت أحسبني رأيت نظيره | حتى بدا فرأيت ما لا أحسب

قمر كأن الشمس فوق جبينه أضحت لو أن الشمس ليست تغرب (١)
وكأن طرته طليعة ليلة حلكت فاشرق في دجاها كوكب
جمع المحاسن فهي تنسى إن يغب وإذا بدا فله المحاسن تنسب
وعلقته كالظبي أحور يرتجى وعشقته كالليث أزور يرهب
يرنو فتنزع القلوب لحاظه وتكاد أنفسنا عليه تذهب
وإذا مشى الخيلاء في عشاقه خلت المليك مشى وقام الموكب
وبثغره ظلم يحرم رشفه ظلمًا عهدي أن يحل الطيب (٢)
ولقد تحكم في النفوس فبعضها أودى العذاب وبعضها يتعذب
وعجبت أن الحب يقتل أهله ولأن أكون به قتيلا أعجب

وقال :

أما كفاك الفراق غدرا وبعد هذي الديار هجرا
أسائل البدر عنك حينا وأسأل الشمس عنك طورا
وكلما غردت حمام في الأيك طار الفؤاد طيرا
قضى علينا الغرام أنا نتخذ الليل فيه سترا
فمن عيون تبيت عبرى ومن عيون تبيت سكرى
وكل يوم يخلف يومًا أراه دهرًا يعقب دهرا
يا أحسن الفاتنين قدا وأرفع المالكين قدرا
فتنت مصرا فهل تولى يوسف يا ذا الدلال مصرا
لو عبد الشمس فيك قوم لكان هذا الجمال عذرا
ما إن حسبت الزمان يومًا يترك نفسي عليك حسرى

---

(١) أضحت أي صارت في الضحى والشمس أحسن ما تكون حينئذ .
(٢) الظلم بالفتح ماء الأسنان .

إذ تـنـثـنـي جـوى وحـسـنـا		وإذ تجـنـي هـوى وكـبـرا
نـقـتـسم الـعـيش لا نـبـالي		أكـان حـلـواً أم كـان مـرا
وقـد تـركـنا زيـدا وعـمـرا		يـضـرب زيـد هـنـاك عـمـرا
فـي كـل لـيـل أطـرح عـمـرا		واكـتـسى في الـنـهـار عـمـرا
وقـد أبـانـت لـنـا الـلـيـالـي		أن لـهـذي الحـيـاة سـرا
بـيـنـا يـكـون الزمـان عـسـرا		إذا تـراه اسـتـحـال يـسـرا

وقال:

طـالـت عـلـيَّ لـيـلـتـي		ولـيـلـكـم فـي قـصـر
مـن نـام مـلء الـعـين لا		يـعـرف أهـل الـسـهـر
فـسـائـلـوا ريـح الـصـبـا		تـنـبـيـكـم عـن خـبـري
يـا قـمـر الآفـاق هـل		سـرقـت حـسـن قـمـري
فـأنـت مـثـل وجـهـهـا		والـلـيـل مـثـل الـشـعـر
ذات جـفـون قـتـلـت		بـصـارم مـنـكـسـر
تـلـين فـي حـديـثـهـا		وقـلـبـهـا كـالحـجـر
وانـعـقـد الـشـديـان فـي		قـومـهـا كـالـثـمـر
لـهـفـي عـلـى دهـر مـضـى		مـع الـلـيـالـي الـغـرر
مـرّ بـهـا فـلـم تـكـن		(إلا كـلـمـح الـبـصـر) (١)
أمـاتـنـي هـذا الـهـوى		قـبـل انـقـضـاء الـعـمـر
أوقـعـنـي فـي خـطـر		مـن مـنـقـذي مـن خـطـري
لا تـعـذلـونـي إنـه		ذنـب الـقـضـاء والـقـدر

(١) اقتباس من قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ ﴾ [النحل: ٧٧].

وقال :

هجروك بعد صبابة وغرام ... وأراك لا تنسى هوى الآرام
أتبعتهم نفسًا عليك عزيزة ... وطويت جنبيها على الآلام
كم تحت جنح الليل مثلك مدنفًا ... أنسى الليالي عروة بن حزام (١)
يجري مع الأوهام حتى إنه ... لتكاد تحسبه من الأوهام
يا قلب كم لك في الهوى من صبوة ... ضربت بك الأمثال في الأقوام
عدوا عليَّ مآثمًا لم أجنها ... والحب يا قلبي من الآثام
فدع الهوى يجري كما شاء الهوى ... إن الحسان كثيرة اللوام
كم بت أحلم بالمنام وما أرى ... تجدي عليّ لذاذة الأحلام
فادرأ هموم العيش بالكأس التي ... تحكي عجائزها عن الأقوام
صهباء إن مست فؤادي مرة ... غسلت بجنبي كل جرح دامي
سموا أباها الكرم حين تبذلت ... في فتية شم الأنوف كرام
وتراوحوا كاساتها فكأنما ... عادت بها الأرواح للأجسام (٢)
يا رحمة العشاق من أحبابهم ... ناموا وباتوا الليل غير نيام
حتى إذا انطفأت مصابيح الدجى ... وأضاء فود الليل بعد ظلام
خبأوا الهوى بين القلوب وأصبحوا ... وتوارت الأزهار في الأكمام

وقال :

خل القلوب لما بها ... تصبو إلى أحبابها
من أرضهم خلقت فنا ... زعها الهوى لترابها
كم قطعت ذات الحجا ... ب قلوبنا بحجابها

(١) هو أحد عشاق العرب المشاهير واسم صاحبته عفراء .
(٢) تراوحوا الكاسات بمعنى توالوا عليها أو دارت في يد كل منهم .

هيـفـاء إن خطرت فـغـصـ ـن البـان في أثوابـهـا
وإذا أمـطـت نـقـابـهـا فـالشـمـس تحت نـقـابهـا
والسـحـر في تلـك الـعيـو ن يـلـوح مـن أهـدابـهـا
والـورد فـي وجـنـاتـهـا يـنـدى بماء شـبـابـهـا
جـمـعـت فنون الـتيـه والإد لال فـي إعـجـابـهـا
فـإذا رأت سـرب المـهـى تـاهـت عـلـى أتـرابـهـا
وإذا رأت أهـل الـهـوى عـزت عـلـى طـلابـهـا
وإذا رنـت غـدت الـقـلـو ب تـفـر مـن أصـحـابـهـا
سـكـرى الـقـوام كـأنمـا ثـمـلـت بـخـمـر رضـابهـا
عـاتـبـتـهـا يـوم الـنوى وحـمـلـت إثم عـتـابـهـا
فـمـشـت وأوقـفـني الـهـوى أبـكـيـه بـعـد ذهـابـهـا

وقال:

سعوا بيننا حتى لقد كنت راضيا فأصبحت من قولي أحبك تغضب
ولـم أجن ذنبًـا غيـر أني ذو هـوى وأنـك لـي دون الأنـام مـحـبـب
وقـالـوا ستنسى إن تـبـاعد بيننا فـيـا لـيت داري من ديـارك تـقـرب
ويا ويـلتا إن بت أستعطف الهوى وبت على حكم الـهوى تـتجنب
فـلا تمكـن الـواشين من ذات بيننا فـليس لهم غيـر التفرق مطلب
وإنك لو أبصرت ما بين أضلعي لأبصرت قلبي في لظى يتقلب

وقال:

يـا طـلـعـة البـدر الـتـمـام وقـامـة الـغـصـن الـرطـيـب
مـا شـئـت أنـي فـي الـهـوى لا بـالمـلـول ولا الـغـضـوب
لـيـت الـذي بـك حـين تـنـ ـأى مـعـرضًـا مـثـل الـذي بـي

كـم بت بـعـدك لـيـلـة ... أدعـو بـهـا لـلـمـسـتـجـيـب
وشكـوت هـجـرك لـلـصـبـا ... شكـوى الـغـريـب إلى الـغـريـب
أمـسـت لـيـالـي ذا الجـفـا ... مـثـل الـهـمـوم عـلـى الـقـلـوب
سـوداء فـي لـون الـشـبـا ... ب وهـم أيـام المـشـيـب

وقال:

قـلـت صـلـنـي فـإنـنـي لـك بـاق ... ولـو أن الـكـثـيـر لـيـس بـبـاق
قـال مـن كـان فـي الجـمـال وحـيـدًا ... لا يـبـالـي بـكـثـرة الـعـشـاق

وقال:

يـا كـحـيـل الـعـيـون غـض قـلـيـلا ... أوشـك الـعـاشـقـون أن يـعـبـدوكـا
كـل مـا فـيـك بـيـنـهـم مـعـجـزات ... ومـن المـعـجـزات أن وحـدوكـا
فـارقـب الـلَّـه فـي الـنـفـوس إذا الـنـا ... س غـدا عـن نـفـوسـهـم سـألـوكـا
مـا حـسـبـت الـقـلـوب تـسـفـك حـتـى ... صـار قـلـبـي مـن لحـظـة مـسـفـوكـا

وقال:

أراك نـسـيـت يـا ظـبـي الـصـريـم ... لـيـالـي ذلـك الأنـس الـقـديـم
ولـج بـك الجـفـاء فـمـا تـبـالـي ... بمـا ألـقـى مـن الـوجـد الألـيـم
وطـال عـلـي هـم الـهـجـر حـتـى ... لـقـد سـئـمـت مـلازمـتـي هـمـومـي
وكـنـت أرى لـهـذا الـدهـر حـلـمـا ... ولـكـن ضـاق بـي صـدر الحـلـيـم
وعـهـدي بـالـهـوى مـلـكـا رحـيـمـا ... فـأيـن تـعـطـف المـلـك الـرحـيـم
لـيـالـي والـصـبـا غـصـن رطـيـب ... يـكـاد يمـج مـن مـاء الـنـعـيـم
فـكـم مـن لـيـلـة بـتـنـا نـشـاوى ... كـمـا شـاءت لـنـا بـنـت الـكـروم
وقـد أوحـت إلـي بـكـل مـعـنـى ... أخـف عـلـيـك مـن مـر الـنـسـيـم
فـمـن غـزل كـأن الـسـحـر فـيـه ... ومـن عـتـب كـعـافـيـة الـسـقـيـم

ولا غي سوى غي التصابي | ولا عبث سوى عبث النديم
وبتنا والكؤوس مصففات | تباهي الجيد بالعقد النظيم
إذا رحنا لها تحنو علينا | حنو المرضعات على الفطيم (١)
وتخدعنا مدامتها فنغضى | كما يغضى الحميم عن الحميم
جلوناها وعين الفجر توحي | لواحظها إلى الليل البهيم
وكان الروض مطلول الحواشي | وذاك النهر مصقول الأديم
تعرض للنجوم على جفاها | فزارته خيالات النجوم
ويوم قد قطعناه حديثًا | ألذ من الأماني للعديم
على إفك العواذل واللواحى | وظنة كل أفاك أثيم (٢)
يلاحظني وألحظه كلانا | كما نظر اليتيم إلى اليتيم
وما أنسى مواعده وقولي | عسى يوم أهنأ بالعقيم (٣)
ولا أنسى بكائي يوم غنى | (إذا غضبت عليك بنو تميم) (٤)
فيا ريحان كل فتى شجي | حبيب أو خليل أو كليم
ويا ملك القلوب وقد أراه | علا منها على العرش العظيم
لقد عذبتني بالهجر ظلما | فهل لي من يعين على الظلوم
وما أبقيت يوم صددت روحي | فما تبغي من الجسد الرميم
أحاط بك الوشاة وكنت تدري | غواية كل شيطان رجيم
فما لك حلت عن عهد التصابي | وما عهد التصابي بالذميم

(١) تضمين من قول القائل واختلف فيمن هو (نزلنا رحة فحفا علينا صفو إلخ) .
(٢) الإفك الكذب والظنة بالكسر التهم.
(٣) العقيم التي لا بلد ولكون مواعيده لا تنجز شبهها بالعقيم والتهنئة بها أى بولادتها وهي بعيدة .
(٤) صدر بيت لجرير وتمامه (حسبت الناس كلهم غضابا) وهو تضمين بديع .

تــبــارك مـن أعـــد لـكـل صـب   عـــذولا مـن لـئـيـم أو كـــريـم

وقـال:

مــرض الــعــيــون الحــور طبــه   وســلام ذي الأجــفــان حــربــه
وبــه رشـــا أحــــوى أغـــ   ــن كــمـــا يــشــاء بــراه ربــه
لـم يـحـكـه الـغـيـد الحـســا   ن وهـل تحـاكـي الـبـدر شـهـبـه
يجــزي مــحــبــة مــن يـهـيـ   ـم بـــه الــصـــدود وذاك دأبــه
يــا قــلــب لـم يـعـذرك فـي   هــذا الـضـنـى والـذنـب ذنـبـه
مــن لــلــجــفــون بـأن تـنـا   م ومــا يـطـيـع الجـفـن هـدبـه
أتـرى ضـنـيـت عـلـى حـبـيـ   ـبك أم كـذا قـد صـار قـلـبـه
رشـــأ تــلاعــب بــالــنــهـي   لا يـســتـفـيـق الـدهـر لـعـبـه
مــا زال يـهـوى الـنـاس حـتـ   ـى مـا يـعـد الـيـوم صـحـبـه
والحـب أحـســن مـا يـكـو   ن إذا انـفـردت بمـن تحـبـه
فــاصــبــر عـلـى خـطـب الـزمـا   ن فــهــيــنــه يمـضـي وصـعـبـه

وقـال:

بــالــلّــه يـا بـدر الـسـمـا هـل درى   أخــوك أنـي فـي غــمـــار المــنــون
يـقـتـلـنـي الـشـوق وهـذي الـنـوى   وذلـك الـسـحـر وتـلـك الـعـيـون
أحــسـبـنـي كـسـرى لـتـيـهـى بـه   لـو لـم أكـن أبـطـنـت مـا يـعـبـدون (١)
ومــا أرى الــدنــيـا ســوى دولـتـي   ومـن فـنـون الحـب هـذا الجـنـون
يـا بــدر بـلـغـه سـلامـي وقـف   واشـرح لـه مـا أحـدث الـعـاذلـون
ســبــحــان مـن صـوره فـتـنـة   يـعـذب الـنـاس ولا يـغـضـبـون

وقـال:

أي ذنـب جـنـيـت حـتـى تجـنـى   إنـنـي كـدت بـعـده أن أجـنـا

(١) أبطنه جعله في باطنه وما يعبده الفرس هي النار قيل أنها بقيت ألف عام لا تخمد .

كل يوم أظل أسأل عنه   من أراه وليس يسأل عنا
ألف البخل لا يرد سلامي   وتناسى أيام كان وكنا
ورأى كتبه دوائي على البعـ   ـد من الشوق والجفاء فضنا
لا أرى طيفه ولا الدار تدنو   فأراه ولا الصبابة تفني
أيها الدائم التجني علينا   زادك اللّه في تجنيك جنا
ربما مرّ للمحب زمان   نال فيه المحب ما قد تمنى
قد رأى الناس في قيسًا وقسًا   وارتهم عيناك ليلى ولبنى
ورميت الدجى بساهرة الليـ   ـل تفيض الدموع وجداً وحزنا
فتحت جفنها فطار كراها   وبكته فليس تغمض جفنا
إن تعش يرجع المنام إليها   أو تمت بعدها ففي الحب متنا

وقال:

كم تجنيت يا مليح النفور   وأطلت الجفا على المهجور
لا ترعه فقد كفى ما يقاسي   من أنين ولوعة وزفير
يجد العمر في هواك قصيراً   وزمان الصدود غير قصير
من ليال تمر مر سنين   وشهور تمر مر دهور
قائمًا في دجاه يرتقب الفجـ   ـر ويرمي الدجى بدمع غزير
وتكاد النجوم تهوى إذا ما   بث شكواه للعليم القدير
يتلاعبن في المجرة كالحو   ر تراقصن في مياه غدير
خانه قلبه فبات جزوعا   وفؤاد المحب غير صبور
ولقد كان في هواك عزيزاً   يتأبى على الظباء الحور
ملك الحب والصبابة والشو   ق ورب الإيوان رب السرير (١)

(١) الإيوان هو إيوان كسرى المشهور وفي البيت وما بعده معنى فنون الحب التي تقدمت . . .

فوق كسرى وفوقه قيصر في المـ ـك وفوقه الرشيد والمنصور
فإذا شاء أنزل البدر قسرا وإذا شاء كان عند البدور
تتهاداه بالعيون ظباء ناقمات على الغزال الغرير
أسكنته الضمير حتى رأته يتهادى من كبره في الضمير
وتباكين حين سار غراما فمشى فوق لؤلؤ منثور
فتحفظ بمهجتي يا مليكا شب فيها هواه نار السعير
إن خطب الصدود منك وإن طا ل على عاشقيك غير عسير

ومن أول القول :

غصن إذا مال قمت من شغف أمجد اللّه كيف سواه
قالوا سبا مهجتي فقلت لهم ما في يد العبد ملك مولاه

وقال (في طريقة ابن زيدون) :

كفى صدوداً فما أبقى تجافينا منا ولا الدمع أبقى من مآقينا
تطير نفسي من ذكراك خافقة على ليال تخذنا ذكرها دينا
إذ الزمان طليق الوجه مبتسم في صفحتيه عذار من ليالينا
وإذ رياض التصابي منك زاهرة خضر الجوانب تسقيها أمانينا
كانت بها نسمات الغيث راقصة تهز من حبنا فيها رياحينا
لا يمدد الدهر بعد اليوم لي يده فما سوى الهم أمسى بين أيدينا
وأدمع في زمام الحب جارية ما كن لو لم يرضها الحب يجرينا
صيرن هذي الدرارى من عواذلنا ومطلع الشمس فيها من أعادينا
مر الزمان الذي كانت فجائعه تخطى وهذا زمان ليس يخطينا
وفرق الدهر شملا كان يجمعنا فما لذا الدهر مغرى بالمجينا
من مبلغ الفجر إذ قامت نوادبه أنا بجنح الدجى ينعاه ناعينا

كانت ليالي الهوى تفتر ضاحكة ... عنه فبتنا عليَّ اليوم يبكينا
وكان فيه جمال من نضارتنا ... وفي محياه صفو من تصافينا
أيام لم ندر أن البدر حاسدنا ... على الهوى وضياء البدر واشينا
تدور في كأسنا صرف مشعشعة ... من وردة الخد حينا واللمى حينا
والنجم في نشوة مما ينادمنا ... والحلي في طرب مما يغنينا
يا حاجة النفس لا تصغي لذي حسد ... فما لقينا من الأيام يكفينا
كأنها لم تصنا في جوانحها ... ولم تكن بسواد القلب تفدينا
ولم تبت ليلة كالروض حالية ... نجني بها من صنوف اللهو ماشينا
والبين ظمأن لم تحسب عواذلنا ... أن الدموع سترويه وتظمينا
وحادث الدهر واش لا تحاذره ... وما تلهى وكنا عنه لاهينا
فيا ليال ذكرناها واكبدنا ... مقطعات عليها في حوانينا
قد سال بعدك ما كنا نكفكفه ... وجاذبتنا النوى من كان يسلينا
لا في الأسى راحة مما نغالبه ... من البعاد ولا يغني بأسينا
إذا نسيم الصبا رقت جوانبه ... على متون الروابي راح يصبينا
تهيج رياه من ذكرى الديار هوى ... وربما ذكروا بالمسك دارينا (١)
ما فيه الاستحايا العاشقين إلى الغيـ ... ـد إلا وانس والعتبى أفانينا
وكم ينم بأنفاس تحملها ... فيها الحياة ولكن ليس يحيينا
سلي الظلام إذا شابت ذوائبه ... من هول ما بت ألقى في تناتينا
ألاحت الشمس تغرى الغاذلين بنا ... كليلة الطرف أم راحت تحيينا
لقد عدتنا عوادينا وكيف بنا ... إذا عدتنا عن اللقيا عوادينا
نبيت والهجر في الآفاق ينشرنا ... كأننا لم نبت والوصل يطوينا

(١) دارين بلد مشهور بالمسك .

قالت رأيتك مجنونًا فقلت لها لولا هواك لما كنا مجانينا
يا طلعة الشمس غابت بعدما طلعت وظبية القاع لم ترجع لوادينا
هل شاغلتك عواد ما تشاغلنا وبات يلهيك أنس ليس يلهينا
إن كان سهلا على اللّه تفرقنا فليس صعبًا عليه أن يلاقينا

وقال :

باللّه يا سحر العيون ما ترى قلبي غدا من عينها مسحورا
ذات محيا هو فينا جنة قد خلقت فيها العيون حورا
صيرني مذ حجبوها كالذي أخرج من جنته مدحورا [١]

وقال :

أأخشاه جفنا ما تسل قواضبه وحد حسامي ما تفل مضاربه
فأين يدي هاتيك والسيف في يدي وما لفؤادي أنكرته جوانبه
وما لي كان الكهرباء تمسني إذا لاح ذاك البدر أو نم حاجبه
أروني فؤادي كيف صدعه الأسى وكيف تولاه الهوى ومصائبه
إذا كان في قلبي لا يصاحب همتي فما هو لي قلب ولا أنا صاحبه
ركبت لحيني في (الترام) عشية أرى الفلك الدوار لاحت كواكبه
وأحسبه قلبًا يجاذبه الهوى فينقاد لا يدري بما هو جاذبه
فلاحت لعيني من زواياه غادة هي البدر لكن أطلعته مغاربه
تبسم أحيانًا وتعبس تارة كما يخدع الواهي القوى من يحاربه
وقد كتبت فوق المحاجر آية يطالع فيها الحب من لا تخاطبة
فلما رآها القلب آمن واغتدى يكاتبها في أضلعي وتكاتبه [٢]

(١) المدحور المطرود ، والتلميح في البيت ظاهر .
(٢) لا شك في أن هذا الفرع من تلغراف بلا سلك .

فما أنا إلا والهوى يستفزني ... إلى حيث سلطان الهوى عز جانبه
فقمت قيام الليث فارق غيله ... وقد حطمت أنيابه ومخالبه
وسلمت تسليم البشاشة والهوى ... تدب على أطراف قلبي عقاربه
فأغضت حياء ثم عادت فسلمت ... ومن بعد كدر الماء تصفو مشاربه
فللَّه ما أحلى حديثًا سمعته ... كأني يتيم لاطفته أقاربه
هو الخمر لولا طعمها وخمارها ... هو السحر لولا ذمه ومعائبه
فقلت عرفت الحب واللَّه إنه ... مطالب قلب لا تحد مطالبه
فقالت بلى إن شئت زدتك إنه ... نوائب دهر لا تعد نوائبه
فكاشفتها ما بي غراما مبرحا ... يغالبني فيه النهي وأغالبه
وقلت أرى ذ القلب جن جنونه ... وإلا فماذا في ضلوعي يواثبه
فهزت قواما كالرديني مشرعا ... وحين أحسن الشعر ماجت كتائبه
وأعجبها ما قلته فتضاحكت ... كأني طفل في يديها تلاعبه
وقد كان صدري أطفأ اليأس نوره ... فأصبح مثل الليل طارت غياهبه
وقالت أخاف الناس فالناس في الهوى ... لئيم نداري أو عذول نراقبه
وعادت تروع القلب لم تدر أنني ... شديد مناط القلب صلب ترائبه
ولما رأتني هائمًا غير هائب ... سواها وقدمًا ضيع الصيد هائبه
تولت وقالت تلك عاقبة الهوى ... وبعد صدور الأمر تأتي عواقبه
فغادرت قلبي في (الترمواي) وحده ... ينادي ولكن من عساه يجاوبه
وعشت بلا قلب وعفت هوى الدمى ... ولا يردع الإنسان إلا تجاربه

الباب الخامس

في الأغراض والمقاطيع

وقال :

يتوسل بصاحب الشفاعة العظمى ﷺ وهي من أول قوله :

أبت عيناك إلا أن تصوبا ... وهذا القلب إلا أن يذوبا
فما لك تحذر الرقباء حتى ... هجرت النوم تحسبه رقيبا
وقام عليك ليلك في حداد ... يشق على مصائبك الجيوبا
ورب حمامة هبت فناحت ... تنازعني الصبابة والنحيبا
أساعدها وتسعدني نواحا ... كلانا يا حمامة قد أصيبا
دعي هم الحياة لذي فؤاد ... فما ترك الغرام لنا قلوبا
ولا تنسي أخاك وما يعاني ... إذا ما كان في الدنيا غريبا
فإن المرء ينسى إن تناءى ... وتذكره صحابته قريبا
رعاك اللّه هل مثلي محب ... وقد أمسى (محمد) لي حبيبا
شفيعي يوم لا يجدي شفيع ... وطبي يوم لا أجد الطبيبا
وغوثي حين يخذلني نصيري ... وغيثي إن غدا ربعي جديبا
وآمن في حماه ريب دهري ... وحادثه وإن أمسى غضوبا
وأذكره فيفرج كل خطب ... ولو كانت رؤاسيها خطوبا
رسول اللّه جئتك مستغيثًا ... وجودك ضامن أن لا أخيبا
متى تخضر أيامي وتزهو ... ويصبح عود آمالي رطيبا
فقد ضاقت بي الدنيا وهبت ... فجائعها على قلبي هبوبا

وما لي غير حبك من نصير   فعل من العناية لي نصيبا

وقال (في الشكوى) :

غير قلبي أراه يستطيع صبرا   وسوى علتي من الحب تبرى
أنا لم يبق بين جنبي إلا   كبد من لوعة الشوق حرا
فدعوا اللوم إنما هو لؤم   وقديما ولدت والعين عبرى
ما عليكم من الغرام إذا ما   كان حلو المذاق أو كان مرا
إن تكن تصغر المصائب فالنفـ   ـس ترى فيكم المصائب كبرى
كرجال الوباء في طلعة الطا   عون أيام زلزل الويل مصرا
سفهاء كمثل ما افتضح العر   ض لئام كالعسر لم يبق يسرا
والذي أثقل الرواسي أني   لأرى ظلكم على الأرض صخرا
لا يغرنّ من يلومني الصمـ   ـت فإني رأيت في الصمت أجرا
وإذا قال من كريم سفيه   فأقيموا له السفاهة عذرا
ليت هذا الزمان يرجع يوما   من زمان الصبا ويأخذ عمرا
يوم كان الفؤاد كالروضة الغنـ   ـاء تجنى يد الهوى منه زهرا
والليالي كالطير ناحت فخلنا   ها تغنى وهن يبكين قسرا
والأماني على الهوى حائمات   مثل سرب القطا إذا جئن نهرا
كم أرجي من الزمان أمورا   لم ينلني الزمان منهن أمرا
وإذا هم إن تنولني يمـ   ـني يديه همت بسلبي يسرى
أنا يا دهر لم أسئ لك يوما   فلماذا أساءني الهم دهرا
قد أراني مما تحمل صدري   لو أتاني السرور لم يلق صدرا
ولعمري لم أمش في الأرض إلا   قام بي أن تحت رجلي قبرا
يا نجوم السماء ما لك تزهيـ   ـن كلانا قد بات يعشق بدرا

إن تعيني على هموم الليالي فاحملي شطرها وأحمل شطرا
أجد الهم كلما نقصته ساعة بالرجاء زادته أخرى
وبنا حسرة ترج لها الأر ض فهل أنت في سمائك حسرى
ما على من هويت لو حمل البر ق سلاما واستودع الريح سرا
هو أدرى بما أحاول منه وأنا بالذي يحاول أدري
ألف الصد والتجافي غدرا وأذى الصب والتجني كبرا
من يحييه والنسيم إذا هب جفاني والصبح أطول هجرا
وصحابي إذا افتقرت إليهم زادني الأغنياء عني فقرا
خلق اللّه ذا الجمال متاعا غير أن الجميل بالتيه مغرى
وأرى الصد لذة وشقاء ومن النفع ما إذا زاد ضرا
فاحذري يا نجوم بدرك إني أجد الحسن صار في الناس غدرا

وقال أيضًا:

رأيت في الناس كل شيء تحار في كنهه العقول
جميلهم فعله قبيح وكم قبيح له جميل
ويصطفى المرء ألف خل ولا يفي منهم خليل
فلا تحاول لهم رضاءً إن رضاء الناس مستحيل

وقال:

نوب تغدو على نوب تقطع الأيام في طلبي
ليت شعري وهي معجلة أي ذنب لي سوى أدبي
أقبلي يا نائبات فما هذه الدنيا سوى تعب
واثبتي للعمر آونة فليالي العمر في هرب
عجبي والناس إن فطنوا وجدوا دهري أبا العجب

كم ليال قد لعبت بها ... وغدت من بعد تلعب بي
كعهود الغيد إن صدقت ... فقصاراها إلى الكذب
والذي يمضي على لعب ... سوف يلقى حسرة اللعب
يا زمان الهجر كيف لنا ... بزمان الرسل والكتب
وليال كالصبا سلفت ... إن يؤب عهد الصبا تؤب
كم قطعناها على كلف ... في رضا حلو وفي غضب
آه ليت العين ما نظرت ... ودموع العين لم تصب
إن هذا الحب غادرني ... ليس لي في العيش من أرب
كلما أفلت من كرب ... ساقني قلبي إلى كرب

وقال :

هجرتني الملاح من غير ذنب ... وأعانت علي دهري الملاح
قاتلات النفوس حرمها اللّه ... ولكن لأجلهن تباح
وتمادين في عذابي حتى ... ما لليلي من بعد ليلي صباح
يا فؤادي اصطبر فإن هي إلا ... غدوة بعدما يكون الرواح
كم أناس يصد عنهم أناس ... جمع الموت بينهم فاستراحوا

(وكتب في رسالة) :

أيا ضلوعا قلبها وامق ... ويا عيونًا طرفها رامق
من لفؤاد طاهر جره ... إلى الغرام النظر الفاسق

واستبطأ كتب بعض أصدقائه وكان قد وشى به عنده فكتب إليه:

علم اللّه أنني بك صب ... ولذكرى حماك ما عشت أصبو
يا حليف الوفا أما لي عذر ... يغفر الذنب إن يكن لي ذنب
قد سعوا بي إليك بالعيب فالعيـ ... ـب وما لي سوى المحبة عيب

وأرادوا أن يلزموا القلب صبراً ... لهم الويل هل لذي الحب قلب
اتخذت السحاب دارك في الجـ ... ـو فليست تجئنا منك كتب
أم فما أوجب القطيعة والبغـ ... ـضاء وقلبي كما عهدت محب
لو سألت النسيم عني لأمسى ... بزفيري على حماك يهب
أو أذنت السحاب أن تذكر الدمـ ... ـع لباتت من الدموع تصب
أو تعرضت للحمام بذكري ... طال منه على جفائك عتب
سقمي قاتلي وأنت طبيبي ... ما لسقمي سوى رضائك طب

وكتب إلى مخلف وعد :

يا مخلف الموعد كم ... تكذب فيما تنطق
اصدق ما وعدتني ... إنك لست تصدق

(وكتب إلى صديق) :

ما لي أراك مغاضبا ... من غير ذنب كان مني
فإذا كتبت إليك معتـ ... ـذرا أحلت على التجني
ما كان ظني يا أخي ... أن سوف يخطئ فيك ظني

(وكتب إلى من ظن به خيرا فلما بلاه إذا هو لا خير فيه) :

كنت أرجوك أن تعين على الهـ ... ـم إذا أنت للهموم معين
ثم أصبحت بالوداد جواداً ... وفتى الجود بالوداد ضنين
فإذا كنت قد ظننت غروراً ... إنما أنت جوهر مكنون
فبهذي الفعال والخلق السو ... ء تبينت أن أصلك طين

وقال :

يداعب صديقًا له يخبره بالأمر التافه ثم ينساه ويعود بعد أيام فيخبره به على وجه آخر وهكذا :

لي صاحب حديثه فضول ... تمجه الآذان والعقول
ولم يزل من دأبه الذهول ... فهو كمثل الظل إذ يجول
منبسطًا في حيثما يزول ... وهو إذا أصغى له الخليل
كالببغا تعيد ما تقول

وكان يومًا متكدرًا فلقيه بعض أصحابه فضحك إليه فسأله صديق آخر عن ذلك فقال :

لم ينكشف همي ولكنني ... أريهم ما عرفوني به
كذي هزال خانه جسمه ... فاستلفت الناس إلى ثوبه
وربما كان الفتى باسما ... وكان كل الهم في قلبه
ومن رأى ذلته صحبه ... فربما هان على صحبه

وقال :

الأصدقاء قليل ... والحر فيهم أقل
والناس كهل غني ... وذو شباب مقل
فلا ترى الشيخ بقوى ... ولا الفتى يستقل

وقال :

أصبحي يا هموم فينا وبيتي ... ما لهم على الرضا من ثبوت
قد بلونا الصدود حتى ألفنا ... ه كالف العييّ طول السكوت (١)
وغدونا مع الزمان كما شا ... ء وشاءت فواجع التشتيت

---

(١) العيي الذي لا ينطق من الحصر .

تترامى بنا رياح الرزايا كل يوم ترامي العنكبوت
لا رعى اللّه من يحب على الغد رأغنا أو ذات خلي صموت [1]
وحرام يا نفس أن أحفظ الود إذا ما أضاعه من هويت
لغير قلبي لغير من يحفظ القلب سواء أبيت ذا أو رضيت
فإذا ما الحبيب أعرض عني فاهجريه هجر الطلاق البتوت [2]
واطلبى جانب الفخار وأعلى ما بناه الجدود لي أو فموتي

وقال :

أرهف سيوفك يا دهـ ـر قد عرفت محزى [3]
فلست أرجو لذلي من كادني يوم عزى
وكم حبيب فقدنا فلم نجد من يعزى

وقال :

وأغيد قلنا له هاتها فقال ما هاتى ومعناها
كأنما ليس لنا أضلع على هواه قد طويناها
ولم تكن في خده وردة تزيد حسنًا إن قطفناها
قلنا له تلك إذن قبلة كل محب قد تمناها
فلم يزل يمنعنا خده ولم نزل حتى أخذناها

وقال :

(في مليحة تبيع الليمون المعروف باليوسف أفندي)

غانية كرونق الفرند لحاظها مثل سيوف الهند

(١) يوصف حجل المرأة الممتلئة وسوارها بأنهما صموتان قال النابغة :
على أن حجليها وإن قلت أوسعا صموتان من ملء وقلة منطق .
والأغن من كان ذا غنة في صوته .
(٢) الطلاق البتوت الذي لا رجعة فيه .
(٣) المحز مكان الحز من الذبيح .

وشعرها جند ولا كالجند تعلمت بطيء الخطى من فند (١)
وعندها صبابة وعندي لو صوروا بنان ذاك الزند
لصوروني فيه يسففندي

وقرأ إعلانا نشرته بعض غادات اليابان في إحدى جرائد بلادها تتصبى الشبان وتذكر صفة من تهواه منهم فقال بعض أصحابه ليس ما يمنعني إلا بعد الشقة وكان ذلك أيام محالفة إنكلترا لليابان فقال (٢) :

صبا للقصور وغزلانها وتلك الليالي وأشجانها
ليالي تجري جياد الهوى إلى الغانيات بفرسانها
وتبعثها خطرات القلوب لمرعى صباها برعيانها
فهل علمت حادثات الزمان إساءتها بعد إحسانها
رأينا ليالي أفراحها تجر ليالي أحزانها
وكم حاربتني عيون المهى وحاربت أعداء سلطانها
فردت سيوفي وتلك اللحاظ لإغمادها ولأجفانها

(١) الخطى جمع خطوة وفند هذا يضرب به المثل في الإبطاء وهو غلام كان لعائشة بنت سعد بعثته ليجيء بنار فخرج فلقي عيرا خارجا إلى مصر فخرج معهم فلما كان بعد سنة رجع فأخذ نارا ودخل على عائشة يعدو فسقط وقد قرب منها فقال (تعست العجلة) . . . .

(٢) اسم هذه الغادة « هوزويجوش » وهذا تعريب إعلانها نقلا عن جريدة المؤيد الغراء قالت «إنني امرأة قد بلغت الدرجات القصوى من الجمال . ولى شعور مسترسلة علي الكتفين وتشبه في تموجها السحاب في يوم صافي الأديم . ولي قد يزري »
« بغصن البان في قوامه وانعطافه . وحاجبان كالهلال إذا طلع من مطلعه فتطاولت »
« إليه الأعناق ، وعندي من المال الوفير ، والخير الكثير ، الكفاية لأن أعيش مع »
« من أحبه في اتصال دائم . وارتباط وثيق . نرقب الفجر في الليل ، ونسرح » .
« الأنظار في الأزهار . طول النهار فإذا وجد من بينكم معشر القراء شاب رقيق »
« الحواشي . زكي الفؤاد . متعلم جميل سليم الذوق . فإنني أكون سعيدة الحظ »
« إذا أتيح لي أن أدفن بجانبه في قبر من المرمر الوردي . اهـ »
والمحالفة المذكورة هي محالفة (٣٠ يناير سنة ١٩٠٢) المشهورة .

أبعد الوصال وبعد الوداد — تروع الغواني بهجرانها
وتطرح شأنك عن همها — وتصدق عنك إلى شأنها
فلا تستنم لنؤم الضحى — ولا ترج برة أيمانها (١)
ولا تغترر بالتي خلتها — تسر الغرام (بإعلانها)
تعلمت الود بعد النفور — من خاطبي ود (يابانها) (٢)
فدع غصن البان في أرضه — إذا ظللتهم بأغصانها
وجنب فؤادك نار الهوى — إذا ما حمتهم بنيرانها
فما العز في حجرات الكعاب — ولا في الرياض وريحانها
ولا في الشعور كموج السحاب — إذا ما تراخت على بانها
ولا في الحواجب مثل الهلال — ولا في العيون وأجفانها
ولا هو في طلعة النيرين — ولا في النجوم وكيوانها
ولا في جمال زهور الرياض — إذا اختلن في ثوب نيسانها (٣)
ورتل مما شجاه الحمام — أفانين شجو بأفنانها
وما السيف من غير أبطاله — وما العين من غير إنسانها
وهل ترتقي صادحات الطيور — من الجو مرقاة عقبانها
علاك أحق بهذي الليالي — من الغانيات بريعانها (٤)

وقال (في صغيرة تتعلم الكتابة في كتاب) :

كتبوها مثل الحواجب نونا — وأروها قوامها في الكتاب (٥)

(١) استنام إلى صاحبه سكن إليه ويصف العرب المرأة المترفهة بأنها نؤوم الضحى لأنها تظل نائمة حتى يضحى النهار وعندهم أن الكسل محمود في النساء .
(٢) كانت إنكلترا في عزلة فلما حالفت اليابان قيل أنها خرجت من عزلتها الفاخرة .
(٣) نيسان من الشهور الرومية وقد مرت .
(٤) ريعان الشيء أوله وريعان الليالي زمن الشباب .
(٥) أي مثل قوامها وهي الألف .

ثم مـا زالت المشـايخ حـتى   علـموهـا الـدلال فـي الـكـتـاب

وقال (في هيفاء تمشي على الحبل في تياترو) :

طلعت والظلام يحسده الصبـ   ـح فخلنا في الأرض شمس السماء
ورأت أكبد الورى في ثراها   فمشت من دلالها في الهواء

(ورأى راقصات فأعجبه ما رأى فقال بديها) :

يا شموسًا طلعت في الغلس   ما عليكن من المختلس [1]
درن في أفلاككن دورة   تكشف الريب عن الملتبس
وترفقن بصب مدنف   يتلظى قلبه كالقبس
ظنه عاذله ذا جنة   أذكرت من أمر قيس ما نسي
وإذا ظنوا الغرام هوسًا   فأنا رب الهوى والهوس
قد شجتني أنة العود فلم   يبق مني غير رجع النفس
أترى أيديهم تلمسه   أم ترى يعشق ذات (الملس)

ورأى إحداهن وقد تأودت حتى لم تر الأعين إلا سواد شعرها المترامي على أعطافها ثم لم يزل قدها بعد ذلك يتقوس حتى لاح للناظرين بدر وجهها فقال :

مالت دلالا فارتمى شعرها   كالليلة الظلماء أو شبهها
فلم نزل نرقب بدر الدجى   حتى تجلى البدر من وجهها

وقال يقص حادثة غرامية :

نفرت والظباء ذات نفار   وتجنت عليه ذات السوار
لم يكن يعرف الهوى فرآها   ورأى (زهرة الهوى) في الإزار [2]

(١) الغلس الظلام .

(٢) الزهرة إحدى الكواكب السبعة السيارة وكان القدماء يعتبرونها آلهة واختلفت خرافاتهم في أصلها . وحكى سيسرون في كتابه حقائق الآلهة أن أقدم زهرة هي بنت الفلك وآلهة النار وقال أنه يوجد هناك زهرة أخرى متولدة من زبد البحر ولدت من زوجها عطارد =

ورنت عينها إليه بأن لا ... تتبعنا فمر في الآثار
يتوارى عن العيون وإن لم ... يك عن كاتبيه بالمتواري
ويدور الهوى بلحظيه ما بيـ ... ـن يمين تخوفا ويسار
وهي تختال كالغصون إذ ما ... ل بهن النسيم في الأسحار
أو مهاة النقا إذا رأت القا ... نص لكنها بغير انذعار
يحسب الناس طيبها نفس الصبـ ... ـح على زهر روضة معطار
ويظنونها من الحور لولا الحو ... ر محجوبة عن الأبصار
ويخالون وجهها قمر الأفـ ... ـق على ما بأوجه الأقمار [1]
ويقولون فتنة قد براها اللـ ... ـه سبحانه فجل الباري
خطرت تخطف القلوب وقد سلـ ... ـت سيوفًا من لحظتها البتار
في دلال تجر مثل الطواويـ ... ـس على عجبهن فضل الإزار
والثرى كله قلوب ضعاف ... خشيت صولة الهوى الجبار
(والفتى يتبع الفتاة) وقد أمـ ... ـسى بما مس قلبه غير دار
ورأى قصرها فطار وطارت ... وادعى وادعت حقوق الجوار
وأتته بلوح في وجهها البشـ ... ـر وحيت تحية استبشار
ينثني خلفها من الخرد العيـ ... ـن رياحين طبن كالأزهار
هن ربات كل ذات جمال ... ولها وحدها خلقن جواري
فنشرن الكؤوس وانبعث اللهـ ... ـو وقامت قيامة الأوتار [2]

= ولدًا وزهرة ثالثة وهي بنت جوبيتر وقد ولدت من المريخ ولدًا ورابعة تزوجت أدونيس وقيل أن هناك زهرة خامسة علوية وهي آلهة المودة الصادقة وسادسه تسمى ونيوس وهي آلهة المحبة الشهوانية وسابعة تسمى « ألو سرفيون » ومعناه التى تصرف القلوب عن صدق المودة . ولكن المشهور عند الناس أن الزهرة آلهة الهوى .

(١) يرى في وجه القمر شيء كالكلف تفنن الشعراء في تعليله وقد اكتشفوا حديثًا إنه صورة وجهين متقابلين .

(٢) لا نرانا في حاجة إلى التنبيه على ما أودعه هذا البيت من البلاغة ولكنا نؤاخذ على =

وحكى صوتهن أصوات داو د فهبت سواجع الأطيار (١)
وتراخى الظلام فانفجر الصبح وسالت ذكاء سيل النضار
وبكى الغيد رحمة لفتاهن ولكن بمدمع غير جاري
ثم ودعنه فقام حزينا ينثني بين ذلة وانكسار
ولو أن الهوى يمس قلوب الأسـ ـد ذلت نفوس تلك الضواري
لا وذات السوار ما نقض العهد ولا خان لا وذات السوار
صان أسرارها وباحت بما في صدرها من ودائع الأسرار
وأصاخت إلى الوشاة فلجت في التجنى ولج في الاعتذار
واستعار الزمان أيام ذاك الأ نس والدهر لا يرد العواري
ونأت دارها فبات بلا قلب ولا مسعد سوى (التذكار)
وجفون المحب يوم تراه في ديار وقلبه في ديار

وقال في « شيخ هرم خطب فتاة ناعمة الصبا فأغلظت له في الرد » :

جاءها خاطبًا وبين يديه قام عزريل واعظا وخطيبا
وتصدى لها فصدت وقالت قبح الشيخ أن يكون حبيبا
قال هذا المشيب نور فقالت أوقدوا في السراج هذا المشيبا (٢)

= إغفال الإشارة البديعية التي في قوله (وانبعث اللهو) فكل ما كان لهواً وجاز أن يكون في ذلك المجلس تحتوي عليه هاتان الكلمتان .

(١) يقال أن داود عليه السلام كان إذا رتل المزامير في البرية هبت إليه الطير افتتانًا بصوته ولا يخفى حسن التعليل هنا .

(٢) ليس في الشيخ من الفضائل إلا أن مشيبه نور ووقار كما جاء في الأثر وأنه عصر دهره بعد أن عصره دهره فكان هذا الشيخ يدل عليها بفضائله وهذا عيب ثان فيه يدل على جهله ومما يناسب هذا أن شيخًا شاعرًا رأى فتية فأعجبته فخطبها فردته فبعث إليها ببيتين يقول فيهما أنه وإن كان شاب إلا أن عزمه لا يزال فتى وأنه مع ذلك لاديب فقالت له «لسنا نريدك لنوليك ديوان الزمام . . . . أي ديوان الحسابات

قال إني أبو العجائب قالت وعجيب أن لا تكون عجيبا
يا أبا الهول يا أخا الهرم الأكـ ـبر حسبي فقد كفاك عيوبا (1)
يا نذير الممات يا وجعة القلب متى كنت للقلوب طبيبا
أنت كالبدر غير أنك ممحو ق وكالشمس أوشكت أن تغيبا (2)
وجدير بمن يؤمل في المو ت حياة يحيى بها أن يخيبا

وقال (يذكر خطرة قلب ويصف خمول قومه) :

يشكو إلى ثغره من حر أنفاسي وما بنفسي إلا لوعة اليأس
وينظر القلب مجروحًا بناظره ولا يرق لقلبي قلبه القاسي
جرح الحسام له آس يطببه ولست ألقى لجرح اللحظ من آس (3)
فإن يك الحب أن أحيى بلا أمل فقد قطعت من الآمال أمراسي (4)
وإن يكن مثلي العشاق قد هجروا فأين ميل قلوب الناس للناس
وأين ذو كبد يرثي لذي كبد كأنما أنضجوها فوق أقباس (5)
إني لأنظر أجناسًا منوعة وكم يضيع جنس بين أجناس
وقد أراني في قوم أولي كسل كأنما انتفضوا من تحت أرماس (6)
فبعضهم بين أخفاف الهوان هوى وبعضهم ضل بين الكأس والطاس
لو كان منهم كليب يوم نكبته لعاف طعن كليب رمح جساس (7)

(1) يبلغ عمر الهرم الأكبر اليوم فوق الأربعة آلاف سنة وذلك قليل في جانب عمر صاحبنا بالنسبة إلى عمر الفتاة . والتورية ظاهرة .

(2) هذا تأكيد الذم بما يشبه المدح .

(3) الآس الجراح .

(4) الأمراس الحبال .

(5) الأقباس جمع قبس وهي الجذوة من النار .

(6) الأرماس القبور .

(7) كان كليب بن ربيعة سيد قومه وهو الذي يقال فيه أعز من كليب وائل وكان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه ويجير على الدهر فلا تخفر ذمته ويقول وحش أرض كذا في =

وقال :

الشرق سوق الغرب لكنها ... لا يشتري منها سوى البائر
باع بنوها بعضهم بعضهم ... والويل للرابح والخاسر

وقال (في الصحافة في الشرق) :

كم ملؤوا الجو بصيحاتهم ... وطاولوا النجم بلا طائل
وسيروها صحفًا بعضها ... عن بعضها في شغل شاغل
تحتشد الأقلام فيها كما ... يختلط الحابل بالنابل
وتجمع الحق إلى خصمه ... وليتها تقضي على الباطل
رأيتها كالعضب إما نبا ... فالذنب في ذاك على الحامل

وقال (وأكثر ما تجد في مصر من وصف) :

أرى نساء بني قومي ويا أسفا ... في لسنهن سهام لسن في الحدق
كأنما من بني تميم بعثن لنا ... لو لم يكن قباح الخلق والخلق (١)

= جواري فلا يهاج ولا نورد إبل أحد مع إبله ولا توقد نار مع ناره وكانت بنو جشم وبنو شيبان في دار واحدة بتهامة وكانت بسوس خالة جساس بن مرة نازلة في بني شيبان ولها ناقة يقال لها سراب فمرت بها إبل لكليب فنازعت عقالها حتى قطعته واختلطت بالإبل حتى انتهت إلى كليب وهو في الحوض فلما رآها أنكرها فاشتد عليها بسهم فخرم ضرعها فنفرت الناقة وهي ترغو فلما رأتها البسوس قذفت خمارها وصاحت واذلاه واجاراه وخرجت فأحمست جساسًا فركب فرسه وأخذ آلته ودخل على كليب الحمى فقال له يا أبا الماجدة عمدت إلى ناقة جارتي فعقرتها فقال له أتراك مانعي أن أذب عن حماي فأحمسه الغضب فطعنه جساس فقصم صلبه . وكان من عادة العرب أن لا يأخذوا بثأرهم من لئيم الحسب قال الحكم بن زهرة:

قوم إذا ما جنى جانيهم أمنوا ... من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

(١) كانت لنساء بني تيم حظوة عند عند أزواجهن على سوء أخلاقهن لما اتسمن به من الجمال ومن طرائفهن أن أم سلمة بنت محمد بن طلحة كانت تحت عبد الله بن الحسن وكانت تقسو عليه قسوة عظيمة ويفرق منها ولا يخالفها فرأى يومًا فيها طيب نفس فأراد أن يشكو إليها قسوتها فقال لها يا بنت محمد قد أحرق الله قلبي فحددت له النظر وجمعت وجهها وقالت له أحرق الله قلبك ماذا ؟ فخافها فلم يقدر على أن يقول لها (سوء خلقك) فقال لها : « حب أبي بكر الصديق » .

وقال موريا :

وذي دلال قال خذ في المنى فقلت عيش رغد سائغ
(ويوم وصل) قال حسبي إذن هذا كلام في الهوا (ى) فارغ

وقال :

لي أمل فيك انقضى بعضه وبعضه الآخر لم تقضه
فإن تكن حلت فيا ربما يشفع بعض الحب في بعضه

وقال :

يا من يرى أنني بخلت بما عندي عليه فلست ذا وجد
كفاك بالنفس وحدها هبة فإن نفسي أعز ما عندي

وقال :

إذا غبت عن أعيني لم أجد سواك تقر به أعيني
وما فقد الحسن لكنما تميل الطباع إلى الأحسن

وقال مضمنا :

مشى فكأن الغصن تهفو به الصبا وللعطر منه في رداء الصبا نفح
ومر وعن جنبيه صفا عوذل (كخطي ظلام شق بينهما صبح) (١)

وقال عن لسان إنسان :

أيها الحب أمانا لم أعد أهوى حبيبًا
إن للولدان (يومًا يجعل الولدان شيبًا)

وقال (وهي من أول القول) :

هل لذا الجفا سبب أم صدوده لعب
أم ذكاء ما برحت تجتلي وتحتجب

(١) هذا عجز بيت لكشاجم وصدره « وقد حسرت عن واضح الفرق قاحم » .

أم غـدا كـمـشـبـهـه الـبـ ـــدر لـيـس يـقـتـرب
شـادن لأعـيـنـه أنـفـس الـورى سـلـب
إن يـعـد فـلـيـس يـفـي والـهـوى لـه أدب
يـحـكـم المـلاح عـلـى الصـ ـدق أنـه كـذب
وانـتـمـى الجـمـال لـه فـهـو لـلـجـمـال أب
وهـو مـن تـدلـلـه هـاجـر ومـصـطـحـب
وهـو مـن مـلاحـتـه سـافـر ومـنـتـقـب
كـل أمـره عـجـب وكـذا الـهـوى عـجـب
يـا لـيـالـيـا سـلـفـت هـل تـعـيـدك الحـقـب
والـريـاض حـالـيـة لـلـسـمـاء تـنـتـسـب
وهـو بـين أكـؤسـهـا الـبـ ـدر حـولـه الـشـهـب
تجـتـلـيـهـا عـابـسـة بـاسـمـا لـنـا الحـبـب
كـالـعـروس قـد حـجـبـت وهـو دونـهـا حـجـب
أبـطـأوا بـزفـتـهـا والـزفـاف مـرتـقـب
أو كـخـد أغـيـد لـو لـم يـسـل بـهـا الـعـنـب
أو كـأنـهـا شـفـة عـضـهـا فـتـى وصـب
أو كـدمـع ذي كـلـف بـالـدمـاء يـنـسـكـب
أو كـقـلـب ذي حـسـد مـا يـزال يـلـتـهـب
إن لـثـمـتـهـا جـذبـت مـعـطـفـي فـيـنـجـذب
يـنـبـرى لـهـا رشـاء هـز عـطـفـه الـطـرب
فـي الـقـلـوب مـخـتـبـئ لـلـقـلـوب مـخـتـلـب
خـده بـحـمـرتـهـا كـالـبـنـان مـخـتـضـب

لا أرى لـه غـضبا … آفة الرضا الغضب
تلعب المدام به … كلما احتسى يثب
وهو منها في ضحك … وهي منه تنتحب
أكرم السقاة سقى … أكرم الأولى شربوا
من كمثلي إن ذكروا … من سما به الأدب
شيمة مخلفة … نافست بها العرب
إنها المعادن لم … يصد مثلها الذهب
يا ضلوعي ما برح القـ … ـلب فيك يضطرب
دارت العيون به … فهو بينها نهب
وانجلت لواحظها … فانجلى له العطب
أعين يموج بها … سحرها فينسرب
كم صرعن من أسد … حين غالبوا غلبوا
في جفونها رسل … لم تجئ بها كتب
ويح من أحب أما … ينقضي له أرب
إن أراحه تعب … شف قلبه تعب
سنة جرت ومضت … طاعة الهوى تجب

وقال:

يا ناعس الطرف كم أشكو وتظلمني … رحماك يا ناعس العينين رحماكا
لو أن غير فؤادي يشتكيك معي … لضجت الناس والدنيا بشكواكا

وقال:

اتخذ باللهو لهوا … واتخذ بالروض روضا
إن يخن ظبي فظبيا … أو تضق أرض فأرضا

كــلــهـــا آيـــات حـــســـــن بـــعـــضـــهـــا يـنـسـخ بـعـضـــا

وقال :

يــا أنيـــسي ذر الحــزين حـــزينـا بـعض مــا سـامــه الهــوى يكـفـيــه
دعـه يـبـكـي فـذو الـهـمـوم جديـر أن مـــا فـــي فـــؤاده يـبـكـيـــه

وقال :

أمــســيــت من يوم الـنـوى فــزعــا ويــلــي عـلـى يــوم الـنـوى ويــلـى
وأتـى الـــصـــبـــاح بــكــل داهـيـــة فـــخـــرجــت مـــن لـيـل إلـى لـــيـل

وقال :

مـــا الحـــب إلا أنـــس كـــل امـــرئ لــو كـــان يـدرى الـنـاس مـــا الأنــس
ولــو درى كـــل الـــورى فـــضـــلـــه لـــهـــام فـــيـــه الجـن والإنـــس

وقال في الحماس :

إلـى الـبـيـض سـورة هـذا الجـمـاح ولـلـســمـر خـفـقـة هـذا الجـنـاح
لحـانـي الـعـواذل فـي حـبـهـن وهـيـهـات من حـبـهـن اللـواحـي
فـمـا الـبـيـض إلا طـرار الـسـيـوف ولا الـسـمـر إلا عـوالـي الـرمـاح
يـرج بـهـا الأرض هـذا الـفـتـى ويـدمـي عـلـيـهـا عـيـون الـبـطـاح
يـجـوب المـعـامـع جـوب الحـمـام ويـطـوي المـهـامـه طـي الـريـاح
عـلـى أشـقـر كـومـيـض الـبـروق تحــفـــزه غـلـــواء المـــراح
جـريء عـلـى الـلـيـل مـسـتـجـمـع يـهـب هـبـوب نـسـيـم الـصـبـاح
تـكـاد لـنـشـوة أعـطـافـه إذا مـر تحـسـبـه غـيـر صـاح

وقال (في هلال الشك) :

هـلال الـشـك لا تـعـجـب إذا مـا رأيـت كـمـا أرى هـرج الأنـام
فـقـد حـسـبـوا نـحـولـك من نـحـولـي فـخـيـف عـلـيـك عـاقـبـة الـغـرام

وقال :

يا ليت قلبي لم يحب ولم يهم ... بل ليتني ما كان لي أحباب
إني رأيت أخا الغرام كأنما ... صبت عليه وحده الأوصاب
لتكن عين المرء مفتاح الهوى ... فإذا رنا فتحت له الأبواب
وإذا أراد اللَّه أمراً بامرئ ... سدت عليه طريقه الأسباب

وقال :

بنو آدم أعداء ... على السراء والضرا
فلا يغررك مبتسم ... وإن أبدي لك البشرا
ففي الصدر حزازات ... تكاد تمزق الصدرا
ولو كادوا النجوم هوت ... من الخضراء للغبرا
وما الدنيا إذا فكر ... ت غير جهنم الصغرى
ألست ترى بها أممًا ... وكل تلعن الأخرى
لقد جربت أهليها ... فلم أر فيهم خيرا
ومثلهم لنا (الكفرا ... وي والصبان والفرا)
فعمرو ضارب زيداً ... وزيد ضارب عمراً

وقال :

إن ضحك القوم على بعضهم ... فسوف يبكون على رمسه
من كان من إخوانه ضاحكا ... فإنما يضحك من نفسه

وقال :

(يهني نجل عمه الأديب الفاضل الشيخ سعيد عبد الرحمن الرافعي بكريمته عناية) :

تبلج صبح الهنا مشرقًا ... ونورت الشمس أفق (السراية)

وقد زين السعد أبراجها — على كل برج ترفرف رايه
وقامت بنات العلى خادمات — فهذي تخيط وهاتيك دايه
وقالوا أبوها مثال الكمال — فقلنا الكمال مثال الهدايه
وما هي إلا (عناية) ربك — فابق (سعيدًا) بهذي العناية

وقال أيضًا :

يهني صديقه الفاضل الشيخ عامر خليفه من أعيان إتياي البارود بنجليه النجيبين :

رأيت نجليك فارقدي أفق — وما جميع النجوم أشباه
كلاهما في علاك طالعه — وفي جبين السعود سيماه
لو خلق المجد كالأنام لما — كان سوى ناظريك عيناه
فاهنأ وباه السما وأنجمها — بالفرقدين رعاهما اللّه

(وقال في اللباس الإفرنجي الأسود المعروف بالرسمى) :

يا حسن ثوب للدجى مشابه — كأنما فصل من إهابه
يحسر الشيخ على شبابه — أزهى به وكنت لا أزهى به
كأنني المليك في أصحابه — منذ رأيت الناس من طلابه
وكلهم من جاهل ونابه — يرون قدر المرء في ثيابه (١)

وقال :

أرى المعدم المسكين في الناس هالكا — وما حيلة العرجاء بين المزاحم
كأن لم تكن حواء في الناس أمه — ولم يك بين الناطقين ابن آدم

(١) دخل الأحنف بن قيس على معاوية ومعه النمر بن قطبه وعلى النمر عباءة قطوانية وعلى الأحنف مدرعة صوف وشملة فلما مثلا بين يدي معاوية اقتحمتها عينه فقال النمر يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك وإنما يكلمك من فيها . أما اليوم فقد جهلت هذه الكلمة حتى صار قدر المرء في ثيابه .

فقولوا لعباد الدنانير ويحهم ألا ذكروا يومًا عبيد الدراهم

وقال :

رأيت ذا الكون كله تعب سيان فيه الوجود والعدم
والناس كالنائمين ما لبثوا فكل ما يشهدونه حلم
أبدع ذات العمام مبدعها فأين راحت بأهلها إرم (١)

وقال :

كل امرئ كلف بحب طباعه لا يستطيع عن الطباع سلوا
فإذا وثقت من الحبيب فربما تجد الحبيب قد استحال عدوا

وقال (في الشتاء) :

أيا ضيفا أطال المكـ ـث حتى قبح الضيف
لقد خطوا لك السوآ ت حرفا بعده حرف
وأقدامهم الأقلا م والأرض هي الصحف
وكم زلزلت دورهم (فخر عليهم السقف) (٢)
لئن يصف لنا يوم فأيامك لا تصفو
وقد مات ذوو الكافا ت والندمان والقصف (٣)
وبات الناس من أرضا ه يوم ساءه ألف

---

(١) يريد مدينة إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وأمرها مشهور .
(٢) اقتباس واكتفاء من قوله تعالى : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَآتَاهُمُ الْعَذَابُ ﴾ .
(٣) كافاة الشتاء مشهورة في قول ابن سكره :

جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا بعد الكباب ....وكسا

وبعضهم أبدلها بصادات وبعضهم قال :

إذا صح كاف الكيس فالكل حاصل لديك وكل الصيد يوجد في الفرى

وقال (يداعب أعور متكبرا) :

ما بال أنفك هذا قد شمخت به إلى السموات حتى جاوز القدرا
لولا خشيت إذا ما كنت رافعه من أجل واحدة أن يفقأ الأخرى

وقال (في بخيل) :

نقص البخل ويوم أتى قيل إن البخل قد كملا
لو رآه أهل مرو إذن ضربوه بينهم مثلا [1]

وقال :

لكل امرئ أجل منتظر ويبقى من الذاهبين الأثر
يردده الناس جيلا فجيلا ويروونه زمرًا عن زمر
ترى فيه نفس الفتى مثلما ترى في المرأة وجوه البشر
فذلك مرآته للنفوس وهاتيك مرآته للصدر
وما الناس إلا حديث يدوم فالخير خير والشر شر

وقال (واعظًا) :

للموت قد خلق البنون وللردى خلق البنات
والموت أوسع للذي ضاقت به هذي الحياة

وقال (يتمنى) [2]:

أتمنى وكيف لا أتمنى أن لي في الأنام خلا وفيا
وفؤادًا مطهرًا يلمح الدهـ ـر وأهليه راضيًا مرضيا
ذاك والموت خالدًا بعد موتي ونعيم الحياة ما دمت حيا

(١) مرو مدينة اشتهر أهلها بالبخل المفرط ويقال أن من عادتهم إذا ترافقوا في سفر أن يشتري كل واحد منهم قطعة لحم ويشبكها في خيط ويجمعون اللحم كله في قدر فيأخذ كل منهم بطرف خيطه حتى إذا نضج اللحم جر خيطه وأكل قطعته وتقاسموا المرق .

(٢) قال بعض الحكماء الأمل رفيق مؤنس إن لم يبلغك فقد ألهاك .

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

الباب السادس

في الرثاء[١]

قال يرثي الأمير عبد الرحمن أمير أفغانستان والمجد كله في اسمه كما كانت الحكمة والهمة في جسمه رحمه الله :

يا فاجع الموت ماذا ينفع الحذر ... وقد عهدناك لا تبقي ولا تذر

جنت أناملك الأرواح فانتثرت ... كما تناثر من أوراقه الزهر

وما بمانعهم ما قدروا وقضوا ... وفوق كل قضاء في الورى قدر

من يتعظ فصروف الدهر موعظة ... وما مواعظ دهر كله عبر

يا لهف (كابل) ما فاجأت كافلها ... حتى درى كل قلب كيف ينفطر[٢]

فجعتها وفجعت العالمين بها ... حتى النجوم وحتى الشمس والقمر

وجئت ضيغمها لكن بمخلبه ... فما استطاعك ذاك الضيغم الهصر

قد كان يزجي المنايا للعدا زمراً ... واليوم جئن له من ربه الزمر

وكان يأتيه ريب الدهر معتذراً ... واليوم عنه صروف الدهر تعتذر

ما شب في غير الأحداث فكرته ... إلا أضاءت له الأحداث والغير

ولو روى الفلك الدوار حكمته ... لأمست الشهب فيه كلها سور

والدهر يومان يوم كله قدر ... لا صفو فيه ويوم بعضه كدر

وما تبسم للأيام مختبل ... إلا تفجع بالأيام مختبر[٣]

---

(١) سئل شاعرنا مرة لماذا لا يكثر من المراثي فقال : كثر الرثاء حتى أصبح صنعة تحترف وأسأل الله أن لا يفجعني في عزيز فأرثيه . وإني ما تركت الرثاء لفي نعمة أحمد الله عليها .

(٢) كابل أو كابول هي عاصمة أفغانستان .

(٣) المختبل بالفتح الذي مسه الجنون .

سلو المآثر عنه فهي خالدة | في كل قلب له من حبه أثر
واستخبروا الشرق ما للشمس كاسفة | فما جهينة إلا عندها الخبر [1]
يا شامخا دكه ريب المنون أما اهـ | ـتز الحطيم وركن البيت والحجر
هذي المدافع والأسياف ناطقة | في الغرب والهند بالأفغان تفتخر
طارت بنعيك في الإسلام بارقة | فانهل دمع بني الإسلام ينهمر
خطب قلوب الورى من حرجا حمه | كأن نار الوغى فيهن تستعر
فما لأنباء هذا السلك خائنة | حتى المدامع خانت سلكها الدرر

وقال :

يرثي الأستاذ الحكيم . والفيلسوف العظيم ، المرحوم السيد عبد الرحمن أفندي الكواكبي :

أحقا رأيت الموت دامي المخالب | وفي كل ناد عصبة حول نادب
وتحت ضلوع القوم جمرًا مؤججا | تسعر ما بين الحشا والترائب
وفي كل جفن عبرة حين أرسلت | رأوا كيف تهمى مثقلات السحائب
أبى الموت إلا وثبة تصدع الدجى | وكم ليلة قد باتها غير واثب
فما انفلق الإصباح حتى رأيته | وقد نشبت أظفاره بالكواكب (ى) [2]
وكم في حشا الأيام من مدلهمة | قد ازدحمت فيها بنات المصائب

---

(١) جهينة قبيلة من قضاعة خرج منها الأخنس بن كعب مع الحصين بن سبيع فصادفا في طريقهما رجلا يأكل فدعاهما إلى طعامه فنزلا إليه ثم قام الأخنس لبعض شأنه وعاد فإذا صاحبه قد فتك بمضيفهما وأحس منه بمثل ذلك فما زال به حتى قتله ورجع أدراجه فألفى امرأة الحصين تنشده فمر وهو يقول من أبيات:

تسائل عن حصين كل ركب | وعند جهينة الخبر اليقين

فأرسلها مثلا يضرب لمن عنده حقيقة الخبر .

(٢) التورية هنا لا تخفى إلا إذا خفيت (الكواكب) في الليلة الصافية . وقد قضى رحمه الله ليلا .

هوى القمر الوهاج فأخبط معي السرى ... إذا لاح ضوء النجم بين الغياهب

ووطن على خوض المنيات أنفسا ... تساوقها الآجال سوق النجائب

فهن العوارى استرجع الموت بعضها ... وقصر البواقي ما جرى للذواهب (١)

أبعد حكيم الشرق تذخر عبرة ... وما هو من بعد الرحيل بآيب

حثوا فوق خديه التراب وأرسلوا ... عليه سحابات الدموع السواكب

ولو رفعوا فوق السماكين قبره ... لما بلغوا من حقه بعض واجب

لتبك عليه الصحف في كل معرك ... إذا ما انتضى أقلامه كل كاتب

فقد كان إن هز اليراع رأيته ... يصول بأمضى من فرند القواضب (٢)

ولم يك هيابًا إذا حمس الوغى ... ورفرفت الأعلام فوق الكتائب

وكانت سجاياه كما شاءها الهدى ... وشاءت لأهليها كرام المناقب

ولا بدع أن تعزي الكواكب للعلى ... وقد نسبته نفسه للكواكب (٣)

سلو حامليه هل رأوا حول نعشه ... ملائكة من حادب خلف حادب

وهل حملوا التقوى إلى حفرة الثرى ... وساروا بذاك الطود فوق المناكب

وهل أغمدوا في قبره صارما إذا ... تجرد راع الشرق أهل المغارب

فكم هزه الإسلام في وجه حادث ... فهز صقيل الحد عضب المضارب

أرى حسرات في النفوس تهافتت ... لها قطع الأحشاء من كل جانب

وما بعجيب أن ذا الدهر قلب ... إذا كان في أهليه كل العجائب

---

(١) قصر الشيء وقصاراه غايته .

(٢) الفرند هنا السيف الذي لا نظير له فالإضافة بيانية .

(٣) هذا البيت غاية في حسن التعليل وغاية في المدح لأن الياء في (الكواكبي) للنسب ولم يرض أن يقول أن أهله نسبوه إليها فقال أن نفسه نسبته دلالة على أن ذلك بجده . لا عن أبيه وجده ومن يعرف سيرته رحمه الله لا يجد ذلك شيئًا عجيبًا .

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

باب التقاريظ

قال :

لسان العرب . وتاج الأدب . والقاموس المحيط . صاحب السعادة محمود سامي باشا البارودي أطال الله بقاءه :

أبني القرائح أبشروا بطريفة … سمح الزمان بها وكان بخيلا
كلم كسلك الدر لأم بنيها … طبع أجاد فأحكم التفصيلا
بدوية النسب الصريح فلن ترى … لفظًا بأثناء الكلام دخيلا
بارت (زهيرًا) في المقال وطاولت … « كعبًا » وفاقت في النسيب « جميلا »
بلغت مدى الأطراب حتى إنها … لتكاد تحدث في الجماد مميلا
بهرت برونقها العقول وغادرت … لهوى العيون إلى الفؤاد سبيلا
كالروض باشره الندى فترنمت … فيه الحمائم بكرة وأصيلا
وترددت فه الصبا فتنفست … نفسًا تصح به النفوس عليلا
لا عيب فيها غير فضل براعة … كالسحر يخدع أنفسًا وعقولا
ردت علي هوى الشباب وأذكرت … عهدًا كمرآة السماء صقيلا
ومن العجائب أن لي بسماعها … طرب النزيف وما شربت شمولا
نظم امرئ غاصت قريحته على … در الكلام فصاغه إكليلا
طلب الفصيح من الكلام فناله … بعزيمة تدع الحزون سهولا
هو « صادق » فيما علمنا كاسمه … وكفى بذلك فى الوفاء كفيلا
فليبق محسود البيان ممتعًا … بالفضل حتى يبلغ المأمولا

وقال :

نجم الآفاق . وجوهرة العراق . مالك رقاب القوافى ، الأستاذ أبو المكارم الشيخ عبد المحسن الكاظمي نزيل مصر . وواحد العصر . وقد فرغ حفظه الله من سحر يراعته . لساعته . فجاء بديعة البدائه . ونادرة البدائع :

أنفس ما يقتني ويكتسب — علم يزين النفوس أو أدب
وأشرف المعليات معرفة — تدنو بها للعلا وتقترب
وأرفع النيرات منزلة — وجه بلألاه تكشف الكرب
وليس مثل الآداب واسطة — يرقب فيها ما ليس يرتقب
ولم يكن من فضيلة بدلا — مال حوته الأكف أو نشب
هل نيل شيء من غير ما سبب — لكل شيء ترومه سبب
من جد في الأمر نال بغيته — ولا ينال الأماني اللعب
ولم يكن شافعًا لمطلبه — كعزمه حين يحمد الطلب
وليس للمرء منتمى أبدا — كالفضل يزكو به وينتسب
من لم يكن فضله له حسبا — فما له في زمانه حسب
يبلى الجديدان والفضائل ما — تبلى وتمضي السنون والحقب
وهي على مرهن باقية — تضفو عليها مطارف قشب
طوبى لمن راح وهي أهبته — إذا أعدت في المأزق الأهب
كل شجاع ينجو الغداة ومن — كان جبانًا لم ينجه الهرب
وما سواء في كل معترك — بواسل لا تحيد أو هيب
وما شؤون الرجال واحدة — ولا جميع الأنام تنتجب
شتان من زان ذكره نسب — ومن تحلى بذكره نسب
كذاك من يعتلي برتبته — ليس كمن تعتلى به الرتب

وخير ما يعظم الخطيب به ... إذا اشرأبت في المجمع الخطب
وجن الليل الخصوم والتحمت ... مواقف تلتظي وتلتهب
أو جن دهر وطار في رهج ... كل شرار ونابت النوب
عزم طرير الغرار مضربه ... ومذود باتر الشبا ذرب
تسمو بحديهما لكل سما ... تقصر عنها القنى والقضب
والنطق يوليك كل مكرمة ... سافرة ما لوجهها نقب
يحتقب القول ما يطيب وما ... كل صنوف المقال تحتقب
كم دونوا في الورى وكم كتبوا ... وليت ما دونوا وما كتبوا
ولم يكن للأريب فاكهة ... يلذ منها المهذب الأرب
ولم يكن للأديب تسلية ... إن عاده الهم وهو مكتئب
ولم يكن من علالة لفتى ... أمست حشاه بالوجد تنتهب
وليس من دوحة لذي أدب ... يجذب من غرسها فتنجذب
كالشعر أما صفت موارده ... ولم تكن بالأجين تؤتشب
وأحسن الشعر ما يروق وما ... هزك أما تلوته الطرب
ضروبه جمة فيوم ترى ... ضربًا حلا منه فهو لا الضرب
ومدعوه كثر فمن خصب ... وآخر ربع فكره جدب
فواحد تجتنى أزاهره ... وواحد في ثراه يحتطب
هذا بحق كان الشهير وذا ... منتحل شهرة ومغتصب
إن قيل في حلبة القريض بمن ... تحرز عند التسابق القصب
أو قيل من في النظام لهجته ... تفتض عن نشر صدقها العيب
« فمصطفى صادق » أبر فتى ... حدث عن فضله ولا كذب
« الرافعي » الذي به ارتفعت ... أرهاط هذا القريض والشعب

شب فشبت من فطنة معه ... نفس لدى النظم شأنها عجب
من يفع ناشئ أتتك بما ... تعجز عنه الكهول والشيب
إن قال لم يبق ما يريب وما ... كل مقال تجلى به الريب
أو وصف القوم في مساكنهم ... وجدتهم حضرا وهم غيب
أنضر لديوانه الذي نشرت ... آياته فانطوت به الكتب
أرى شموسًا تبدو أشعتها ... ولم تكن كالشموس تحتجب
من كل معنى كالراح من لطف ... تقطب في دنها فتقتطب
أجزاؤها قد تناسقت فغدا ... يأتلف الماء فيه واللهب
في كل لفظ كثغر غانية ... مفلج الريق زانه شنب
أو مثل كأس إبريقها غرد ... مقهقه حيث يرقص الحبب
فكل بيت كأنه فلك ... تدور فيه الكواكب الشهب
أو غصن فوقه شدا طربًا ... نشوان من خمرة الصبا طرب
أو مألف طيب الشذا خضل ... تبرز فيه المهى وتنسرب
أو منزل يألف الغريب له ... ولم يكن عن حماه يغترب
أو ساحة تفرج الهموم بها ... حيث تضيق الساحات والرحب
تلك معاني القداح أم مقل ... وذي قداح الألفاظ أم هدب
فهي كما تشتهي القلوب لنا ... سواحر أينما بدت صيب
أم كل روح من الحياة مشت ... في كل جسم ما مسه وصب
مثل حواشي الغدران تبسم عن ... ثغر زها النور فيه والعشب
أو كضروع السما تدر على ... رضائع الزهر حين تحتلب
شعرك « يا مصطفى » لصافية ... بحوره كل وردها عذب
إن تنتخب من سواك قافية ... فذي قوافيك كلها نخب

وقال :

فخر الدولتين السيف واليراع والمنفرد بين الشعراء بالإبداع وسلامة الاختراع طائر مصر المحكي وشاعرها حضرة صديقنا الحميم محمد حافظ أفندي إبراهيم :

قد قرأنا نظيمكم فرأينا حكمة كهلة وشعراً فتيا
وتلونا نثيركم فشهدنا كاتبًا بارع اليراع سريا
خاطر يسبق العيون إلى القلـ ـب ويطوى منازل البرق طيا
ومعان كأنها الروح في الصيـ ـف تهز النفوس هز الحميا
من بنات المحار يصبو إليها تاج كسرى وتشتهيها الثريا
إيه « يا رافعي » أحسنت حتى لا أرى محسنًا بجنبك شيا
أنت والله كاتب حضري إن عددناك شاعراً بدويا

وقال :

حضرة صديقنا الشاعر المتفنن . والأديب الشهير . الأستاذ السيد مصطفى لطفي المنفلوطي :

يا ناظما سحر البيان الذي يعيى به الشاعر والساحر
أحييت مجد الشعر في أمة بات عفاء مجدها الغابر
ينطق فيها شعرها مثلما ينطق فيها الطلل الداثر
فكان كالذابل من روضة وأنت منه الصيب الماطر
تنظم ما يعجز عن نظمه في النيرات الفلك الدائر
وتودع الحكمة فيه كما ضم سواد الناظر الناظر
والشعر كل الشعر في حكمة يوحى بها للأنفس الخاطر
والشعر إن لم يك من « صادق » فيه فلا شعر ولا شاعر

وقال :

حضرة نجل عمنا الشاعر المجيد . والأديب اللوذعي ، محمد أفندي محمود الرافعي :

سرى فأرق عين الهائم الوصب — طيف تعمد من ترداده نصبي
وبت والقلب أسوان تعاوره — ذكرى الغرام وذكرى الخرّد العرب
إذا ذكرت الصبا هام الفؤاد جوى — وأسبلت مقلتي كالواكف السرب
يا نفس لا تخذي ذكر الهوى شغلا — فآفة النفس بين اللهو واللعب
ذرى الغرام وسامي المجد واستبقي — إلى القريض تنالي غاية الأرب
فبالقريض ترجى كل مكرمة — وبالمآثر لا بالبيض واليلب
أرى من الشعر ديوانًا قد اتسقت — فيه المعاني اتساق اللؤلؤ الرطب
حوى من المعجزات الغر ما قصرت — عنه الأفاضل من عجم ومن عرب
شعر إذا تليت آياته ابتسمت — له العقول ابتسام النَّور للسحب
كأن ألفاظه من دقة لطفت — أو رقة عذبت صيغت من الذهب
فيا حماة القوافي لا حمى لكم — إلا بمذود ذاك الماجد العربي
هيهات أن يبلغ الأقوام مبلغه — أو يدركوا شأوه في حلبة الأدب
ويا سمير العلا لا زلت في جذل — والكاشحون مدى الأيام في تعب
لو قارنوا بك أقوامًا عهدتهم — تبينوا الفرق بين الترب والشهب

وقال :

حضرة صديقنا الشاعر المطبوع والأديب البارع الشيخ حسين المهدي وقد جاءنا تقريظه متأخرًا :

رأينـــاه رأينـــاه — بلـؤلـئـــه ولألاه
قـــريض لم يحـل بمـــ — ـسمـع إلا وحـــلاه

جمعت به من الآيات ... ما أوحى به اللَّه
فلو شعراؤنا سمعوه ... قبل اليوم ما فاهوا
وما أجزل مبناه ... وما أفحل معناه
أساليب « أبي الطيب » ... « والرافعي » أشباه
ولكن ذاك كذاب ... فخاب لذاك مسعاه
وهذا « صادق » والصـ ... ـدق أصل في مسماه
بمن كنا عرفنا السحـ ... ـر في الأشعار لولاه
عريق في الخلال الغر ... تنميه سجاياه
فكل الناس من أخـ ... ـلاقه الحسنا أحباه
تنبأ بالقريض ولو ... دعانا لأجبناه
فذا الديوان معجزة ... تؤيد صدق دعواه

ديوان الرافعي

تأليف

مصطفى صادق الرافعي

الجزء الثاني

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

في سرقة الشعر وتوارد الخواطر

الشعر معنى لما تشعر به النفس فهو من خواطر القلب إذا فاض عليه الحس من نوره انعكس على الخيال فانطبعت فيه معاني الأشياء كما تنطبع الصور في المرآة . وهو من بعدُ كالحُلُم يخلق في المخيلة مما يصل إلى الأعين ويتأدى إلى الآذان ما لا يكون قد وصل ولا تأدى .

وكما يأخذ النظر في مطرحه ما بين الأرض والسماء يتناول القلب في مسرحه ما فوق سجف الغيم وتحت أطباق الثرى . وإنما الخيال الساحر بين هذين إنسان بين مَلَكَيه ، وجسد بين يديه ، ومن سحره أن يضع أذنه على العين فتسمع ، وعينه على الأذن فترى . ولن تجد من شيء إلا وعليه سِمَته، وفيه صفته ، فأنت تبصر الناس أحياءً يضطربون في حوائجهم وهو يحشرهم إليك في يوم الحساب ، وترى الجبال جامدة وهي تمر مرَّ السحاب وبحسبك أن هذه الأكوان إنما هي الحقائق ولكل حقيقة خيال .

وهو مملكة الشعراء فما من ذي خيال منهم إلا وقد خالطت قلبه لذة الملك في ساعة ربما كانت له في اليوم أو الشهر أو العام أو العمر هي عنده الدنيا وهو ملكها . فإذا رنَّ فيها صوته تحرك الفلك فأسمعه من كل أرض فوجًا ، وأرقص به كل بحر موجًا ، وما تزال الأيام تحفظ من تلك الأنفاس في صدرها حتى تبتني له ديوانًا يعرفه الناس ولولا أنه كان ملكًا في تلك الساعات التي نظم فيها ما سُمي شعره ديوانًا .

والشعر أسباب يكون عنها فإذا هي اجتمعت في واحد فذلك . ولكنك قل أن تجد من يسمى شاعراً بحق كما قل أن ترى من لا يريد أن يكون شاعراً بالباطل . فمتى كأن المرء على رقة في الحس وطبع في النفس وصفاء في الذهن وانتباه في الخاطر وبُعد في النظر وشدة في العارضة وقوة في البديهة ومِراة في الرواية وحنكة في التجارب وحكمة تحيط بذلك كله فقد اجتمع له من أداة الشعر ما يكون به شاعراً . ولا تحسبن هذا النوع من الكلام مضغة يلوكها الشيخ الهِم والصبي الأَدرَد وليس في ماضغيْ أحدهما ضرس يقطع بل لا بد لها من شكس الأنياب حديد المخالب يطحنها طحنًا .

ولقد كان عمرو بن العلاء والزمان زمان لا يعد الشعر إلا للمتقدمين فحدث الأصمعي قال : جلست إليه عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت إسلامي وسئل عن المولدين فقال ما كان من حسن فقد سبقوا إليه وما كان من قبيح فمن عندهم . . . ليس النمط واحداً ترى قطعة ديباج وقطعة مسح وقطعة نطع . ذلك والشعراء يومئذ متوافرون . على أنه رحمه الله لو سمع أكثر شعر اليوم لزاد وقطعة نعل . . . فقد أصبح الزمن وما تطلع شمسه إلا على جديد والقوم لا يزالون على ما كانوا يتمرغون في تراب الأولين فإذا علقت يد أحدهم بحلية دسها في شعره وجعلها آية فخره . وإن لم يصادف شيئًا من ذلك فأيّة ما شئت أن تنفضها من كلمة لا تنتفض في يديك إلا ترابا .

وإنما مثل شعر اليوم والشاعر مثل السفينة يطوف بها المحيط من لا يحسن السباحة في لجة فإذا انقلب عنها لا يرجع إليها حتى تكون لجسمه تابوتًا ولذلك تراهم يحصرون القول في وجوه ويجمعونه في نوع منه إلا ما كان لبعضهم من الندرة الواحدة والفلتة المفردة . . . ولم تكن هذه السماء التي فوقنا اليوم تحت غيرنا من قبل ولا كانت البلاغة شيئًا يباع ويشترى ولكنه

الضلال في النشأة والقصور في أسباب الصنعة والجهل بالمقاصد وضعف اللغة إلى حد النزع بحيث لم يبقَ إلا نفسها الـذي ينطلق بروحها . غير ما كان في الصدر المتقدم ممن جعل الشعر وكـده وقصر عليه كدَّه وليس ذلك وحده وإنما نفاق السوق كما عرفت جلاب .

ولهذا أصبح القـوم في أيدي جهابذة الكلام ونقاد الشـعر أحق يقول ابن برد :

ارفق بعمرو إذا حركت نسبته فإنـــه عربيٌّ مـــن قـــواريـر

مع أنه فتح عليهم اليوم باب جديد من الأَخـذ فتراهم إذا ضعفوا ترجموا وإذا ضاقت بهم مـذاهب العربية استجـمعوا . وما أنكر أن منهـم من ينطبع على ما يـأخذ به نفسه ولـكنهم يخرجـون بالشعر عن مـعناه وآية ذلك أن لا تعرف في منظومهم روح الـتأثير التي هي حياة الشعر بل تجـد عليه من فساد التكلف ومغـالبة الطبع وأثر الإستكـراه وفيه من المعاني المدخـولة ما لا تشك معه أنه من مضاغة قائله الأول .

وإنما تنفخ النفس تلك الروح في الكلام إذا استوت فيه الصنعة فيتمثل بها سويًّا .

وعندي أن شرط الشاعر الذي ترتفع عنه مظنَّة السرق هو أن تكون له قوة الشعر ودليلهـا الإبداع والمضي في كل معنىً والانتباه إلـى أَدق المناسبات فإن الكلام كالشجرة منها الجذع ومنها الغصون والأوراق وما فيها من دقيق الخيوط بعضـها فوق بعـض في الظهور وإنما بـراعة الشاعـر في الالتفـات إلى تلك الدقائق فإن من الكلام ما يتفطر للمعاني كما يتفطر الشجر للتوريق ومن أجل ذلك يسمون البيان وحيًا .

والشعـراء كالمصابيح مـا على أحدها أن يتـألق بنور غيـره ما دام في كل

مصباح زينة غير أن أكثر مصابيح اليوم كهربائية يستوي الجمع منها في الاستمداد من مصدر واحد . . . وقد كثرت آلات البخار وكثرت بها المعجزات حتى أن خواطر هؤلاء الشعراء ما لا يتحرك إلا (بنفَس) .

ومرجع التفاوت بين أصناف القائلين إنما يكون من مثل المنشاء يطبع في الأنفس شيئًا مختلفات تغلب على بعضها دون بعض ومن مثل ما يكون في عصر دون عصر وما يقع لشاعر دون سواه وما يتفق للواحد ولا يتفق للآخر إلى غير ذلك مما شرط جميعه وفور القوة في الشاعر فلا يستغرب من رجل كعنترة وهو ذلك الذي يتمثل الموت في هول صورته قوله :

إني لأعجب كيف ينظر صورتي يوم القتال مبارز ويعيش

ولا من مثل عاشق كذلك الذي نذروا دمه من أجل حبه بثينة قوله وهو أمير شعره :

خليليَّ فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

وإنما شيمة العاشق هذا البكاء .

ولا من خليع كالنواسيّ قوله يصف كؤُوسًا رأى فيها تصاوير وهو الذيُ جنَّ به الجاحظ :

فللراح ما زرَّت عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلانس

وكذلك لا ينكر على مثل أبي فراس قوله في الفخر :

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين والقبر

وهو ذلك الذي كان يزاحم في طلب الصدر ويعلم أن وراء الزلة في سبيله حفرة القبر ولا على من ترعرع في حجر الخلافة ونشأ في الترف كابن المعتز قوله في الهلال :

فانظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

وقد قيل إن هذا البيت أُنشد لابن الرومي في ضمن أبيات وسئل لمَ لا تأتي بمثل هذه التشبيهات وأنت أشعر منه ؟ فبكى وقال هذا ابن الخلفاء وهو إنما يصف ماعون بيته وما حيلتي وأنا رجل أتكسب بالشعر وأتبلغ بخبز الشعير .

وما بالصعب على مثل المعرّي وهو الزاهد في الحياة الذي كانت أيامه كأنها العقارب تتعاقب جسمه . أن يجيء بمثل قوله :

تعبٌ كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب في ازدياد

وقس على ذلك كل من قال من الشعراء في جنس ما هو بسبيله فإن هاجسه لا ينكر عليه وإن توارد مع غيره فيه .

على أن للتوارد أسبابًا غير ما تقدم منها ما يكون وحي العين إذا نزع الشاعر منزعًا في صنعته كقول عمارة اليمني في مصلوب :

ورأت يداه عظيم ما جنتا   فَفَرَرْنَ ذي شرقا وذي غربا

وأمال نحو الصدر منه فمًا   ليلوم في أفعاله القلبا

فإن من ينزع إلى التعليل إذا شهد ذلك المشهد لا يجيء بغير هذا المعنى، ومنها ما يكون حادثة تتفق أو حالة تنزل بالمرء كقول جليلة أخت جساس في الاستفادة من أخيها حين قتل زوجها

لو بعين فقئت عينٌ سوى   أختها فانفقأت لم أحفل

وكقول ابن حسان فيما كتب به إلى النعمان يستنجده وكان له ظهيرا

إنما الرمح فاعلمنَّ قناة   أو كبعض العيدان لولا السنان

ومنها الأسلوب فإن من الشعراء من يبني القافية بالبيت ومنهم من يبني البيت بالقافية . والتوارد كثير بين هذه الطائفة كقول النابغة وكان الأصمعي يتعجب من جودته .

وعيرتني بنو ذبيان خشيته   وهل علي بأن أخشاك من عار

فلما مرت هذه القافية بأبي تمام وكان في معناها قال وأبدع كما ترى:

خضعوا لصولتك التي هي عندهم كالموت يأتي ليس فيه عارُ

ومنها دلالة الكلام بعضه على بعض إذا وفَّاه القائل قسطه من الصنعة وقد سمع ابن عباس رضي الله عنهما قول ابن أبي ربيعة :

تشط غداً دار جيراننا وللدار بعد غد أبعدُ

فقال :

وكذلك قال عمر وما ينبغي أن يكون إلاَّ هكذا ومثله يروى عن الفرزدق حين سمع قول عديّ :

تزجى أغنَّ كأن إبرة روقه

فأكمله بقوله : **قلم أصاب من الدواة مدادها :**

وكان يعرف قافيتها وكذلك كان البيت .

ومنها اختلاس المثل من جملة بعينها واشتراك المعاني كأن تكون مستفيضة في المناقلات أو واقعة لو شاء كل امرئٍ لوجد إليها مساغًا وكذلك التمهيد بلفظة تؤدي إلى معنى لا يكون منها غيره إذا عرضت للحاذق بصناعة الكلام وغير ذلك مما مرجعه في الغالب إلى ما تقدم ومثله لا يكون سرقة يعاب بها قائله ما دام على شريطة الشاعر فإن التفاضل إنما يكون في ابتكار الأشياء على طريقة الشعر لا على طريقة النظم . وقد قال أمير المؤمنين لولا أن الكلام يعاد لنفد . وسئل ابن العلاء أرأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ لم يلقَ واحد منهما صاحبه ولا سمع شعره قال تلك عقول رجال توافت على ألسنتها . وقيل لأبى الطيب مثل ذلك فقال الشعر محجة فربما وقع الحافر على موضع الحافر .

أما السرقة فقد اجتمع أهل البصر بالشعر على أن أبا عذرة الكلام من

سبك لفظه على معناه وهم يريدون بذلك أن يكون ما بين قلبه ولسانه أنفاسًا تتردد شعرًا . وقالوا أنه ليس لأحد من أصناف القائلين غنًى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ولكن عليهم أن يبرزوا ما أخذوه في معارض من تاليفهم ويؤَدوه في غير حليته الأولى ويزيدوا في حسن تأْليفه وجودة تركيبه وكمال حليته ومعرضه فإذا فعلوا ذلك فهم أولى بها ممن سبق إليها . وهو كلام لا يُمترى فيه ولكن شرطه ما ذكرناه لك من قبل واعتبره بمثل قول سعيد بن حميد

يا ليل لو تلقى الذي — أَلقىَ بها أو أَجدُ
قصر من طولك أو — أضعف منك الجلد

فقد أخذه المتنبي وهذبه في قوله :

أَلم يرَ هذا الليل عينيك رؤْيتي — فتظهر فيه رقة ونُحولُ

وأكثر ما يبدع أبو الطيب في مثل ذلك من الزيادة والتهذيب والتمهيد لمعنًى يأخذه بما يدخل منه إليه كقوله :

كريم نفضت الناس لما بلغته — كأنهم ما جفَّ من زاد قادم
وكاد سروري لا يفي بندامتي — على تركه في عمري المتقادم

فإنه من قول الوابلي :

وتركته يبكي بقية عمره — أسفًا لماضي عمره المتقدم

وأعجب شيء في أمر السرقة أنه قد وجد من قبل من كان يقول لصاحب الكلمة الرائعة « إياك وإياها لا تعودنَّ فيها فإني أحق بها منك » وما كان يروى لغير أبي النواس معنًى بديع يسمعه في الخمر وهو حيّ وإنما هي شهادته على نفسه . ولم يزل الناس من قديم ينظرون في وجوه المعاني من بنات غيرهم فيجد الآخر مما تركه الأول ما لو علم أنه تركه لا وصى بدفنه معه . .

حتى قال بعض العلماء أن ابن الرومي كان ضنينًا بالمعاني حريصًا عليها يأخذ المعنى أو يولده فلا يزال يقلبه بطنًا لظهر ويصرفه في كل وجه وإلى كل ناحية حتى يميته ويعلم أن لا مطمع فيه . ثم تجد من بعده قد أخذ المعنى بعينه فولد فيه زيادة ووجه له وجهة حسنة لا يشك البصير بالصناعة أن ابن الرومي مع شرهه لم يتركها عن قدرة .

ومن المعاني ما ينبه بعضه على بعض مما يكون وراء لفظة أو تحت نادرة حتى لقد تجد في بنيات الطريق ما تستخرج منه المعنى الفحل والخاطر الرائع وللشاعر من ذلك فضل لا يغمط فيه حقه وكثيرًا ما كان الطائي ينحو هذا القصد كما قال عنه ابن الرومي « إنه يطلب المعنى ولا يبالي باللفظ حتى لو تم له المعنى بلفظة نبطية لأتى بها » (١) .

ومن تلك المذاهب طريقة كان يذهب إليها حكماء الشعر كأبي العتاهية وابن عبد القدوس والمتنبي والمعري وأفراد هذه الطبقة وهي إيداع الدر في الصدف أو خلقه فيه فكان الواحد منهم يقع على قول الحكيم فيقتطفه ومنهم من يحوزه بما يستفرغ فيه من جهده كقول المتنبي :

أنَّا لفي زمن ترك القبيح به ... من أكثر الناس إحسان وجمال

قالوا أخذه من قول الحكيم : « من لم يقدر على فعل الفضائل فلتكن فضائله ترك الرذائل » .

وقوله :

وإذا كانت النفوس كبارا ... تعبت في مرادها الأجسام

من قول الآخر : « إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم قبل

(١) وجدوا هذه الكلمة في تسطيرات ابن الرومي في بعض اعتذاره عن أبي تمام وقد قال بعضهم أن المراد معنى الصنعة البديعية .

بلوغ الشهوة » .

وكذلك قوله :

وإذا لم يكن من الموتُ بُدٌّ فمن العجز أن تكون جبانا

ذكروا أنه لبعض الحكماء في قوله : « خوف وقوع المكروه قبل تناهي المدة جور في الطبيعة وذلة » وما أراه إلا من قول جرير :

قل للجبان إذا تأخر سرجه هل أنت من شرك المنية ناجي

غير أن أبا الطيب رحمه الله كان يدبّ إلى عرائس المعاني في غير ظلام، ويستيقظ لها والقوم غير نيام ، ولذلك وجدها معه كما فى قوله : « قلق المليحة وهي مسك هتكها » وكان يأخذه من هيبة الكلام أحيانًا ما يسيء معه الاتباع أو يبلغ به إلى إفساد المعنى . وكذلك كان البحتري في بعض سرقه من أبي تمام وكثير غيرهما ممن أذهلته المعارضة فلم يتتبع على نفسه .

وجملة ما انتهى إليه الباحثون ووقف عليه الحافظون مما هو في معنى السرقة أنواع منها الاصطراف وهو أن يعجب الشاعر ببيت لغيره فيصرفه إلى نفسه ويسمى اجتلابًا واستلحاقًا إذا صرفه على جهة المثل كقول النابغة

وصهباء لا تخفي القذى فهو دونها تصفق في راووقها حين تقطب

تمززتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنوا نعش دنوا فتصوّبوا

فقد استلحق الفرزدق البيت الأخير في قوله :

واجّانة ريّا السرور كأنها إذا غمست فيها الزجاجة كوكب

تمززتها البيت . .

فإن ادّعى القائل شعر غيره جملة فهو انتحال (١) فإن كان الشعر لشاعر حيّ غلب عليه فتلك الإغارة والغصب فإن أخذه « هبة » فتلك المرادفة

(١) ذكروا أنه لا يقال منتحل إلا لمن ادعى شعرًا لغيره وهو يقول الشعر فأما إن كان لا يقوله فهو مدّع .

والاسترفاد. وقد استرفد نابغة بني ذبيان زهيراً فأمر ابنه كعبًا فرفده . فإن كانت السرقة فيما دون البيت فهو اهتدام كقول النجاشي :

وكنت كذي رجلين رجلٌ صحيحة ورجل رَمَت فيها يد الحدثان

فإن تساوى المعنيان دون اللفظ وخفي الأخذ فذلك هو النظر والملاحظة وكذلك إن تضاداً ودل أحدهما على الآخر . فإن جعل المعنى إلى غيره فذلك الاختلاس . فإن أخذ بنية الكلام فقط فتلك المواربة . فإن حوّل مكان كل لفظة ضدها فذلك العكس . قالوا : وإن « صح » أن الشاعر لم يسمع بقول الآخر وكانا في عصر واحد فتلك (المواردة) (١) فإن ألف البيت من أبيات قد ركب بعضها على بعض فذلك الالتقاط والتلفيق . وأمثال هذا النوع كثيرة اليوم بين أيدينا لا ينفك يلعن بعضها بعضًا وقد ضربوا له المثل فيما سبق بقول يزيد بن الطثرية:

إذا ما رآني مقبلا غضّ طرفه كأن شعاع الشمس دوني يقابله

فأوله من قول جميل:

إذا ما رأوني طالعًا من ثنية يقولون من هذا وقد عرفوني

ووسطه من قول جرير:

فغضّ الطرف إنك من نمير فلا كعبًا بلغت ولا كلابًا

وعجزه من قول عنترة بن الأخرس:

إذا أبصرتني أعرضت عني كأن الشمس من قِبَلي تدور

ومن تلك الأنواع ضرب يسمونه كشف المعنى كقول امرئ القيس:

نمشُّ بأعراف الجياد أكفنا إذا نحن قمنا عن شواء مهضبِ

---

(١) خصوها كما ترى بوجود الشاعرين في عصر واحد لما كان من شأنهم في الحفظ والرواية وهو مشهور بحيث لم يكن يخفى عليهم شيء من شعر الفحول فإذا وجدوا معنى لمتأخر يشبه معنى لمتقدم حكموا بأنها السرقة ، وذلك لا ينطبق على كل الأحوال كما قدمناه في التوارد .

كشفه عبدة بن الطيب وأبرزه في قوله:

ثُمتَ قمنا إلى جُرد مسوَّمة   أَعرافهن لأيدينا مناديلُ

وذكروا أن من السرقة ما يكون مجدوداً في الشعر كقول عنترة « وكما علمت شمائلي وتكرمي » رزقَ جداً واشتهاراً على قول امرئ القيس :

وشمائلي ما قد علمت وما   نبحت كلابك طارقًا مثلي

والتنقيب على مثل ذلك فى الكثير من شعر اليوم كحرارة الشمس في الوحل لا تنضجه آجرًا يبنى به حتى تكون قد بردت الشمس واستحالت فحمة سوداءَ وطويت الأرض بمن عليها . فلو نطقت المدافع بسرقات هؤلاء الشعراء ما سمع أحد ومن فُتق مسمعه فهيهات أن يعي وإن وعى فمبلغ ما يكون منه أن لا يزيد على الأسف : ولو أن الحسرة تؤثر شيئًا لانقلب الجو ناراً ولكنا نُنصف القوم من أنفسهم وهذا كتابنا ينطق عليهم بالحق وهم لا يظلمون .

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

كلمة للشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد وصلاته وسلامه على نبيه المصطفى الناطق بالحكمة وعلى آله وصحبه (أما بعد) فهذا هو الجزء الثاني من (ديوان الرافعي) وإن كان الأول هو القمر فإن هذا هو الشمس وكم في الفضاء بعدهما من شمس ومن قمر .

طلع ذلك الجزء على الناس فجأة وله تلك المقدمة التي لم يَمْتَرِ أحد في أنها فصل الخطاب في الشعر والشعراء فانتبه أدباء العربيَّة لأمر سيكون وانتظروا من شاعرنا روحًا عالية تنطق المتقدمين بلسان قلمه ، وتُحيي أنفاسهم في روائع كلمه ، ولكن أكثرهم مع ذلك ممن لا يعرف الشاعر أنكر على ابن ثلاث وعشرين تلك الحكمة الكهلة وذلك الديوان النفيس ينظمه في سنتين هما أول قوله بعد سنة قبلهما حتى خاطبه بعض أمراء القلم فى هذا الأمر فقال له (شاعر الحسن) : إذا أكبر الناس نظم جزء في سنتين فسأشق لهم القمر . وشاءَ الله ذلك فنظم هذا الجزء فيما دون السنة وهو يكفينا أن نشهد له بما يشهد لنفسه .

وقد زعم قوم أننا أطربنا الشاعر فيما كتبناه مقدمة للشرح وشرحًا للجزء الأول وأخذوا علينا من ذلك هفوة بزعمهم ولكنا نردهم إلى ما كتبه أحكم العلماء وأعلم الحكماء في هذا الزمان وهو فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية حفظه الله فقد جاءَ في خاتمة كتاب بعث به إليه بعد صدور ذلك الجزء هذه الكلمة « أسأل الله أن يجعل للحق من لسانك سيفًا يمحق به الباطل ، وأن يقيمك في الأواخر مقام حسان في الأوائل » ، وهل كان يطاول مقام حسان في الأوائل مقام وهو هو المؤَيد روح القدس ؟ على

أنا لو شئنا أن نجيلهم على شيء لأحلناهم على أقوال أشعر شعراءِ الوقت وأفاضله من كلْ كتاب وحكيم والكل مجمعون على أن (الرافعي) إن لم يكن (شاعر الشرق) اليوم فهو شاعره غدًا وما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها .

وإنما مثل أولئك الذين (يقال) أنهم أدباءِ في جمودهم على ما لهم من رأي وفيما ينفسون على (الرافعي) مثل رجل قال الجاحظ أنه كان بالبصرة وكانت له جارية تسمى ظمياءَ فكان إذا دعاها قال ياضمياء بالضاد فقال له ابن المقفع : قل يا ظمياء فناداها : يا ضمياء ، فلما غيَّر عليه ابن المقفع مرتين أو ثلاثًا قال : هي جاريتي أو جاريتك .... ونحن بعد ذلك لا نلومهم على شيءٍ .

بقي أننا ما زلنا نجذ من قصور بعض الناس في النفوذ إلى مسالك الشعر الحق ما ألزمنا أن نتولى شرح هذا الجزء أيضًا . ومن اللطائف أن كاتبًا شهيراً قال لشاعرنا مرة أن خمسة وتسعين من كل مائة قارئ لا يُفضُون إلى هذه الحقائق فأجابه الشاعر بهذه الكلمة الحكيمة : أو ليس خيراً للناس أن يرتقوا إلى من أن أنزل إليهم ؟

وقد ألح عليه كثير من إخوانه أن يضع في هذا الجزء رسمه وكلمة في ترجمته فكان يقول لهم : (إن في كل عين إنسانًا) يريد أن الناس ما زالوا مع الأهواء فكل ينتصر لواحد ولا يبصرون الحق كما قال الأول ولكن ملء عين حبيبها .

فعسى أن يعرف القوم أن بعض الفلاسفة كان يخالف صديقًا له فيلسوفًا في كثير من رأيه فقيل له كيف تخالفه وهو صديقك فقال : (الحق أولى بالصداقة منه) .

محمد كامل الرافعي

الباب الأول

في التعذيب والحكمة

اللغة العربية والشرق

أمٌّ يكيد لها من نسلها العقبُ ولا نقيضة إلا ما جنى النسبُ (١)
كانت لهم سببًا في كل مكرمة وهم لنكبتها من دهرها سببُ
لا عيب في العرب العرباء إن نطقوا بين الأعاجم إلا لبهم عربُ
والطير تصدح شتى كالأنام وما عند الغراب يزكى البلبل الطربُ (٢)
أتى عليها طوال الدهر ناصعةً كطلعة الشمس لم تعلق بها الريبُ (٣)
ثم استفاضت دياجٍ في جوانبها كالبدر قد طمست من نوره السحب

(فائدة) : أول من فسر الشعر تحت كل بيت أبو الخطاب الأخفش وما كان الناس يعرفون ذلك قبله وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسروها . ثم أخذ المتأخرون عن الفرنجة طريقة جمع التفسير في أسفل الصحائف مبينًا بأرقام العدد وطريقة الأولين أوفى بحاجتهم لما كان في كلامهم من الغريب الذي يسأم الإنسان تكرار النظر إلى أسفل الصحائف للمراجعة عن كل كلمة منه .

(١) العقب الولد وولد الولد . والنقيصة الخصلة الدنيئة وكذلك المرءُ على ما ينشأ ويشب فهو يكيد لأصله حبًا في منشأه كما ترى في بعض ملوك اليوم .

(٢) تختلف الطير في أصولتها وألوانها فمنها المليح والقبيح وما يقوى فيها يكون عدوًا لما يضعف وكذلك لغة العامة على قبحها تغلبت على الفصحى لقوة الأولى وضعف الثانية فمثل لهما الشاعر بالبلبل لا يمدح صوته الغراب وإن طرب له كل العقلاء . ومن غريب تفاضل الطير في أصواتها أن عصفور المناري الموجود في (جرمانيا) يغير أربعين نغمة في أغنية واحدة تستمر دقيقتين .

(٣) طوال الدهر المدد الطويلة منه . والناصعة شديدة البياض يقال أبيض ناصع وأصفر فاقع وأحمر قانٍ وأخضر مدهام وأسود حالك .

ثم استضاءت فقالوا الفجر يعقبه صبح فكان ولكن فجرها كذب (١)
ثم اختفت وعلينا الشمس شاهدة كأنها لعنة في الجو تلتهب (٢)
سلوا الكواكب كم جيل تداولها ولم تزل نيّرات هذه الشهبُ
وسائلوا الناس كم في الأرض من لغة قديمة جدَّدت من زهوها الحقب
ونحن في عجب يلهو الزمان بنا لم نعتبر ولبئس الشيمة العجبُ
إن الأمور لمن قد بات يطلبها فكيف تبقى إذا طلابها ذهبوا
كان الزمان لنا واللسن جامعة فقد غدونا له والأمر ينقلب (٣)
وكان من قبلنا يرجوننا خلفًا فاليوم لو نظروا من بعدهم ندبوا
أنترك الغرب يلهينا بزخرفه ومشرق الشمس يبكينا وينتحب (٤)
وعندنا نهرٌ عذب لشاربه فكيف نتركه في البحر ينسربُ (٥)

---

(١) الفجر عند العلماء فجران كاذب وصادق فالأول يضيء آخر الليل ثم لا يلبث أن يظلم والثاني يشرق من بعده ثم يأخذ في الاستنارة حتى يكون النهار .

(٢) حكى في هذا البيت والأبيات الثلاثة قبله تاريخ هذه اللغة من يوم كانت إلى عصرنا هذا على طريقة ليس غيرها من الشعر في شيء . فقد مضت عليها أزمان إلى ما بعد الإسلام وهي سالمة نقية ثم دب فيها اللحن على عهد علي كرم الله وجهه وفي أيامه وضع النحو على ما هو مشهور . ثم استضاءت بعد ذلك في زمن الأمويين وطائفة من العباسيين ثم أخذت في الضعف بعد ذلك حتى اختفت اليوم أو كادت . وكيف لا تكون جمرة الشمس لعنة ولا وطن بعد اللغة ولا مجد بعد الوطن ولا فائدة في الحياة بغير مجد .

(٣) اللسن جمع لسان وهذا كما قدمنا من أنه لا وطن بعد لغة إلخ . وإنما الزمان على من لا مجد له يعتز به .

(٤) لا يعني بالزخرف كل ما يصل إلينا من الغرب وإنما يعنى باطل الأمور والسفاسف التي يسمونها (تمدنًا) وهي التي جلبت الخزي على الشرق وأهله وصارت بهم إلى ما تراه اليوم .

(٥) شبه اللغة بالنهر ويعني بالبحر جانب الغرب وقد وضعوا للنهر الحقيقي خزانًا يحفظ لنا ما نحن أولى به من البحر الذي كان يصب فيه فهل يضعون لذلك النهر المجازي ما يسد ذلك المسد . حاولوا ذلك ولكن اتفقوا بعدس على أن لا يتفقوا . . . .

وأيما لغة تنسي امرأً لغةً ... فإنها لعنة من فيه تنسكب
لكم بكى القول في ظل القصور على ... أيام كانت خيام البيد والطنبُ
والشمس تلفحه والريح تنفحه ... والظلُ يعوزه والماء والعشب
أرى نفوس الورى شتى وقيمتها ... عندي تأثرها لا العز والرتبُ (١)
ألم ترَ الحطب استعلى فصار لظًى ... لما تأثر من مس اللظى الحطبُ
فهل نضيع ما أبقى الزمان لنا ... وننفض الكف لا مجد ولا حسب
إنا إذًا سبة في الشرق فاضحة ... والشرق منا وإن كنا به خرب (٢)
هيهات ينفعنا هذا الصياح فما ... يجدي الجبان إذا روَّعته الصخَب
ومن يكن عاجزًا عن دفع نائبة ... فقصرُ ذلك إن تلقاه يحتسب (٣)
إذا اللغات ازدهت يومًا فقد ضمنت ... للعُرْب أي فخار بينها الكتبُ
وفي المعادن ما تمضي برونقه ... يد الصدا غير أن لا يصدأ الذهب

(١) من القواعد الثابتة إن الاحتكاك يؤثر في الطباع ومن لم يتأثر لما يصيبه فليس بذي نفس حية . وقد جهدت حكومة الإنكليز أن تمحو لغة الشعب المالطي لتحل مكانها اللغة الإنكليزية فكانت كالذي يطفيئ النار بالهواء . . فقد نهض الشعب جملة حتى إن النواب الثلاثة الذي كانوا يدافعون الحكومة استقالوا من وظائفهم لاسضطهادها إياهم وفتح باب الانتخاب لاختيار غيرهم فاتفق الشعب على انتخابهم أنفسهم فاستقالوا مرة ثانية وفتح الباب فانتخبوا أيضًا في المرة الثالثة ثم استقالوا دفاعًا عن أنفسهم وهذه هي الحياة .

(٢) السبة بالضم العار ومن يكثر الناس سبه وكلاهما منطبق على الشرقيين وتاريخهم غير مجهول .

(٣) احتسب الرجل ابنه أو ابنته إذا مات أحدهما كبيرًا أي اعتده أجرًا ينوي به وجه الله فإذا مات أحدهما صغيرًا قيل افترطه . ومن آيات العجز بين الشرقيين أن الإنكليز لما زحفوا على (تيبت وهي مقر الدين البوذي اجتمع كهنة بوذا وعقدوا مجلسًا منهم ثم أصدروا «لعنة » ووجهوها إلى الحملة الإنكليزية وسألوا الإله أن تحل هذه اللعنة عليها ثلاثة أيام فأخلد أهل البلاد إلى الراحة موقنين أن (اللعنة) ستنسف المعسكر بمن فيه فلا حاجة للقتال . . .

وقال الفقر والغنى :

زمانٌ عيشنا فيه اضطرارُ ... كما تحت الثرى دُفن النضارُ (١)

نخاذره ومن يخش الرزايا ... فأصعب من رزاياهُ الحذارُ (٢)

ويلهو بعضنا كالشاة ترعى ... وقد حُدت بجانبها الشفارُ

وإطراق الزمان يغر قومًا ... وما إطراقه إلا افتكار

يظن المرء أنْ قد فر منه ... ولكن كان منه له الفرار

إذا وسعت في قفص لطير ... فكيف يفر والقفص المطَار (٣)

أرى ما تمنح الدنيا همومًا ... فأهنى العيش أمن وافتقار (٤)

وكيف يسر ذو دين تراه ... يزيد ديونه هذا اليسار (٥)

لعمرك إنما الأموال حزن ... فإن العمر ثوب مستعار (٦)

---

(١) النضار الذهب وهو يكون دفينا في عرق الثرى مع أن بين الذهب والتراب من الفرق بين الناس ما تنعدم معه النسبة .

(٢) حذار الرزية رزية مثلها وأصعب . وقد قيل إن عليًا كرم الله وجهه سئل بمَ تظهر على الأقران فقال : ذلك لأني ألقى الفارس فأقدر أني سأقتله ويقدر هو كذلك فأكون أنا ونفسه عليه .

(٣) المطار اسم مكان من طار . يريد أنه مهما وسع للطير في قفصه ليطير فيه فلا يزال كما كان من قبل حبيسًا في القفص وإن طار وكذلك المرء في الدنيا وسع عليه أو قتر فهو في سجنه إلى أن تنطلق روحه .

(٤) قيل أن إسكافًا كان جارًا ليهودي متمول فتسمع عليه اليهودي ذات ليلة فإذا هو يتمنى مائة دينار فطرق عليه بابه ودفعها إليه ولم يكن عند الإسكاف سراج لفقره فبقي ليلته يمر يده على الكيس ويعد ما فيه ويرفعه ويضمه ويتلذذ بسماع وسوسة الدنانير والنوم يدفعه ويجذبه ولكنه خائف على ما في يده حتى طلع الصباح ولم يكن عادته الأرق لخلو باله فما أشرق النهار إلا وهو في مثل سكرة الموت من الإعياء فذهب إلى جاره اليهودي وقال له : خذ مالك وردّ علي نومي فلا خير في غنى تضيع معه الراحة .

(٥) يريد أن غنى المرء كالدَّين يتعب الفكر ويجلب الهم لأنه مستعار إلى الموت فكلما زاد يسار المرءَ زادت في الحقيقة ديونه وهي هموم كلها .

(٦) قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إن فلانًا قد جمع مالاً فقال عمر : فهل =

وما مات الغني بغير هم وأية حسرة هذا الخسار (١)
كأن المال أقلام فمنها بسفر العمر حذف واختصار (٢)
كأن خزانة الأموال قبرٌ ففي نفس الغني بها انكسار
ويا عجبًا من الأقدار تجري وبعد وقوع ما تجري تدار
رأيت الفقر للفقراءِ حظًّا وفي أهل الغنى لهم اعتبار
وإن نال الفقيرَ الهمُّ يومًا فأهون من لظى النار الشرار (٣)
يذل له الزمن فلا يبالي بما يأتي المساءُ ولا النهار
فيا كوخ الفقير غدوت دنيا وكل الأرض للفقراءِ دار
على تلك القصور أرى دخانًا أخف عليك منه ذا الغبار
وفيك سلامة من كل هم وفيها من هموم الدهر نار
عليك الشمس تاجٌ لم ينله سواك ومن حُلى الظل السوار
وإن يكن الزمان له أمير فمن فيه لذا الدهر احتقار
كأن الدهر ألبس جلد هِر وكل ممُلك في الناس فار (٤)

= جمع له أيامًا . .

(١) الفقير إذا دعاه ربه أسرع إليه غير آسف على شيء لأنه لم يترك شيئًا والغني يرى أنه خسر تعب العمر كله في لحظة . وقد قيل أن بعض الخلفاء رأى في ساعة احتضاره قصارًا يغسل الثياب فقال يا ليتني كنت قصارًا فسمعه رجل من الصوفية فقال الحمد لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه .

(٢) شبه العمر بالكتاب والأموال بالأقلام فهي تحذف منه وتختصر فيه والغنى لا يشعر بلذة الحياة فكأن عمره وإن طال قصير غير ما يقاسي من المال والهموم التي يسببها الترف .

(٣) قال عمر رضي الله عنه: ما كانت الدنيا هم رجل قط إلا لزم قلبه أربع خصال فقر لا يدرك غناه وهمّ لا ينقضي مداه وشغل لا ينفد أولاه وأمل لا يبلغ منتهاه .

(٤) يشير إلى الخوف الذي يحرم الملوك من لذة الحياة وكلهم في ذلك سواء بعد أن ظهرت عصابة الفوضى وما نعيم قصور هي والسجون سواء ؟ .

وما يغني كبارَ الاسم شيء	وأنفسهم وإن كبروا صغار (١)
فيا كوخ الفقير إذًا سلامًا	فأنت لبهجة الدنيا وقار
وما تلك القصور سوى ذنوب	وأنت لها من الدهر اعتذار

وقال

في طغيان الأغنياء والنعي على أهل الكسل من الفقراء :

أرى الإنسان يطغى حين يغنى	وما أدنى الهبوط من الصعودِ
يظن الناس من خلق قديم	ويحسبه أتاهم من جديدِ
كما تعمى البهائم حين ترعى	عن الشوك الكثير لأجل عودِ (٢)
متى كانت « جيوبك » من نضار	فقد صارت جنوبك من حديد
ومن عجب يكون المال تاجًا	وحب المال أشبه بالقيودِ
فيا أسفا على الفقراءِ أمسوا	كمثل العود جفف للوقود (٣)
دموعهم دنانير ولكن	تعامى الناس عن هذي « النقودِ »
أليس من التغابن وهو ظلم	جزاء السعي يكتب للقعودِ

(١) يريد بذلك أهل الفخفخة الباطلة فترى المرء يشرف نفسه بما لو ظهر الناس عليه لكان سبة له وإنما هم كما حكى الوليد البندار قال : حججت مع الوليد بن يزيد فقلت له لما أراد أن يخطب الناس : أيها الأمير إن اليوم يوم يشهده الناس من جميع الآفاق وأريد أن (تشرفني) بشيء قال : وما هو ؟ قلت : إذا علوت المنبر دعوت بي فيتحدث الناس بذلك وبأنك أسررت إلي شيئًا فقال : أفعل فلما جلس على المنبر قال : الوليد البندار فقمت إليه فقال : ادن مني فدنوت فأخذ بأذني ثم قال : « البندار ولد زنا والوليد ولد زنا وكل من ترى حولنا ولد زنا » أفهمت . . . ؟ قلت نعم قال : انزل الآن فنزلت .

(٢) يريد أن في احتقار الفقراء ضرراً على الغني فهم كمثل الشوك وهو كالبهيمة تطلب من بين ذلك الشوك الكثير عودها الذي تمضغه فإذا لم تحذره لا تسلم منه . وهذه بزرة الفوضى التي أصبح لها في كل بلد فرع .

(٣) تجفيفهم في الإمتهان بالخدم ثم يموتون بعد ذلك مرضا وهمًّا كالعود يجفف فلا يكفي منع مواد حياته عنه حتى يوضع في النار .

ومن يحسد فإن الويل أن لا يذود الطير عن حب الحصيدِ
ومن يحمل على عنق حسامًا فقد ظمئ الحسام إلى الوريدِ
وما زال الورى بعض لبعض حسودًا يتقي شر الحسودِ
يقول الناس أن المال ماء به يحيى المجد مع البليدِ
أكالماء المرشح ما تراه حوى الكدرين من طين ودودِ
وأين البحر يضطرب اضطرابًا من المستنقعات على ركودِ
كذا خلق الأنام فمن شقي يلازمه الشقاء ومن سعيدِ
ومن يسخط على زحلٍ فلمْ لا يدير بكفه نجم السعودِ (١)
وكم بين النحاس وإن جلوه وبين توهج الذهب الشديدِ
نواميس جرت في الكون قدمًا ليتضح الفناء من الخلودِ

الحرب والسلام (٢) :

هم الناس حتى يرويَ الأرض مدمعُ وتالله يروى آكل ليس يشبعُ (٣)
ظماءةُ جوف أجَّ شوقًا إلى الورى وبعض الظما قد يلتظي حين ينقعُ
ومَسغبةٌ لا يبلغ الخلق دفعها وإنَ بطن الأحياء في الأرض أجمعُ (٤)
فيا باريْ الدنيا حنانيك إنما طغى الناس جهلاً بالذي كنت تشرعُ

(١) زحل في الخرافات القديمة كوكب النحوس كما أن المشتري كوكب السعد وهكذا خلق الناس ليتم نظام الكون فمنهم شقي وسعيد .

(٢) من الخرافات الموضوعة ولا تخلو من حكمة ما قيل أن السماء أرادت أن تقع على الأرض فقالت لها هذه : وما ذنبي إليك قالت إن فيَّ نيرانًا كثيرة وأريد أن أرجم بها هؤلاء (الشياطين) الذين تحملينهم فخافت الأرض على نفسها فطلبت من السماء أن تجعل لها زمنًا تفنى فيه أولئك الشياطن من غير أن تتساقط عليها الشهب فجعلت لها ميعادًا إلى يوم القيامة فعهدت الأرض بهذا الأمر إلى الشيطان الأكبر (إبليس) فوضع في كل صدر جمرتين وقال هما سيفي ورمحي أفني بهما الخلق وهما (الحرص والطمع).

(٣) قد يحذف حرف النفي بعد القسم بالتاء كما هنا والتقدير وتالله لا يروى .

(٤) أجيج النار والتظاؤها توهجها والمسغبة الجوع وبطن في الشيء صار في باطنه وأبطنه هو =

لكل فؤادٌ غير أن طبيعة ... من الشرايين القلب والقلب تقطعُ

وكلٌ جرى فيه دمٌ غير أنني ... أرى الحرص طفلاً من دم الناس يرضعُ

وبين المنى والنفس للشر موقف ... فإن لم تزعه النفس أقبل يسرعُ

وكل ضعيف الرأى منفتل الهوى ... عن الحزم يُمنى بالهوان فيخضعُ (١)

وتاللّه إن الذنب للمرء أهلهُ ... ففي أي شكل تطبع الطينُ يطبعُ (٢)

وأعجبِ ما في الناس أن يتألموا ... إذا أوجعتهم نكبة ثم يوجعوا

وإن يخدع الإنسان غير مجامل ... ويجزع إن أمسى كذلك يُخدعُ

وفي الناس حق ما يزال وباطل ... ولكنهم للحق بالباطل ادعوا (٣)

لحا اللّه دهرًا شدَّ بالقوة الهوى ... فكل قوي شاء ما شاء يتبعُ

وهب أَن هذا الظلم كان سياسة ... فمن قال أن الظلم في الظلم يشفعُ (٤)

لعمرك لو تبنى السياسة حُجرة ... بغير قلوب الناس باتت تَزعزعُ

ولو رفعوها فوق غير ضعافهم ... لما وجدوها آخر الدهر ترفع

إذا لم يكن للضعف حول فمن إذًا ... بتلك القوى غير الضعيف يفجَّعُ

حنانيك يا رب الضعاف فهم كما ... تحمل قيدَ الأرجل الضخم أَصبعُ

وويلاه ما هذي الحروب ومن أرى ... فقدمًا عهدنا الوحش فى الوحش يطمع

معايب إلا أن كم من فظيعة ... لها مصدر أن ينكشف لك أفظع

فويح الورى هم سعرَّوها وبعضهم ... لها حطبٌ والبعض فيها موقع

ونقع دجوجيٍّ ترى السحب فوقهُ ... لما راعها من برقه تقطع

= جعله فيه .

(١) انفتل عن موضعه انحرف .

(٢) كل مولود يولد على الفطرة فأبواه ينشآنه على الخير أو الشر ولكل امرئ ما تعود .

(٣) الحق والباطل موجودان ولكن كل إنسان يريد أن يكون في الحق ولوٌ بالباطل وقد قال بعض الحكماء : لو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف .

(٤) يشير إلى فساد مذهب القائلين بأن الغاية تبرر الواسطة .

إذا انفرجت للريح فيه طريقة ... نجت وبها حمى تئز وتسطع [1]
وإن طالعته الشمس تذهل فلا ترى ... أمغربها في النقع أم ذاك مطلع
وقد كشفت تلك العجوز نقابها ... وقالت لأهليها قفوا ثم ودعوا
وألقى الردى صيحاته دافعًا بها ... لذاك فم الموت اسمه اليوم « مدفع »
على عصبة لم يظلموا غير أنهم ... مفاتيح أمَّا قيل أغلق موضع
تعاطوا كؤُوس الموت في حومة الوغى ... وذاك رنين الكأس بالكأس تقرع
وللَّه ما أشهى الردى بعد ضيقة ... تكون طريقًا للتي هي أوسع
كأنهم والموت جلّ جلاله ... سجود يخافون العذاب وركع
كأن ثياب الموت كنّ بواليا ... عليه وبالأرواح أمست ترقع
كأن الردى إذا حجل الجند حوله ... وقد عطشوا حوض من الماءِ مترع
كأن فم الميدان أصعد زفرة ... من الجيف الملقاة للَّه تضرع
زلازل ويل ماتني الأرض تحتها ... تهزهزُ حتى أوشكت تتصدع
إذا نفعت ضرت وما خير نعمة ... تضر الورى أضعاف ما هي تنفع
كذاك أرى الدنيا فتاةً شنيعةً ... فإن ولدت جاءَت بما هو أشنع
كأني بهذي الأرض قلبًا معلقًا ... وما ملك إلا له الحرص أضلع
كأنْ قد غدا الإنسان وحشًا فلا أرى ... يعزز إلا المرء واديه مسبع [2]
وإن يأمر الملْكُ الذي ليس تحته ... سرير من القتلى فهيهات يسمع
ولن تصبح الدنيا سلامًا ورحمةً ... على أهلها ما دام في الناس مطمع [3]

(١) أزيز القدر صوت غليانها والحمى تتزأي تكاد لحرارتها أن يكون لها صوت .

(٢) أرض مسبعة كثيرة السباع وكنى بها عن قوة الجند والأعوان .

(٣) من عجيب شأن الناس أن القوي يطمع في غيره ويدعي أن غيره هو الطامع فيه وما دام هذا شأنهم فالرحمة بعيدة عنهم . ومما يتفكه به ما كتبته إحدى الصحف الألمانية عن الحرب الدائرة اليوم وهو من قبيل الخرافات الحكيمة قالت : إن القديس بطرس رئيس الحواريين دخل على المولى فقال أي رب أعرفت ما في الأرض ؟ اليوم قال: وما هو ؟ =

وقال في شأن الشرقيين اليوم :

كلٌ يقول شقينا | وكلنا فات أمسهْ
هذا يُحيل على ذا | وآفة الكل جنسهْ
وبعضنا يتسامى | فليس يسمع حسه
يرثي لمن ليس منه | وموت أهليه عرسه
من كان ضرس سواه | فليس يعنيه ضرسه (١)
واللَّه لو عقل الشرق | لاختفت عنه شمسه

وقال في المال والعلم والدين وذكر أهلها :

هي الأفلاك لا شم القباب | ولا كالفلك تجري في العبابِ
تدور بما تدور ونحن منها | مكان الظل من فوق الترابِ
ولو أن الورى كانوا عليها | لباتت كالسفينة في الضباب (٢)
يد الإنسان آثمة ولو في | ذرى الأفلاك من فوق السحاب
ولو أن الملائك عاشرته | لكنت ترى الحمامة كالغراب

= قال أن الروس في حرب مع اليابان ودخل حينئذ ملك الروس فقال رب انصر الروس واخذل اليابان فإنها اعتدت علينا فدخل ملك اليابان وقال رباه اكسر الروس أمامنا لأنهم أشرار فدخل ملك فرنسا وقال : إلهي خذل اليابان وانصر الروس لأن أموالنا في روسيا فإذا سقطت بتنا بلا مال فدخل ملك الإنكليز وقال : مولاي اخذل الروس وانصر اليابان فإنها حليفتنا وإذا سقطت سقط مجدنا فدخل ملك الصين وقال يارب اسحق الدولتين معًا لأنهما طامعتان في بلادنا . فلما سمع المولى ذلك كله التفت إلى بطرس وقال له إذا كان الأمر كذلك فنحن نبقى « على الحياد » .

(١) يعني بضرس سواه من يكون آلة لغيره يطحن بها ما يصير إلى معدته وهي خلة الشرقيين.

(٢) العباب البحر ومراد الشاعر من هذه الأبيات أن الأفلاك تجري على نظامها ما دام نوع الإنسان بعيدًا عنها فلو صاروا عليها ضلت لخبثهم فكانت مما يأتون من ذلك كالسفينة في الضباب لا تدري أين تذهب .

ضعيف وهو أقوى من عليها ... قويٌّ وهو أضعف من ذباب
وليس الناس أجسامًا ترأى ... ولكن كل نصلٍ في قِرَابِ [(١)]
تفاوتت النفوس فرب نفس ... علي فلك ونفس في ثياب [(٢)]
فلا عجب إذا الإنسان أمسى ... لدى الإنسان كالشيء العجاب
يعد الناس ضعف الناس ذنبًا ... لذا خلق القوي من العقاب
فذو المال استبد بكل نفس ... وذو العلم استخف وذو الكتاب
لدُنْ ركبوا سفين الدهر ظنوا ... بني الدنيا متاعًا للركاب
وليس « المال » غير العين أمَّا ... غدت سود الحوادث كالنقاب
فلا يفخر بصير عند أعمى ... فما غير المصاب سوى المصاب
سلوا من ظن أمر المال سهلاً ... أكان السهل إلا بالصعاب
لعمرك إنما الذهب المفدَّى ... نفوس لم تعد بعد الذهاب
هم اكتسبوا لغيرهم فأمسى ... عليهم الاكتساب بالاكتئاب
وصيغ شبابهم ذهبًا أليست ... على الدينار زخرفة الشباب [(٣)]
يمنوْن السعادة وهي منهم ... منال الماءِ في بحر السراب
وإن خزانة الآمال ملأى ... لمن تلقاه مهزول الجراب [(٤)]

---

(١) الأجسام كالأغماد جعلت لتمسك السيوف ولا فائدة لغمد لا سيف فيه ولا في جسم لا نفس له وإنما النفس بما يظهر عنها من الآثار .

(٢) يريد أن من أنفس الناس ما يرتقي إلى الملك وهو مدى الارتقاء ومنها ما لا يبرح ثياب صاحبه عجزًا وخسة .

(٣) ما ينقضي عجب الناس من هذا البيت ولا ينقضي (إلا إذا فضلوا على الدينار شيئًا آخر) .

(٤) يقال الأماني رأس مال المفاليس والخزانة بالكسر (ولا تفتح) ومن أحسن الأجوبة أن البوريني سئل عن الحب (بمعنى الحبيب) هل هو بالكسر أو بالضم فقال هو بالكسر ويستحسن فيه (الضم) وعن الجفن أهو بالكسر أو بالفتح فقال هو بالفتح ويستحسن فيه (الكسر) والزمخشري عن العثير (التراب) أهو بالفتح أو بالكسر فقال هو بالكسر =

ومن يغتر بالأقوى يجده كنصل السيف يغمد في الرقاب
متى صاح الدجاج بثَعلَبان فليس سواه من داعٍ مجابِ (١)
يظن الأغنياء الفقر ضعفًا وكم من حيةٍ تحت الخراب
ولا يخشون ممن جاع بأسًا وليس أضر من جوع الذئاب
ألم تكن السفينة من حديد فما للماء يخرقها بناب
إذا شمخت على الأمواج تعلو فما بعد العلو سوى انقلاب
أما « للعلم » سلطان على من يرى أن الفضائل في الخلاب
وما ذو العلم بين الناس إلا كمن كبح البهيمة لاحتلاب
يظل بها يمارسها شقيًّا وحالبها يمتع بالوطاب (٢)
وكم بين الطروب وذي شجون إذا أبصرت كلاً في اضطراب
أرى العلماء إذ يشقون فينا نعيمًا كامنًا تحت العذاب
كقطعة سكر في كأس بن تذوب ليغتدي حلو الشراب
ومن أخذ العلوم بغير خُلقٍ فقد وجد الجمال بغير سابي
وما معنى الخضاب وأنت تدري بأن العيب من تحت الخضاب
إذا الأخلاق بعد العلم ساءت فكل الجهل في « فصل وباب »

= (ولا تفتح فيه العين) وأبو السعود المفسر عن الخزانة والقصعة فقال (لا تفتح الخزانة وتكسر القصعة).

(١) الثعلبان ذكر الثعالب وأمر الثعلب مع الدجاج مشهور .

(٢) الخلاب الخداع وذو العلم يشقى ليسعد بعلمه الناس كالذي يكبح البهيمة ليحلبها من يشرب لبنها فإنه يذوق المر وصاحبنا يكرع الحلو وللعلم في أهله صفة لا يسمون علماء إلا بها وهي الصبر على الشقاء وطلبه بأنفسهم وما أحسن ما يروى عن الحسن البصري قال : إذا رأيت من هو أعلم مني فذاك يوم استفادتي وإذا رأيت من هو دوني فذاك يوم إفادتي وإذا رأيت من هو مثلي فذاك يوم مذاكرتي وإذا لم أرَ أحدًا من هؤلاء فذاك يوم مصيبتي .

ولولا العلم لم تسكن نفوس على غي الحياة إلى الصواب
ولولا « الدين » كانت كل نفس كمثل الوحش تسكن للوثاب
رأيت الدين والأرواح فينا كما صحب الغريب أخا اغتراب
فلا روح بلا دين ومن ذا رأى راحًا تصب بلا حباب
ليجحد من يشاء فرب قشر يكون وراءه عجب اللباب
ولله المآب فكيف يعمى أخو الأسفار عن طرق المآب
وما ظمأي وفي جنبيّ نهر تدفق بين قلبي والحجاب

وقال :

ليتلوها تلميذ أتم الدراسة في بعض مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية :

أرى عقلي كساقية تُدارُ وأنواع العلوم لها بحارُ
ولي فكرٌ كبستان نضير شهيٌّ معارفي فيه ثمارُ
تناولت العلوم وكان جهلي كمثل الليل فانشق النهارُ
ولاح ليَ الورى شيئًا عجيبًا وكل فتى رأى عجبًا يحارُ
فما الدنيا كما كنا نراها مُصَغَّرةً ونحن إذًا صغارُ (١)
وإن الجهل يستر كل حسن كنور الشمس يحجبه الغبار
أرى لي موقفًا حرِجًا كأني ضللت وليس في بحري منار
سأفعل فعل أجدادي فإمَّا كما نالوا وإما حيث صاروا (٢)
وما أنا بالصغير العقل حتى تعز على يدي الهمم الكبارُ

(١) كل الدنيا عند الصغار البلد الذي يوجدون فيه وكل الناس فى أعينهم أهلهم ومن يلعبون معهم وهم في سعادة بجهلهم لا يحلم بها الملوك فإن زاوية الطريق التي يلعب فيها الطفل تقوم لديه مقام ملك الأرض وكلما انفتق ذهنه زال عنه الغطاء حتى يصبح والعالم في نظره شيء جسيم والهم عنده بلاء مقيم .

(٢) ليت هذه الكلمة تنقش في أفئدة النشء المصري ولو بأطراف السكاكين وقد قال الحسن البصري أن امرءًا ليس بينه وبين آدم أب حي لمعرق في الموتى .

ولا أنا بالضعيف القلب حتى تقيدني المنازل والديارُ
سأضرب في البلاد فأي فجٍّ تلقاني فذلك لي قرارُ (١)
ولا عار على الساعي لمجد ولكن التزام الدار عارُ
وما قدر الآلئَ وهي درٌّ إذا لم ينفلق عنها المحار (٢)

وقال

وتلاها تلميذ صغير السن جدًّا:

عدت على أقوامنا النحوسُ
وضلّلتهم هذه الكؤوسُ
فانقلبت في الأرجل الرءوسُ
وخرب العقل بها والكيسُ
فكلهم بين الورى بئيسُ
النصح يا قومي هو النفيسُ
والغي تعمى عنده النفوسُ
فبصّروها فالهدى مطموسُ
وقد ضربنا مثلاً فقيسوا (٣)

(١) نظن والله أعلم أن هذا مجرد قول وإلا فالمصريون لا يضربون في البلاد إلا إذا تحركت الأهرام قبلهم وأوغلت في مهامه إفريقيا أما ما دامت فهم أثبت منها في (أرض أجدادهم) لا يبرحون البيوت إلا إلى القبور ولا القبور إلا إلى الموقف ولا الموقف إلا إلى حيث يكون الخلود . . .

(٢) المحار ما يستكن فيه اللؤلؤُ ولا قدر للدر إلا إذا خرج من صدفه ولكنه ما دام فيه فالدرة والبعرة سواء .

(٣) ضرب لهم المثل بالخمر التي سمعنا الشاعر يقول عنها : « إن المصريين صهروا ذهبهم فسال خمرًا » يريد أن كل من عنده ذهب منهم يبذله فيها . وترك لهم الطفل أمر القياس. . . وهنا موضع العجب .

وقال :

في علماء ينفعون الناس ويؤدي بهم العلم إلى الجحود والعياذ بالله :

مشى الجهال في طينٍ ولكن ... أكفهم على حجرٍ صَلودِ
كما يمشي الجبان وعن يديه ... صفوف الحارسين من الجنودِ [1]
وكم في العالمين أخي ذكاء ... يجر به الذكاء إلى الجحودِ
أرى للعقل حداً في التسامي ... كمرمى الباصرات إلى حدودِ
وإن السيف إن لم يلف غمداً ... كساه من الصدا شبه الغمود [2]
وكل تطرف العلماء جهل ... وبعض الجهل بالعلماءِ يُودي
إذا انحرف « القطار » براكبيه ... فقد وجدوا « الحطة » في اللحودِ
وسيان البصير وكل أعمَى ... إذا نظرا إلى شيءٍ بعيد [3]

وهذه شذرات من الحكمة ألحقناها بهذا الباب

(قال يمنى نفسه) :

تعلق القلب بآماله ... ومن يؤَمل قلبه يعلقِ
يا نفس بعضَ اليأس لا تقنـ ... ـطي من رحمة اللَّه ولا تحنقي
إن كان ما مرَّ من العمر لم ... يحقق الظن ففيما بقي
والناس في الدنيا دلاءٌ فذا ... يهوى إلى القاع وذا يرتقي [4]

---

(١) إنما يخاف على من يمشي في الطين أن يزلق وما دامت يده على حجر صلد فقد أمن ذلك كما يذهب الفزع عن الجبان بقوة الحارسين .

(٢) المعنى أن لكل شيء حداً وإذا ترك تلف وقد قيل كل ما جاوز حده جاوز ضده .

(٣) البصير إذا نظر إلى شيء بعيد عن مرمى نظره لا يراه فهو والأعمى من هذه الوجهة سواء وكذلك العالم إذا أراد أن يخرج بعقله إلى ما وراءَ الغيب فلا فرق بينه وبين الجاهل في شيء. وقد قال بعض كبار الكتاب العلماء عندما قرأ هذا البيت « أشهد أن المعري لم يقل أحسن منه في زمنه » .

(٤) الدلاء جمع دلو . وبعض الياس منصوب بفعل محذوف أي أيأسي بعض اليأس ونحوه =

وقال في مثله :

لا أعذل الدهر على ... ما أفسدت لي يدُهُ
يسوؤني اليوم لكي ... يعرف قدري غدُهُ
كالذهب الإبريز من ... ينقده يبردُهُ (١)

وقال :

لا تغترر بالناس فيما ترى ... فهم مع الفاتح في كل بابْ
رأيتهم يُعلون قدر الفتى ... للسحب كي يستمطروه سحابْ (٢)
وما اعتلى الميت من عزةٍ ... أعناق من يرمونه في الترابْ

وقال :

إن الأنام وحوش ... وإنما الاسم ناسُ
تخاتل وزحام ... وقسوة ومراس
فاخش الضعيف وإن لا ... ن كم من الضعف باسُ
والماءُ ألين شيءٍ ... لكنه لا يداس

وقال في النفس الأمّارة بالسوء :

أقلُّ الأعادي أذًى ... لك الصاحب الأعوج (٣)
وللمرءِ بين الأنا ... م مُتسعٌ يُفرجُ

= وفي هذه القطعة يبين لك معنى الابتكار فإن كل امرئ يرى الدلاء في الآبار تصعد وتنزل ولكن لم تسمع قط أن شاعراً جاءَ بهذا المعنى (وسنسمع بعدَ اليوم على ما هي عادة القوم) .

(١) الذهب الإبريز الخالص وعادة الصيَّاغ إذا أراد امتحان الذهب برد قطعة منه فلا يعرف قدره إلا بعد أن يؤْذيه بما يخدش منه .

(٢) سحاب في الأصل منصوب وإنما سكن للقافية ومثله شائع في كلام العرب والمراد أنهم يتملقون الرجل فيقولون : إنه سحاب ليمطرهم بنداه .

(٣) ليس أشد أذى للمرء من الصاحب الأعوج فما يستقيم أمر صاحبه قط وهو مع ذلك أخف بلية على الإنسان من نفسه .

ومن يَغْنَ عن غيره فما غيره الأحوجُ
وأعدى أعادي الورى نفوس بها أُحرجوا
وذا عالَمٌ مظلم يحارُ به المدلجُ (١)
فيا من سعى للدنا وأكفانه تنسجُ
طبخت ولكنما طعامك لا ينضجُ
حياتك كالطيب لا يدوم متى يأرجُ (٢)
وكم نَفَس في الهوا بنفْس الفتى يخرج

وقال:

يا طالب العليا احترس إن تصطفي عذالها
إن الأمور رجالها فاطلب لتلك رجالها
والزمهم فلطالما وقت اليمين شمالها
واجعل لنفسك غاية تهب النفوس كمالها (٣)
وأمت أمورك في الفؤا د فموتها أحيى لها
واخش الدسائس من عدا تك واحذرنَّ فعالها
تجد القنابل كالحجار وقد ترك أعمالها

---

(١) المدلج السارى ليلا والعالم ظلمات يتخبط فيها الأحياء بين فتنة وأخرى من النفس والناس.

(٢) الدنا الدنيا وحياة المرء كالطيب كلما أرج أي فاحت رائحة فني لأن أرجه من المادة الذاهبة منه في الهواء وقد قيل أن حبة المسك تبقى سنتين لا تنقطع رائحتها من الموضع الذي تكون فيه ولاَ ينقص من وزنها مع ذلك شيءٍ ومثلها بعض الناس الذين يتطاول عليهم الأمد ومصير الكل إلى الفناء .

(٣) إن من لا يسعى إلى غاية لا يصل إلى شيءٍ والعمر أضيق من أن يبذر منه فمن لم تكن له غاية يطلبها من هذه الحياة

فذاك الذي إن عاش لا يعتنى به وإن مات لم تحزن عليه أقاربه

والماء يطفي النار لكن لا يطيق خيالها (١)

وقال في تخير الأصحاب :

لا ترق مدرجة الصعو د لأجل مهواة الهبوطِ
واجعل علاك عليك شر طاً حين تؤخذ بالشروط
واستفد من خزر الصحا ب فكم لآلٍ في السموط
إن السفينة كلما صغرت تراها في الشطوط
والعنكبوت إذا بنت بيتًا فأهون بالخيوط (٢)

وقال في التوفيق والجد :

لغيري الدهر سِلمٌ وعندي الدهر حربُ
وقد عييت بسعيي إن السوابق تكبو
وكل نار إذا لم تصادف الريح تخبو
وكل عضب إذا لم يقع على اللين ينبو
وكل سهل إذا لم يوفق اللَّه صعبُ

(١) إن مكيدة العدو أن يظهر بمظهر من لا يضر كالقنبلة تراها في شكل الحجر ولكنها إذا أطلقت من موضعها فعلت الأفاعيل ولا يستخف بالضعيف إلا ضعيف الرأي فإن القبرة أعمت الفيل وردّنه في هاوية فهلك والبعوضة أدمت عين الأسد والماء يقوى على النار فيطفئها ولكن أشعتها تنزل في قلبه كالسهام وتظهر فيه ولا يستطيع ردها . ولا بأس من ذكر فائدة يتعلم منها (هؤلاء الشعراء) . كان سبب نظم هذه القطعة أن الشاعر مر وبعض أصحابه بنهر تنعكس أشعة المصابيح المنارة على جانبيه فقال له صاحبه شبه هذا فنظم البيت الأخير على البديهة ثم بنى عليه القطعة . والموضوع لا يخرج منه ذلك ولكن شرط الشاعر كما ترى في المقدمة (الانتباه إلى أدق المناسبات) .

(٢) العنكبوت تبني بيتها لتتقي به ولكن النسيم الخفيف يحملها وما بنت وإنما الصاحب للصاحب يدلا تنفعه إذا كانت شلاء وكلما صغرت النفس نزلت إلى معاشرة السفلة كالسفينة التي ضربها مثلا ولا حاجة بنا أن نبين مبتكرات الشاعر عند كل موضع فإنها ظاهرة للعاقلين .

هـــذا شـــــــراعـــي ولـــكـــن   مـــن لـــي بـــريـــح تـــهـــبُّ

وقال في مثله :

يـــا مـــن ســـعـــى لـــغـــنـــاه   وعـــاد بـــعـــد فـــقـــيـــرا
إن لـــم يـــكـــن لـــك حـــظ   كـــان الـيـســيـر عـســيـرا
أنـــى تـــطـــاول مـــن طـــا   ل إن خـــلـــقـــت قـــصـــيـــرا
نـــصـــبـــت فـــخـــك لـــكـــن   ســـواك ذاد الـــطـــيـــورا

وقال :

كـــفـــفـــت يـــدي عـــن الـــشـــر   وأصـــغـــيـــت لـــه أذنـــي
لا عـــلـــم إن نـــبـــذت فـــتـــّـــى   ســفــيــهًــا كــيــف يــنــبــذنــي
فـــلا بـــالـــمـــكـــر آخـــذه   ولا بـــالـــمـــكـــر يـــأخـــذنـــي

وقال :

تـعـلـم مـن الـخـتـل مـا تـتـقـي   بـه كـيـد كـل فـتـى خـاتـلِ
وخـذ لـمـشـيـبـك مـكـر الـشـبـاب   ومـن حـادث الـعـام لـلـقـابـلِ (١)
وإن كـان كـل الـورى فـي جـنـون   فـمـا أنـت وحـدك بـالـعـاقـل
فـكـن عـالـمًـا جـاهـلاً بـيـنـهـم   فـهـم خـدم الـعـالـم الـجـاهـلِ (٢)

وقال في اختيار الأصحاب :

أصـــبـــح كـــلٌّ مـــنـــظـــرا   فـــاتـــرك لـــه مـــنـــظـــرَهُ

---

(١) قيل أحمق ما يكون الشيخ إذا عمل بظنه . وقد أصبح الشيب عند شبان اليوم موضعًا للنكات ولا حول ولا قوة إلا بالله . ومن الأجوبة المسكتة ما حكى بعض الأصحاب قال: رأيت عبدًا أسود شابًا وقد نظر إلى شيخ كأن لحيته القمر بياضا فقال لمن معه ما أقبح هذه اللحية وهى كالعين البيضاء من العمى فقال الشيخ على الفور « والعمى خير من رؤية وجهك الأسود » فأفحمه .

(٢) من العلم ما يضر في بعض مواطن الجهل فسياسة الناس أن تعرف ما ينبغي مما لا ينبغي .

وأغضب الصاحب إن أردت أن تخبُرَهُ
فكل ماء كدر من هاجه عكَّرَهُ

وقال (في حديث جرى بينه وبين بعض أصحابه في ساعة هم):

قد أتعب الهم قلبي وشرَّد الحزن نومي
وسامني عنَتُ الدهـ ـر بعض ما سام قومي
وقد أرى العيش لكن إلى لقا اللَّه صومي
يخيفني الناس بالمو ت ما على الناس لومي
وكيف يخشى المنايا من مات في كل يومِ

وقال :

نشأت ولست أعرف لي عدوا وها أنا لست أعرف من معيني
كأن الناس ليس لهم قلوبٌ تحركهن أنفاسُ الحزينِ
إذا ما أبصروا ذا الهم فروا فرار الروح من وجه المنونِ
وأكثر من تصاحبهم ديونٌ ويا ويل الفقير من الديونِ
دع الدنيا ترفع كل وغدٍ فإن الخمر قد سُدت بطينِ (١)

وقال

دعوني إن سرى اليو م أني ليس لي سرُّ
وما يعجب من أمري سوى أن ليس لي أمرُ
فَعلُوا ما قرأت عيني فإن كتابها الصدرُ
لقد عُلّمت أمر النا س مذ علمني الدهرُ
وعندي أن جهل الشر في الناس هو الشرُ

---

(١) يختم دن الخمر بالطين إذا تركت فيه لتختمر فيعلوها وهي أكرم جوهرا وكذلك شأن الزمن في الأغبياء .

وترك الفكر فيما تشـ ـتهي النفس هو الفكرُ
حلا الموت لمن لم يد رِ أن مذاقه مرُّ

وقال:

لقد أنحل الهم جسمي فهل لذا الجسم من همه مخرجُ
ولم تك تسقمني الحادثات ولا كنت قبل بها أُزعجُ
إذا طبخ الدهر جسم امرئ بنار سوى الهم لا ينضجُ

وقال:

قالوا جنونٌ قلت إي والذي يقدر الهم لمن يعقلونْ
انقلب الدهر بأبنائه لذا ترى العقل غدا في البطونْ
جنوننا ما دام في رأسنا عقل وهم من عقلهم في جنونْ
وما على الناس من الناس يا ليت إذا لم يعرفوا يعرفونْ

وقال:

(في احتفال الناس بأمواتهم في مواسمهم المعروفة بمصر)

يعزي الناس بعضهم ولا يجديهم شيئًا
فذاك طُوي وهذا سو ف يطويه الردى طيًّا
يمين َالله لو عقلوا لعزَّى الميت الحيًّا

الباب الثاني

في النسائيات

ربة الحسن والقلم

مدادك في ثغر الزمان رضابُ ... وخطك في كلتا يديه خضابُ
وكفك مثل البدر قد لاح نصفه ... فلا بدع في أن اليراع شهاب
كلحظك أو أمضي وإن كان آسيًا ... جراح اللواتي ما لهن قراب
يمج كمثل الشهد مجته نحلة ... وإن لم يكن فيما يمج شراب
ويكتب ما يحكي العيون ملاحةً ... وما السحر إلا مقلة وكتاب
فدونكِ عيني فاستمدي سوادها ... وهذا فؤادٌ طاهر وشباب (١)
أرى الكف من فوق اليراع حمامة ... وتحت جناحيها يطير غراب
كأن أديم الليل طرس كتبتهِ ... وفيه تباشير الصباح عتاب
كأن جبين الفجر كان صحيفة ... كأن سطور الخط فيه ضباب
كأن وميض البرق معنًى قدحته ... كأن التماع الأُفُق منه صواب
كأنك إما تنظري في كتابةٍ ... ذكاءٌ وأوراق الكتاب سحاب
أراك ترجين الذي لست أهلهً ... وما كل علم إبرة وثياب (٢)

(١) استمد أخذ من المداد والفؤاد في سويدائه والشباب والمداد لون الواحد .

(٢) قال الدكتور (تيلبر) أحد مشاهير الأطباء في الولايات المتحدة والطبيب الخاص لمدرسة (فاسال) المخصوصة بتعليم الجنس اللطيف : أنه لم يجد ألف فتاة تعلمن العلوم العالية كما يجب أكثر من عشرين لم يخسرن صحتهن وإن كثيرات منهن لا يعدن صالحات للولادة وباقيهن لا يلدن أكثر من اثنين إلى ثلاثة وبعضهن يكن سببًا للشقاق في العائلات لأنهن يصبحن ذوات آراء لا يتنازلن عنها ولا يسلم بها أزواجهن وأن العلم=

كفى الزهرَ ما تندى به راحة الصبا وهل للندى بين السيول حساب
وما أحمق الشاة استغرت بظلفها إذا حسبت أن الشياه ذئابُ
فحسبك نبلا قالة الناس أنجبت وحسبك فخراً أن يصونك باب (١)
لك القلب من زوجٍ وولْدٍ ووالد وملك جميع العالمين رقاب
ولم تخلقي إلا نعيما لبائس فمن ذا رأى أن النعيم عذاب
دعي عنك قومًا زاحمتهم نساؤُهم فكانوا كما حف الشرابَ ذباب
تساووا فهذا بينهم مثل هذه وسيَّان معنًى يافع وكعاب
وما عجبي أن النساءَ ترجلت ولكنَّ تأنيث الرجال عجاب (٢)

بنت الزي أو حسناء « الموضة »

ما بال هذا الجسم يا فتنتي من سرق الديباج في حبسِ
وبعضه في كفن واسع وبعضه في ضيقة الرمس
لكل شيء حسن زينةٌ وزينة الخمرة في كأس
والبدر في ديباجةٍ يجتلي وأنت في عشر وفي خمس
شريعةٌ تنسخ في يومها كل الذي قد شرعت أمس (٣)

= يجعلهن متكبرات غير مستعدات للخضوع اهـ . ومعلوم أن التي تتعلم هذه العلوم لا يكون زوجها في الغالب إلا من الأغنياء الذين يرون لذة الحياة كلها في الولد وكثرة النسل فليعلم الفقراء أن للأغنياء في بيوتهم مصائب على قدر غناهم ، وقد قال الإمبراطور غليوم لابنته : إنك وإن كنت بنت إمبراطورة لا تزالين امرأة وإن أنفع شيء لك أن تعرفي أعمال المطبخ « وترقيع » الأجربة جيداً ، وهي كلمة كبيرة من رجل كبير.

(١) القالة والمقالة بمعنى . والظلف للشاة كالحافر للفرس .

(٢) نذكر هنا رأي شاعرنا في تعليم النساء . فإنه يرى أن المرأة خلقت على غير تركيب الرجل في أكثر أجزائها فلا يصلح لها إلا ما يناسبها وهو يقول أنه لا يناسبها شيءٌ من العلوم قط إلا ما كان عليه حرف من أحرف هذه الكلمة (البيت) . أما إذا خرجت عن معنى المرأة (في نظر الناس) فلها ما تشاء .

(٣) أصبحت هذه الكلمة المشؤومة التي تسمى (الموضة) سببًا لخراب البيوت والأبدان وقد =

ولــو تــزيــد الحـــســـن أثــوابــه لـبـان نـقـص الحـسـن في الـشـمـس
أهـانــت الـغــادات أهـل الـهـــوى وهـنّ قــد هـنَّ عـلـى نـفـسـي (١)
فــأعــين الـقــوم وأذيــالـهـــا « مـصـلـحـة » لـلـرش والـكـنـس (٢)

(الحسناء والمرآة) :

بـدتْ قـمـراً لـه حظي لـيـالي وجـسـمـي في هـواهـا كـالـهـلال
ولاحـت في المرآة فـقـل سـمـاءٌ تـولـتـهـا الملائك بـالـصـقـال
تـرقـرق حـسـنـهـا فـيـهـا فـمـالـت وفـي الـطـاووس طـبـع الاخـتـيـال
وكـانـت كـالـغـصـون أصـبن نـهـراً فـداعـبن الـظـلال عـلـى الـزلال
وكـنـت لـهـا بـواحـدة قـتـيـلاً فكـيـف بـهـا اثـنـتين عـلـى قـتـالي (٣)
دعــوهـا تـدر مـنـهـا مـا دريـنـا وتـنـظـر مـا نـظـرنـا مـن جـمـال
فــمــا مــرآتـهـا إلا كـتـابٌ يـعـدُّ لـهـا جـنـايـات الـدلال (٤)
ومـا اتـهـمـت مـحـاسـنـهـا ولـكـن يـكـون سـجـيـة مـرح الـغـزال
عـسـاهـا صـدّقـت مـا أخـبـروهـا بـأن الـطـيـف يـسـمـح بـالـوصـال
فــلازمــت المـرأة كـمـا أراهـا تحـاول أن تـظـفّـر بـالخـيـال (٥)

= بلغ من تفنن نساء باريس أن الرجل يبتاع لامرأته شيئًا مما تلبسه ثم يعدو إلى البيت خائفًا أنه إذا أبطأ في مشيته فربما لا يصل حتى تكون قد نسخت هذه (الموضة) بغيرها ويرى شاعرنا أن مثل هذا التبرج لا يكون في امرأة طاهرة القلب قط .

(١) هن الأولى ضمير والثانية مسند إلى نون النسوة .

(٢) لو شئنا أن نشير إلى مبتكرات المعاني في كل مواضعها من هذا الجزء لما خلت صحيفة من ذلك ولخفنا ملل القراء ولكنا نريد على كل حال أن يتعلم أدباؤنا كيف يكون الابتكار لعل الشعر يطهر ولو من الحدث الأصغر . . . .

(٣) يعنيها بخيالها بالاثنتين لأن الحسن صورتان .

(٤) لو تدبرتْ وهذه هي العلة التي ذهبت بأرواح العاشقين فلو أن الجميل يعشق نفسه كما يعشقه غيره لرحم غيره كما يرحم نفسه .

(٥) يريد أنها علمتْ بأن الطيف يزور عاشقها وحسنها يأبى إلا أن يتمنع فهي تقف أمام =

وللحسناء آمال وماذا … يؤَمل في (السما) غير المحال [1]

فيا مرآتها وصفاءَ قلبي … وعصر طفولتي وخلوَّ بالي [2]

ويا حظي وحاجبها ودهري … وطرتها وعينيها وحالي

لقلبت الليالي بي ولما … يرعني أن تقلبت الليالي

كأني صرت مرآة لدهري … يرى فيها محاسنه البوالي

فلم ينظر جبيني قط إلا … تنفس فيه بالهم العضال [3]

فديتك ساعة المرآة طولي … أمدك من ليالي الطوال

فما أحلى إذا وقفت إليها … تبالي بالجمال ولا تبالي [4]

وبانت في الحليّ طريق سبق … لتستبق اليمين مع الشمال

وأعيى كفها الشعر اختلافًا … كما تعيى الهداية بالضلال

ولاحت في لواحظها سماة … كما تجري المنية في النصال

فلو نطقت لنا المرآة عنها … إذًا قالت تبارك ذو الجلال [5]

(حلي النساء [6]) :

رأت الملاح على السماء كواكبًا … فجعلنها فوق الصدور عقودا

= المرآة كثيرًا لترى هذا (الخيال) الذي يزور عاشقها فتقبض عليه ليتم بذلك عذاب المسكين والمعنى أنه لا عيب عليها في ملازمة المرآة فانظر كيف أصبح الكلام سحرًا .

(١) المرآة تشبه في صفاتها السماء ومن يؤمل شيئًا في (السماء) يؤمل المحال فكذلك يكون قبض الحسناء على خيالها محالا أيضًا .

(٢) كلها نظائر بيضاء وما بعدها في البيت الثاني نظائر سوداء .

(٣) المعنى كأن دهره ذهبت محاسنه (وإنما محاسن الدهر أهله) وهو مرآة هذا الدهر فكلما نظر في جبينه تفجع على حسنه الزائل فتنفس نَفَسَةَ الهم فكانت في جبينه تجعدا وهو إنما يكون من الهموم والأفكار .

(٤) هذه الكلمة من الكلام الجامع فكل ما تفعله الحسناء وما لا تفعله يقال فيه (تبالي بالجمال ولا تبالي) .

(٥) تبارك الله أحسن الخالقين يؤتي الحكمة من يشاء .

(٦) كان لعلي بن الجهم جارية بارعة الأدب ولها كلمات مأثورة فكانت تكره الحليُ وتقول=

ورأين نور الشمس يضحك في الضحى | فلبسن منه أوجهًا وخدودا
ورأينها تبدو وتغرب لاتني | فجعلن ذاك تواصلاً وصدودا
إني لطب بالنساء وقد رأيـ | ـت لهن قلبًا لا يزال حسودا [1]
فلو أنهن رأين عودا قد تحلـ | ـى بالثمار حسدن ذاك العودا [2]
وإذا غضبن جعلن أسباب التوا | صل إصبعًا أو معصمًا أو جيدا
وقلوبهن على الحلي كذي الليا | لي إن عد من البدر كانت سودا
إن النساء خلائق أن فتنها | فهي الأُسارى والحليّ قيودا

(المرأة المصرية)

أتي عليك وإن لم تشعري الأمد | وأنت أنتِ مضى أمس وحل غدُ
فهبك عينًا فما في الناس ذو نظر | إلا ويؤلمه في عينه الرمدُ
وهبك قلبًا فما في الخلق من رجل | إلا ويوجعه في قلبه الكمدُ
وهبك من كبد في جنب صاحبها | أليس يحمل ما تغلي به الكبد [3]

= (تستر المحاسن كما تغطي القبائح) .

(١) الطب بالفتح الحاذق الماهر .

(٢) نذكر هنا بعض النساء اللواتي يثمرن حليًا . فلقرينة مستر « استور » من الجواهر ما يزيد ثمنه على ١٥٠ ألف جنيه ولها عقد لؤلؤ ثمنه ٢٤ ألف جنيه ولزوجة مستر (جورج غولد) عقد الماس ثمنه ٢٧ ألف جنيه ولزوجة مستر (ستوان) عقد الماس ولؤلؤ ثمنه ٣٤ ألف جنيه ولزوجة مستر (برادلي) عقد لؤلؤ ثمنه ٦٨ ألف جنيه ويحيط به من الأحجار الكريمة ما يبلغ ثمنه وحده ٨٠ ألف جنيه وكلهن في أمريكا وليس هذا بشيء في جنب تاج الملكة فيكتوريا فإن فيه حجر الماس كبيرا لا يوجد مثله في الأرض واسمه (قوه نور) أي جبل النور وكان حلية لتاج الراجا (رادنجات سنك) صاحب مملكة لاهور ويقال أن من أجله حدثت حرب الإنجليز معه في سنة ١٧٤٩ وزنته ١٦٢ درهمًا وفي التاج غيره ٢٧٨٣ حجرًا من الألماس غير الجواهر التي منها ياقوتة كبيرة كانت لهنري الخامس ولا يوجد في تيجان الملوك مثلها وكذلك زمردة كبيرة لا تقوم بثمن .

(٣) المرأة عين زوجها : وقلبه وكبده ولكن الجهل فيها كالرمد والكمد والمصاب الذي تغلي به الكبد .

عجبت لامرأة هانت وما اعتبرت ... ومن رجال أهانوها وما رشدوا
كلاهما رجل في الناس وامرأةٌ ... ولا مميزَ إلا ذلك الجسدُ
وكل ما حولهم في الذل مثلهمُ ... يُستعبد الكل حتى النهر والبلد
يا بنت مصر ولا قوم تعز بهم ... ولا بلادٌ ولا أهلٌ ولا ولدُ
زاغت عيون بني مصر وضلَّ بها ... غيُّ النفوس وهذا الجهل والفند
فأنت في نظر الراقين سائمةٌ ... وفي نواظر فلاحيهمُ وتد (١)
وأنت بينهمُ في كل منزلةٍ ... صفر اليسار به يستكمل العدد (٢)
أقام في رأسك الجهل الذي سلفت ... به الليالي وفي أضلاعك الحسد
وما يحلان بيتًا كان في رغدٍ ... إلا وهاجر منه ذلك الرغدُ
(فالسحر والزار والأسياد) جملتها ... لأهلها نكدُ ما مثله نكد (٣)
ما أنت في الصين والأوثان قائمةٌ ... وللشياطين في كل الأمور يد (٤)
تالله لو كان من علم وتربيةٍ ... شيء يمازجه ذا الصبر والجلدُ
إذًا لما سخرت من بنت جمعتها ... من يومها السبت أو من يومها الأحد (٥)
فهل أرى رجلاً فينا أو امرأة ... بعد الخمود وطول الذل يتقدُ

(١) السائمة البهيمة التي ترعى وكذلك المرأة المصرية في نظر الشبان المتعلمين اليوم ولعمر الله أنهم لأحق بأنوثتها منها .

(٢) الصفر الذي يوضع إلى جهة اليسار لا يعمل شيئًا ولكنه يكمل منازل العدد بحلوله في المنزلة الخالية .

(٣) يريد (بالأسياد) أمور المنحرفين ممن يأكلون من وراء الجن والشياطين ومصيبة المصائب هي بدعة الزار وسيرى القراء شرحها في الجزء الثالث إن شاءَ الله لأن قصر المدة منع من ذلك في هذا الجزءِ .

(٤) لا يعمل عمل في الصين إلا بعد أن يشير به المنجم وهم يعتقدون ذلك اعتقادًا يخالط اللحم والدم ولهم نوادر عجيبة تدل على سخافة عريقة .

(٥) هذا من بديع الكناية فإن بنت الجمعة هي المسلمة وبنت السبت اليهودية وبنت الأحد الإفرنجية وصبر المصريات وجلدهن ليس بعدهما صبرٌ ولا جَلَد حتى كأنهن مخلوقات من (الرمل والأسمنت) .

يا قوم لو نام ليث الغاب نومكمُ ... لاستنكف الفار أن قالوا له أسد

(الرجل عندنا والمرأة عندهم) :

لأمرٍ فيه يرتفع السحاب ... ولا يسمو إلى الأفق الترابُ

وما استوت النفوس بشكل جسم ... وهل ينبيك بالسيف القرابُ

وما سيان في طمع وحرصٍ ... إذا ما الكلب أشبهه الذئاب (١)

رأيت الناس كالأجساد تعلو ... لعزتها على القدمِ الرقابُ

فليس من العجيب سمو أنثى ... على رجل (ترجله) الثيابُ

ولو نفساهما بدتا لعيني ... لما ميزتُ أيهما الكعابُ

وإن لباطن الأشياء سراً ... به قد أعجز الأسد الذبابُ

فيا لرجال قومي من شموسٍ ... إذا قرنوا بها انقشع الضبابُ

نساء غير أن لهن نفسًا ... إذا همت تسهلت الصعابُ

فإن تلق البحار تكن سفينًا ... وإن تردِ السما فهي الشهابُ (٢)

ضعاف غير أن لهن رأيًا ... يسدده إلى القصد الصوابُ

وما من شيمة إلا وفيها ... لهن يدٌ محامدها خضابُ

وقومي مثل ما أدري وتدري ... فهم لسؤال شاعرهم جواب

رجال غير أن لهم وجوهًا ... أحق بها لعمرهمُ النقابُ

---

(١) بلغ من حرص الذئب على ما يقال أنه ينام مغمضًا إحدى عينيه وناظرًا بالأخرى حذرًا على نفسه وترقبًا لما يساق إليه .

(٢) إذا كانت الأمور التي تريدها كالبحار انقلبت سفينة وإن كانت كالسماء دارت فيها كالشهاب وكل ذلك على المجاز .

غطارفةٌ إذا انتسبوا ولكن إذا عدوا تصعلك الانتساب [١]
جدودهم لهم في الناس مجدٌ وهم لجدودهم في الناس عاب
ومن يقل الغراب ابن القماري يكذبه إذا نعبَ الغرابُ [٢]
عجيبٌ والعجائب بعدُ شتّى بأنا في الورى شيء عجاب
تقدمنا النسا ونفوس قومي من اللائي عليهن الحجاب
وما غير النفوس هي البرايا وأنثاها أو الرجل الإهاب [٣]

(حكم الهوى) :

أبى الجهل ألا يكون نساؤُنا رجال سوانا والرجال نساءَ
فتلك نساء الغرب ساوين غيرةً وُفقنَ رجال المشرق الجهلاء
وكل نساء الشرق ساوين في الرضا بذاك رجال المغرب العلماء
وآية ذل النفس أن يحكم الهوى وقد أصبح الشرقان فيه سواء

(الشرقية والغربية) :

للحسان الدلال والخيلاءُ ولك الأمر بعد يا حسناءُ
فاطلعي كيف شئت بدراً أو شمساً وصباحًا ما دام فينا الضياء
كل بدر له سماءٌ ولا يعـ ـرف الحسن كالبيوت سماءُ [٤]
لا تغرنْك من تزين من العجـ ـم فما الشرق والشمال سواءُ

(١) تصعلك صار صعلوكا ونسب المصريين إلى أجدادهم الأولين نسب فخم ولكنهم إذا نظروا إلى أنفسهم رأوا من النار ترابا .

(٢) القمارى جمع قمرى وهو طائر حسن الصوت يقال للذكر منه ساق حر ومن العجيب على ما قيل أن بيض القمارى يجعل تحت الفواخت وبيض الفواخت تحت القمارى .

(٣) الإهاب الجلد وهو الممتاز بالذكورة والأنوثة .

(٤) نذكر هنا رأي الشاعر في الحجاب فهو يقول : (أخرجوا القلوب من الصدور ثم ارفعوا الحجاب) ويقول أن كل أدلة أعداء الحجاب التي يحتجون بها باطل في باطل وضلال في ضلال .

كـل بـيـت لـه قـطـين وإن كـا ... ن تـسـاوى فـي كـلـهـن الـبـنـاءُ
هـي فـي قـومـهـا وأنـت لـدى قـو ... مـك والـنـفـس بـعـدهـا أهـواءُ
إن ظـرف الـلـسـان فـي لـغـة الأهـ ... ـل وعـنوان قـومـهـن الـنـسـاءُ [(١)]
وإذا الأمـهـات أحـبـبن شـيـئًـا ... ورثـت حـبـهـا لـه الأبـنـاءُ
وإذا مـا الـفـتـاة شبت على الـلهـ ... ـو فـبـالـلـهـو بـعـد ذاك تـسـاءُ
إنمـا الـبـنـت زوجـة ثـم أمٌّ ... ثـم يـبـقـى الحـديـث كـيـف تشـاءُ
وهـي كـالمـاءِ كـلـمـا قـطـروه ... زاد حـسـنًـا ورق بـعـدُ المـاء [(٢)]
لـسـت أدري ولـيـتـني كـنـت أدري ... نـحـن بـين الأمـوات أم أحـيـاءُ
أي هـذيـن فـي الـرجـال أهـن الأ ... مـهـات الـنـسـا أم الابـاء [(٣)]
صـورة الـغـرب والنفـوس مـن الشـ ... ـرق فـهـم فـي ديـارهـم غـربـاءُ
أيـن حـق الـبـلاد أيـن ذكـاء الـ ... ـقـلـب أيـن الـنـفـوس أيـن الـدمـاءُ
إنمـا ضـيَّـع الـبـلاد وأهـلـيـ ... ـهـا قـديمًـا نـساؤُنا الـضـعـفـاءُ [(٤)]

(١) يخبط الناس كثيرًا فيما يعبرون به عن حسن الأعضاء وإنما يقال : الصباحة في الوجه والوضاءة في البشرة والحلاوة في الأنف والملاحة في الفم والظرف في اللسان واللباقة في الشمائل .

(٢) يريد بذلك تعليمها ما يناسبها كما أن الماءَ لا يقطر بوضع ما لا يناسب المراد منه .

(٣) قد يقال أن لفظة (النساء) هنا لغولان الأمـهات لا يكن الإنساء ولكنه لما كان في معرض دهشة ومقام استغراب حَيث قال : « أي هـذين في الرجال » ثَم جعل أحدهما الأمهات اضطر إلى توكيد قوله فذكر لفظة النساءِ ومثله قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [النحل: ٥١] .

(٤) إنما الولد علي ما تنشئه أمه ومما قيل : إن بعض الضباط في دولة من دول أوروبا قتل في حرب وكانت زوجـته حاملا فوضعت ذكرًا فـأخذت تحدثه عن أبيه من يوم فـقه الحديث وتغرس في نفسه الـدفاع عن وطنه الـذي قتل من أجله أبـوه وأرته سـيفه فكان ذات ليلة نائما فسمع الـرعد وتلاه وميض البرق فنهض فزعًا وهو لا يـزال طفلاً وقال أماه : علي بالسيف فقد هاجمنا الأعداءُ . . وهكذا تكون التربية .

(خير النساء) :

رأيت نساءَ الزمان كثارًا ... وحسبك واحدةٌ في الزمانْ
فإن رمتها فالتمس وصفها ... فقد مُيزت بصفات ثمانْ
بوجه الجمال ورأس الذكاء ... وعين العفاف وصدق اللسان
وقلب الحب وصدر الصبور ... ونفس الكمال ودمّ الحنانْ
وتلك هي السعد من نالها ... فقد صار من بيته في الجنان
ومن لم يكن حسنها هكذا ... فسخرية عدها في الحسان [1]

وقال :

يا قوم لم تخلق بنات الورى ... للدرس والطرس وقال وقيلْ
لنا علومٌ ولها غيرها ... فعلموها كيف « نشر الغسيل »
والثوب والإبرة في كفها ... طرس عليه كل خط جميلْ

(الرجل والمرأة [2]) :

الأرض للناس بحرٌ ... والمرءُ فيها سفينهْ
والمرأة النار والريـ ... ـح شدة ثم لينهْ
والعمر نهر ترى من ... حوادث الدهر طينهْ
وشاطئاه قرينٌ ... قد قابلته قرينهْ
ولم تزل علم اللّـ ... ـه مرآة المرء دونه

(١) يجمع هذه الصفات لفظة امرأة قال لها شعيب وقد أراد أن يتزوج بها إنني سيئ الخلق فقالت : أسوأُ منك خلقًا من أحوجك أن تكون سيئه . تريد من لم تقم بإرضائه حتى لا يجد موضعًا يسيءُ فيه خلقه .

(٢) في خرافات اليونان : أن نوحا ويسمونه (ديكليون) كان بعد الطوفان إذا رمى الأرض بحجر صار رجلاً وكلما رمت زوجته بحصاة صارت امرأة ولا جرم أن الفرق بين الرجل والمرأة كالفرق بين الحجر والحصاة . وقد عمل بعض العلماء في سنة ١٩٠١ إحصاء للجنس البشري فوجد أن النساءَ تزيد تسعة في كل مائة عن الرجَال .

هــذا تــشــاد بــه الــدار وهــي لــلــدار زيــنــة [1]

وقال فيمن يسلمن أولادهن للمراضع والخدم:

يــداكِ أبــر هــذا الــســوار فــإن صــار في يد أخــرى انـفـصـم
وصــدرك أولــى بمــن هــو مــنــه فــؤادًا ونـفــسًــا ولحــمًــا ودمْ
ومــنْ فــيكِ تــبــعــث فــيــه الحــيــاة ويــســقــمــه غــيــره كــل فــمْ
ومــا الــطــفــل إلا زيــادة بــطــن لجــد وأبٍ وخــال وعــمّ
فــإن تــعــط طــفــلــك لــلــخــادمين فــمــا زدت إلا عــديــد الخَــدم [2]

وقال فيمن يستعملن الدهان والطلاء تطرية وتحسينًا:

دعــي عنك الــطــلاء فليس حــسـنًـا وأي حــقــيــقــة كــانــت مــجــازا
ومــن ذا غــره الــتــحــســين إنــي رأيــت الــشــمــس لا تحــتــاج غــازا

وقال والبيت الأول معرب معنى فرنسوي:

أُجــث خــضــوعًــا واحــترامًــا لمــن أمــك فــي حــواء مــن أمــهــا [3]
ألا تــرى الجــنــة فــيــمــا رووا مــطــلــوبــة مــن تحــت أقــدامــهــا

(١) ليس يريد من زينة الدار أن تكون المرأة متاعًا ولهوًا بل يريد أن تكون زينة بيتها بمعنى ما هو بيت .

(٢) كان أبو إمام الحرمين ﵁ قد أوصى امرأته أن لا ترضع ابنها من غير لبنها فدخل عليها ذات مرة فإذا به يرى ابنه في حجر جارية سوداءَ وهي ترضعه فكأن الأض رجفت به فوضع إصبعه في فم الطفل حتى تقيأ كل ما رضع فكان الإمام بعد ذلك إذا غضب قال: هذا من بقية الرضعة .

(٣) أصل المعنى المعرب « أجث باحترام تحت قدمي الجنس الذي منه أمك » .

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

الباب الثالث

في الوصف

التاز(١)

بنوه على تلك اللحاظ الفواتكِ وصاغوه من نور الثغور الضواحكِ
ومنذُ طووا فيه شبابك لم يزل تلوح عليه مسحة من شبابكِ
بناه لك الباني فلم يلبث الهوى أن اقتاده حتى ثوى في جواركِ
سليه أهذا قلبه صار مدفنًا وقبركِ في السوداءِ أم غير ذلكِ
وتلك لآلٍ أم أمانيُّ نفسه وذاك ظلام أم هموم الممالكِ
سليه فلو هشت عظامكِ نحوه لرُدت إليه روحه من سؤالكِ
وضعت يمناه فؤادًا فلم يجد سوى ملكه من حليةٍ لشمالكِ

(١) هو بناءٌ من أعظم مباني الدنيا أقامه السلطان شاه جهان مدفنًا لزوجته أرجمند الملقبة بممتاز محال على ضفة نهر جمنا قرب مدينة أكرا سنة ١٦٢٩ وهو صاحب العرش المعروف بذنب الطاووس الذي غنمه نادر شاه ملك الفرس وكانت فيه الماسة الشهيرة المسماه (بقوة نور) وهي التي تقدم ذكرها في تاج الملكة فيكتوريا في باب النسائيات . وكانت زوجته تلك قد توفيت نفساء. فحزن عليها حزنًا مدنفًا وعزم أن يبني لها مدفنًا يكون أعجوبة الزمان فبناه ممثلاً به جمالها وكمالها حتى إن الذين انتقدوا هذا البناء العظيم قالوا أن فيه نحافة نسائية . وقد بلغ ما أنفق عليه أكثر من مليوني جنيه فإن قاعدته ١٨٦ قدمًا مربعة وارتفاعه مئتا قدم وهو مبني بحجارة حمراء ورخام أبيض ومرصع من الداخل بجواهر كريمة وفي جدرانه عضائد من المرمر الأسمر والبنفسجي كأنها حواش لما تحيط به من النقوش وعلى زواياه غرف أربع قد صفحت بصفائح كبيرة من الرخام الأبيض وعليها أزهار مصنوعة من الحجارة الكريمة المختلفة الألوان والأقدار وهي محكمة القطع والوضع حتى تظنها أزهاراً طبيعية وربما كان في الزهرة الواحدة مائة حجر كريم أو أكثر . وكان للتاز بابان كبيران من الفضة الخالصة وقد نزعا لما نهب الجات مدينة أكرا وقبر الملكة وزوجها تحت القبة الوسطى من سبع قباب وحوله درابزون كان من الذهب الإبريز مرصعًا بالجواهر وهو الآن من المرمر والقبران مغطيان بالأزهار المصنوعة من الجواهر الثمينة وعلى زوايا التاز أربع مآذن عظيمة من الرخام .

فلا ما بنى « كسرى » ولا قصر « جعفر » ولا قصر « غُمدان » ولا « للبرامك » (١)
كأني أرى أفقًا تجلت نجومُه كأنك فيه بعض تلك الملائك
كأن قلوبًا في غرامك أُحرقت فذوبها الصيّاغ بين السبائك
كأن اللآلي المشبهات أزاهرًا فرائدها بعض الدموع السوافك
كأن ظلام القبر في لمعانها شعور الغواني بين حال وحالك
كأن سناك في دياجيه نيَّة تردد في قلب طهور مبارك
كأني أرى تلك المآذن أيديًا تشير إلى الأفلاك أنك هنالك
بدائع نالت من يراعي ولم يكن يراع يباريه بتلك المسالك
أفضن علي قلبي الجلالة والتقى فأصبحت منها بين ناس وناسك (٢)
وإن بناني للفؤاد سنابك فأطلق جوادي ينطلق بالسنابك

وقال

(يصف الليل وغروب الشمس):

الليَّل في الأفلاك مثلي آمالُ فيظلم أم هذي الحنادس أهوالُ
تبوّأ عرش الشمس غصبًا وردَّها لها الغرب والإظلام سجنَ وأغلالُ
وشدَّ على هذا النهار فلم يقف وأطلق من ساق النعامة أجفالُ (٣)
وشُقَّ له في الأفق فانساب هاربًا كما انساب في بطن الجداول سلسال
وهاب الدجى أن تفزع الشمس فزعةً تنير لها من بعدما اسودَّت الحال (٤)

(١) ما بناه كسرى هو الإيوان المشهور . وجعفر هو الخليفة المتوكل وكان قد تأنق في بناء قصر سماه الجعفري وللبحتري أشعار فيه وغمدان بالضم من قصور اليمن قال المجد : بناه يُشرخ بأربعة وجوه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر وبنى داخله قصرًا بسبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعًا . والبرامك هم البرامكة وزراء بني العباس المشهورون .
(٢) ناس اسم فاعل من نسي والناسك الزاهد والجناس في البيت ظاهر وكذلك في بيت (حال وحالك) ولم نتكلف في هذا الجزء بيان أنواع البديع .
(٣) أجفل الظليم (وهو ذكر النعامة) أسرع وذهب في الأرض .
(٤) إذا فزعت الشمس أنار الوجود فالظلام بعض أحوالها .

فأوصد أبواب السماءِ وإنما ... عليهنَّ من هذي الكواكب أقفال
ولو كان ذا قلب شجيٍّ لظنها ... إلهًا له في هيكل الحسن تمثال
وما خلت هذا الكون إلا كوجنة ... عليها الدجى فيما أشبهه خال
فيا شمس هل مزّقت ثوبك عندما ... نُكبتِ وهذا الغيم في الأفق أذيال
أم انتثرت منك الحليُّ لعثرة ... وهذا الهلال الساقط النصف خلخال
وهل نال منك الوجد فازددت صفرةً ... وحولك من هذي النسائم عذال
لئن صرت معطالاً فكل مليحة ... كمثلك تمضي للكرى وهي معطال (١)
تودعك الدنيا وتستقبل الدجى ... كما ودع الأم الرحيمة أطفال (٢)
وما الليل إلا ظلمة الهم عند من ... أقام وأوفى من يحبهم زالوا
علامَ يطيل الليل بي من وقوفه ... فهل أنا مما شفني الحب أطلال (٣)
كأني بهذا الليل قد كان وجهه ... لا هل الهوى فالاً وقد صدق الفال (٤)
مساكين يحتالون فيما أصابهم ... وفي أمرهم دهرٌ كذلك يحتال
إذا نقضوا أو أبرموا عكس القضا ... وما كل ذي قول لما قال فعَّال
فياليلُ خلّ الصبح يهدِ نفوسنا ... إلينا فأرواح الورى فيك ضلاَّل
ولست بمسكال تدل وإن تكن ... فما أقبح الوصفين سوداءُ مكسال (٥)

(١) المعطال بالكسر العاطل من الحلى ولا ينام النساءُ بحليهنَّ .

(٢) إذا ودع الأم أطفالها فإنهم لا يستقبلون بعد وداعها غير الهم وهو الذي بينه في البيت بعده .

(٣) لا تجد قط أبدع من هذا التعليل ولم يجئ به متقدم ولا متأخر فقد كان من عادة شعراء العرب أن يقفوا بالأطلال ويبكوا ويستبكوا إلى آخر ما هر معروف عنهم وأحسن ما تسمى به هذه القصيدة « حسن التعليل » .

(٤) في الحديث أحسن السيرة الفال وهو أن تسمع الكلمة الطيبة فتتيمن بها وتقول العرب «دون الغيب أقفال لا يفتحها الزجر والفال » .

(٥) المكسال ذات الكسل رهر ممدوح في النساءِ عند العرب ولكنه غير الكسل الذي نعرفه من نسائنا بلا ريب .

وقال

يصف قطار السلك المعروف (بالترامواي):

كـوكـبٌ أبـدلتـه أيدي الـلـيـالي ... من سمـاءِ العلى سماء المعالي
مـشـرق بيـننـا نـهـاراً وليـلاً ... منـذ أمسى نـهـارنـا كـالليـالي
هـو حلم وإن شـهـدناه فـالـغـفـ ... ـلة نـوم لأعين الجـهـال (١)
إن قـومي في الـنـاس قـومٌ نيـامٌ ... فـلـذا يـحـلمـون بالآمـال
لم نـزل عـاشـقين لـلغـرب حـتى ... زارنـا اليوم منه (طيف الخـيـال)
أيهـا الـغـرب علم الشـرق أن الـ ... ـعلم لا شيء فيـه صعب المنال
كل شيء يـجـوز لكن عـلى قـد ... ر العـقـول اختلافنا في الحال (٢)
ويح قـومي حـتى جـمـاد « أوربَّا » ... نـال من رزق خـيلنـا والـبـغـال (٣)
أيهـذا (الـتـرام) أنت دلـيل الأ ... فـق في الأرض شرقـهـا والـشـمـال
قـيل فـوق المريخ نـاس فـلمـا ... أنكروا جـاءهم بهـذا المثـال (٤)

---

(١) مما يذكر في ذلك أن بشاراً دخل على المهدي وعنده خاله يزيد بن منصور وكانت فيه غفلة فأنشده قصيدة فلما أتمها قال له يزيد : ما صناعتك يا شيخ ؟ فقال : « أثقب اللؤلؤ » فضحك المهدي وقال أتتنادر على خالي (أي تنكت) فقال يا أمير المؤمنين فما يكون جوابي لمن يرى شيخًا أعمى ينشد شعراً فيسأله عن صناعته .

(٢) كلما ارتقت النفس وسما الفكر قلت المستحيلات فإن الجاهل يرى صناعة الشيء البسيط كالتلغراف مثلاً من المحال بخلاف العلماء فإنهم لم يقفوا عند حد وانظر إلى قول نابليون الأول صاحب تلك النفس الكبيرة «إن كلمة مستحيل لا توجد إلا في قواميس المجانين».

(٣) تقدم « الرافعي » كل الشعراءَ في الجزء الأول بقوله في قطار البخار :

ليس في (قلبه) سوى الشوق لكن ... كتم الدمع فاستحال بخارا

وهي هناك في باب النسيب ويتقدمهم في هذا الجزء أيضًا بقوله في قطار السلك (ويح قومي البيت . .) ولم نعرف شاعراً قط وصف الترام وهو يجري بيننا ويقتل منا في كل يوم .

(٤) المريخ أحد الكواكب السيارة وقد ذكر بعضهم أنهم اكتشفوا فيه على أناس كأهل الأرض وما زال ذلك موضوع جدال إلى اليوم .

قـرأتْ مـن حـديـدك الـنـاس سطـراً إن قـول الـرجـال في الأعـمـال
ولـه الـقـضـب أحـرف فـوقـهـا الأ سـلاك شـكـل لموضع الإشـكـال
كـل دار تـدور فـيـهـا أراهـا غـضـة ذات بـهـجـة وجـمـال
فـبـنوهـا الـغـذا وتـلـك عـروق الـ ـجـسـم تجـري بـه إلى الأوصـال
لـيت شـعـري أكـانـت الأرض أفـقًـا سـودوا وجـهـه مـن الأهـوال
وهـو فـوق الـقـضبـان بـعض الـدراري عـكـسـوه فـسـار فـوق الـهـلال
أم هـو الـنـفـس والخـطوط خـيـوط الـعـمـر تمـضي بـهـا إلى الآجـال
فـهـي مـهـمـا يمـد فـيـهـا سـواء تـنـتـهـي مـن قـصـيـرة وطـوال
أم هـو الـقـلـب فـوقـه كـهـربـاء الوجـ ـدان إن مـسـهـا جـرى من خـبـال
طـائـفًـا يـنـشـد الـذي ضـلَّ مـنـه واقـفًـا كـل لحـظـة لـسـؤَال
ذلـك الجـد وهـو عـنـد رجـال الـشـر ق شـيء كـلـعـبـة الأطـفـال

وقال

في فنون من الوصف وذكر الليل :

تـقـاصـر عـمـر الـظـلام الـطـويـلْ ولابـد مـن أجـل لـلـعـلـيـلْ
وضـاق بـه الأفـق ضـيـق الـقـبـور فـزم الـكـواكـب يـبـغـي الـرحـيـلْ
وراح فـخـفَّـت هـمـوم الـقـلـوب كـمـا سـار بـعـد المـقـام الـنـقـيـل
لـقـد كـدت أبـغـض لـون الـظـلام لـولا شـفـاعـة طـرف كـحـيـل
طـوى الـشـمـس فـاخـتـبـأت أخـتـهـا نـفـورَ الـغـزالـة مـن وجـه فـيـل(١)
وكـانـت إذا احـتـجـت قـبـلـه تجـاذبـهـا نـسـمـات الأصـيـل (٢)

---

(١) الغزالة الشمس وأنثى الغزال ففيها التورية وقد غلَّطوا الحريري في قوله : (فلما ذر قرن الغزالة ، طمر طمور الغزالة) وقالوا أنه لا يقال الغزالة للظبية ولكن بعضهم اعتذر له .
(٢) يريد بذلك خروجها وقت العصر كما هي عادة المتفرنجات اليوم .

تـرى الـبـدر غـار فـأغـرى بـهـا وكـل جـمـيـل يعـادي الجـمـيـل
أم الحـظ أرسـل لـي ذا الـدجـى فـكـان الـرسـالـة وجـه الـرسـول
أم الـلـيـل قـد قـام فـي مـأتـم فـمـنـه الحـداد ومـنـي الـعـويـل
ولـم أنـس سـاعـة أبـصـرتـهـا وجـسـم الـنـهـار كـجـسـمـي نحـيـل
وقـد خـرجـت لـتـعـزي الـسـمـاء عـن بـنـتـهـا إذ طـواهـا الأفـول
عـلـى مـركـب أشـبـهـتـه الـبـروج تمـر بـه كـالـبـروق الخـيـول
إذا قـابـلـتـه لحـاظ الـعـيـون سـمـعـت لأسـيـافـهـن صـلـيـل (١)
وإن قـاربـتـه ظـنـون الـنـفـوس رأيـت الـنـفـوس عـلـيـه تـسـيـل
وقـد أخـرجـت نـفـحـات الـريـاض زكـاة الـريـاحـين لابن الـسـبـيـل (٢)
وقـد عـبـث الـدّل بـالـغـانـيـات فـذي تـتـهـادى وهـذي تمـيـل
كـأنّ الحـواجـب قـوس فـمـا تحـرك إلا جـلـت عـن قـتـيـل
كـأن الـقـلـوب أضـلـت قـلـوبًـا فـكـانـت لحـاظ الـعـيـون الـدلـيـل
حـمـائـم فـي حَـرَمٍ آمـنٍ بـهـذا الـضـلـوع نـبـاة الخـلـيـل
ومـا راعـهـا غـيـر لـون الـدجـى يـصـدّئ لـوح الـسـمـاءِ الـصـقـيـل
فـيـا قُـبـح الـلـيـل مـن قـادم بـوجـه الـكـذوب ومـرأى الـعـذول
بـغـيـضٌ إلـيـنـا عـلـى ذلـه وشـرٌّ مـن الـذل بـغـض الـذلـيـل
وكـم عـزنـي بـالأمـانـي الـتـي أرتـنـي أن زمـانـي بـخـيـل

(١) المراد بالصليل صوت العجلات وإن كان في الأصل صوت السيوف إلا أنه لما علم بأنه قراع اللحظ باللحظ جاز ذلك .
(٢) ابن السبيل عابر الطريق وهو أحد من تجب لهم الزكاة ولا أحسن من هذا المعنى في موضوعه .

ومـن أمـل الـنـاس مـــا لا يُـنــال كـمـا أن في الـناس مـن لا يُـنيـل (١)

وقال :

مرتجلاً في القمر وقد رآه بين نجمتين ينزلان عن صفحتيه قليلاً :

يــا طــلــعــة الــبـــدر إذا الـــ ـــنـجـمــان يـكـتـنـفـانـهـــا
أذكـــرتـــنـي حـــبـــيـــبـــةً كـنــت عـلـى سـلـوانـهـــا
ذا وجـــهـــهـــا وذا وذا قُـــرطـــان فـــي آذانـــهـــا

(وقال في الخمر[٢]) :

ذهـبًـــا هـــاتِ وإلاّ فـــلـــجـيـنْ إن هـذي الـراح بنـت الـقـمـريـن (٣)
هـاتـهـا كـلـتـيـهـمـا ثـم اسـقـنـي وكـل الأفــراح لـي بـالـقـدحـين
هـيَ فــي الـعـيـنـيـن نـورٌ سـاطـعٌ وهــواءٌ مـنـعـش فـي الـرئـتـين
أخـرجـوهـا من حـشـا الـدن ونـا دوا حـنـيـنًـا لـيـرى بـنـت حـنـين (٤)
ثـم لـفـوهـا بـكـأس وغـدت كـالـصـبـي من يـديـن لـيـديـن
يـا حـبـيـبـي إنـهـا نـرجـسـة وأرى فـي وجـنـتـيـك وردتـين
مـا عـلـيـك إن شـمـمـت هـذه أو قـطـفـت هـذه بـالـشـفـتـين
هـاتـهـا ثـمَّـتَ خـذهـا واقـرع الـكـأ س بـالـكـأس وهـز الـمـنـكـبـين
إنـمـا يـعـلـمـنـا الـكـأسـان أن سـاعـة الأفـراح دقـت دقـتـين
واسـقـنـي حـتـى أرى الـنـاس عـلـى أربـع يمـشـون لا عـلـى اثـنـتـين (٥)

(١) واحدة بواحدة ولا يظلم ربك أحدًا .

(٢) اعتذرنا عن الشاعر في أنه ينظم في الخمر عن ذكرها في باب الوصف من الجزء الأول فليراجع هناك فقد ذكرنا فيه نادرة بديعة ونقول هنا إنه ينظم هذه المقاطيع بلسان غيره ومن عادته أنه متى تكلف شيئًا لا يظهر فيه التكلف مطلقًا .

(٣) الراح منها في لون الذهب ومنها في لون الفضة لا تخرج منهما في المشهور .

(٤) يريد بحنين الخمار وهي مداعبه .

(٥) هذا من سخطه على الناس وقد قرأنا من قريب في بعض الصحف أن نفرًا من حذاق =

إنهم واللّه لا ينقصهم في الحمير غير طول الأذنين

وقال فيها :

نعس النجم ولم أنم فصفوا لي لذة الحلم
ليت شعري هل أنا ملكٌ حاكم في النور والظلم
ما تراني إن قعدت لها وقف الليل على قدم (١)
يا نديمي عد لتذكرنا عودة الأرواح للرمم
لم يدع فيَّ الغرام دمًا وأرى في الكأس مثل دمي
راحة في دنها انعدمت وكذا الأشياءُ من عدم
وإذا رقرقتها سطعت نفخة الوقاد في الضرم
وكأن المزج يفرعها شيبة في عارضيْ هرم
وهي والكأس على شفتي قبلات من فم لفم
حاربت آلام عصبتها ولكم يشكون من ألم
فلهم في كل آونة ضجة من خلف منهزم (٢)
يا رجال الشعر لست فتى إن أنا لم يطوكم علمي

= الأطباء قد أنشأوا في برلين مستشفى يداوون فيه بعض الأمراض كفقر الدم والزائدة المعوية بمشي المريض على أربع كالبهائم يفعل ذلك كل يوم أربع مرات وتكون مدة التمرين في كل مرة نحو عشرين دقيقة بشرط أن تبقى الركبتان قائمتين وقد ذكر في تاريخ الرومان أن أرسطو عالجه بعض أطباء زمنه بهذا العلاج وهو الزائدة المعوية فشفي .

(١) الضمير عائد على الخمر وهي ظاهرة بدلالة القرائن والشرب إنما يكون وقت السرور فوق النيل على قدمه كناية عن تأهبه للذهاب وهي استعارة بديعة ومثلها أقول الحسن بن وهب في الخمر أيضًا « شربت البارحة على وجه الجوزاء فلما انتبه الفجر نمت فما عقلت حتى لحقني قميص الشمس » .

(٢) يضج الشاربون مرة بعد مرة في سكرهم فكأنهم يصيحون بالتهزم من آلامهم الذي هزمته الخمر على ما ذكر في البيتين ومن كلمات المأمون النبيذ صابون الهم ومعنى شاعرنا مبتكر له .

كـيـف لا تُعـيـي مـنـاظـرتـي   وهـي صـبـري والـهـوى قـلـمـي
وأنـا فـي وصـفـهـا غِـردٌ   تـرقـص الـدنـيـا عـلـى نـغـمـي

(وقال فيها أيضًا) :

ألا عـاطـنـي الخـمـر إن الـزمـان   عـلـى مـيـمـهـا وعـلـى رائـهـا [١]
وأنـعـش بـهـا زهـرات الـسـرور   فـقـد نـبـتـتـه قـبـلُ مـن مـائـهـا
لـعـرش الـسـمـاءِ ارتـقـت أمـهـا   وفـي الأرض (أعـراش) آبـائـهـا [٢]
فـلـيـسـت لـغـيـر مـلـوك الـكـلام   وبـنـت المـلـوك لأكـفـائـهـا
ولا غـروَ إن زاد أعـداءَهـا   فـقـدر الـنـفـوس بـأعـدائـهـا
ألـيـس مـن الـظـلـم لـلـخـمـر أن   تـذم بـأحـسـن أسـمـائـهـا [٣]

(وقال فيها كذلك) :

رحـيـقٌ كـمـاءِ الـشـبـا   ب مـن وجـنـة يـقـطـرُ
بـكـأس كـبـدر الـدجـى   ظـلامـي بـهـا مـقـمـرُ
وسـاق عـلـى سـاقـه   يـرجـرجـه المـئـزرُ
تُـحـجـبـهـا كـفـهُ   وفـي خـده تـظـهـرُ
أراه لـنـا قـائـدًا   ونـحـن لـه عـسـكـرُ
كـأن صـفـاءِ الـرحـيـ   ـق تـافـسـه الـكـوثـرُ
فـمـن ربـح الـيـوم ذا   فـذاك غـدًا يـخـسـرُ

---

(١) أي مر .
(٢) يعني بأمها الشمس لأنها تغذيها نباتًا وتخمرها عصيرًا وأعراش آبائها هي أعراش الكروم .
(٣) لا نجد من يذم « الخمر بغير هذا الاسم ولا يتفق ذمها بغيره ولم ترد في القرآن مذمومة قط إلا به وهي أحق بالذم إلا أنه معنى عرض للشاعر فلم يتركه ومن هذا الفرق كيف يتنبه الشاعر الحق لكل شيء على ما اشترط في المقدمة .

(وفيها أيضًا) :

منى النفس لو بقيت لي المنى ... ومن للشقيِّ بيوم سعيدِ
تعيد إلينا السرور القديم ... كأنا خلقنا بها من جديد
وتذكرنا الأزمن الخاليات ... كذكر العظيم ليالي المهود
فهات اسقني بالكؤُوس الكبار ... فما أحسن الفم فوق النهود
نضار لمن يده كالنحاس ... ونار لمن قلبه كالحديد (١)

وقال :

يذكر أمانيها وما تعد من الغرور :

هو الدهر آتيك أو ذاهبُ ... وصادقك الوعد أو كاذبُ
فدعه لمن شاء من ذا ترى ... يجد ومن حوله لاعب (٢)
وإن كنت في أمل فاقتصد ... فمعطي النفوس هو السالب
لقد علمتني تجاريبها ... بأن القنوع هو الواجب
فدعني بربك لا تسقني ... فإن التمني لها صاحب
وإِما أبيت فمهلا إذًا ... أنا ذلك الملك العاصب (٣)
ولي الأرض مشرقها والمغيب ... هنا جانبٌ وهنا جانب
فهاك وهات وخلّ الأنام ... يحجبهم عني الحاجب
إذا ما شربنا أرى الأرض تمشي ... وكل امرئ فوقها راكب
طرحنا غمام الأسى للسماءِ ... فرأس السماء به شائب (٤)

(١) يسمى النحاس صفرًا بالضم ويقال يد صفر أي خالية والمعنى أنها غنى في يد المعدم ولين القلب القاسي .

(٢) يقال أحمق ما يكون السكران إذا تعاقل .

(٣) قيل لرجل ترك الخمر لم تركتها وهي رسول السرور إلى القلب فقال ولكنها رسول ياس يبعث إلى الجوف فيذهب إلى الراس .

(٤) كأنهُ عرض عليه الشراب فأبى تجنبًا للآمال الكاذبة التي لا تعقب في النفس إلا =

ومن عَـنت الـراح تـدنـي المنـى وتحـضـرهـا وأنـا (غـائـب)
لـهـارقـة كـدبـيـب الـكـرى فـلا غـروَ أن يـحـلـم الشـارب

(الخمر والهوى)

قال في معنى عرض له :

رأيت والخـمـر سـيـن غـدرةً وليسا عـلى قلبي الحزين بسيين (١)
إذا أتـوارى يـطـلـبـان فـضـيـحـتـي فـتظهـر في وجهـي ويظهـر في عيـني

(وقال أيضًا) :

نـظـروا الـكـأس فـقـالـوا إنـهـا دمـعـة صـبٍّ
قـلـت بـل ذاك فـؤادي ذاب مـن نـيـران حـبـي
فـاعـذروني في هـواهـا إنمـا أشـرب قـلـبـي

(وقال فيها) :

إن كـنـت قـاتـلـهـا فـبـالإنـداء أو كـنـت دافـنـهـا فـفـي الأحشـاءِ
وأحـمل جنازتهـا عـلى عـنق الصبـا وأقـطـع لهـا كـفـنًـا مـن الـظـلـمـاءِ
وأدعُ الحـمـام ينوح سـاعـة دفـنـهـا وأغـسـل زجـاجـتـهـا بماء بـكـائـي
ولـهـا عـلـيـك وصيـة مـرعـيـة أن لا يـشـيّـعـهـا سـوى الـنـدمـاء
عـذراءُ باركـهـا المسيح كـأنهـا نـفَـس تـنـفـسـهـا فـتـى الـعـذراءِ
بـيـنـا تـعـيـد الـروح لـلأمـوات إذ هـي تـخـمـد الأرواح فـي الأحـيـاءِ
وإذا أدرت صحـونهـا نظروا لـهـا فـكـأنـهـا فـي دعـوة الـبـخـلاءِ
خـذها بـثـاري إنهـا شـربـت دمـي ودمـي عـزيـز يـفـتـدى (بـدمـاءِ)

= الحسرات والتمني ابن الراح فلما أصر من عرض عليه انطلق في المنى كما ترى وقد قيل أن عبد الملك بن مروان قال يومًا للأخطل ماذا يعجبك من الخمر وأولها دوار وآخرها خِمار قال نعم ولكن بينهما ساعة تشترى بملكك . ولا شك أنها ساعة التخيل الفارغ .

(١) ترى السماء بيضاء فكأنها شابت من هول الأسى الذي طرحه عليها .

فتانةٌ بمزاجها فكأنه لُمع السراب تلوح في الرمضاءِ
يا وجنة الحسناء ضرَّجها الحيا لم أدر أيكما من الحسناءِ
يا ربقة اللمياء تلعب بالنهى لم أدر أيكما من الصهباءِ
راح وروح كأسها أم تلك من نارٌ ونورٌ أم شهاب سماءِ
ومدامة أم لوعة أم دمعة حمرا جرت من (أعين بيضاءَ)
أسماء خصص علمهنَّ بآدم يا ليت لي علمًا من الأسماء (١)

وقال :

يصف رقص بعض الغادات :

يا للهوى والغزل من العيون النجلِ
من الظبى لا كالظبي من مرَحِ وكسلِ (٢)
من المهى لا كالمهى في الحدق المكتحل
من الدُّمى لا كالدُّمى في حسنها المكتمل
أقبلن يختلن فلم يكنَّ غير الأسل
ثم نظرن نظرة معقودة بالأجل
ثم انسربن من هنا ومن هنا في سبُل
منفردات وجلاً يا طيب هذا الوجل
مبتعدات خجلاً يا حسنه من خجل
ثم التقينا كالنقا ء أملٍ بأمل
مؤتلفات جزلاً وهنَّ بعض الجذل

(١) يشير إلى الآية الكريمة ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١] إلى قوله تعالى : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٢] .

(٢) من الظبا في مرحها وكسلها لا كالظبا حقيقة ومثله ما بعده والمهى بقر الوحش جمع مهاة والدمى تصاوير العاج جمع دمية.

مـــخـــتـــلـــفـــات جـــدلاً والحـــســـن أصـــل الجـــدل
هـــذي تـــغـــيـــر هـــذه بـــحـــلـــيـــهـــا والحـــلـــل
وتـــلـــك مـــن زيـــنـــتـــهـــا زيـــنـــتـــهـــا فـــي الـــعـــطـــل
تـــنـــافـــسًـــا والحـــســـن لـــلـــ ـــحـــســـان مـــثـــل الـــدول
ثـــم انـــبـــرت فـــاتـــنـــة تمـــيـــل مـــيـــل الـــشـــمـــل
تـــنـــهـــض خـــصـــراً لـــم يـــزل مـــن رِدفـــهـــا فـــي مـــلـــل
تـــهـــتـــز فـــي كـــف الـــهـــوى هـــزّ حـــســـام الـــبـــطـــل
قـــائـــمـــةٌ قـــاعـــدة جـــائـــلـــة لـــم تجـــل
كـــالـــشـــمـــس فـــي ثـــبـــاتـــهـــا وظـــلـــهـــا المـــنـــتـــقـــل
دائـــرةٌ فـــي فَـــلـــكٍ مـــن خـــصـــرهـــا والـــكـــفـــل
وصـــدرهـــا كـــالـــقـــصـــر شـــيـــ ـــد فـــوق ذاك الـــطـــلـــل (١)
وخـــصـــرهـــا كـــزاهـــد مـــنـــقـــطـــع فـــي (الجـــبـــل)
يـــهـــزهـــا كـــل أنـــيـــسٍ مـــن شـــجٍ ذي عـــلـــل
فـــهـــي لـــنـــوح الـــعـــود مـــا زالـــت ولمّـــا تـــزل (٢)
كـــأنـــه مـــن أضـــلـــعـــي فـــإن بـــكـــى تـــضـــحـــك لـــي
كـــأنـــهـــا عـــصـــفـــورة وانـــتـــفـــضـــت مـــن بـــلـــل
تـــرتج كـــالـــطـــيـــر غـــدا فـــي ركـــفـــة المحـــتـــبـــل
تـــهـــتـــز لا مـــن خـــبَـــل وكـــلـــنـــا ذو خـــبـــل
تـــلـــهـــو ولا مـــن شـــغـــل وكـــلـــنـــا ذو شـــغـــل
نـــاظـــرةٌ فـــي رجـــلٍ مـــغـــضـــيـــة عـــن رجـــل

(١) يريد بالطلل الخصر وهو يمدح بالنحول ليظهر ما فوقه وما تحته . وتشبيه الخصر في البيت الثاني فضلاً عن كونه مبتكرًا فإنه مما يجن به .
(٢) أي ما زالت تهتز .

من حـــاجـب لحـــاجـبٍ ومـــقـلـة لمقل
كــالـشـمس لـلـعـاشـق والـشـعـر لـه كـزحل
بـاسـمـة عـابـسـة مـثل الـضـحى والطفل
واثـبـة سـاكـنـة مـالـت ولما تمل
بـينا تـقـول اعـتـدلت تـقـول لـم تـعـتـدل
وقـد تـظـن ابـتـذلت فـيـنا ولـم تـبـتـذل
تمـثـل الـذي درت شـفـاهـهـا مـن قـبـلي
فـعـجـلٌ فـي مـهـلٍ ومـهـل فـي عـجـل

وقال :

في روضة باكرها يوم النيروز المعروف (بشم النسيم) :

روضـة بـاكـرتـهـا فـي فِـتـيـة خـصـصـوا للهو مـا قـد خـصـصـوا
طـربـت أعـضـاؤهـا حـتى انثنتْ عـنـدمـا قـام الـنـسـيـم يـرقـص
وذكـاء كـحـمـام رفـرفـت حـيـنـمـا أفـرج عـنـهـا الـقـفـص (١)
والـغـواني كـالـظـبـا فـي حـرصـهـا غـيـر أن الـقـانـصـين أحـرص
فـلـهـونـا ثـم عـدنـا وكـذا كـل شـيءٍ بـالـتـمـام يـنـقـص
وكـأن الـصـبـح كـان فـرصـة وسـريـعًـا مـا تمـر الـفـرص

وقال :

يصف الزهر والغصون في معنى عارض :

ألا تـرى الـزهـر فـي رباه كـأنـه قـلـبـي الـسـلـيـمُ
كـأن أغـصـانـه الحـواني هـذا ولـيٌّ وذا يـتـيـم
تعـاشـقـت مـثـلـمـا تـرانـا هـذا صـحـيـح وذا سـقـيـم

---

(١) ذكاء بالضم الشمس ولا تدخله أداة التعريف .

وكـلـمـا تـنـثـني غِـضـابًـا يُصلح ما بينها النسَيم

(وقال في البحر والسماء) :

على السماء وفوق الشمس أشعاري وتحت أصداف هذا اللج أفكاري
وبين تلك وهاتا جرى قد قلمي بمعجز الوصف من درٍّ وأنوارِ
أرى جمالاً تعالى إن ألم به وجلَّ خالقه من مبدعٍ باري
كأنما الكون غيداءُ محجبةٌ تطل مشرفة من خلف أستار
فالبحر مقلتها والبر حاجبها من فوقه جبهة زِينت بأقمار
أو كان ذا البحر ديباج السما وقد انـ حل الوشاح فها صدر السما عاري
أو هذه لبست من ليلها حللاً ومن كواكبها زُرت بأزرار
أو إنما الشمس ظنت أنها خطفت بالحسن أبصار قوم دون أبصار
وحالت الأرض داراً للسما فلذا أقامت البحر مرآة بذي الدار
يا مسكن الشهب الزهراء كم عجب بمعدن الدرر الغرا وأسرار
إن تحملي فلكًا قد دار دائره فدونك اللجُّ دوَّار بدوَّار
كلاكما حسنٌ والحسن بينكما كالروض يأرج من أشتات أزهار
إني أرى الشمس تحت البحر مطفأةً والماء ما زال ذا بأس على النار
كأنما هو كف الأرض قد بُسطت إلى السماء فجادتها « بدينار »
أو غاصت الشمس تحت اللج هاربة فما على الناس من همٍّ وأكدار
ألست تبصرها صفراءَ جازعةً وقد خبا زند تلك الشعلة الواري
تشبه الناس طهراً بالملائك من خبث الضمير وكانوا غير أبرار
والبحر أفقهم من إفكهم وكذا لا تحمل الأرض إلاَّ كل غرَّار
لو أنصفوا لرأوه في تلججه على البسيطة كالمستأسد الضاري
لكنَّ من ألف الأنغام مسمعه يخال كل زئير نفخ مزمار

مـا للـخـضـم أراه كـاشـراً فـزعًـا   يـخـدش الأرض مـن لـجٍّ بـأظـفـار
مـجـردًا في تـدجيـه صـفـيـحـتـه   مـسـتـوفـزًا بـين بـتّـار وتـيـار
يـقـيـمـه الموج حـرْدًا ثـم يـقـعـده   مـا بين منسـحـب منـه وجـرّار
والأفـق مكـتـئـبٌ حـينًا ومـبـتـسـمٌ   مـا بـين لـيـل دجـوجـيٍّ وأسـحـار
يـا أيهـا الـنـاس إن الـبـحـر مـوعظـة   وضـجـة الـبـحـر لـيست غـيـر إنـذار
فـكـم عـلـيـكـم بـه لـلَّـه من حـجـج   والـذنـب يُـغـفـر إلا بـعـد إعـذار
الـبـحـر ألـين شـيء ملـمـسًـا فـإذا   خـاشـنـتـمـوه بـلـوتم أي جـبـار
ولـو تسـانـد كل الخلـق مـا قـدروا   أن يحبسوا موجةً من موجه الجاري
فكيف يُـجـحـد رب البـحـر قـدرتـهُ   وذلـكـم أثـرٌ مـن بـعـض آثـار
آمـنت بـاللَّه مـا شـيء أراه سـدى   لـكـنـهـا حـكـمٌ تجـري بـأقـدار

وهذا

فصل كتبه في رمل الإسكندرية يصف به ساعة أقامها هناك يوم الأحد وإنما ذكرناه في هذا الموضع لمناسبة ما جاء فيه من وصف البحر والسماءِ وهو نموذج من كتاب (مَلَكة الإنشاءِ) (١) الذي يضعه الآن قال :

يوم الأحد ما يوم الأحد ، كأن بنات الأرض قد حسدن بنات السماءِ فلا تزال كل مليحة تنظر إلى نفسها ، وتنتظر ما بعد أمسها ، حتى تقوم سوق الحسن فيه على ساقها ، وتشتبك أنجم السماء والأرض بأحداقها ، فتدور رحى القتال ، بين ربات الجمال ويقف الحسن والهوى بين السماء والأرض ، وقفة الملكين للشهادة في يوم العرض ، ولو خلق الشهر إنسانًا لما كان موضع عينيه ، وبين جنبيه ، غير أربعة أيام الآحاد .

هبَّ النسيم وتوارت الشمس عاصبة الجبين صفراء من الجزع على بناتها وكأنما أرادت أن تحتجب عن الأرض حتى تضع تلك الحرب أوزارها ، وتفضح نسمات الصبح أسرارها ، فانكفأت إلى الغرب وغادرت من إشفاقها على الأفق شفقًا ، ونثرت أقداحها التي تحسو بها النور على السماء فكانت حدقًا .وكأنَّ الغواني خفنَ على جمالهنَّ من الليل ، خوف الغبار على الذيل ، وأشفقنَ أن تُزهر في ظلمته نجوم السماء وتتبين بضدها الأشياء ، فنسخنَ آيته بآية الكهرباء . وأوحين إلى الأفق بألسنة الضياء ، وقلنَ للقمر أين أنتَ من ذُكاء ، وللنجوم أين خراف «الخضراء » من الظباء؟

وإذا كان في يوم الجمعه ساعة تُستجاب فيها الدعوات ، فإن في يوم الأحد ساعات ، يدعو فيها العشاق ، ويضرع بنو الأشواق ، فمن ساقٍ تلتف ، وعين

---

(١) انظر الإعلان عنه في غلاف هذا الجزء .

تلتـفت ، ومن نحـرٍ على نحرٍ ، وبـنان رَخصٍ على خـصر ، وغنيٍّ يميـل على غانيـة، وعانٍ يشكو بثَّـه إلى عانيه ، وقـد كفى البـحرُ العيونَ إذا كـان لا بدَّ في الهوى من عين تدمع ، وطلع القمر إذا لم يجد العاشقان مفـرًّا من رقيبٍ يمنع ، ونمَّ النسيم ، بجنات النعيم ، أنْ لا لغو فيها ولا تأْثيم .

ولقد رأيتني بين الحور والولدان ، في « جنان » ، أنقلب من يمنةٍ إلى يسرة ، بين غصـة وحسرة ، وإن كان لي مـن ذوات الدلال ، جنتان عن يمين وشـمال ، وهكذا الشاعر ينظر ، ولا يقدر ، ويشتهي ، ولا ينتهي ، ويعف ، حين يقف ، وعليه الوصف ولغيره ما يصف .

أما السـماء فقـد أسفرت عن بـدرها ، وهي كالفكـر تلألأت فيه المـعاني ، وكشـفت الأرض عن صـدرها ، وهو كـالقـرية ارتفت فـيه مـن ثديهـا الأمواج كالمباني، فأقبل البدر ، يضحك من البحر ، وما كاد يفترُّ ثغره حتى ضاءَت بنوره الأفق ، وظهر وجـهه حسنَةً في صحيـفة الغسق ، فإن كانـت الملاحة في الأعين السوداء ، فقد جمعها البدر في عينه البـيضاء ، ورعاها البحر في مقلته الزرقاء ، ولكلٍّ حسن ، وكل طائر على غصن .

وحرج بعـد ذلك صدر البحـر فهو يقوم ويـقعد ، ويرغي ويزبـد ، يضرب موجة بموجة ، ويلفُّ إلى لجةٍ لجة ، يحاول أن يُولَد منـهما كهرباء يصفرُّ لها وجه القمر ومن السـفاهة أن يناظر « الملح » السكر وإن كان كـلاهما أبيض ، وكم بين المسك والفحم وهما من جلدة سوداء .

ثم حنقت عليه السماء فما برحت ترسل من أنجمها إلى كبده سهامًا تحاول أن تخرج الشـمس التي ابتلعهـا ، وترد إلى تاجه الجوهرة التي انـتزعها ، فتـستكمل بذلك جـمالها ، وتـسحب على هامـة أذيالها ، والماء يـطفئ النار لكـن لا يطيق خيالها .

ولقد وقف الليل ، وهـو يحدجنا بمقلة سهيل ، فلا يـرى إلا قلبًا يرف على

حسن ، « وطائرًا » يقف على غصن ، وفرحًا يبعثهُ فرح ، وقدحًا يمشي به قدح، فما زال يتميز حتى كاد ينشق ، وحينئذٍ زفر زفرة غادرت الهناء ، كالهباء وعصفت بها ريح شاب لهولهـا رأْس البحر ، وقذيت برمالها عين البر ، فـانتشرت هنالك أذيال الغانيات كالطواويس ، ودقتْ قلوب العـاشقين كالنواقيس ، وانفلت القنص من حبـالة القناص ، وتبدد الدر مـن يد الغواص وتحتم الفـراق فنادَوا ولات حين مناص .

الباب الرابع

في المديح

وقال :

يهنيءُ صاحب الجلالة الخليفة الأعظم مولانا أمير المؤمنين السلطان (عبد الحميد خان) أيده الله ورعاه

وذلك بيوم جلوسه الميمون لسنة ١٩٠٣ :

يومٌ بهذي الليالي يشبه القمرا ... فإن رأى حَلكًا في أفقها سفرا
نخالها ورقًا إن خلتها ثمرا ... والعام غصنهما والأزمن الشجرا
ما زال فيه بريق التاج من قدم ... واللحظ يزداد سحرًا كلما فترا
يوم جلا غرة في المجد سائلة ... تناظر الشمس إن قاسوا بها الغررا
مرآة فكر مليك فوقها انعكست ... أنواره كغديرٍ مثّل القمرا
يضاحك التاج منها لمعة سطعت ... من الجلالة يغشى ضوؤها البصرا
« عبد الحميد » بهرت الخافقين فما ... ندري أوحيًا ترينا أم نرى فكرا
إن تغرس الرأي فالتسديد زهرته ... وإن هززت القنا أجنينك الظفرا
ما بين سلم وحرب أنت ربهما ... تركت هذا الورى في مأمن حذرا
فلو تشاء أمرت النار فانطفأت ... ولو تشاء زجرت الماءَ فاستعرا
تصرف الأمر تصريفًا كأن على . أمر القضاء الذي تقضى به القدرا (١)

(١) يريد أن جلالته يقضي الشيء على مقتضى الحكمة فلا يخطئ ما يرمي إليه حتى كأن القدر قائم على قضائه لما يكون بينهما من المطابقة بعد فيقع الشيء بتقدير الله وبذلك السبب .

وجلالة مولانا السلطان الأعظم أكبر أهل السياسة في الأرض كما شهد بذلك العالمون .

ومن يكن قلبه في كل حادثة　　عينًا لفكرته لا يخطئ النظرا
يا ضاربًا بشبا السيف الذي ارتعدت　　له الممالك أطعم سيفك الجزرا
لا تخشَ زلزالها إن عصبة رجفت　　فمن يكن معولاً لا يرهب الحجرا
إذا سيوفك ظنوها صوالجة　　فإن رءوسهم كانت لها أُكرا
غرست عندهم نعماك في سبخ　　ومن يلوم على ري الثرى المطرا
وزارع الحب لا ينفك يبذره　　وليس في وسعه إنبات ما بذرا
أرى على الأرض جرارًا له لجب　　تخاله الأرض أطوادًا إذا انحدرا (١)
كأنه يوم يرتج الوغى شهبٌ　　تساقط الجو منها يرجم البشرا
من كل ليثٍ إذا حفزته قطرت　　أنيابه واستطارت عينه شررا
يلقى صدى الموت في الآذان من فزع　　كأنما ثار يدعوه إذا زَأرا
أرى العناية صفت جيشهم كلمًا　　حروفها قرئت « ما زال منتصرًا » (٢)
أراه في الأرض معنى لا نظير له　　فما أكذب أن أدعوه مبتكرا
يا عرش (يلدز) أنت النجم لاعطلت　　منك السماء التي أملاكها الوزرا
غدا بك الملك وجنات موردة　　وأعينًا ملأت أجفانها حَوَرا
لا زلت تشرق بالنور الذي اقتبست　　منه العروش نجوم الحكمة الزُّهرا
كذاك يلقى شعاع الشمس بهجته　　على القوارير حتى تشبه الدررا

وقال :

يهنئ الجناب العالي الخديوي بعيد جلوسه السعيد لسنة ١٩٠٣ :

عرش بطولَ مدار السبعة الشهبِ　　والشمس في تاجه لا حلية الذهب

(١) يصف الجيش التركي العظيم والأطواد الجبال .

(٢) تصف الجيوش على أشكال هندسية بحسب حركات العدو فكان الجيش الشاهاني المظفر إذا صف كان على شكل هذه الكلمات « ما زال منتصرًا » ولا حاجة أن نقول أن المعنى مبتكر لشاعرنا فلم نلتزم ذلك في كل ما مر .

حيَّي الزمان بكف العز مالكه … فصافحت منه كف المجد والحسبِ
على جوانبه نور تلألأ من … نور الأمير وأجداد له وأبِ
يدني النفوس وتقصيها مهابته … كزخرف الشمس في الهندية القضبِ
وما رأى وجه « عباس » يقابله … إلا تهلل بين التيه والعجبِ
مولاى إن بيوم قد رقيت له … من رحمة اللّه سرًّا بان للحقبِ
يوم تمنته مصر قبل سوّغها اللّـ … ـه المنى وغدت موصولة السببِ
« عباس » أسعدها واللّه أيدها … والدهر مجَّدها بالعلم والأدبِ
فامتد جانبها واشتد صاحبها … وارتد خاطبها عن ذلك الأربِ
والنيل مذ نسبوه للأمير جرى … ينافر « السين والتاميز » في النسب (١)
مثل العروس إذا زفت تبختر في … إستبرق عجب أو سندس قشبِ
أو كالقصيدة في مدح العزيز إذا … ما امتد في الأرض مد الشعر في الكتب
يا صاحب النيل يحميه ويحرسه … من كيد ذي غللٍ في الصدر ملتهب
لو يستطيع بنو مصر لقد خبأُوا … ذا النيل في كل جفن غير منتحب (٢)
فابسط يديك ليجري لائذًا بهما … إني أرى الروع في آذيّة الصخب
هذي القلوب أحلتك الشغاف فلم … تخفق وأنت بها إلاّ من الطرب
وكنَّ في مضض لم يألُها وهجًا … واليوم طبن ولولا أنت لم تطب
أفررت مصر على ريح تُكفئها … كبَّ السفينة في التيار والعبب
وقيتها حين لا أمنٌ ولا رَغدٌ … وجئتها بحياة وهي في العطب
فكنت جُنتها من كل طارقة … وكنت جَنتها في ربعها الخصب (٣)

(١) (السين) نهر باريز و(التاميز) نهر لندرا (والنيل) نهر مصر ولا شك أن في جمع هذه النظائر نكتة.

(٢) ما أحسن احتراس الشاعر بقوله : (غير منتحب) لأنهم لو خبأوا النيل فى الأجفان المنتحبة أي الباكية لأضاعوه .

(٣) الجنة بالضم الوقاية وبالفتح ما يصغره العامة بقولهم : (جُنينة) وهي الروضة .

أنت النجابة من آبائها ظهرت | فلست أعجب إن قالوا أبو النجب
سموت بالصاعدين الجَد والحسب العا | لي وبالساعدين الجِد والطلب (١)
قدم لمصر فلم يُثبت سواك لها | صدق العزيمة والأيام في كذب
إن الزمان لمن جدوا على مصر | بالرأي وهو على الساهين في اللعب

وقال:

يمدح إمام الشرق وفيلسوفه العظيم مولانا الحكيم الشيخ (محمد عبده) مفتي الديار المصرية أعزه الله وبعث بها إليه في عيد الفطر سنة ١٣٢١ :

فلك يطل فهل له عينان | إن الكواكب فيه كالأجفانِ
نظر الأنام فلم يزل مترنحًا | أتراه يعجب من بني الإنسانِ
وجرى ولو بلغته أنفاس الورى | ألهاه ما حملت عن الدورانِ
إني أرى الإنسان سرًّا غامضًا | والكون ما ينفك في كتمانِ
شيءٌ أراد اللّه فيه إرادةً | حجبت حقيقته عن الأذهانِ
هذا لذاك أخٌ فإن يعرض له | أملٌ تناكر عنده الإخوانِ
بئس الزمان ترى بنيه كأنما | للمرء في نياته قلبانِ
إن السرائر كالوجوه أما ترى | هذي الوجوه كثيرة الألوانِ
وكذا النفوس معادنٌ لكنما | قيمُ النفوس مآثر الأبدان
والمرء إن عُد امرءًا بوجوده | كان الجماد يعد في الحيوان
ما النطق في الإنسان لولا عقله | سببًا يفضله على الأكوان
هذر الطيور لغاتها كلغاتنا | ونعدها ضربًا من الهذيان
والناس مملكة العقول وبعضهم | تجد العلوم عليه كالتيجان
والدهر أزمنة لكل عزة | من أهله « ومحمد » لزماني

---

(١) الجد بالفتح الحظ وبالجد الدأب والسعي .

القائد الأفكار في ميدانها ... والعلم زاوية من الميدان
والمنتضي سيف الهداية بعدما ... قد كان في غمد من القرآن
يغرى بحديه الضلال ولم يكن ... حداه غير يراعة ولسان
مولاي أمسى الدين مما بدلوا ... فيه كمرقعة من الأديان
والمسلمون لجهلهم قد أصبحوا ... طُرحوا بمطرح ذلة وهوان
ثقلوا وخف سواهم فلذا غدوا ... في الكفة السفلى من الميزان
والناس في عمل وهم في ضجةٍ ... مما فلان قد روى لفلان
فانض اليراع فإن للسيف الجسو ... م ولليراعة أنفس الإنسان
يجري بكفك حيثما أجريته ... حكمًا ويقطر من حجًى وبيان
مرهوب هاتيك الشباة كأنها ... قدر تمثل في حديد سنان
وتراه مما امتص من مهج القلو ... ب يظل يحكي القلب في الخفقان
فادفع به عن أمة قد هدها ... أبناؤَها وطوارق الحدثان
إن الزمان على الجبان غضنفرٌ ... وعلى الغضنفر فيه نفس جبان
ولقد أراك وأنت أكرم منزلاً ... في الناس مثل العين في الأجفان
وأرى رجال العقل كالألفاظ تحـ ... ـت عقولهم مما أفدتَ معاني
وحللت في قلبي فمدحك شيمةٌ ... حملت عليه خلائق الإيمان
هيهاتُ تنكر والحواسد يطرقو ... ن لأحرف اسمك عند كل أذان
والشمس تظهر للعيون جليةً ... وشعاعها رسل إلى العميان
ذرهم فإن محاسن الطاووس فيما ... قيل أصل حماقة الغربان
وإليكها (والعيد) يصقلها بما ... أوليته من بهجة وتهاني
من شاعر هو والذي فضلته ... إن عدت الشعراء عد اثنان
وهب اليراعة هزها كل امرئٍ ... عرسٍ فمن ليراعة ببناني

وقال :

وبعث بها إلى صاحب السعادة أحمد منشاوي باشا أيام لهج أهل القطر بوقفيته :

ضنتْ وما أنا لو تشاء ضنينُ ... والبخل إلا في الحسان يشينُ
أَهواكَ مانعةً وكل مليحةً ... ليست ممنعة الوصال تهون
حسبُ المتيم منكِ وحي فؤاده ... إن القلوب على القلوب عيون
وألذُّ ما كان الخيال زيارةً ... إن كان يخفي مرة ويبين
قالوا بخلتِ وما بخلتِ وإنما ... وصل المليحة في الجفاء ثمين
نسخت معاني البخل يسرى (أحمد) ... وأتت بشرع الجود منه يمين
أحيى الأُلى كنا نرى أسماءَهم ... وغدا يرينا الجود كيف يكون
وسمت به مصرٌ على بغداد مذ ... كانت وكان بقصرها هارون [١]
ورأى لديه المال بحراً زاخراً ... فغدت أنامل وهن سفين
والقوم ذو فقر يقلب كفه ... وأخو غنى بنعيمه مفتون
هذا يُرنحه الأنين وذاك في ... سكراته يهفو به التلحين
قل للذين استأثروا بكنوزهم ... ما كان بعد كنوزه قارون
أنفوا مساعدة الضعيف وربما ... خدموا البهائم والجنون فنون [٢]
واستحجرت راحاتهم فكأنها ... صخر وإن (فلقوه) ليس يلين
والمجد أقتل ما يكون هزاله ... أما رأيت الكيس وهو سمين

---

(١) هو هارون الرشيد الخليقة العباسي المشهور .

(٢) أكثر من يسمون اليوم « عمدا وبكوات وبشوات » يعتنون بتربية البهائم أكثر مما يعتنون بتربية أبنائهم بل هم يعلمون بذلك أبناءهم أن يكونوا مثلها في الراحة والرياضة . ولا يريدون مما يفعلون إلا الزينة والبذخ وفال الشاعر مرة في بعضهم : إن عقول هؤلاء في رؤوس أولئك .

ضلوا وأحمد بينهم يدعوهمُ ... أو بعد أحمد المكارم دين
نيلان في مصر فذلك قد جرى ... ماءً وهذا عسجدًا ولجين (١)
والنفس إن تغز الفضائل أفلحت ... كالماءِ يسقاه فيحيى الطين
(يا أحمدًا) أقرضت ربك والسرا ... ة يئن تحت رباهُم المسكين
والدهر أطماع وفيه حفرة ... سيان فيها الألف (والمليون)
وبنيت من كل الضمائر منزلاً ... هو منك ما بقي الورى مسكون
كالشمس من فوق السماءِ محلها ... وشعاعها تحت الثرى مخزون
ورفعت صوتك بالمكارم جهرة ... تدعو الأنام وللسراة طنين
والشرق إن خربت نفوس رجاله ... فلرب كنز تحتها مدفون
قد كنت أبخل بالقريض وإنني ... ليعزُّ عندي اللؤلؤ المكنون
فأريتني ديوان مجدك خالدًا ... فحلا لأشعاري به التدوين
شعرٌ أفاض عليه نورك مسحة ... فكأنه صور بها تلوين
ما إن يقاس به سواه وليس في ... سلك الزبرجد ينظم الزيتون
كثرت ظنون المادحين فقولهم ... ظنٌّ وهذا المدح فيك يقين

---

(١) اللجين بضم ففتح . الفضة وإنما كسرت الجيم هنا لتستقيم القافية ومثله قول محمد بن الأشعث في زرقاءَ جارية ابن رامين وكان قد حج وأخرج معه جواريه كلهن :

أية حال يا ابن رامين ... حال المحبين المساكين
تركتهم موتى ولم يتلفوا ... قد جرعوا منك الأمريِّن

(إلخ وإنما هى الأمرين) بالتثنية ويقال أن الشعر لإسماعيل بن عمار الأسدي وقد رواه صاحب الأغاني فانظره هناك في ترجمة محمد بن الأشعث .

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

الباب الخامس

في الغزل والنسيب

وقال :

حـرَّمـت يـا لـيـل عـلـيـنـا المـنـامْ ... أمـا كـفـى الـهـجـر وَبَرْح الـغـرامْ
مـهـلاً أبـث الـبـدر وجـدي وقـف ... لا يـنـقـلَ الـواشـون عـنـا الـكـلامْ
وأملك سـبـيـل الـصـبـح فـالحـي إن ... نـاحـت حـمـامٌ حـسـبـوني الحـمـامْ
يـا لـيـل بـي هـمـي وظـلـم الـورى ... وأنـت والـهـجـر وكـلٌّ ظـلام
أراك لـلـعـشـاق قـبـراً فـهـل ... فـيـك من الـعـشـاق إلا عـظـام
رُحـمـاك يـا لـيـل ورُحـمـاك بـي ... وألـف رُحـمـاك ودعـنـي أنـام
عسى يوافي طيـفـهـا مضجعي ... فـتـسـمـح اليـوم ولـو بـالـسـلام
أوَّاه من سـقـم الـهـوى والـهـوى ... إن قـلـت أوّاه يـزدني سـقـامْ

وقال :

يعارض المتنبي في غزل إحدى قصائده ونزع فيها إلى بعض أمانيّ نفسه :

تـعـالي وإن لـم تُـجـمـلي فـتـرفـقي ... فـحـسـبيَ أنّـا ساعـة الموت نـلـتـقي
وإن شئت أن أبـقى وقد أهلك الـهوى ... ذويـه وإلاّ فـأمـريـنـيَ أَلحـقِ
فـديـتـكِ أَحـيى أو أمـيـتي فـإنـهـا ... حـياةٌ متى ما جدت بـالوصل تُخلَقِ
وقـد كنـت لا أرضى بـدنيـا عـريضـة ... فـلـمـا دنـا يـومي رضـيـت بمـا بـقـي
ومـا حـيـلـتـي إن لـم تـكـن لـيَ حـيـلـةٌ ... وهـل بـعـدمـا تـرمـين لحظك أتـقى
خـفى الـلّه مـا أقـوى على كل نـظرة ... وإلا تخـافـيـه فـرحـمـاك وأشـفـقي
ألـم يـكـف إن كـانت خـدودك فـتـنـةً ... لـنـا فـتـزيـنين الخـدود « بـيـشـمـقِ »

وزدتِ فتون الجيد حتى تركتني ... أموت على نوح الحمام المطوَّق
وقد بعثت عيناك في الحلي نسمةً ... فكيف انثنت عنه المعاطف ينطقِ
وألقت عليه من غرامك مسحةً ... فما انفكَّ مصفراً حذار التفرقِ
وتبعده ثدياك ثم تضمه ... كدأب الهوى في العاشق المتملقِ
تعلمت منه ما تُوَشيّ يراعتي ... وما كل شعر بالكلام المنمقِّ
وما القول إلا الحظ أكثر من أرى ... يظل به يشقى ولما (يُوفَق)
فإن يحسدوني شيمةً عربية ... فيا رب فحل إن هدرت يُنَوَّقِ
وما لهم هاموا وما عرفوا الهوى ... فقولي لمن لم يعرف العشق يعشقِ
وذي عذل لما مررت أشار لي ... فقلت له ناشدتك اللّه فارفقِ
أرى الروح سهمًا بين فكيك مودعًا ... فإن تتحرك هذه القوس يمرقِ
وداريته حتى إذا قال أبعدت ... عن العين قلت الآن فاسكت أو أنهقِ
وما الليث أقوى مهجةً غير أنني ... متى أُبصر الغزلان يمرحن أفرقِ
ولي قلم كالغاب ما زال مُرهفًا ... ولكن متى ما مسه الدمعُ يورقِ
وما أنا من يطوي على الهم جنبه ... ولكنَّ شيئًا إن عرى البدر يمحقِ
رُوَيْدَك لا تقضي علي فربما ... رأيت بريق التاج يومًا بمفرقي
وما أخرتني في بني الدهر شيمةٌ ... بلى ومتى أطلقت للسبق أسبقِ
ومن كان ذا نفس ترى الأرض جولة ... فلا بد يومًا للسموات يرتقي
ومهلاً أُضيءْ آفاقها ثم انطفى ... كما أطفأت أنفاس حبك رونقي
أليس ليَ القول الذي إن نظمته ... أو انتثرت حباته يتألقِ
وحسبك قلب بين جنبيَّ شاعرٌ ... متى هجست أفكاره يتدفقِ
ولن تجدي غيري يقول إذا بكى ... « لعينيك ما يلقىَ الفؤاد وما لقي »

وقال :

في الشفاه اللعس ما يشفي الألمْ ودوا القلب فمٌ من فوق فَمْ
عقد الحب « شروطًا » بيننا وفمي « أمضى عليها وختم »
وأرى ذا الحب سرًّا فالشفا هُ على كتمانه تعطى القسمْ
بأبي هذا الجمال وأبي لم يلدني لسواه لم ولمْ
يا أمير الحسن ما تأمرنا كلنا في دولة الحسن خدمْ
أترى كوّنت كل دمٍ فلذا حنّ إليك كل دمْ
ولم الصد أما آن لما شتَّت الهجران مني إن يُلمْ
نحمد اللّه فإن الشمس لو فعلت فعلك عشنا في ظُلمْ

وقال :

إيك العصافير والدنيا عليَّ أسى أما تُرَوِّح عني بعض أحزاني
لي فيك عصفورة لو أنها انطلقت رأيت كيف يعاد الميت الفاني
ما صوَّر الناس في الأملاك أجنحة إلا غداة بدا منها الجناحانِ
فويح قلبي ما من مرة صدحت إلا شعرت بقلبي بين آذاني
وويح عذالها ما في جوانبهم قلبي فمن أين يحكي شأنهم شاني
أنا إذا عذلوا عانٍ وإن عذروا فإن وإن حكموا لي أو لها جاني
والحب روحٌ لأهليه فعندهم هذي الحياة وهذا الموت سيَّانِ

وقال :

وقد استيقظ يومًا فإذا بجفنه رمد :

زار الخيال فحيَّاني وأسندني يدٌ على قلب والأخرى على الكبدِ
ومر ليل هوًى ما كان أهنأه لو لم أقم منه إلى الأبدِ
وحين أيقظت عيني في الصباح بكت وعاقبتنيَ في جفنيَّ بالرمدِ

وقال :

يــا مــن تــبــاعــد عــنــي | حــفـظـت فـي الـبـعـد عـهـدك
فـكـيـف حـالـك بـعـدي | قـد سـاء حـالـيَ بـعـدَكْ
يـا لـيـتـنـي كـنـت خـالاً | وكـنـت ألـثـم خـدكْ
ولـيـتـي كـنـت ثـوبًـا | وكـنـت أَلمـس قـدكْ
ولـيـت طـيـفـك عـنـدي | ولـيـت طـيـفـيَ عـنـدكْ
إن كـنـت تـرضـى فـهـبـني | يـا سـيـد الـنـاس عـبـدكْ
فـمـا لـي الحـب وحـدي | لـكـن لـك الحـسـن وحـدكْ

وقال :

في معنى عرض له :

جـرحـتـني بـالـقـول لـكـنـني | أرى شـفـار الجـرح في الجـرح
فـكـم سـبـاب بين أهـل الـهـوى | يـكـون تـنـبـيـهًـا إلـى الـصـلـح

وقال :

قـاسـوك يـا شـمـس الـضـحـى | بـالـبـدر ظـلـمًـا والـهـلالِ
ورأوا عـيـونـك فـاسـتـهـا | مـوا بـالـغـزالـة والـغـزالِ
يـأبـى جـمـالـك أن يـقـا | س وأنـت مِـقـيـاس الجـمـالِ

وقال :

عـذرت فـؤادًا رآك فـطـارا | كـذا الـطـيـر أمـا لمحـن الـنـهـارا
ودمـعًـا عـلى نـفـخ ذكـراك يـهـمـي | كـمـا مـاجـت الـنـسـمـات الـشـرارا
نـشـرت عـلى الـلـيـل مـنـه شـعـاعـا | كـمـا تنـشـر الـشـمـس منـا الـنـضـارا
تـداعـت ضـلـوعي وعـنـد الحـريـق | بـهـدم أهـل الـديـار الـديـارا
ولمـا أحـسَّـت بـذاك الـدمـوع | أَبـين مـن الـرعـب إلا فـرارا

وأبصرها العقل مُستنفرات فمد جناحيه خوفًا وطارا
ولا عجبٌ أن تراني على تقلب (هند) عدمت القرارا
فلو أن للأرض قلبًا يحب لما أبصر الناس فيها جدارا
(وهند) على ما بنا لا تبالي وحبك يا هند ليس اختيارا
إذا ما هجرت عذرنا الدلال فليس دلالك إلا اعتذارا
وفي الحب شيء يسمونه نفارا وما تتركين النفارا
كأن الجمال بأعمارنا يطول ليصبحن منه قصارا
وما يربح الحسن إن لم يكن محبوه يرضون منه الخسارا
لماذا تجافين يا هند عني هبيني ظلا وراءَكِ سارا
هبيتي نسيما تلطف يوما فحرك من جانبيك الإزارا
هبيني أَشعة شمس الأصيل نور يغادر خديكِ نارا
هبيني من قَطَرات الندى إذا ما انتثرن عليك انتثارا
هبيني أخا (وهبيني طفلا) هبيني فتى (وهبيني جارا)
هبيني من بعد هذا وذاك غبارا على قدميكِ استثارا
وأقسم أني لأطهر نفسا وأصفى غراما وأسمى وقارا
تقى اللّه إني رأيت الجفون تعلم نفسي لديك انكسارا
وعودتني أن أخاف الأنام وما كنت أحذر إلا الحذارا
وحملتني من خطوب الزمان بما لم يدر فلك حيث دارا
أصيخي إلى الحلي إني أرى السـ ـوار يناجي بأمري السوارا
متى ما سمعت رنين الحليْ فإن لهن بشأني سِرارا
ولا تفزعي من حفيف الثياب ينادينني إذ مللن انتظارا
على أن قلبي لها حاسدٌ فيا ليته كان فيها (زرارا)

ويا ليتني وأنا كالخيوط نُسجْتُ لهذا القوام إزارا
متى قلت (يا ليتني) مرةً لأمر توجعت منها مرارا
علمت من الشدي ما تُضمرين فقد وقف الشدي حتى أشارا
فحسبي البعاد وحسب النجوم إذا ما بدا صبحها أن توارى

وقال :

أنا البريء ولم نبرح تُعذبني فليت لي بين أبناء الهوى فادي
أهكذا ظبية الوادي التي ذكروا أم الظباء بواد وهي في وادي
رحماك يا ربِّ عجل بالممات إذا قدرت أن لهذا كان ميلادي

(وقال في النحول) :

لا تعجبي أن ترى جسمي نحيلا يشفُّ
وكان ماء الصبي عن سقيه لا يكفُّ
عرضته للهوا « ى » فما له لا يجفُّ

(وقال في مثله) :

لا تلوميني على السقـ ـم فذا طرفك أسقَم
أنت علمت فؤَادي فيك كيف يتألم
فرحمت الحب مني وأراه ليس يرحم
إن هذا الحب ضَيف وقراه اللحم والدمْ

وقال :

قرَّح الجفن وأدمى كبدي إن شملي في الهوى تشتتا
فإذا أثبت أني عاشق لم يفدني عندها أن أثبتا
ويلنا مما جنى الحب وكم من يقولون معي يا ويلتا

(وقال في المكاشفة) :

إن لم يكن عندك ما عندنا ... فمن رمى الخصر بهذا الضنى

ما لك تخفين الهوى والهوى ... يقول من عينيك لي ها أنا

وتلك أنفاسك نمّامَةٌ ... وبين نهديك أرى مكمنا

حسبي ذا الوجهُ وألوانه ... وما دليلُ الشمس إلا ألسنا

كُفِي ظنون الناس واستنكفي ... أن تجري الألسن يومًا بنا

ألا ترين الطير في راحة ... من يوم أمسى بالهوى معلنا

وما كتمنا إذ كتمنا الجوى ... إلا كما تخفى الغصون الجنى

والحب في الصدر بخار إذا ... حبسته هُنا جرى من هُنا

كلا فؤادينا امتلا بالهوى ... وفاض حتى ملأ الأعينا

وأي ذنب للإناء الذي ... يفيض إن أنت ملأتِ الإنا

لا تعجبي مما يُمنّي الهوى ... ما في يد العشاق إلا المنى

قد ذل بعد العشق أطماعه ... من قال بعد الكيمياء الغنى

(وقال في دلال الحسان) :

نفرةٌ ثم تعطف الحسناءُ ... وقصارى آبائهن الرضاءُ

وذوات الهوى يصلنَ ولكن ... من حقوق الوصال هذا الجفاءُ

تأبَّى وإنما لذة الحب ... إذا كان في الحبيب إباءُ

ما يشين الوصل إن التجافي ... في حواشيه نقطة سوداءُ

وإذا الخال كان في الخد حسنًا ... فتمام الملاحة الخُيلاءُ

غضبٌ بعده الرضا وكما مر ... مذاق السقام يحلو الشفاءُ

إن في الحسن للحسان لعذرا ... فاسلبوا المال يسمع البخلاءُ

أوَلا يعذر الجمال إذا ما ... نظرت في مراتها الحسناءُ

سائليها يا رقَّة الحلي عني ... الداء الفؤاد منها دواءُ
واذكري افتاعلي اليأس نرجو ... ومن اليأس قد يكون الرجاءُ
أوَ ليس السماء يأتي عليها ... كل يوم صبح ويأتي مساءُ
وضياء النهار فيها ابتسامٌ ... وظلام المساء فيها بكاء

وقال:

فتكت في الناس أعينها ... وعيون الناس تنهبُها
ما يناجي أُذنها نفس ... صاعد إلا ويطربُها
وانثنت عجبًا فلست ترى ... عاشقًا إلا ويعجبُها
كل رِجل في تنقلها ... تحتها قلب يُقَلبها

(وقال أيضًا):

قالوا جفنك ولا تنفك تذكرها ... إن النصيحة سلوان بسلوان
فقلت عيني مني وهي إن رمدت ... فلا يكون دواها كحل عميانِ
نأت دَنت وصلت ضمت نفت هجرت ... في كل ذلك أهواها وتهواني
والحب كالدين يرضي المرءَ مذهبهُ ... وبعده الناس في كفر وإيمانِ

وقال:

أبيت وجنبي ليس يحويه مضجعُ ... وبعض الذي ألقى من النوم يمنعُ
تقلبني الأشواق وخزًا كفني ... بكف الهوى ثوب رديمٌ يرقعُ
ولي حاجة في السُّهد والسهد قاتلي ... بدمعي وبعض الموت في الماء ينقعُ
فيا أيها النوَّام ما لذة الكرى ... أما لكم مثلي فؤَاد وأَضلعُ
وكيف تنام العين والقلب موجع ... وأنَّى يصح القلب والحس يُوجعُ
كأن الهوى نورٌ كأن بني الهوى ... كواكب أمَّا جنها الليل تلمعُ
وما انفكَّ نور الحب في كل كائن ... ولكن لأمرٍ بعضه ليس يسطعُ

وما كل مصباح بذي كهرباءة | ولا كل إنسان رأى الشمس يُوشعُ
ويا شدَّ ما أَلقى من الحب وحده | فكيف وفي طبع الحبيب التمنعُ
هل الحب إلا ما ترى من فضيحة | وما المسك لو لا أنه يتضوعُ
كأَن فؤَادي شعلة قد تعلقت | بجسمي وطبع النار في العود تسرعُ
وما أنا وحدي من يقولون عاشقٌ | ولكنني وحدي الذي يتوجعُ
وفي كل عين أدمعٌ غير أنني | لعينيَّ من دون المساكين أدمعُ
أعينيَ ما دمعي عليَّ بهيّنٍ | فكم ذا وكم ذا تجزعين وأجزعُ
كأنك في كل القلوب فمن بكى | بكيتِ له والحر بالناس يخدعُ
أحاطت بيَ الأرزاءُ من كل جانب | كان الرزايا تحت جنبيَّ مصرعُ
كأَني في الآمال زورق لجَّةٍ | إذا احتملته كان للخفض يُرفعُ
وما كل من تحنو على الطفل أُمه | ولا كل من تدنيه للثدي مُرضعُ
فهل ترجع الدنيا كما قد عهدتها | وهل ما مضى من سالف العمر يرجعُ
ولي في الهوى شمس إذا هي أشرقت | رأيت بها سحب الأسى كيف تُقشعِ
ولكن لحظي كان حظيَ ليلها | ومن ذا يخال الشمس في الليل تطلعُ
كلانا به وجد ولكنه الهوى | دلالٌ وهجرانٌ ويأس ومطمعُ
فإن أستبنْ ما أصنع اليوم يأتني | غد بالذي لم أستبنْ كيف أصنعُ

وقال:

عجبت لأهل الهوى إنهم | يعيشون مَوْت بأرماسهم
سكارى بكأس سقت آدما | وما أنقص الدهر من كاسهم
كأن الهموم بأنفاسهم | تكون ويا حرَّ أنفاسهم

وقال:

أعرْنيَ عينيك يا عاذلي | لعلي أرى الحق كالباطلِ

فعيني قد انصبغت بالفؤاد كمثل الزجاجة والسائلِ
كلانا يراها وهيهات ما توجّع بالشكل كالشاكلِ
ولو كان للصيد عين الذي يصيد لما اغترَّ بالحابلِ
هويت وأطعمت جسمي النحول فَويْلاه من شَرَهِ الآكلِ
كأن ثيابي عليَّ الربيع كسا جانبيْ بلد ماحلِ
كأن عيوني بموج الدموع خِضَمٌّ له الجفن كالساحلِ
كأني ودمعي في مقلتي أرى كفني في يد الغاسلِ
ليَ اللَّه هل أنا إلا فتًى أجد ودهريَ كالهازل
ومن ساد في قومه الجاهلون أَضرَّت به شيمة العاقلِ
كأن الزمان بقايا دُجًى أنا فيه كالقمر الآفلِ
نزلت على حكمه طاعةً لوحي على مهجتي نازل
ومن كان قاضيَه من يحب رأى جائر الحكم كالعادل
يعيبون فيها نحولي فَلمْ يُرى النجم في الأفق كالناحلِ
وكيف يعاب الحسام الصقيل أرقت شَباه يد الصافلِ
مُهَفْهَفَةٌ فكان الهوى يحاربنا بالقنا الذابلِ
وأعجب من أملي وصلها وبعض المنى قاتل الآملِ
لما مهجتان تحب وتسلو وما تحت ضدين من طائلِ

وقال:

يبث الشوق ويخاطب الحبيبة وهي نائمة والقمر مطلع عليها ويتخلل ذلك شيء من الوصف:

مكانك يا بدرٌ وإن كنت واشيًا لعلك تروي عندها بعض ما بيا
مكانك يا بدر لأشكوَ حبها وتشهد عند اللَّه إنْ كنت رائيا

مكانك لا تعجل لتحضر ساعتي فإني أرى ساعات عمري ثوانيا
ويا بدر خذ عيني فتلك سريرها وتلك وإن لم أدعها باسمها هيا
أغار عليها إن تقابل وجهها فتنقل عنه للوشاة معانيا
وأخشى عليها من شعاعك مثلما يخاف على النفس الجبانُ الموضيا
فإني أرى جسمًا لو أن مدامعي جرين عليه أصبح الجسم داميا
وما عجبي إلا من البدر يدعى تمنع ليلى ثم ألقاه عاريا
فيا بدر في موضع الصنع فاتخذ يدًا لك عندي تلقني الخيرَ جازيا
وذي قبلة مني إليها فألقها على فمها وارجع بأنفاسها ليا
وإن لم يكن في الحسن إلا عواذل فيا بدر كن خيرًا عذولاً وواشيا
أذِع حسنها في كل أفق تنيره وأحص علينا ما حيينا اللياليا
كأن الهوى قد خط قبل وجودنا كتابًا على ما يلبث الكون باقيا
له البدر عنوان وقد أمست السما صحائف فيه والحروف الدراريا
قضى اللّه أن ليلى فصدَّت بحكمه ولو واصلتني لم أكن قط باليا
وإني قسمت الروح شطرين واحد بجسمي وشطر عندها لا يرانيا
ولا بد من يوم تعود لأصلها فإمَّا بوصل بيننا أو فنائيا
ولم أرَ غيري بعضه خان بعضه فأصبح مشغولاً وأصبح خاليا
بربك يا نفسي وربك شاهد أتهنئة كان الهوى أم تعازيا
وهل ذكرتني هند يومًا فأشفقت لما بي وحاكتني بكا أو تباكيا
وهل حدثتها نفسها أنني بها شديد الهوى أو أنني بت ساليا
يكاد يفيض القلب من ذكرها دمًا لأكتب منه في هواها القوافيا
وتذهب نفسي حسرة إن رأيتها وأُصرع وجدًا كلما قلت « آه يا ... »
ولو أنني أرجو لهانت مصابي ولكن منها إنني لست راجيا

فيا من تجير النومَ مني جفونُها أجيري إذن من ذي الجفون فؤَاديا
تحرم عيني ما لعينيك مثلما تَجنَّبُ مولاها العبيدُ تحاشيا
وأقسم لو تبكين يومًا من الهوى لما كنت إجلالاً لجفنيك باكيا
أما لي عذر في الغرام وأعيني ترى كل شيءٍ فيك للحب داعيا
وقد رفعتك الناس حتى ظننتهم لأجلك يدعون النجوم جواريا
وكم أتصابى فيك حتى كأنما وجدتك حسنًا تحلت تصابيا
فلو سألوني عن أمانيَّ لم أزد على أن تميتني وأُخلق ثانيا

وقال:

هذا الموشح في معنى اقتضاه:

الصبر لا يُجدي من بعد ذا البعد
مع الملال
وليس للصدِ وحرقة الوجدِ
سوى الوصالْ
من الهوى يا ما أشد الهوى
وذا الجوى يا ما أمضَّ الجوى
قتلت نفسي والغرام انطوى
مذ نقضوا عهدي وأخلفوا وعدي
بذا المطالْ
وكنت ذا حدٍّ فصرت كالغمدِ
لدى النضالْ
وبي ظما ويلاهُ من ذا الظما
وقد أرى الماء ولكنما

قوليَ يا ليت ويا ليتما

مسعّر كبدي فلم أنل قصدي

ولا أنالْ

وحفرة اللحد أنزلها وحدي

بكل حالْ

وقال:

أنحلوني وأسقموا حسبيَ اللَّه منهمو
أي ذنب جنيت حتى به اليوم أُعدمُ
أنا يا حسرتي أنا لم أكن قبل أعلمُ
كانت العين تأخذ السر والقلب يكتمُ
وتوهمت كل شيءٍ فساء التوهمُ
قلت ذا الحب جنة فإذا هي جهنمُ
يا فؤَادي أبعدما قضى الأمر تندمُ
مقلة تبعث العتاب وأخرى تسلمُ
في محيا غدا يشير إلى خده الفمُ
ولَكم يحجب الذي في القلوب التبسمُ
وعلى البحر يضحك الموج والقاع مظلمُ
آه هيهات ما لما تجرح العين مرهمُ
لم يُصَب قط بالهوى عاشق ثم يسلمُ

وقال:

يا للغرام ويا لعز بناتهِ لم لا يذل فتى الهوى لفتاتهِ
خلقتُ ذكاءُ منيرة والبدر لو لاها لظل الدهرَ في ظلماتهِ

وبنو الغرام اثنان تلك حياتها ... ثمر تعلق في الهوى بحياته
كالزهر في أغصانه والنجم في ... آفاقه والدر في صدفاته
إن القلوب كأهلها ذكر وأنـ ... ـثى كل قلب فيه من شهواته
وإذا تزاوجت القلوب رأيتها ... مثل الأنام تئن من حسراته
والقلب يحمل في النساء وإنما ... ولد الفؤاد يكون بعض صفاته
ولذا تفاوتت الحسان فهذه ... أخت الوفا والغدر شيمة هاته
والحب أشهى ما يكون إذا الحبيـ ... ـب أبى عليك القطف من ثمراته
إنَّ النفوس لما مُنعن شديدة ... ظمأً ويُنسى الماء عند فراته
« يا مريَ » زيديني هوًى فهواك نو ... ر لم أزل أسرى على مشكاته
وأرى الحياة عليَّ ليلاً دامسًا ... ضلت نجوم السعد في طرقاته
أحيي فؤادي ليس مثلك من يَدي ... عز القتيل فأهوني بدياته
ها أنت مريم والهوى عيسى وعيسـ ... ـى كان رد الروح من آياته
قولي لكاهنك الذي قدسته ... قولاً وعودي فاسمعي لصلاته
فلسوف يزعم أنها في آية ... نزلت من الإنجيل أو توراته
يرجو ويأمل أن تباركه يدا ... ك وكل قومك آملٌ بركاته
وإذا دعى عند الوفاة لدعوة ... يدعو بأن يلقاك عند وفاته
شغلته غفلته فلست بلائم ... والشيخ معذور على غفلاته
واهًا لهذا الحب لو عرف الوليـ ... ـد الحب لاستعصى على داياته
شيء يحار المرء فيه لأنه ... من ذاته جلب الشقاء لذاته
ما كان أبعدني وقولي في الذي ... آتيه يومًا ليتني لم آته
لكنَّ حالات القضاء على الورى ... شتَّى وهذي الحال من حالاته
أترى المريض اشتاق وجهٌ إساته ... أم كان يشبحى الميت صوتُ نعاته

يا قوم ما لي حيلة واليوم قد ... دنف الهوى والطير عند شتاته
هيهات أبصرها وأبقى بعدها ... فالنجم نور الشمس من آفاته
ولأن ترى ذا الصب في الأموات خيـ ... ـرٌ أن يراها الصب بين وشاته

(وقال في القبلة المكتمة) :

بليت بهذا الحب أحمله وحدي ... وكلٌّ له وجد المحب ولا وجدي
هي الحسن في تمثالها وأنا الهوى ... فلا عاشق قبلي ولا عاشق بعدي
وفي كل واد للغرام بشاشة ... فشاني في (باريس) شاني في نجد
ولم أنس يومًا جئتها ذات صُبحة ... عليلا كما هبَّ النسيم بلا وعد
وكنت وكانت والدلال يصدها ... فتبدي الذي أُخفي وتخفي الذي أبدي
وما زلت حتى كاتمتني قبلة ... على حذرٍ حتى من الحليْ والعقد
وكنا كمثل الزهر يلثم بعضه ... ولا صوت للنسرين في شفة الورد
وكان فمي فيه إليها « رسالة » ... فسلمها فاها وحُمّل بالرد
إذا لم يكن عند الحبيبة لي جوًى ... فقولوا لماذا لا يكون الجوى عندي

وقال :

على الطرسين من خد وجيد ... أرى سطرين في معنى الصدود
وقد سدلت غدائرها تريني ... تبدل بيض أيامي بسود
وقطعني الأسى والدمع يجر ... فعاد بسيط همي في المديد
ولما أمصدت قلبي بلحظ ... علمت بأنه بيت القصيد
لها دينٌ ولي دين ولكن ... أرى القلبين في دين جديد
وكم من ليلة مرت وأفق النجـ ... ـوم كجيدها تحت العقود
وقد وقف الدجى فزعًا يصلى ... وظلمة ذنبه ملء الوجود
وأنفاس النسائم كهرباء ... توصل بين قلبي والخدود

وقد سعت اللحاظ بما أردنا ... توكدَّ بيننا صدق العهود

فكم لحظ وكم نَفَسٍ ترا ذا ... « تلغرافًا » وذا « ساعي بريد »

فعدت أرى النعيم ولست فيه ... كمثل الغصن شُبه بالقدود

فلا أهلاً بأيام التجافي ... ويا أيام ذاك الوصل عودي

وقال :

ليت أهل الغرام ما عشقوا ... بل ليتهم قبل ذاك ما خُلقوا

إني وجدت الحياة سائغة ... كالماء لكن لها الهوى شرقُ

ومن يجد عاشقا يعيش فما ... ينجو القتيل الذي به رمقُ

وكيف يبقي العود الذي علقت ... بأصله النار وهو يحترقُ

يا قمرا في الفؤاد مطلعه ... ومن سُوَيْدائه له غسقُ

إن تلق في مهجتي سواك فما ... يريك غير الكواكب الأفقُ

كان زمان كليلة حلكت ... هواك عندي لصبحها فلقُ

وأنت وردي فما يعيبك أن ... ينبت يا ورد قبلك الورقُ

أنبتك اللَّه مثمراً شغفا ... وهذه أضلعي له طبقُ

يا رب إن القلوب قد ضعفت ... عن فتنتين الخدود والحدقُ

وقال :

لا يحمل الصدَّ منها والهوى بدني ... ولا أطيق بلايا الحب والزمن

جسم تراه فلا تدري أمشتمل ... بالثوب أم درجوه منه في كفن

يكاد يوم التناجي أن يُطيِّره ... مرُّ الهواء مع الشكوى إلى الأُذن

لولا الحبيب وقصدي أن يبين له ... يريه ما فعلت عيناه لم يبن

وقال :

تعاتبنا كأن القلـ ... ـب عند القلب في شكٍّ

والسنا صوامت وال ... عيون لبعضها تحكي
فقالت أنت كالأطفا ... ل خلو القلب من شرك
ففاض بمدحها دمعي ... ونطق « الطفل » أن يبكي

وقال :

وشى العاذلون بأني سلوت ... وإن الجفون ألفن الرقادْ
فلما رأتني من خدرها ... أشارت لقلبي بالابتعادْ
وهزت ستارتها باليدين ... تعلمني كيف خفق الفؤَادْ

وقال :

ساترة والبدر لا يُنقبُ ... وليس إلا في القلوب تحجبُ
تغرب في القصر ومنه طلعت ... فقصرها مشرقها والمغربُ
هو السماء وهي بدر حولها ... من كل قلب يتلظى كوكبُ
ولا أَقول شعرها ليل وحا ... شاه فتحت الليل صبح أشيبُ
ولا أَقول وجهها شمس ومثل الشـ ... ـمس عندي فحمة تلهبُ
ولا أقول خدها نار فإن ... كل نار تنطفي وترطبُ
ولا أقول ثغرها درٌّ فإن الدرَّ ... في أيدي الرجالُ يُثقبُ
ولا أقول قدها غصن فإن الـ ... ـغصن كيفما يكون حطبُ
تبارك اللّه الذي صورها ... عجيبة يحار فيها العجبُ
أنبتها فيها نباتًا حسنًا ... ومن أَماني النفوس تشربُ
فللهوى في كل قلب مورد ... وللهوى من كل نفس سببُ
أبيت كالملسوع من قولي آ ... هِ إنما قوليَ (آه) عقربُ

(وقال في معنى) :

أقول لها إذ ساءَلت كيف حالتي ... أَقل مصابي لوعة أكلت قلبي

وعندي وما عندي وهل تجهلينه ... وأنت التي علمتني شغف الحبِ
حنانك يا أخت العصافير خفةً ... ويا ضرة الطاووس في التيه والعجبِ
ويا بانتي ميلى ويا زهرتي انفتحي ... ويا نسمة الأسحار في روضنا هبي
فمالت تعاطيني من الثغر كوثرا ... حسبت به حور الجنان إلى جنبي
فيا رب حسبي ما مضى إنما الد ... نا عذاب وهذي روح عبدك يا ربي

وقال:

تنادت حرامٌ إن أقبل ثغرها ... فقلت إذاً فالدر يحرم لثمه
فقالت وخدي قلت يا حسن ما أرى ... متى حرم الورد الذكيُّ وشمه
فقالت وهل صار العناق محرما ... فقلت وهل غصن يحرم ضمه
داعي الحب يحكم في الدنا بين أهله ... ومن بعدها يا هند للّه حكمه

وقال:

بي حبيب مسَّ عقلي ... فأصاب العقل مسٌّ
أترى يرجع قلبي ... ومتى يرجع أمسُ
ليت لي نفسين إن أهـ ... ـلك نفسًا تبق نفسُ

وقال:

أشكو لها الحب ظنًّا إن سيعطفها ... والحب يمنعها أن تسمع الشاكي
يا هند ما كان لي أمسى عليَّ إذنْ ... يا ليت ما كان لا هذا ولا ذاكِ
ولدهر جنبان ما ينفك منقلبًا ... حينا وحينا كما تغريه عيناكِ
يا هند حبك نهر العاشقين فمن ... رأى إذنْ نهرًا من غير أسماكِ
رحماك قاتلة رحماك فاتنة ... فالناس في ذا الهوى ليسوا بأملاكِ
يا هند ما نظرت عيناي في حسنٍ ... إلا تبيَّنت معناه بمعناكِ

وقال:

أتاني بعد فرقتنا سلامٌ ... فكيف وعذَّلي حوني أتاني
تقول أأنت لا تنفك حيًّا ... تعاني من هولنا ما تعاني
كفى هجرا فقد أصبحت نضوا ... تمر بي العيون ولا تراني
ولو هب النسيم علي يومًا ... لزحزحني وربكِ عن مكاني
وها أنا حين أنظم فيك شعرًا ... أكاد أكون فيه من المعاني
لو أن الحور مثلك في جفاء ... لصد الناس عن طلب الجنان

وقال:

ما أوجب الإعراض بعد الذي ... قد كان من وصل وإيناس
أراك في الهجر كأني أرى ... بأعين ما كنَّ في رأسي
فهل لقلبي فيك من حيلة ... وهل على قلبك من باس
إن تشبه الورد فإني من الـ ... ـهوى عرتني هزَّة الآس
يُنبئني لحظك أن الذي ... سبّب هذا قلبك القاسي
قانت تخفي السر لكنما ... تظهره عيناك للناس

وقال:

إن تجد قلبًا كقلبي ... تلق حبًّا مثل حبي
أنت تصيبني فما لي ... لا أُرى أول صبِ
تقاسمنا لك الجنا ... ت والنار لقلبي
مر بما شئت فغير الـ ... ـحب عندي غير صعب
وتدلل وتمنع ... أول الوصل التأبي
أنا في قربي وبعدي ... قاتلي بعدي وقربي
يا ترى كيف أمنا ... ك وقد جئت لتسبي
ترفع (الطربوش) في ... أهل الهوى راية حربِ

والهوى للقلب فخ ... يخدع الطير بحبِ
ما خطت رجلك إلا ... بأن لي مصرع جنبِ

(وقال في مليح كان في روضة) :

رأيناه يخطر في روضة ... كأنْ قد تعلم من بانها
فكانت به جنة العاشقين ... وكان فؤادي كرضَوانها
وما سمي الروض باسم الجنان ... لو لم يكن بعض ولدانها

وقال :

وإذا قرئ كل بيت شطرة كان من العروض الأولى من المتدارك وهو (فاعل) أربع مرات :

شفَّني بُعد من ... لم يئن قربهُ
شادنٌ لم يزل ... قاسيًا قلبهُ
إن يقولوا له ... مضَّه حبه
قال عذري الهوى ... والهوى ذنبه

وقال :

من الضرب الثاني من العروض الثالثة من الخفيف :

إن يكن طبعًا أن تميـ ... ـنوا فقِدْمًا مُنِيتُ
أو رأيتم أن لا تعيـ ... ـنوا فإني عنيتُ
أو رغبتم أن لا تبا ... لوا ففيكم بليت
ما أراني أحيى كذا ... فاسمحوا لي أموت

وقال :

أنا عن مخاطبة العوا ... ذل كالمصلى قد نوى
إلا ما يذكرون سواه ... قلت جل عن السوى
واللَّه لولا مقلتا ... ه لما تعلمنا الجوى
والقلب لا يهوى سوى ... من كان علمه الهوى

وقال في مليح كان في (محطة) :

ملأت (المحطة) بالعاشقين … فهذا يغير وذاك يَغارْ
وقلبي مما تَمزق أضحى … كان عليه يمرّ القطارْ
بربك ماذا فعلت بنا … وما لك عند ذوي الحب ثارْ
قتلت وأحرقت حتى القطار … يسير وفي (قلبه) منك نارْ

وقال :

أشار لي بسلام … ومقلتاه بحرب
فما رفعت يميني … حتى هوت فوق قلبي

وقال :

أنا إن قلت أنا … عبد هذا السيدِ (١)
ولهُ الأمر فما … شاء مني يجدِ
ويرى قتلي لأني … صرت من ملك اليدِ
كسليمان لهُ … حل ذبح الهدهد

وقال :

شكوت ما بالقلب من لوعة … ومن جوى يا ما أشد الجوى
فمال باللحظ ولما رأى … وجدي ثناه في يديَّ الهوى
والظبي إما كعسلت عينه … تشبه الجيد بها فالتوى

وقال :

يا غريب الدار إن … الدر أعلاه غريبُهْ

---

(١) لا يقول الإنسان أنا من غير أن يسند إليها شيء إلا في الفخر كأن يقول ها أنا وأنا أنا إلخ وهدهد سليمان هو الذي فقدهُ لما تفقد الطير وقال لأذبحنَّهُ أو ليأتيني بسلطان مبين فجاءه من سبإٍ بنبأ ولكون المفسرين قد خلطوا في مثل هذه القصص حتى إن بعضهم بحث فيما إذا كانَ هدهد سليمان ذكرًا أو أنثى تحاشينا إيرادها وإنما العلم عند الله .

إن تـكـن غـبـت فـإن   البـدر قـد طـال مـغـيـبـهْ

فـاطـوِ أيـامـك وارجـع   يُـبـرئ الـقـلـب طـبـيـبـهْ

إنمـا حـظ الـفـتـى مـن   هـذه الـدنـيـا حـبـيـبـهْ

قـد شـطـرنـا الـدهـر لـي مـا   مـر لـكـن لـك طـيـبـهْ

ونـصـيـب المـرء ممـا   قـدَّر الـلَّـه يُـصـيـبـهْ

الباب السادس

في الأغراض والمقاطيع

قال في معانٍ مختلفة من الغزل والحكم :

على الشمس من نسج الغمام ستورُ كما للغواني كلَّة وسريرُ
وتحجب ذات الحسن لكنّ حسنها يدور بأهل العشق حيث يدورُ
وبعض تكاليف الصبى يبعث الأسى فكيف وأسبابُ الغرام كثيرُ
وفي كل حسن موضع الذكر للذي يحب فما يسلو الغرام ضميرُ
أراني إذا ألقيت للشمس نظرةً كأني إلى وجه الحبيب أُشيرُ
وما رَقبتي للصبح إلا تعللاً لعل طلاع الشمس منه بشيرُ
ولي زفرات لو تجسم حرها لأصبح شمسًا في الفضاء تنيرُ
وإني ليرضيني على القرب والنوى إذا فاح منه في الصباح عبيرُ
هما خطتا ذل فإما ارقوى الهوى وإما صبرنا والكريم صبورُ
وأفئدة الإنسان كثر طباعها وفي الناس أعمى قلبه وبصيرُ
وإني وإن لم أحتمل أمر معشر فقلبي على كل القلوب أميرُ
وإن أك بين الواجدين ابن ساعتي فما أحدٌ بعد القنوع فقيرٌ
وسيان إما أبلغ النفس سؤلها كبير وإن أجللته وصغيرُ
وما دامت الأفلاك في دورانها ففيهنّ من بعد الأُمور أُمورُ
وكم لي يوم دارت الشمس فوقه وسارت عليه في الظلام يدورُ
لبست جناح اللهو فيه ولم أزل أرفُّ به حتى لكدت أطيرُ

ونال الهوى منه عرائس لذة ... لها الراح ريقٌ والكؤوس ثغورُ
زمان كأن قد كان للهو منزلا ... فساعاته للمهليات حذورُ
أخذنا على الدهر المواثيق عنده ... فأيامه للنائبات قبورُ
وأحسن أيام الفتى يوم لهوه ... على فطرة الأطفال وهو كبيرُ
وإن هموم الدهر موت لأهله ... فما كان من لهو فذاك نشورُ

وقال:

بلاني الدهر بكل همهِ ... فصرت غير جازع لحكمهِ
وصار معنى الهم عندي كاسمهِ ... وهمة المرء تُرى في حزمهِ
والدهر إن مسَّ سواي يدمهِ ... لكن في جسمي وقع سهمهِ
كعضة الصبي كفَّ أُمهِ

وقال:

في تعليل أن الدنيا لا سعادة فيها:

كم أُريد السعد لكن ... فوق آمالي إرادهْ
كل من يطلب دنيا ... يعبد الدنيا عبادَهْ
ولهذا غضب اللَّه ... فكان النحس عادَهْ
وقضى في حكمهِ أن ... ليس في الدنيا سعادَهْ

(وقال ارتجالا):

في غادة رآها في مرسح تمضغ العلْك « اللبان »:

فاتنة في أضلعيَ ... كالشمس في برج الحملْ
إذا أماتت بالجفو ... ن فهي تُحيي بالمقلْ
كأنها لاعبة ... في راحتيها بالأجلْ
أردت أن أقول آ ... هٍ فأشارت لا تقلْ

وجعلت في فمها لبانها من الحيلْ
تعللت بمضغه لكي تشير بالقُبَلْ

وقال:

في صاحب مضطرب متقلب وكتب بها إليه وأشار فيها إلى مذهب « دروين» المشهور:

أقام (دَرْوين) دعوى ولم يجئ بشهودِ
ومرّ قومٌ فقومٌ وكلهم في جحودِ
لكنني بعد أن صر ت لم تراع عهودي
وكل يوم جديد تبدو بشكل جديدِ
آمنت أنك في النا س نسل بعض القرود

وقال:

في آخر بذيء يبطن غير ما يظهر:

كان ذاك الصديق فيما رأينا سحبًا فوقها سمًّا سوداءُ
خاب فيه الرجا وليس ببدع كل ميْت يخيب فيه الرجاءُ
يا سفيه اللسان إن أنت لم تسـ ـتح مني ففي لساني حياءُ
عجنت لي الرواة أخلاقك السو ءَ ومن طينها يكون البناءُ
كم حفرنا التراب من ذلك الوجـ ـه فقل أليس في الوجه ماءُ

وقال:

يداعب صديقًا رقيق الحال ذكر أنه سيشتري (عربه):

حسبك أن تدري يا مفلسٌ من عربات الأغنيا بأسمها
والأرض من رجليك مجروحة فما الذي فاتك من جسمها
إن ترد الدنيا ومن قسمك الـ ـفقر تكن روحك من قسمها

(وقال في ثقيل) :

وثقيل بات في نعم وأراني منه في نقمِ
قال ألقاك صباح غد يا غد عجلَّت بالسقمِ
لو يقوم الميتون غدًا لتكاسلت ولم أقمِ

وقال :

تولى زمان بني آدم وهذا الزمان زمان القرود
وما الموت إلا اصطحاب الثقيل ولولاه فاز الورى بالخلود

وقال :

في جماعة من أصحابه:

عِفْتهم إذ أصبحوا مطمعًا غير مريء
فادعوا أن خنتهم وأنا منها بريء
يشتهي الجيْد من لا يرى إلا الرديء

(وقال أيضًا) :

نسيتم ودادي فلم تزوروا ولم تسألوا
وسيان عندي فلا أقول اهجروا أو صلوا
ومن كان بي جاهلاً فإني به أجهلُ

وقال :

في سفيه كتب إليه كتابًا يذمه فيه استلفاتًا له:

يا أيها العائبَ من فوقه أنظر إلى النجم فهل ينظركْ
أظمأت أقلامك فاضرب بها حوافر المزن عسى تمطركْ
وجئتنا بالحلو فيما ترى فكان ملحًا عندنا سُكرَّكْ
وقلت لفظي جوهر نيِّرٌ وعندنا أن الحصى جوهرُكْ

فــقــل لمن يــقـــذف مــنـشـــاره		في الجـــو مــهـــلاً ربما يـنـشـــركْ

وقال:

في رجل طويل اللحية جداً:

يطول لحيته كالحبال		فيا ليت عمريَ من طولها
كمروحة الخيش في العارضين		تطرى الهواء بتبليلها
وقد لقبوها بست اللحى		لتعظيمها ولتبجيلها
ألست تراها تجر الذيول		فيحظى الصغار بتقبيلها
وكم بحث الناس في أصلها		وأين الوبا كان في جيلها
وكم حكموا أنها علة		وما علة غير تعليلها

وقال:

في حادثة السرب المشهورة:

قتل الحب يا ليالي الودادِ		فاسلمي بالقلوب والأكبادِ
مهجة تلتظي غرامًا ولكن		ألف قلب يغلي من الأحقادِ
وصدور كالنار غطَّى عليها		من سواد الرياء شبه الرمادِ
وهموم الحياة تخلق للقلـ		ـب وأي امرئٍ بغير فؤادِ
ما أمنا الزمان إلاّ كما يأ		من إبليسَ زاهد الزهادِ
كل يوم يصيح بالناس صوتًا		كضجيج (الساعات) في الميعادِ
أين من يأمن العواديَ والنا		س بأجناسهم ثمار العوادي
من تَدَعهُ فريثما يدرك النضـ		ـج ورب البستان بالمرصادِ
وقتيلٌ من كان في الغاب حيّا		تتولاّه أعين الآسادِ
إنما الناس ما يخلده النا		س وإن كان أمرهم للنفادِ
إن ذكر الذين شادوا وسادوا		لم يزل راسخًا مع الأطوادِ

وإذا المـــرء أودع الأرض ســـرًّا ... نـبـــشـت ســـره يـــد الآبـــاد

إن تـشـأ أن تـرى حـديـثك بـعـد الـ ... ـموت فـانـظـر إلى حـديـث الـعـبـاد

كـم تـريـنـا الأيـام مـن عِـبـَرٍ شـتـى ... كـأن الأيـام فـي اسـتــعــداد

وأراهـا فـي عـــبـرةٍ قـد طـوتـهـا ... كـانـطـواء « المليون » في الأعـداد

في مـلـيـك كــســاه أمـس جـلالاً ... فـــغـــدا الـيـوم بـاريَ الأبـراد

كـان فـوق الـسـريـر فـانـقـلـب الـد ... هـر فـأمـسـى بـه عـلـى الأعـواد

وقـضـى الـعـمـر يـوم عـيـد فـلـمـا ... مـات ضـنـت أيـامـه بـالحـداد

ومـن الـهـم أن تـرى عـينُ بـاك ... أدمع الموت غـيـر أدمع المـيـلاد

شـدَّ مـا يؤْخـذ الـظـلـوم إذا مـا ... سار فـي الـنـاس سـيـرة استـبـداد

إنما أنـفـس الأنـام سـيـوف ... إن تُـحـرك سـالـت من الأغـمـاد

أيـن من كـان في الثغور ابتسامًا ... وهـو الـيـوم مـضـغـة الحـسـاد

أيـن مـن كـان لـلـبـلاد رجـاءً ... وهـو الـيـوم عـبـرة في الـبـلاد

سطروا ذكـره على صحف التاريـ ... ـخ من سـوء فـعـلـه بمداد

وأروْه أن الـفـســاد وإن طـا ... ل فـعـقـبـى أُمـوره لـلـفـسـاد

لـم يـكـن يـجـهـل الـرشـاد ولـكـن ... عَـمِـي الحب عـن سـبـيـل الرشـاد

وأضلُّ الـهـوى هـوى مـلِـك الأر ... واح يـبـغـي مـحـاسـن الأجـسـاد

إن لـلـتـاج ربـةً لا تـزيـن الـتـا ... ج إلاّ بـطـلـعـة الأولاد

لا كـتـلـك الـتـي هي الصـدف الـفـا ... رغ نـحـسًـا لـطـالـع الـصـيَّـاد

عـذلـوه فـيـهـا فـكـان مـريـضًـا ... سـاخـراً بـالـطـبـيـب والـعـوَّاد

وإذا كـان لـلـخـطـيـئـة عـذر ... أي عـذر لمخطئ في الـتـمـادي

أبـعـدوهـا عـن الـقـلـوب فـلـم يـر ... ض وصـعـبٌ تجـاورُ الأضـداد

هـو ألـقـى في النار فـحـمًـا فـلـمـا ... أَجَّ لـم يـخـتـطـف سـوى الـوقـاد

ليس للملك من يسوق هواها … حامل التاج مثل سوق الجياد
أنضجت بالحب حتى إذا ما … بلغ النضج أطعمتهُ الأعادي
وأرته العينان أن بياض الـ … ـحظ قد شابه الهوى بسوادِ
جردت من لحاظها فاتكأت … جرّأت كل تلكم الأجنادِ
ليتها حين لم تقده لمجد … لم تخلّ الزمام « للقوّاد »
ليتها حين أسهرته عليها … ما جزته بمثل هذا الرقاد
قتلته ببغيها وتلته … وأرى البغي جامعًا كالودادِ
أي أيد قد بدلت ذلك الدر … بحب الرصاص فوق الهوادي
أوَ ما خافت الكواكب أن تسـ … ـقط من غيرة على الأجيادِ
ما لتلك اللحاظ وهي حدادٌ … أصبحت في العدو غير حدادِ
لم تؤثر في قلبه نظرات … ربما أثرت بجسم الجمادِ
قتلوا ظبية القصور ولكن … قتلة الصائدين حية وادي
حسبوها فأرًا وهم قطط البيـ … ـت فلم يأكلوه قبل الطرادِ
وكذا يقدم اللصوص إذا ما … أبصروا الرأس مال فوق الوسادِ
ما أرى هذه الشهامة إلاّ … حمقًا من فظاظة الأكبادِ
عربدوا في الدم المراق وما الوحـ … ـش إذا اغتال يترك الدم بادي
وكذاك اليهود من قبل عدوا … يوم صلب المسيح في الأعياد

(وقال في كتاب حبيب) :

بأبي الذي كتبت يداه تحيتي … وكسا الكلام بنعسة الأجفانِ
وأرى محاسنه على ألفاظه … ودموع عينيه على العنوانِ
وكأنا كان اللسان يراعه … ومداده من مهجة الولهانِ
فكتابه عندي وكتْبي عنده … غنَجُ الحبيب وآهة الثكلانِ

وقال :

هـذا كـتـابـي قـد جـعلت مـداده عـيـني وأقـلامي ضـلـوع تخـفـقُ
حـمّلتـه شكـوى إليـك جـمـعـتـهـا من كـل قلـب فـي الـبريَّـة يـعـشقُ
أولا تـراه يـئـن مـن ألـم الجـوى ويـكـاد بـالـشـوق المبـرّح يـنـطـقُ

(وقال أيضًا) :

بـعـثـت قـلـبـي بـين الـسـطـور حـتـى يـراكـا
عـسـاه يـلـثـم كـفـيْـك أو يـقـبـل فـاكـا
فـإن تـأخـرت بـالـرد ذقـت مـنـك الـهـلاكـا

(وقال في المعنى الأول) :

قـرأت الـكـتـاب فـكـان الـفـؤاد كـأنـك تـلـمـسـهُ بـالـيـدِ
وقـبـلـتـهُ ثـم أدنـيـتـهُ من الـقـلـب كـالـعـين والإثـمـدِ
فـطـار بـه طـيـب أنـفـاسـكـم إلـى أن تـعـلـق بـالـفـرقـدِ
وقـلـت لـعـيـنـي انـظـري لـلـفـؤاد ومـا فـعـل الـشـوق بـي واشـهـدي
فـقـال لـهـا الـقـلـب هذا غـرامي وبـعـض غـرامـك أن تـسـهـدي
فـخـذ منيَ الـيـوم قـلـبـي وعـيـنـي وذي الـروح أُسـلـمـهـا فـي غـدِ

وقال :

يـا نـسـيـم الـرُّبـى وفـيـك الـتـحـايـا أنـا مـيـتٌ من طول صـد وهـجـر
وأرى هـذه الـتـحـيـة روحًـا فـانـفـخ الروح يـا نـسـيـم بـصـدري

وقال :

يـا طـويـل الـصـد لا أعـلـم مـا هـذا الـتـمـادي
جـمـع الـلّـه عـلـيـنـا بـين هـجـر وبـعـاد
فـرمـانـي فـي بـلاد ورمـاكـم فـي بـلاد

أترى تجمعنا الأيام أم يوم التنادي
فتحت ذكراك مني كل جرح في فؤادي

وقال:

أرى الهجر أن تذكر الهجر لي فإن القلوب بما تذكرُ
وإن السماء إذا أبرقت غدت بعد إبراقها تمطرُ
أخاف عليك وما إن تخاف وأنت المُطاع بما تأمرُ
وما آفة النفس بعد المتاب إلاّ الغرور بمن يغفرُ

وقال:

سَنَّ الزمان شريعة البؤسي فدان الخلق أجمعْ
لكنني مع من أحب خرجت عما بات يشرعْ
وقضيت أيامًا رأيت الشمل فيها كيف يجمعْ
وعرفت لذات الوصال وكيف أن الحب يصرعْ
فتنبه الدهر الخؤون وغاظه ما كنت أصنعْ
وقضى علينا ثم شتت ذلك الوصل وقطّعْ
وأشد ما يلقى الفتى إن كان بعد العزّ يخضعْ

وقال:

يداعب صديقًا ينظر في وجه كل سيدة:

أَدرت عيونك في كل وجه ونطقت باللحظات الخصورا
وكدت تشك بهن القلوب وتلحم أسيافهن الصدورا
فلا عجب أن يصد الحسان وأن يتعلمن فيك النفورا
تلثمهن بلحظ وقاح ويمنعهن الحياء السفورا
لعلك تعلم أن الظباء ينفرن إما رأين (البعيرا)

وهبك (خفيرا) لهذي الطريق فلست على النيّرات خفيرا
أرى نظراً كالطفيلي لا يوجه حتى يعود حسيرا
فلو خلق اللّه فيك العيون طيورا لما بت إلا ضريرا

(وقال في غادة صفراء) :

قابلت وجهها بوجهي فلاحت صفرتي فيه فاكتسى من سماتي
وبدت لي صفراً فخلت فؤادي خبأت فيهِ جمرة الوجنات
قل لمن عاب وجهها أي ذنب في انطباع الألوان للمرآة

(وقال يقص حادثة) :

بيَ الهوى إن كنت لم تعرفي يا أُخت بانات الربى فاعطفي
أَسألك الإنصاف إِن لم يكن يحرم في شرعك أن تُنصفي
وكل ما تقضين أَرضى به وإنما يحسن أن ترافي
هل أنا جان يا عيون الظبا وأين سيفي عند ذي الأَسيفِ
أحلف باللَّه على أنني لولا اتقاء الريب لم أحلفِ
لأضعفتني عين تلك التي إِن نظرت في حجر يضعفِ
وأضلعي تشهد أني « بري » أما تراها إِن رنت تقصف
فما لها هل عرفوا ما لها تفتك بالناس ولا تكتفي
أَهكذا كا لحاظ الدمى وكل قد للدمى أهيفِ
يا أُختها قولي لها ذا الفتى يئن من وجد بنا مدنفِ
عديهِ وعدا إِنَّه هالك وسَوّفي من بعدُ أو أَخلفي
قالت لها يا أُخت هذا الفتى أَبر من يصفو لمن يصطفي
إِن تمنعيه الوصل أو تمنحي فليس يسلونا ولا يشتفي
وإِنني أخشى على عرضنا قافية كالصارم المرهفِ

« وشاعر الحسن » إذا قالها قدسها العشاق كالمصحف
قالت لها هذا الذي ضره أني أُحب العاشق المختفي
العشق في القلب فما باله يذيعه في هذه الأحرف
سيان عندي أن يقولوا شقي من بعد هذا أو يقولوا شفي
وما على مثليَ من مثله لو أنه كان أخا يوسف
قولي له « لم تَرض » ثم انظري ما يصنع المسكين ثم اصدفي
قالت لها يا أُخت لا تفعلي إني لأخشى بعدُ أن تأسفي
هبيه ما قلت فكم غادة مما شداه فيك لم توصَف
وكم يداس الزهر لكنما لعزه زهرك لم يُقطف
يحسدنا الناس على شعره وليس إلاّ في هواه وفيكِ
وما يكون الطير في أيكه إن طلع الصبح ولم يهتف
فاستضحكت هند وقالت لها إذن يوافينا إلى الموقف
والسعد كل السعد فيما أرى عود غريب الدار للمَألفِ
والحسن زيت لشباب الفتى إن جف منه لحظة يَنْطَفِ

وقال :

تَعِدُ الملاح وأهون الأ شياء أن تعد الوعودا
والحب إن زاد الحبيـ ـب أمانيَ العشاق زيدا
والحسنُ أعلق بالقلو ب إذا تمنع أن يجودا
من ذا يطيق يرى ذُكا إلاّ إذا كانت بعيدا
والعيد يرقبه الورى من أجل ذا سموه عيدا
لا ترج أن يرضى الحبيـ ـب إذا بدا لك أن تريدا
إن البخيل على غنا ه يعيش بالبخل سعيدا

ولو أن في الدنيا وفا ... ءً كانت الدنيا خلودا

وقال :

يا كأس ماذا أُريد بعدي ... وقد أراني أَموت وحدي

يا ليت عند الحبيب مني ... ما هو من ذا الحبيب عندي

فمثّلي خده فإِني ... رأَيت ما فيك ماءَ (ورد)

يا كأس داوي جروح قلبي ... فإِن داء الغرام يعدي

وثبتيني على زمان ... يرقص بالناس رقص قردِ

قُضي عليَّ الذي أراه ... من يوم مهدي ليوم لحدي

وقال :

قد كان فيك غرامي ... كالنار في مقلتيَّا

وكنت لي في منامي ... كالمال في راحتيا

ومذ صحوت من الحـ ... ـب إذ كواني كيا

فتحت كفي ولكن ... لم أُلف من ذاك شيا

وقد يموت هوى المر ... ءِ وهو ما زال حيا

وكتب :

يستأذن على فضيلة الأستاذ الحكيم مفتي الديار المصرية لقوم ذهبوا في قضاء حاجة :

ببابك العالي ذوو حاجة ... لولا التقى قلت ادخلوا سجدا

فأذن لعل القوم مثل الذي ... قادته تلك النار نحو الهدى

وقال :

وكتب بها إلى نجل عمه الأستاذ العلامة الشهير الشيخ صالح أفندي الرافعي حفظه الله :

أراهـا وقـد جـعـلـت تمـطـلُ ... ذُكـــاء تـضـيءُ ولا تـنـزلُ
يـضـن الجـمـــال بـأربـابـه ... وأهـل الجـمـال بـه أبـخـلُ
وسـيـان في الـطـير عـصـفـورة ... إذا انـفـلـتـت مـنـك والـبـلـبـلُ
فـيـا مـن جُـعـلـت لـهـا خـاتمًا ... مـتـى تـلـبـس الخـاتمَ الأنمـلُ
تـدوسين فـوق الـثـرى مـهـجـتـي ... وطـيـفـك في أعـيـنـي يـرفـلُ
لـئـن مـنـعـوك فـسـلـك المـنـام ... مـا انـفـك مـا بـيـنـنـا يـنـقـلُ
فـمـنـك إليَّ ومـنـي إلـيـكَ ... كـلانـا لـصـاحـبـه يـحـمـلُ
وذو الـشـوق يـسـعـى عـلـى عـيـنـه ... إذا قـعـدت بـالـهـوى الأرجـلُ
سـلـي الـصـبـح كـيـف أراق الـكـرى ... وعـيـنـي مـا أوشـكـت تـثـمـلُ
رمـى الـفـجـر فـانـفـجـرت عـيـنـه ... دمًـا فـأتـى بـالـنـدى يـغـسـلُ
وأضـرم مـن شـمـسـه شـعـلـة ... فـجـفَّ عـلـى حـرهـا المـقـتـلُ
كـذاك أرى الـنـاس في غـدرهـم ... تـسـاوى الأَواخـر والأولُ
(أصـالح) قـل لـي مـتـى نـلـتـقـي ... فـبـعـضـيَ عـن بـعـضـه يـسـألُ
أراك تُـؤيـدنـي فـي الـبـيـان ... كـمـا اتحـد الـقـلـب والمـقـولُ
ولـولا الـفـؤاد ومـيـزانـه ... لمـال (الـلـسـان) فـلا يـعـدلُ
ألا أنـذر الـفـئـة الحـاسـديـن ... سـيـوفًـا مـتى ضـربـت تـفـصـلُ
وقـل لـلـعـصـافـيـر لا تـبـرحـي ... ولا تمـرحـي قـد هـوى الأجـدلُ (١)
عـجـبـت لـهـم وعـجـيـبٌ إذا ... عـجـبـت لمـن لـم يـكـن يـعـقـلُ

---

(١) الأجدل الصقر .

وما يستوي الجفن فيه الغبار وإن أشبه الكحلَ والأكحلُ
هُم نخلوني فماذا رأوا أأمسك نور الضحى المنخلُ
وثار الغبار فيا أُفق هل جلالك مرآتك الصيقَلُ [1]
وأقبل فار فما للجبال لم يلق عاليَها الأسفلُ
وكيف يخيف الهلال الدجى ويُرهب عنترة المنصلُ
رأوا ليَ في حكمتي ثانيا كما ينظر الواحدَ الأحولُ [2]

وقال:

يهنئ صديقه الفاضل الأديب إلياس أفندي العجان بعيد رأس سنة ١٩٠٤ :

يا أخا الفضل شهدنا خلقًا لو يكون الدر كنت معدنَهْ
شيمة يا حسنها من شيمة وكمال رائع ما أحسنَهْ
إن أيامك للدهر حلى وفتًى مثلة يحلي زمنَهْ
فهو يهديك مع الأيام من كل عيد وسرور أيمنَهْ
وإذا العام غدت أطرافه عيد قوم فلكم « رأس السنة »
دمت للمجد ودام معلنا في الورى من فضلكم ما أعلنَهْ
ولو أني استطعت أنطقت لكم بمديحي كل هذي الألسنَهْ

وقال:

كذلك يهنئ صديقه الفاضل الأديب جورج أفندي إبراهيم:

لياليك عيدٌ وعيدٌ وعيد لنفسك والصحب والأزمنَهْ
فأنت تُهنّى ونحن نهنّي وحتم على الدهر أن يعلنَهْ [3]

(١) الصيقل من يصقل السيوف والمعنى أن السماء لا تحتاج لمن يجلوها إذا ثار إليها غبار الأرض .

(٢) من عجيب الأشياء أن الأحول يرى الواحد اثنين والظبي يمضغ الحنظل فيستحليه والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

(٣) الضمير في يعلنه عائد على الهناء وهو مفهوم بالقرينة ومثله (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أي العدل .

أرى العيد يأتي سواك بيوم ولما أتاك أتى (بالسنهْ)
فقابل بها السعد وألق الزمان واحيى الحياة به آمنهْ

(وقال أيضًا) :

لصديقه الماجد أمين أفندي الطحان وعيد طائفته بعد تلك بأيام لاختلاف الحساب بينهما :

سعدت فجاء عيدك شمس سعد تضيءُ لك الليالي والسنينا
وإن يسبقه عيد فهو أغلى كذاك العين لا تعلو الجبينا
كلا الاثنين در غير أني أرى ما في الفم الدر الثمينا
فدمت بكل عيد للمعالي ودمت على خزائنها « أمينا »

(آية العدل) :

وقال يهنئ نسيبه الماجد الأمثل السيد محمد أفندي عبد الرحمن البرقوقي عمدة (منية جناح) وكان قد حكم عليه ابتداءً في تهمة باطلة ثم برّأه الاستئناف :

(محمدٌ) ما لك من خاذل فالحقُّ منصورٌ على الباطلِ
والناس إما غفلوا مرّة عنك فما ربك بالغافلِ
العدل والعقل أليفا هوى وليس كل الناس بالعاقلِ
والسيف إن يصدأ بكف الذي يحمله فالأمر للصاقلِ (١)
إن كان في الأرض نبي فما أراهُ غير الحاكم العادلِ
فرحمة اللّه بهذا الورى منزلةٌ في قوله الفاصلِ
والحق إن لان ولكنه يودي بذاك الباطل الباسلِ
كالموج مهما همَّ في وثبه تراه ينحلُّ على الساحلِ

(١) يشير إلى رجوع الأمر للاستئناف .

(وقال وهي ساقطة من باب الغزل) :

دارت علينا للهوى راحة فبت أسقاها وأسقيه
من مهجة تنساب في مهجة آخذها فيَّ إلى فيهِ
والقلب من ذلي ومن دله كقوم إسرائيل في التيهِ
يا طول سقم القلب أما غدا يمرضه من كان يشفيهِ

وقال :

لو تنصفون لقلت آهُ مات العليل فما دواهُ
ما كاد يطوي جانبيهِ على الأسى حتى طواهُ
ورأى الهوى ناراً فلم يخف الهوى حتى كواهُ
شيء يسمى بالغرا م وليس يدري الناس ما هو
بين السعادة والشقا ء فكلما عرفوه تاهوا
يا مقلتيَّ إذا بقى في الجفن دمع فاسكباهُ
وإذا احتمى بكما الكرى بعد التفرق فاطرداهُ
أخذ الحبيب عليَّ عهداً أن أعذّب في هواهُ
ومن العجائب أنني راضٍ وأسأله رضاهُ
ألحاظه كالنحل تحمي ما أجنَّته الشفاهُ
فإذا رنا لم يبق قلـ ـبًا سالمًا إلا رماهُ
وإذا مشى وقعت على كبدي وأحشائي خطاهُ
يا رب هل أبدعته إلا ليفتن من رآهُ
أطلعته قمراً فكا ن سواد حظي من دجاهُ
وخلقته رشأ فكا ن مراح أضلاعي حماهُ
وبريته غصنًا فروَّ ى دمع أجفاني ثراهُ

بعض الهوى عذبٌ وسائره العذاب لمن بلاه

وقال :

أنا راضٍ بكل ما يرضيكا فإلى كم هذا التمنع فيكا
وكفاني ما قد لقيت فمن لي إن ما قد لقيته يكفيكا
أتمنى لو تعرف الحب يومًا غير أني أخاف إن يبكيكا
يا مليك الجمال أنت على عرش فؤادي قد استويت مليكا
ولعمري ما قست صاحب ملك بك إلا رأيته صعلوكا
سهد الحب أعيني وجفاني من يواسي الحزين إلا الديكا
فهو إن قلت (أوْه) من ألم الوجد رثى لي فصاح (كاك وكيكا)
آه من هذه القلوب وهيهات أرى لي بين القلوب شريكا
قد تركت الأنام إني متى احتجت إليهم رأيتني متروكا

(وقال في مليح رآه نائمًا) :

وبي من الأنس ظبيٌ رميته ورماني
جرى معي في هواه كما جرى بي زماني
فنمت كيما أراه ونام كيلا يراني

(وقال أيضًا) :

يا مدني الجمرة من خده صيرت قلبي نارينِ
فما عجيب إن همت أدمعي تجري بها عيناي نهرينِ

(وقال فكاهة) :

قلت للشادن مل لي قال « دعني أنا ما لي »
قلت سل لي ذلك القلب فقال القلب سالي
قلت خل الروح تخرج قال هذا الجو خالي
قلت فابلل من غليلي قال « هاها » من يبالي

قـلـت مـا أعـجـب حـالـي قـال مـا أعـجـب حـالـي

(وقال أيضًا) :

شـادن يـفـتن الـورى فـتـنـة أي فـتـنـة
شـهـر الحـرب لـم يـخـف عـنـدهـا أي دولـة
عـيـنـه فـي تجـول مـن ضـمـيـر لمـهـجـة
خـده فـي تحـول مـن نـضـار لـفـضـة
تـرك الـنـاس والـنـسـا بـين « آه ودهـوتـي »
وأرانـي لحـبـه بـين حـي ومـيـت
هـو فـي الجـب قـبـلـة وجـهـت كـل وجـهـة
ولـقـد فـات عـاذلـي عـصـر تحـويـل قـبـلـتـي

وقال :

في مسيح الهند غلام أحمد القادياني :

عـثـرت فـي مـدارهـا الأيـام أم هـو الـدهـر هـكـذا والأنـامُ
أهـلـه بـين ذي هـدًى وضـلال ولـيـالـيـه ذو سـنـا وظـلامُ
وأرانـا بمـدة الـعـمـر نـشـقـى وعـدو المسـوّمـات الـلـجـامُ
لـيس كـل الـذيـن تـبـصـر نـاسـا إن بـعـضًا مـن الـطـيـور الحـمـامُ
ولـكـل الـورى رءوس فـإن لـم يـكـن الـعـقـلُ كـانـت الأوهـامُ
إيه (يا هند) عن مسيحك ما زلـ ـت وزالـت ببـتـيـك الأصـنـامُ
كـان فـي جـسـمـك الوبـاء فـقـد د بٌّ إلـى الـعـقـل بـعـد ذاك السـقـامُ
ضـلـة لـلـفـتـى ومـن تـبـعـوه أشـرق الـصـبـح والـقـبـور نـيـامُ
مـسـحـتـه الجـنَّان أم مـسـخـتـه وتـولاه « جـلـجـلٌ أم عـزامُ »
وأتـتـه الأقـوام تـتـرى ولا غـر وعـلـى الجـرح لـلـذبـاب ازدحـامُ
وإذا كـان فـي الـرءوس ضـلال وقـفـت عـنـد قـصـدهـا الأقـدامُ

نسخ السيف ذلة ورياءَ وجديرٌ بناسخيه الحسامُ
أيهذا المسيح إن الليالي في بنيها من الزمان سهامُ
وأرى الدهر كالوغى وقديمًا كان بين الأنام هذا الخصامُ
فارفع الأرض فوق كفيك وأمر يملأ الأرض بعد ذاك السلامُ
أو فعد للسماء إن الشياطيـ ـن عليهم باب السماء حرامُ
وتحد الورى بسخطك أو سجـ ـعك إن الكرى له أحلامُ
لو سألت الحمار حين تراه في نهيق لقال ذي أحكامُ

وقال :

وقد ذكر له بعض من يدعي الشعر :

الشعر في أرؤس من يدعي كالدين في أوهام هذي العوام
محرمٌ إلا على أهله وكم من الجهال يأتي الحرام
فانظر لمن أبصرت في كفه منهم يراعا هل ترى (ذا الجام)
وما (ابن عمار) إذا قسته بجمعهم في الشعر إلا إمام [(١)]

(وقال في بعضهم) :

دع الشعر ما كل امرئ يذكرونه بيتين أو شيء من القول قوالُ
فلو تخلق الأشعار في الرأس لم يكن برأسك إلا الفقر والشعر أغوالُ
رأيتك وزّانا فلفظك كله قناطير لكنّ المعانيَ مثقالُ
وهب للحصى شيئًا تغربله به فهل لكلام كالحجارة غربالُ

(١) ابن عمار رجل اشتهر بسخافة أبيات نظمها لغير معنى على غير رويٍّ .

وقال:

وكتب بهـا إلى نجل عمه الشاعـر المجيد محمـد أفندي محمود الـرافعي وقد أبلغه أن بعض من يسميهم العامة بالشعراء قد تنقصه:

إلـيك فـأنبـئـهـم بأني كـفـيتـهـم ... مـلامـي ويـا لـلّـه كـيـف ألـومُ
إذا لـم يكـن فـيـهـم سـوى هذيـانهـم ... فـإني عليـهـم بـالـسكـوت كـريمُ
أضـنّ بلـفظي أن يـقـال استـحـقـه ... عـلى نـزعـات الهـجـو منـه لـئيمُ
ومـا ضـائري إن يـستـعيروا شـهـادةً ... لـبـعـضـهـم إن الـنـفـاق قـديمُ
وكـم تـنعق الـغـربـان لـكن بـومـةً ... تـقـول اسـمـعـوا إن الغراب حـكـيمُ
فـقـل لـلـذي مـا زال يـجـريه نـومـه ... مـتـى تلـحق الـسـاعـي وأنت مـقـيمُ
ومـا دام شعـر الـقـوم أمس كـمـا ترى ... شـعـيـراً فـقـل إن الـزمـان بـهـيم

وقال:

في إنسان يذكر عن الشاعر أنه مقلد:

يـقـول قـلـدتـه فـسـلـه ... أكـان جـبـريـل عـين (دحِـيـهْ)
ويـدعـى فـي الـورى كـأن قـد ... ألـقـى عـلـيـه الإلـه وحـيـهْ
إذا هـزا بـالـرجـال طـفـلٌ ... فـقـل لـه مـا لـهـم بـلـحـيـهْ

وقال:

يعزي ابن عمه الأديب الشيخ أحمد أفندي الرافعي عن وفاة والدته المبرورة:

لمن الأمـر غـيـره سـبـحـانـه ... أتـرى المـرء دائـنًـا ديـانـهْ
جرت الـنـاس في الـغـرور بعـيـدا ... وقـضـا الـلّـه قـد جـرى جـريـانـهْ
فـكـأن الـبـسـيـط مـيـدان سـبـق ... رامـحـات أفـراسـه فـرسـانه
إن دعـا فـارس إلـى الموت قـرنـا ... سـبـق الموت نـحـوه أقـرانـه
فـلـك دائـر الحـوادث والـنـا ... س يـظـنـون وقـفـةً دورانـهْ

باع في الأرض أنفسًا بنفوس فلذا الموت ناصب ميزانه
رب ذي زينة بميل على الأرض أرتنا أثوابه أكفانه
وإذا ما البستان أنبت زهرًا جعل الريح قبره بستانه
إنما الأرض لابن آدم سجنٌ وأرى الموت عندها سبحانه
فمن الجهل أن تشيع بالحز ن سجينا قد فرّجوا أحزانه
فاتئد « أحمد » فتلك سبيل كل حي لاقٍ بها إخوانه
ما ترى النجمة المضيئة فجرًا كيف أغرى به الضحى طوفانه
إن نفسًا أراك سلت عليها درة أديت وكانت أمانه
صاغها اللّه كالنسيم فلا غر وإذا ما النسيم حلّ جنانه
فكل الأمر للذي صرَّف الأمـ ـر وأحسن رضا تنل إحسانه
إن سخط النفوس كفر بنعمى اللـ ـه فليحرس الفتى إيمانه

تقاريظ :

قال أمير السيف والقلم ، ورافع العلم والعَلم ، صاحب السعادة الأمير الخطير المرحوم محمود سامي باشا البارودي طيب الله ثراه :

« لمصطفى صادق » في الشعر منزلةٌ أمسى يعاديه فيها من يصافيهِ
صاغ القريض بإتقانٍ فإن تُليت صدوره علمت منها قوافيهِ
مهذَّب الطبع مأمون الضمير إذا بلوته كان باديه كخافيهِ
حاز الكمال فلم يحتج لمنقبة فلست تنعتهُ إلا بما فيهِ

وقال :

شاعر البدو والحضر ، وسيد من نهى بين أهل الكلام وأمر ، حسنة هذا الزمان وكوكب فلك البيان ، الأستاذ المفضال الشيخ عبد المحسن الكاظمي نزيل مصر الآن وكان حفظه الله قد علم بشروعنا في الطبع وهو من النسيم ، سقيم ، فبعث إلينا بهذه الأنفاس التي تحملها النسمات ، والعيون التي أصبحت كلها لحظات ، قال :

أدرى المفوَّه « مصطفى »   صفرت وطاب بغيضه
إن الحوادث أقعدتـ   ـني عن أداءِ فروضه
ليصخ لعذر أخي ضنا   قلق الضمير جريضه
ولقد رأى والعام مكـ   ـسوُّ العرى بنحوضه
أدبًا يفيض على الورى   للَّه در مفيضه
يجلو عرائس خاطر   كالبرق عند وميضه
وبنبات فكر لم يصلـ   ـها الفكر عند وفيضه
فكر إذا ما الأمر أشـ   ـكل حل عقد غموضه
هو من علمت فكل فضـ   ـل نابت بأروضه
فإذا انتمى الأدب الصر   يح له انتمى لمحيضه
قد حل عقدة كل صعـ   ـب قبل شد غروضه
من بعدما سكن الرجا   ء أنابه لنبوضه

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

ديوان الرافعي

تأليف

مصطفى صادق الرافعي

الجزء الثالث

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

مقدمة الكتاب

نوع من نقد الشعر

الشعر تصوير عــالمٍ حي من المعاني والألفاظ فالمُجيد من جـعله مختصراً من صورة العالــم كله . ولابدّ فيهِ من شعاع من الــروح إذا تجردت له النفس امتزجت لطافتها بلطافتهِ ، وربما أُخـذ المرء بلذة التصوّر فظنَّها في مكان نفسهِ وحسب نفسهُ في مكانهِ .

ونحن ناظرون إلى نقد الشعر من هذه الجـهة التي يتمثل فيها حـيًّا مـن الأحياء ، تتنازع أنواعهُ البقاء ، فقد أفاض المتقدمون في الأسباب التي يحسن بها مـا يحسن من ظاهره ويقـبح منهُ ما يقـبح ، وجردوا الكتب في طـبقات الألفاظ ومخـارج الأشعار وسقَطَات الـكلام وألطفوا النظر في وجـوه المعاني ومواضعها ، وأصابوا منها صفة التمكُّـن في مبادئها ومقاطعها ، وإنك لتجد فيما وضـعوه من علوم البلاغة الـبحر الزاخر بهذه الأمـواج ، والفلك الدائر بتلك الأبراج .

غيـر أن الفرق بين باطن الشـعر وظاهره كـالفرق الذي يذكره أصـحاب «الكلام» بين المعجِـزة والحيلة . وانظر ما حدّث بهِ أبـو ذكوان قال : أُدخلتُ إلى إبراهيم بن العباس وهو بالأهواز لخدمته فقال ما تقول في شعر النابغة :

أَلَمْ تــرَ أَنَّ اللّهَ أَعْـطَاكَ سُورَةً ... تَرَى كُلَّ مُلْك دُونَـها يَتَذَبْـذَبُ
بِأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُـلُوكُ كَوَاكِبٌ ... إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

فقلت : ما عندي فيهِ إلا الظاهر المشهور . يقول : « فضلك على الملوك كفضل الشمس على الكواكب » فقال : نـفهم معناه قبل هذا . . . إنما يعتذر إلى النعمان من مـدحهِ آل جَفْنة الغسَّانيين وتركه له ويـريد أن له في مدحهم

عذرًا ، ألا ترى قوله :

وَلَكِنَّنِي كُنْتُ امْرَءًا لِيَ جَانِبٌ ... مِنَ الأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادُ وَمَذْهَبُ

مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا أَتَيْتُهُمْ ... أُحَكَّمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأُقَرَّبُ

كَحكمكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَفَيْتَهُمْ ... فَلَمْ تَرَهُمْ فِي شُكْرِهِمِ لَكَ أَذْنَبُوا

يقول : لا تلمني على شكري وقد أحسنوا إليَّ إذا لجأت إليهم وإن كانوا أعداءك كما أحسنت إلى قوم شكروك عند أعدائك . فقد أحسنوا ولم يذنبوا. ثم قال اعمل على أني أذنبت فمن أين تجد من لا يذنب ؟

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لاَ تَلُمُّهُ ... عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الْرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ

فَإِنْ أَكُ مَظْلُومًا فَعَبْدٌ ظَلَمْتَهُ ... وَإِنْ تَكُ ذَا عُتْبَى فَمِثْلُكَ يُعْتِبُ

يقول : مثلك يعفو ويحسن وإن كان عاتبًا وفي كرمك ما يفعل ذلك ولك العتبى والرجوع إلى ما يجب . ثم فضله عليهم فقال : « ألم تر أن الله أعطاك سورة » البيتين يقول ما صلحت أنت لي فإني لا أريد غيرك من الملوك كما أن من طلعت عليهِ الشمس لم يحتج إلى النجوم اهـ .

فمثل هذا الشرح إنما هو تشريح النفس لأجزاء الكلام ، ومثل ذلك القول إنما هو غاز العقول الذي يضيء في أسنَّة الأقلام .

يرتقي المبتدئ في الشعر من مطلق النظم الذي هو النمط المصطلح عليهِ في إقامة الوزن إلى الفكر فيما يجيء بهِ ، فإذا صارت له هذه المنزلة أدتهُ إلى الخيال ، فإذا ارتفع شيئًا بعد ذلك فهو في جوّ الروح الذي يسمونه التصوّر وهناك حدُّ الطبيعة القائم ، وحجاب الغيب القاتم ، فيكون في منزلة بين الوحي والإلهام ، ويمر هناك خاطره على النفوس كما يتنقل على الأرض ظل الغمام .

وتلك هي أطوار الشعر من طفولته التي يعبث فيها بكل شيء ولا يفقه

شيئًا ، إلى شبيبته التي يتماسك فيها وقارًا ويندفع ، إلى شدته التي تعتصم بها الحكمة وتمتنع ، إلى مشيبه الذي هو نور الجمال ، والحظ المقسوم له من الكمال .

والشاعر في الطوْر الأول كالصبيْ في يده القوس يُغْرِقُ في نزعها ما يُغْرق ثم لا يكون إلا أن يسمع لها إرنانًا ضعيفًا فلا هو غلب وهمه ، ولا رمى سهمه ، فإذا اشتد ساعده وانتقل إلى الطور الثاني كان في منزلة بين الخطأ والصواب ، فإذا بلغ إلى الثالث أحكم التسديد ، واستوى عنده في الإصابة ما كان من قريب وما كان من بعيد ، ومتى صار إلى الطوْر الرابع وهو منتهى كماله حسب توزُّع الطير في الجوّ لمخافته ، وتفرق الوحش في البر لمهابته ، وصارت نظرته هي السهم لأنه في إثرها ، ولفظته عن القنيصة هي القضاء لأنه في خبرها .

وما يكن من عيب الشاعر فلن تجد فيه كتسلُّط فكره عليه وعبثه بقوافيه فتراه ينظم الكلمة أبياتًا لا معرفة بين أولها وآخرها ثم يجيء بعد جفاف الريق وتخلخل اللسان وانقطاع النفس فيمضي فيها اختياره ويأخذ في التوفيق بينها وهي متنافرة ، ويعمل على التعريف وهي لا تزال متناكرة ، فَمَثَلُ الكثير من هذا الشعر مَثَلُ الكلمة المفردة إذا نطقت بجملتها أدت إليك معناها على أتم ما يكون فإذا فككت أحرفها ولفظتها حرفًا حرفًا انقلبت إلى قول هراء ، ولم تزد على أن تكون أصواتًا ذاهبة في الهواء .

وأولئك هم الذين قال في شعرهم ابن ميادة « كلفة وتملُّح » (١) :

فإذا لم يكن فكر الشاعر عند إرادته ولم تكن إرادته عند اتجاه عواطفه

---

(١) ذلك قوله :

فجرنا ينابيع الكلام وبحره ... فأصبح فيه ذو الرواية يسبحُ
وما الشعر إلا شعر قيس وخندف ... وشعر سواهم كلفة وتملح

أُخذت عليه منافذ القول فاختل ، واضطربت جهات رأيه فانحل ، وصار من نضوب المادة في آخرة أمره كمن يكتب بقلم ليس عليه إلا مسحة من رَدْع المداد فكلما كدَّه جمد ، وكلما هزه ركد ، فإذا كتب مع ذلك جاء الْحرف مفرق الجهات لئيمًا في الحروف فلا هو كتابة ولا هو محو .

ولم أرَ فيما هو بسبب من هذا النوع كاضطراب أبي كبير الهذلي في مطلعه الذي لم يكن في الشعر أصبر منه على سوء عبث صاحبه . وهو قوله :

أزهير هل عن شيبة من معدلِ أم لا سبيل إلى الشباب الأولِ

ثم اضطرب فيهِ مرة أخرى فقال : أزهير هل عن شيبة من مصرف . ثم عاد فقال : أزهير هل عن شيبة من معكم . أي محبس . وروى الأصمعي في الرابعة أنه قال من مقصر . . . ورويت له خامسة من معكر . . . وهي بلة هذا الطين .

ولا أظن أن شاعرًا يتخلص إلى مثل هذا ولكنه على كل حال نوع من ضغط الفكر على الإرادة وهو قريب كما ترى من ضغط الحمى على الفكر فكلاهما هذيان وإن كان منه معقول وغير معقول .

ولقد يحار المرء إذا نظر في شعر العرب ورأى الكثير منه لا يتعدى الوزن والتقفية ولكن أكبر حظ القوم من شعرهم أن ينقلوا الكلام إلى نَمَط يتفق مع النغم كما ترى في غناء هذه الأيام فهو لا يزيد عن سائر الكلام إلا النمط والإيقاع بحيث أنك لو سمعته وقد جرد من ألحانه لخرجت منه على حساب ما دخلت فيه لا طرب ولا عجب .

والغناء على أي وجوهه ينقل النفس من تنقيبها بين الألفاظ عما هو حسن وغير حسن إلى تحركها على الألفاظ نفسها . وإنما النظم العربي أوزان

موسيقية . فكل من جاء بعد العرب من الشعراء لا ينظر إلا في أعطاف اللفظ وتلاحم الكلمات وانتظام تلك المعاني القديمة فهو من الجاهلية الثانية وإن كان الأولون قد سموا جاهلية لعبادة الأوثان ، فهؤلاء لعبادة الأوزان .

ويكاد شعر العرب ينحصر في غرضين الشاهد والمثل فقد كانوا لا يطلبون من الشعر غيرهما كما لا يطلبون من الخبر إلا الأيام والمقامات . وكان أبدع ما يروج عنهم من أجل ذلك مساق الخبر ومضرب المثل ومقطع الحكمة . والحكيم فيهم يومئذ نبي .

اعتبر ذلك بما تجده في أخبار الرواة إذا أرسلوا عنهم بيتًا مما نحن بصَدَدٍ منهُ وهو شيء مستفيضٌ في كلامهم فقد كان أبو عبيدة والأصمعي ينشدان بيتي الطرماح وخيرهما قوله فيمن يضرب في الأرض :

يَبْدُو وَتُضْمِرُهُ ٱلْبِلَادُ كَأَنَّهُ   سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُغْمَدُ

ويقولان هذا أشعر الناس في هذين (١) . وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: لو ضرب زهير أسفل قدميهِ مائتين على أن أقول مثل قول النابغة :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ ٱلَّذِي هُوَ مُدْرِكِي   وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ ٱلْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ (٢)

ما قاله . . . وزهير أشعر الجاهلية في كثير من شعره .

وعن الأصمعي أن أبرع بيت قالتهُ العرب قول أبي ذؤيب :

وَٱلنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا   وَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

---

(١) البيت الأول قوله وهو كما ترى :

مجتاب حلة بُرجُد لسَرَاتـه   قددًا وأخلف ما سواه البرجدُ

(٢) انتقد الأصمعي هذا البيت فقال : أما تشبيههُ الإدراك بالليل فقد تساوى الليل والنهار فيما يدركانه. وإنما كان سبيله أن يأتي بما لا قسيم له حتى يأتي بمعنى منفرد اهـ .

وليس كما فهم فإن الليل والنهار وإن تساويا فيما يدركانه إلا أن الليل مضلّ يأخذ بالمذاهب . ويحبس الذاهب ويقبض البصر غير ما فيه من الروع والهول وتعفيه الأثر وهو ما أراده النابغة فإن هذا البيت من بعض قصائده التي يعتذر فيها إلى النعمان .

ومن ههنا تجد مثار الخلاف بينهم في قولهم هذا أشعر الناس في كذا وذلك أشعر الشعراء . وغيرهما أشعر الإنس والجن ، وهلم جرًّا .

وما عدا ذلك ففي شعرهم من الطُّرَف المُستنكرَة ما يغلظ على الطبع ويثقل على الذوق فمنهم من يشبه وجه الحسناء ببيضة النعام ، ومنهم من يشبهُ جسمه الناحل بأشلاء اللجام . . . إلى غير هذا مما تهَجّنهُ الحضارة ولهم مع ذلك وجه عذر فيه ومُنفَسَح للوم عنهُ . وإنما ذكرناه مأخذًا على قوم جاءوا بعدهم فجعلوا الشعر صورًا من تلك المعاني تتخطر في حلًى من الألفاظ على أكثرها صدأ الركاكة وغبار القدم . . . فتراجع الشعر بينهم وتعطَّلت قرائحهم حتى أصبحوا في اتصالهم بمتن أولئك الشعراء كما شبه أبو هفان شعر آل أبي حفصة الذين كان آخر شعرائهم متوّج وكان رجلاً ساقطًا وذلك في قوله : «شعر آل أبي حفصة بمنزلة الماء الحار ابتداؤه في نهاية الحرارة ثم تلين حرارته ثم يفتر ثم يبرد . وكذا كانت أشعارهم إلا أن ذلك الماء لما انتهى إلى متوّح جمد. . .» .

وما زال هؤلاء وأمثالهم يأخذون الشعر على المنشط والمكرَه ويدسونهُ في أسماع الناس وصفًا وغزلاً ومديحًا وهجاء ولا أرى لهم في ذلك من مثل إلا ما قيل عن مروان الأصغر بن أبي الجنوب من أنهُ دخل مرة على أشناس وقد مدحهُ بقصيدة فأنشده إياها فجعل أشناس يحرك رأسهُ ويومئ بيديهِ ويظهر طربًا وسرورًا وأمر له بصِلة فلما خرج قال له كاتبه رأيت الأمير قد طرب وحرك رأسهُ ويديهِ لما كان يسمعه فقد فهمهُ ؟ قال : نعم . قال : فأي شيء كان يقول ؟ قال : ما زال يقرأ عليّ « رُقية الخبز » حتى حصل ما أراد وانصرف . . . (1) .

(1) قالوا أول من تكسب بالشعر النابغة الذبياني حين قبل الصلة على شعره وخضع للنعمان (فسقطت منزلته) وأثرى . وإنما كانت العرب قبله تقول الشعر فكاهة أو مكافأة على يد .

وأعجب شيء رأيته في تاريخ الشعر أنهُ كان عصرٌ يسمون فيه المولد (بالرقيق) ثم صار هذا الاسم عَلَمًا بالغلبة وأطبق على الغزل السبط والرثاء السائل ثم عدوا منه أنواعًا عرفوها (بالألفاظ الملوكية) وأجروها في بعض التشبيهات والأوصاف وما إليها . كأن الشعر كان مقضيًّا عليه أن يبقى في الموتى حتى يموت الأحياء . وأن يكون أهله نُصُبًا على جانبي تلك البطحاء التي كان فيها شعراء الجاهلية . وحسبك أن أعداء ابن المعتز لم يزروا على غير نحته وسبكه ولم يحاولوا إسقاطه إلا من بينهما وهو بالإجماع في السطح من طبقات الشعراء .

ومنتهى الحمق أن يتخذ مولد ذلك النمط الجاهلي فإن السر في بقاء شعر الجاهلية والمخضرمين بعد أهله حاجة الرواة والعلماء إلى الشاهد منهُ فلما أسقطوا الاستشهاد بكلام المولدين لما يدخل عليهم من الغلط ولضعف الثقة بلغتهم سقطت هذه الطبقة بعلة طبيعية وهي سنة (بقاء الأنسب) .

والعرب إنما ابتدأت الشعر بما كان عندها من جزالة اللفظ وإتقان بنية القريض وإحكام عقد القافية ونحوها مما هو طبيعة فيهم فكان على من يخلفهم أن يأخذ في زخرف البناء وزينتهِ بعد أن يكون قد تم منهُ ما لم يتم وهو الذي فعله أبو تمام والمتنبي ومن في طبقتهما من أهل القوة والكفاية ثم كان على من يجيء بعد هؤلاء أن يزيدوا فيهِ من تحف عصورهم ومدنيتها طبقة بعد طبقة حتى يكون ذلك الموضع ديوانًا للتاريخ ترتب فيهِ العصور . وتقف على أبوابهِ الدهور ، ولكنا نجد إلى عهدنا طوائف تنقض ذلك البناء وتقيم على أساسهِ فلا يلبث أن يقع الاثنان معًا .

والشعر أقسام كانت محدودة على ما نوعها أبو تمام في حماسته ثم جاء من تفنن فيها وذهب بها كل مذهب كابن أبي الإصبع وغيره . وقرأت أن

البديع الإسطرلابي رتب ديوان ابن حجاج [1] على مائة وأربعين بابًا وواحد. ثم قفّى كل باب وجعله في فن من فنون شعر الرجل.

ولكن الذي قُطع بالشعر العربي دونهُ إنما هو النوع الذي يسميه الإفرنج بالشعر القصصي ومنهُ الملاحم الكبرى عندهم كالإلياذة وغيرها . والبسيط منهُ نادر في العربية بل هو في بسطتها كالظل شيء كلا شيء . حتى إن أبا هلال العسكري لما أورده في كتابه الذي سماه (ديوان المعاني) [2] أبيات وضاح اليمن المشهورة التي أوّلها :

قَالَتْ أَلاَ لاَ تَلِجَنْ دِرَانَا   إِنَّ أَبَانَا رَجُلٌ غَائِرُ

وهو يذكر فيها محاجَّة بينهُ وبين صاحبته في مدافعة الوصل وحكم الدلال متوخيًا إنارة البرهان . وجلاء المعنى على وجه البيان . عقّبها هناك بقول المؤمل :

وَطَارِقَاتٍ طَرَقْنَنِي رُسُلاً   وَاللَّيْلُ كَالطَّيْلَسَانِ مُعْتَكِرُ

وهي مدافعة كالأولى . ثم قال العسكري : « وهذا أصعب ما يرام من الشعر ولا يكاد يوجد في هذا المعنى أحسن من هاتين المقطوعتين » .

ذلك لأن الشعر العربي روح هذه اللغة وهو من اللطافة بحيث لا يُضيء فيه المعنى إلا بشعاع من الخيال ، فإذا أردت أن تقيم منهُ حديثًا سَوِيَّ التركيب، كامل الترتيب ، زَوَت عليك القافية وتقطع الشعر فلا تدري من أين تأخذ ولا من أين تدع . كالنور تحاول أن تلقي عليه كثافة الغطاء فإذا هو منبسط فوق ما تلقي فمهما تأت من ذلك لا تكون قد صنعت شيئًا .

(١) ابن حجاج هذا رجل من شعراء العراق كان في القرن الرابع للهجرة وكان كثير السخف في شعره يمزجهُ بلغات الخلديين والمكدين وأمثالهم وهو النمط الذي انفرد به .
وما عدا ذلك فهو كما قال الثعالبي صاحب اليتيمة « مُلح ابن حجاج لا تنتهي حتى يُنتهى عنها » واسم هذا المجموع الذي رتبه الإسطرلابي (درة التاج . من شعر ابن حجاج) .

(٢) اختار العسكري هذا الديوان من شعر الشعراء إلى أيامهِ وجعله في اثني عشر بابًا .

ورأس هذا الأمر عندنا على ما يقول شبيب بن شبة « حظ جودة القافية وإن كانت كلمة واحدة أرفع من حظ سائر البيت » . فلا بدّ لهذا النوع في لغتنا من وضع جديدْ يكون وسطًا بين النثر والنظم حتى يحمل الألفاظ والمعاني معًا فيتعلق فيه الشعر بالنفْس ويمتد السياق على النفَس كما فعل الأندلسيون في وضع الموشحات لحاجتهم التي بعثتهم عليها والعصر يومئذ لهو وترف ، والأدب مجد وشرف .

وأساس هذا الشعر سلامة الذوق فهي الحاسة التي تتجه بها النفس إلى المعاني وتنقلب عنها ، بل هي العين المركبة في الروح تجمع جمال الطبيعة في نظرة واحدة فتنقله إلى الإحساس كما تُمد بين العين الباصرة بمرئياتها وهم المخيلة . ومن الشعراء من يكون سقيم الذوق فهو في نظره إلى الشعر مع فساد ذوقه كاللص في نظرته إلى الحسناء إذا وسوس حليها في مسمعه . يغفل منها عما ينتبه إليه الناس وينتبه لما يغفلون عنه .

ومن هؤلاء طائفة الشعراء المُصنَّعين وهم الذين لا حظ لهم إلا في (الصنعة الشعرية) وفنونها لا تعد فيجيئون بالقصيدة كلها رُقَع ثم هم يتنافسون في هذا التصدير ولا يدرون أن الثوب الساذج من قطعة واحدة خير من هذه الرقع كلها وإن كانت من أنفس الخز والديباج ، وانظر ما يكون موقع هذا الثقل من نفوس الأدباء فقد أراد ديك الجن الشاعر مرة أن يهول على دعبل ويقرع سمعه فأنشده بيتًا مضطربًا . . . فقال له دعبل : اسكت فوالله ما ظننتك تتم البيت إلا وقد غشي عليك أو تشكيت دماغك . ولكأني بك في جهنم تخاطب الزبانية أو تَخَبَّطَكَ الشيطان من المس .

والعلة الطبيعية في بؤس الشعراء هي ذلك الإحساس المتصل بالنفس فكلما غمرته المؤثرات تحول منه بمقدار الضغط بخار روحاني ينتشر حولها وذلك هو الشعر . وقد ترى النفس فيه ضوءًا كأنه تبسم القلب الحزين الذي

تشابه جلال الطبيعة بجلاله . لأنها مخلوقة في رأي النفس على مثاله .

وقد يكون للشاعر مُتَّسع في غلوه وكبريائه على هذه الطبيعة إلا في العواطف التي هي روابط القلوب بالقلوب . وموضع الصلة بين ما في الوجود وما وراء الغيوب فقد يضرب في كلامه بسيف لم يُطبع . ويرمي بقذيفة لم تصنع . ويقطع من خيوط الحياة ما لم يقطع . ولكنه فيما دون ذلك لا يقدر أن يذكر الحب من قلب لم يحب . ويثبت للشيء الذي لم يجر عليه حكم الوجوب شيئًا مما يجب . فإذا هو فعل أطفأت الطبيعة من رُوائه . وقامت عواطف الناس شاهدة على كذبه في ادعائه . وقد ذكروا أن كسرى سمع الأعشى يتغنى ذات يوم بقوله :

أَرِقْتُ وَما هذَا السُّهادُ الْمُؤَرِّقُ ... وَمَا بِيَ مِنْ سُقْمٍ وَمَا بِيَ معشقُ

فقال ما يقول هذا العربيُّ ؟ قالوا : يتغنى بالعربية فأمر أن يفسروا قوله فقالوا : زعم أنه سهر من غير مرض ولا عشق . فقال هذا إذًا لص . . . ؟ وللشعر أساليب تنتهجها القرائح (١) ولكن جماع القول فيها أنها تمثيل للطبيعة فكأن الشاعر ينقل مناظر الأرض إلى الروح العالية التي ترسل إلى الجسم شعاع الحياة فتزيد تلك المناظر في قوة الشعاع الإلهي فلا يتصل بالجسم حتى تفيض هذه القوة على القلب فتهزه الهزة التي نعرف منها الطرب.

فأيّ امرئ اجتمعت له قوة التمثيل وسلامة الذوق وهما يكونان عند سعة العقل وسمو الطبع فذلك الذي هو في معناه بين الملَك والإنسان وهو الشاعر.

---

(١) رأينا أن نفرد هذا الموضع بالكلام لأنه تاريخ العقول ولعل ذلك يكون إن شاء الله في مقدمة ديوان النظرات .

الكلمة الأخيرة للشارح

هذا هو الجزء الثالث وهو تمام الديـوان . وإنما كان هذا الديوان نوعًا من أنواع الشعر تمثَّلت فيهِ أفكار صاحبـهِ وعواطفهُ في زمن من عمره فلا نستطيع أن نقول إلاَّ أن هذا الـنوع مع شهرته الـنادرة كالثمرة مـتى جاء وقتـها وحان قطافها انـفصلت عن غصنها وتمَّ بذلك عـامها ولا يكون انفصالهـا إلاَّ لتعود فتظهر للناس أنضج ما كانت بما يُبْذَلُ في نَشْأَتها الثانية من العناية .

وهكذا صحَّ عزم شاعرنا على أن يضـع ديوان « النَّظَرات » وإن ينحو فيهِ منحًى جديدًا وينزع إلى مقصد من المعاني بديع ، ويجري على نمط من الشعر رفيع .

ولا نجد الآن وجهًا لـلكلام عن الديوان الجديد فالأيام إن شـاءَ الله مقبلةٌ ولكنا أردنا أن نُبين هنا عن كلمة من العذر اضطرنا إليها عارض طرأ .

وذلك أن هذا الجزء كان قـد تمَّ من نظمه نحو ثلثيه قـبل أن يصدر الجزء الثاني من المطبعة لأنه تأخر فيهـا عن الأجل المضروب له سنة ونصفًا لأسباب ليست من جهتنا .

ثم إنه بعد أن صدر الجزء المذكور واستـأنف الشاعر إتمام الديوان عرضت أحوال ، اضطرتنا إلى الانتقال ، وشغلتنا بكثرة الأعمال ، فلم يتيسر لنا بعد ذلك إتمام الشرح على ما بقي من النظم .

فما كان في هذا الباقي من نادرة تاريخية ، أو نكتة أدبية ، أو كلمة «كما يقال » لغوية ، فقد تولَّى الناظم بيانها عنا وذلك قليلٌ في الديوان .

وقد بقـي علينا أن نشكر لـلفضلاء ثنـاءَهم على هذا النمط مـن الشرح فالأَدب شيمةُ كل فاضل وأن نوجّه بعد ذلك إلى الأَدعياء كلمة الفيلسوف ابن حزم التي يقول فيها : « لقد طال همٌّ من غاظه الحق » ولا نزيدهم على ذلك شيئًا . والحمد لله أوّلاً وآخرًا .

« محمد كامل الرافعي »

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

الباب الأول

في التهذيب والحكمة

(قال في حالة مصر الاجتماعية لسنة ١٩٠٥) :

على أيّ دهر مصرُ لا تتندَّمُ ... وفي أيّ دهر مصرُ لا تتظلّمُ (١)
بنوها بنوها أيَّما تكُ صدمةٌ ... تقلِّبهم للجانبين فهمْ هُمُ (٢)
وما يتَّقون البؤس لكنهم متى ... تعضَّ بهم أنيابه يتألموا
ويُبْطرهم عهدُ الرخاء فإن مضى ... فسهلٌ عليهم بعدُ أن يتندموا
كذي مرضٍ في جاهلي الطب أن يعش ... يعذّبه أهلوه وإلا ترحموا (٣)
وما برحوا أن خاذلتهم ظنونهمْ ... وأعمالهم مدُّوا المنى وتوهمُّوا (٤)
وإن سقمت آراؤُهم في ملمة ... تحامل فيها الظنُّ والظنُّ أسقمُ
فُرادَى وأحداثُ الزمان جميعةٌ ... وقد علمُوا سرَّ الزمان وعلّموا
فمن حادثٍ في حادثٍ عند حادثٍ ... كأنك للأحداث يا مصرُ معْجمُ (٥)

---

(١) في هذا البيت على اختصاره وصف مصر من يوم انشق عنها الزمن إلى عهدنا ولا تجد شاهدًا على ذلك أصدق من التاريخ .

(٢) البيت الأول في وصف مصر وهذا في وصف المصريين وقد اختلف فلاسفة المؤرخين في تعليل هذا المعنى حتى إن بعضهم جزم بأن العلة طبيعية في الإقليم ونحن لا نتعرض لشيء من هذا لا نفيًا ولا إثباتًا ، وأيّ في البيت شرطية ومقطعه تفسير لمطلعه .

(٣) الجاهلون بالطب يحركون المريض دائمًا إلى جانب الموت كلما أقلقوه بتجاربهم ونحوها فإذا قضوا عليهِ بجهلهم ترحموا وهي كلمة لا تنفعهُ بعد العذاب الذي وجده منهم وإن كانت « رحمة » .

(٤) هذا البيت والذي بعده في وصف العجز الاجتماعي الذي يصور الظن بصورة اليقين .

(٥) المراد من هذا النسق أن الحوادث متسلسلة وقد كان العرب لا يزيدون في هذا النحو على تكرار الكلمة ثلاث مرات وهو وارد في بعض الأحاديث الشريفة . والمعجم هو المصطلح على تسميته اليوم (بالقاموس) .

كَأَنَّ زماني شاعر جاش طبعُهُ وألفاك قرطاسًا فما زال ينظمُ (١)
كَأَنَّ قلوب البائسين محابرٌ لأقلامه فيما يخطُّ ويرقمُ
فيمتصُّ ما فيها من الروح مَدَّةً فأُخرى إلى أن تزهقَ الروحُ منهمُ
وممَّا يزيدُ الهمَّ لهفًا وحسرةً تصايُحُ فتيان بنا أن تقدَّموا
فَسُبحَانك اللّهُمَّ بَلْبَلْتَ قومنا فما يفهم السكّينَ فينا المنعَّم (٢)
يريدون أن يجري إلى مُرتَقى العلى رجال ضعافٌ إن جروا يتحطموا
ويبغون أن نرقى وهاتيك حالُنا وما عندنا إلاَّ لأسفلَ سُلَّمُ
كمن يُكرِهُ الأطفال أن يحفظوا الذي يكلمهم من قبل أن يتكلموا
ومن أوْقَرَ السُّفْنَ المتاعَ بِمَصْنَعٍ ولمَّا يُتموها فكيف تُعَوَّمُ (٣)
يقولون هبُّوا وانفضوا سِنَةَ الكرى وما نحن لكنَّ الليالي نُوَّمُ
زرعنا وآفات السماء بِسِربِها مُحلِّقةٌ فوق المزارع حُوَّمُ
وجَفَّ لسان النيل مما شكا الأَسى ومصر لهذا النيل من عهدها فَمُ
جهدنا فلا من باع أيسر بعدها ولا من أضاع القطن باليسر يحلمُ

(١) جيشان الطبع تحركه . وهذا الفصل من التمثيل هو حالة الشطر الأكبر من الدنيا أي شطر الفقر من لدن الحياة إلى الموت والبائسون جمع بائس وقولهم : بؤساء خطأ .

(٢) البلبلة اختلاط الألسنة ومرجع هذه اللفظة إلى حكاية بناء مدينة بابل وبرجها التي روتها التوراة في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين وقد أوردها ابن العبري في تاريخه بنوع من التهذيب فرأينا أن ننقلها عنهُ غير متعرضين لها .

قال في ترجمة (أرعو بن فالغ) وفي سبعين سنة لأرعو قال الناس بعضهم لبعض هلموا نضرب لَبِنًا ونحرق آجرا ونبني صرحًا شامخًا في علو السماء ويكون لنا ذكرًا كيلا نتبدد على وجه الأرض فلما جدُّوا في ذلك بأرض شنغار وهي السامره قال الله تعالى : هذا ابتداء عملهم ولا يعجزون عن شيء يهتمون به سوف أفرق لغاتهم لئلاَّ يعرف أحدهم ما يقول الآخر فبدد الله شملهم على وجه الأرضِ وأرسل رياحًا عاصفة فهدمت الصرح ومات فيه نمرود الجبار وتبلبلت لغات الآدميين ولذلك دُعي اسم ذلك الموضع بابل .

(٣) المصنع المكان الذي تبني فيه السفن وأوقرها ملأها . وهذه الأبيات هي تمثيل طور التعنت ومشابهة الإصلاح في الأمم وهو طور الأقوال دون الأعمال.

يظل الفتى والشيخُ والطفلُ والنسا ... جميعهم بين النباتات يخدمُ
إلى أن يروها قائمات كأنها ... عليهم براحات السعود تُسَلِّمُ
إلى أن يروا أزهارهنَّ كأنها ... ثغورُ ملوك إذ تُحَيّى وتبسمُ
إلى أن يروا أقطانهنَّ كأنها ... لدامي جروح الفقر والبُؤسِ مَرهمُ
إلى أن يروها ناصعاتٍ كأنها ... لدى ظُلمِ الآمال في العين أنجمُ (١)
هناك وجوه النحس تلقي لثامها ... وبالقطن كانت بينهم تَتَلثمُ (٢)
هناك فإما أن ترى شبهَ مُعْدَمٍ ... وإلاَّ فمأخوذٌ إلى البؤس يُعدَمُ
وما الشؤمُ إلاَّ ما يسمى تمدُّنًا ... ولكنه في ساكني الريف أشأمُ
تَغَيَّر فيهم كل خُلقٍ فكيف لا ... يكون الغنى أيضًا تغيرَّ فيهمُ (٣)
وإن لبست دارٌ معاطفَ زينةٍ ... فمن بعض تبديلٍ يُخَيَّلُ مأتمُ
زهدنا على رغمٍ كأنا لضعفنا ... رضيعٌ إذا ما أمسكَ الثديَ يُفْطَمُ
ومن كان لا يدري متى يُحْرزُ الغنى ... غدا اليوم لا يدري متى هو يطعَمُ
ومن ذاق حلوَ الدهر أُعْقبَ مَلْحَهُ ... ويا ليت لا يأتي مع الملح علقمُ
صغرنا وقد جاءَ الزمان مكبَّرًا ... فدينارنا بالأمس ساواه درهم (٤)

(١) الناصعات شديدة البياض وهذا الفصل تمثيل لنبات القطن الذي هو « بياض وجه الفلاح المصري » وقد ابتلى بآفات كالدودة والندوة وغيرهما مما هو معروف .

(٢) النحس ضد السعد وقد نسبه القدماء إلى كواكب معروفة وتكلموا فيه كثيرًا وربما نلم بشيء منه في باب الأغراض والمقاطيع . وأكثر ما يكون اللثام في عصرنا سفيفًا أبيض من الحرير وبهذا صح التشبيه في البيت .

(٣) المراد بالغنى هنا الخلق الذي يكون في النفس قال عبد الملك يوما لعبد الله بن يزيد أبي خالد وكان من أعقل الناس : ما مالك ؟ فقال : شيئان لا عيلة عليّ معهما الرضاء عن الله والغنى عن الناس .

(٤) ليس هذا الغلاء إلا بمثابة انتقال الجسم من الماء البارد إلى الحار من غير فترة بينهما وإلا فالغلاء والعياذ بالله هو الموت في الحياة وقد وقع في مصر على عهد الحاكم فكان الناس يأكلون الكلاب والقطط وبلغ ثمن البيضة الواحدة دينارًا وآخر غلاء من هذا القبيل هو الذي وقع في مدينة (بورارثر) في أواخر حصارها فقد بلغ ثمن الديك الرومي =

وبتنا إذا لم يخرج القول من فم كما قيل « رَسْمِيٍّ » فَهيْهات نفهمُ
ومن نكَدِ الأيام في حتفِ صَرْفِها لذي الحلم أن يُبْلى بمن يتحلَّمُ
صغَارٌ وأوباءٌ وبؤسٌ وقد أتى لشقوتنا هذا الغلاء يُتَمّمُ (١)

وقال :

بعد حادثة دنشواي المشهورة (موعظة) :

يا أُمةً كانت إذا اسْتَبَقَ الورى فغبارها صداً على الأفلاكِ
غلبت على عز الممالك سطوةً كالكهرباء سطتْ على الأسلاكِ
كانت على شجر الزمان أزاهراً ما بالها صارت من الأشواكِ
هدم الشعوب صوامع الكسل التي عَمَرَتْ وما برحُوا من النسَّاكِ (٢)
مُتَواكلين وكل أمرهم بأن الأ مر بين اللَّه والأملاكِ
اليوم صيدُوا بالطيور فياغدا أيُصادُ فيك القوم بالأسماكِ
يا قوم ما نفع الضعيفَ شكاتهُ كلا ولا شفع البكاء لباكِ
ذُلُّ الضَّعيفِ مع القويّ طبيعة إلاَّ إذا ساواه في الإدراكِ

= أربعين جنيها وكان الرطل من لحم الكلب يباع بأضعاف ثمن الشاة عندنا .

(١) كنا نريد أن نأتي على لمحة من تاريخ مصر إلى اليوم ولكن المقام ضيق غير أنه لابد لنا بعد أن فرغنا من هذه القصيدة أن نروى هذه النادرة : قال أبو عمرو مات رجل من بني قتال فلفه أخوه في عباءة وقال لآخر كيف تحمله قال كما تحمل القربة فعمد إلى حبل فشد طرفه في عنقه وطرفه في ركبتيه وحمله على ظهره كما تحمل القربة فلما صار إلى الموضع الذي يريد دفنه فيه حفر له حفيرة وألقاه فيها وهال عليه التراب حتى واراه فلما انصرفا قال له يا هناه أنسيت الحبل في عنق أخي ورجليه وسيبقى مكتوفا إلى يوم القيامة قال دعه يا هناه فإن يرد الله به خيراً يحُلُّهْ .....

(٢) نروي هنا نادرة واحدة عن اليابان التي بهرت العالم بمدنيتها فقد كان يجب على معلم أولاد الأمراء فيها منذ أربعين سنة أن يركع أمام تلميذه مدة التعليم واضعًا على فيه منديلاً كبيراً (فوطة) لئلا يدنس بأنفاسه وجه الأمير الصغير .. فتأمل .

(وقال السياح في مصر) :

شتاؤكِ يا مصر للنازلِ ... كقطر الدموع من الشاكل [(١)]
له نفس كرجاء المحب ... خالطه لهف العاذل
وفي بقعة كجمال الحليّ ... تبصرها أعين العاطل
على نَهَر كسماء الشروق ... تبسم في وجنة الخامل [(٢)]
تمرُّ على القلب أنفاسهُ ... بأطيب من أمل الآملِ
وقد دفن الدهر في شاطئيه ... أسرار تاريخه الكاملِ
فَيَكْدُرُ كالظلم حينًا وحينًا ... يحاكي صفانية العادلِ
كأنَّ السفين على مائه ... خواطرُ في مهجة الغافلِ
فذاك الشراع بياضُ المنى ... وذاك الدُّخان من الباطلِ
ويا مصر أرضك مَهدُ الصبّا ... هناءً وعطفًا على النازل
فمن روضةٍ كابتسام الزمان ... إلى نسمة كَوَفَا الماطلِ
إلى راحةٍ كدبيب الشفاء ... إلى الخصب في منكب الذابلِ
إلى أثَرٍ في يديْ باحثٍ ... كما أشرق النصر للباسلِ [(٣)]
ومنا ومنهم يرى الناظرو ... ن فرق المفيق من الذاهلِ

---

(١) الشتاء في مصر أطيب شيء للأوروبيين فيها فإن بعض بلادهم في الشتاء ربما يعلو الجليد في طرقها إلى ارتفاع متر ولذلك يسمون بلادنا بلاد الشمس والأحلام .

(٢) يريد نهر النيل المبارك وقد كان قدماء المصريين يعبدون العناية الإلهية باسم (أوزيريس) وكان النيل عندهم يمثل أوزيريس هذا . فهو في اعتقادهم تمثيل عناية رب السماء في الأرض . ويقال إن أقدم أسماء النيل (إجييت) ومنه اشتق اسم مصر في اللغات الإفرنجية . وكانت له مدحة عند المصريين نقلها (ماسبرو) من اللغة البربائية . يقولون فيها : أنت سند الفقراء لم تصور في حجر ولم تمثل بتمثال ، لم يعلم أحد كنه محلك ولم يصل إلى معرفة سرك ولم ترسم في الكتب المقدسة ولم يحطك مكان من الأزلية .

(٣) بعض السياح يجيء مصر للراحة وبعضهم للاستشفاء وآخرون للاعتبار وغيرهم للتنقيب في الآثار وهذا النسق هو المراد في الأبيات .

وفـينـا وفـيـهـم يـرى الـعـالمو ن قـدر الـعـلـيـم من الجـاهـلِ
فـهم فـي اضطـرابٍ كـموج البحـار ونـحـن مـن الـهُـدءِ كـالـسـاحـلِ
وهـم يـفـعـلـون ومنـا الـكـلام وأيـن الـقـؤول مـن الـفـاعـلِ (١)
وقـد أبـطـلـوا الـرّقَّ إلا الـنـفـوس فـلـلّـه من حـيـلـة الـعـاقـلِ
إذا وقـع الـصـيـد فـي كـفَّـة وإن وُسّـعَـتْ فـهـو لـلـحـابـلِ (٢)
ويـا تَـرْجُـمَـانًا لـهـذا الـغـريـب أتـطـمع فـي الـعـرَضِ الـزائـلِ (٣)
تجـيـبـهُـم كـلـمـا يـسـألـون بمـا بـغَّـضَ الـشـرقَ لـلـسـائـلِ
ولـو أنـصـف الـقـوم مـا سـاءَلـوا سـوى الحـجـر الـصـامـتِ الـقـائـلِ
ولـكـنـنـا أمـةٌ لـم تـزل مـن الـذل فـي خـدمـة الخـاذل
إذا مـا أسـأتْ يـقـولـون فـي الحـق أو أحـسـنـت قـيـل فـي الـبـاطـلِ
وإن بَـلَـدٌ لـم يـكـن خـيـره لأبـنـائـه فـهـو كـالمـاحـلِ (٤)

(وقال في ذم الخمر(٥)) :

بـين الـكُـؤوس وبين الأعين الـنُّجُـلِ سـوقٌ لبـيع الهـوى والمـوت والعـللِ

(١) ما قول عظماء الشرق في طلب المستر تشمبرلن الورير الإنكليزي الشهير الذي رصع تاج بريطانيا العظمى بمناجم الترنسفـال حيث طلب أن يكتب على ضريحه « إنه زرع أشجارًا في طرق وشوارع برمنجهام واقتلع بيده بلاط الشوارع الداخلية » أليس مثل هذا هو دليل الحياة بعد الموت ؟

(٢) كفة الحابل وشرك الصائد سواء .

(٣) زار بعض ساسـة الأمريكان مصر فـكتب عنها في إحـدى جرائد بلاده كتابة مـطولة قال فيها : إني رأيت الحمَار المصري لم يرتق إلى اليوم عما هو في الرسوم المأثورة عن القدماء منذ أربعة آلاف سنة. وغيـر هذا السائح (بفضل التراجمة) يظـلم الناس في مصر وربما أنصف حمارَها المظلوم .

(٤) الماحل الذي لا ينبت شيئًا . وأبيات هذه القصيدة وما قبلها شروح موجزة لحوادث مطولة هي قسم من تاريخ هذه البلاد .

(٥) عمل الإنكليز إحصاء لشاربي الجعة (البيرة) فوجدوا أن ما تشربه أمتهم في عام واحد لو صب في حوض لاستطاعت كل سفن إنكلترا وأساطيلها الضخمة أن ترسو فيه ولكان متوسط عمق =

نُقُودها قَبَلٌ إن شئت من ذهب الكا ... سات في الفم أو من فضّة الغزل
إمّا ترنُّ فلا عقلٌ ولا جَلَدٌ ... صوت الجنون رنينُ الكاس والقُبلِ
البومُ تنعق في الأطلال منذرةً ... بالشؤم والخمر فيهم بومةُ الأجلِ (١)
وفي الكُؤُوس ظلامٌ إن نظرت له ... بأعين العقل تنظر خيبة الأملِ
والخمر من حِيَلِ الفقر المذلَّ فهل ... أذلُّ ممن يريد الفقر بالحيلِ
لا تنظروا لون أهليها ورنقه ... فذي علامة هم النفس والخجلِ
كذلك النار ألوانٌ مزخرفةٌ ... وإنما هو حسن الجمر والشُّعَلِ (٢)

(وقال في تيه الأغنياء) :

لا تظنَّ الغنيَّ إن يمش تيهًا ... ملأتهُ عُجبًا فضائل نفسه
إنما تلك نفخة الدهر هزّت ... من رطوبتها الجنون برأسه

وقال :

قومي « ولا فخر » على حالة ... لا يعرف الإنسان إنسانا
فكلهم مأربهُ واحدٌ ... فيما أرى شيبًا وشبّانًا
« وظيفة » تكتب تحت اسمه ... أو « رتبة » تذكر عنوانا (٣)

= الحوض ٢٠ قدما ثم حسبوا أنه لو لزم أن يشرب كل ذلك شخص واحد في سنة واحدة لاقتضى له أن يشرب في كل دقيقة (٦٦٠ برميلاً) لا ينفك عن ذلك ليلاً ونهاراً إلى آخر السنة. وفي أمريكا مائة وأربعون ألف حانوت لبيع الخمر . وفي مصر . . . تحسب الخمر لازمة للتمدن وكفى .

(١) في تاريخ ابن النجار أن كسرى قال لعامل له صد لي شر الطير واشوه بشر الوقود وأطعمه شر الناس . فصاد بومة وشواها بحطب الدّفلى وأطعمها ساعيًا (ينم بين الناس) . ولو قال كسرى واسقه شر ما يشرب لما كان إلا الخمر .

(٢) للنار ولهبها ودخانها ألوان جميلة ولكن جمالها لا يغر عما وراءها من ألم الكي والحرق.

(٣) الشطر الأول للفقراء والثاني للأغنياء وبين الشطرين بياض . . .

وقال :

يتخيل أنه في مصر صار كركفلير في أمريكا (١) :

أرتنيَ الأحلام فيما أرى روض زماني نضراً مثمرا (٢)
كأنما سال به لؤلؤٌ فأثمرت أشجارهُ جوهرا
فقلت للدهر أفي ليلة تنفض في فرق الثريّا ثرى
أنا « فلان » بعدها أم أنا قد صرت في قوميَ رُكفَيْلرا
دنيا وما الدنيا سوى مرسح يعقب فيها منظرٌ منظرا
ودولةٌ لكنها لم تزل يخلف فيها قيصرٌ قيصرا
يا نفس ما السعد سوى مجْهر يُري الورى أصغرهم أكبرا (٣)
والناس إن تخدعهم أعينٌ فما على الألباب أن لا ترى
كالطفل من جهل إذا راعهُ بدر الليالي ظنه سكرا
هاتوا ليَ المال أسّلهُ لكي أكتب في قومي به أسطرا

(١) ركفيلر هذا هو ملك الأغنياء في هذا الزمن ولد سنة ١٨٣٩ للميلاد فقيراً كما يولد أطفال الفقراء فلما بلغ السادسة عشرة كان يملك عشرة ريالات فلما صار إلى الثالثة والعشرين كانت ثروته ألفًا وخمسمائة ريال . ولما قطع السادسة والخمسين بلغت ١٥٠ مليون ريال وثروته الآن فوق الألف مليون . ومع ذلك فهو شديد الطمع والحرص وتلك حكمة الله .

(٢) الناظر في هذه القصيدة يجدها فصولاً لأنها لا تكون إلا كذلك فالموضوع خيالي لا أثر للحقيقة فيه على الإطلاق وهو إلى الهزل أقرب منه إلى الجد . فبعد أن ذكر الشاعر في أولها انقلاب الحال هوّن على نفسه أمر هذا الانقلاب حتى لا يأخذها الشح ثم استفزّها إلى البذل بوصف حالة البلاد التي يريد أن يبذل لها ثم ذكر وجوه الإنفاق على نحو يضمن النصفة وجعل المال أخماسًا وقد جاء في الحديث (وفي الركاز الخمس) والركاز هو ما يعثر عليه من كنز ونحوه . ثم كان كل هذا التخيل تمهيداً للحقيقة التي جعلت في الموضوع شيئًا من لا شيء وهي تمام البيان .

(٣) المجهر هو المنظار المعظم كالمكروسكوب .

مصر وما مصر سوى صفحة ... صوَّر فيها الدهر ما صوَّروا
بينَا تراها ناصعًا لونها ... إذا به منقلبٌ أكدرا
يا ليت شعري هل درى أهلها ... ماذا الذي صار ومن صيَّرا
وهل يرى في نفسه نخوةً ... تبعثه للعز من قد درى
تُعْوِزنا الأخلاق نسعى بها ... فلا يُرَى مقبلنا مُدبرا
للجند مهما ظُفّروا كسرة ... وعسكر الأخلاق لن يُكْسَرا
المال أخماسٌ فخمسٌ لمن ... في سُبُل الكَدْح له شَّمرا
وخمسهُ للعاجزين الأُلَى ... أقعدهم من دهرهم ما جرى
والخمس للأطفال في يُتمهم ... ومن رآهم أهلهم منكرا (١)
والخمس للعلم وأبنائه ... والخمس للخيرات بين الورى
لا فضل للإنسان في قدرة ... فاللَّه قد شاء وقد قدرا
هذا نبات الأرض ما بالُهُ ... ذلك لم يزهر وذا أزهرا (٢)
بسطت كفي بسطة لم تَدَعْ ... في مصر محتاجًا ولا مُعْسرا
أطلقت روح العلم في نيلها ... تَخْتَرقُ المُدن وتروي القُرَى
تجمع بَحْرَيْها على خيرها ... أبيضَها الجائرَ والأحمرا (٣)
والعلم إن كان حمى معشر ... أقام من أفكارهم عسكرا
وبعدما جدت بهذي المنى ... أشرقت كالأفق متى أمطرا (٤)

(١) يريد بمن رآهم أهلهم منكرًا الأطفال اللقطاء .
(٢) لو صح أن من البيان وحيًا فهذان البيتان هما إنجيل فضائل الأغنياء وتوراتها .
(٣) في وصف البحر الأبيض بالجائر قسم من تاريخ مصر يعرفهُ من وقف على تاريخها القديم والحديث وهي الكلمة الصغيرة التي يخرج منها المعنى الكبير .
(٤) الإشراق هنا كناية عن النهوض والاستيقاظ وقد جاءت متمكنة من موضعها كما ترى .

فلم أجد غيري وغير الأسى ووجه صبح قد بدا مُسفرا
النَّاس يسْعوْن وأوطانُنا مِنْ عجزنا نَخْدمُها في الكَرَى

(وقال في الأماني البعيدة) :

لي أمانٍ من يوم عاشت بنفسي مات أنسي لشُؤْمها وهنائي
إن يكن قتلها دوائي فإني سوف يقضي عليَّ منهن دائي
كيف أسْتطِيعُ خنقها بيد العجـ ـز وهذي أعناقُها في السماءِ

وقال :

في أماني النفس الكاذبة التي تؤملها في الناس :

دع الدنيا كما تجري لقوم يسميهم « زمانك » بالرفاق
وإن عرضوا الوداد عليك يومًا فضع في لفظه معنى الفراق
وإن تجر المنى بك في هواهم فخذها من ظنونك بالوثاق
وكيف ترى الأماني في قلوب مُصدَّأة بأنفاس النفاق (١)

(وقال في فلسفة الحياة والوجود) :

رأيت الدهر يخدع كل نفس ببعض الهم عن طلب الأماني
ومن يبغ الرجاء من الرزايا فقد طلب اللهيب من الدخان
ومن ظن الحياة رؤًى ووهمًا فوهم ما يظن وما يعاني
كمن قطع المفاوز في منام وعاد وما تزحزح عن مكانِ
ألا إن الوجود كتاب حق حياتك فيه من بعض المعاني

---

(١) كان الشيخ علي بن الحسين المعروف بأبي الحسن الحريري ممن ينتسبون إلى الزندقة يقول لأصحابه : بايعوني على أن نموت يهودًا ونحشر إلى النار حتى لا يصاحبني أحد لعِلّة . . . . وهذا منتهى الغيظ من الناس .

وليس اللّه ناسخها بموت ... ولكن للعوالم لفظتان (١)
خلودٌ والفنا من ذا لهذا ... وليس الموت غير الترجمان
وما فرح الفتى والحزن إلا ... ظلال النفس تسقط في الجنان (٢)
وليس يدوم ظلُّ الشيء إلا ... بمقدار التحوّل والتفاني
وعجزٌ أن يسرَّ المرءُ أو أن ... يساء بيوم عز أو هوان
فأعْددْ همةَ الغد كل يوم ... فما الدنيا سوى يوم وثاني
وما غير العظائم باقيات ... يكرر ذكرها في كل آن
كساعات الزمان تنال ذكرًا ... وما الإهمال إلا للثواني
وكيف يدق قلبك لانتظام الـ ... ـحياة وأنت تجنح للتواني (٣)
إذا لم ألق من قلبي معينًا ... فما أنا في الحوادث بالمعانِ
يكاد القلب لو يسطيع يومًا ... لعزته يفر من الجبان
فما في فعله منه سوى ما ... ترى الأرض من ظل السنان (٤)

(١) ضمن اللفظة معنى اللغة كأن الغناء والخلود لغتان للحياة والموت ترجمان ينقل من لغة إلى لغة . وقد تطرف بعض الأُمم في الاعتقاد بالحياة بعد الموت حتى إن أهل مملكة دهومي (وهي مملكة صغيرة واقعة على الشاطئ الغربي من غينيا العليا في غربي أفريقيا) يعتقدون أن مقام الإنسان بعد موته هو عين المقام الذي كان له في حياته ومن أجل ذلك إذا مات لهم ملك قتلوا معهُ عددًا من الناس ليكونوا بطانته وخدمهُ في العالم الآخر . وإذا أرادوا إبلاغ بعض موتاهم خبرًا قتلوا واحدًا منهم وأرسلوا روحه تبلغ ذلك الخبر للأموات .

(٢) الجنان بالفتح القلب أو روعه .

(٣) التواني الكسل . ونبض القلب علامة الحياة وهو ينبض سبعين مرة في الدقيقة ويدفع عند كل نبضة نحو مائة غرام من الدم فيبلغ ما يدفعه بنبضاته مائة طن في اليوم . ودم الجسم كله ثمانية وعشرون لترًا فهو على هذا الحساب يمر في القلب بين كل دقيقتين إلى ثلاث دقائق ثم ينبعث منه وهلمّ جرًا .

(٤) ظل السنان فى الأرض ليس فيه شيء من فعله وهو الطعن والمضاء فكذلك أفعال الجبان ليس فيها شيء من روح القلب وهي الهمة والشهامة .

فـخـذ فـي دورة الـدنـيـا سـواء　　علـى الـقـطـبـين حـرب أو أمـان
ولا تـنـظـر لآت كـل آت　　سـيـجـري في مـدارجـه لـشـان
ولا تـفـخـر بمـاض لا تـراه　　فـمـا لـلـمـيـتـين ولـلـتـهـاني
تجـدّ النفس في الـدنـيـا لـتـبـقـي　　لـهـا أثرًا عـلى أرض الـزمـان

(وقال في ضعف الشرق والشرقيين) :

نـحن مـن ضـعـف شـرقنا قـد رأيـنا　　بـاطـلاً في الـورى لـنـا كـل حـق
يـا (بَرَهْـمَـا) افـتـروا عـلـيك ولكـن　　صح تـشـبـيـهـم عـلى كـل شـرقي (١)
كـاد قـومـي مـن المـذلـة في الخلـ　　ـق يـظـنـون أنـهـم غـيـر خـلق

(وقال فى نحو ذلك) :

يا رب قـد صار بـحر الدهـر مضطـربًا　　لا تـسـتـقـر سـفـيـنـي عـنـد سـاحـلـه
وقـد غـمـرت بموج مـن حـوادثـه　　يميـل بـي لـقـرار مـن مـشـاكـلـه
فـإن أخُـضْـهُ فـما نـفـسي بـحـاملـتي　　وإن أدعـه فـمـا جـسـمـي بحـاملـه
وإن أمُـدَّ بـبـاعـي أبـتـغـي فـرجًـا　　فـمـا سـوى الـريـح شـيء في أنـامـلـه
فـخـذ يمـيـني إلـى علـيـاء تـعـصـمـني　　من جـاهـل الـشـر في الـدنيـا وعـاقـلـه

---

(١) في الأسفار الهندية المقدسة عندهم أن برهمـا قسم الجنس البشري أربع رتب سماها ألوانًا وفي البـدء خلق مخلوقـات العوالم الـسفلى والسموات العليـا ثم هيأ الأرض مـسكنًا للأرواح الأرضيـة ثم خرج من فمـه لون البراهمة . . . أي رتـبتهم وهم أقـرب إليه من سائر المخلوقات وأشـبه به ولهم وحدهم الحق أن يعلموا الناس (الـقيدات) التي جرت من شفتيه في وقت خـلقهم حاوية كل علم تـامًّـا كاملاً . ثم خرجت مـن ذراعيه رتبة الكشاتريا أي الجنود والمحاربين ومن صدره الذي هو مقـر الحياة خرجت رتبة الفائسيا أي المنتجين كالرعاة والحراثين ونحوهم . ومن رجله دلالة على الوطوء والدناءة خرجت رتبة الصدرا أي الخدام المقضي عليهم بخدمـة سائر الرتب والألوان ومنهم الفعلة وأهل الحرف الدنيئة ونحوهم . ولذلك لم يكن أحد مـن الهنود يخرج من رتبته لأنه هكذا خلق وإلا رفض وانقطع عنه أهله وعشيرته . وبرهما هذا في زعم الهنود هو أول شخص تجسد فيه براهم أي الخالق ، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

فإن كل امرئ في الشرق أصبح لا ... يظن أعجز منه غير سائله [1]

(وقال في الطبيعة والناس) :

ضلت الناس لا الفقير ممنًّى ... بثراء ولا الغنيُّ يبالي [2]

خفَّض الدهر ثم أعلى فأمسى ... بعضُهم سادةً وبعض موالي

إخوةٌ كالغصون ينبتها الجذ ... ع قصار تكون تحت طوال

أيُّهذي النفوس ملْتِ عن الفطـ ... ـرة حتى بليت بالإذلال

الثرى يُنبت الحبوب جزافًا ... والورى يقسمونَ بالمكيال [3]

وقال :

يا أمة المال وكم سفَّهت ... هارونَ قدمًا أمة العجلِ [4]

لن يصغر الناصح بين الورى ... إن تكبروا ذا المكر والدّجلِ

للسنّ والرجل نموٌّ فمن ... يقيس طول السن بالرجل

---

(١) هذا العجز على نوعين ظاهر كما ترى ومعنوي على نحو ما قيل أن رجلاً سأل آخر عن مسألة فقال على الخبير بها سقطت . سألت عنها أبي فقال سألت عنها جدك فقال . . لا أدري .

(٢) كان بعضهم يقول : « وددت أن لي مثل أُحُدٍ ذهبًا لا أنتفع منه بشيء قيل : فما ينفعك من ذلك ؟ قال لكثرة من يخدمني عليه . .

(٣) جزافًا أي من غير مكيال . ولو أن هذا البيت قيل في أوروبا لقامت له القيامة لأنه روح الاشتراكية الخالص وقاعدتها الذهبية وهنا نأتي على كلمة صغيرة في أشهر مذاهب الاشتراكيين وهي ثلاثة الأول مذهب (أوفن) وهو رجل يقول بتقسيم الأرض بين بني آدم على السواء . والثاني مذهب الاتحاديين يقولون فيه أنه يجب ترك الأرض للناس تحت نظر حاكم عام ويأخذ كل إنسان منها ما يريد فيكون التقسيم على قدر الاحتياج . والثالث مذهب (سنت سيمولن) يقول فيه أن تقسيم الثروة ينبغي أن يكون حسب الكفاءة فيأخذ كل إنسان على قدر استحقاقه وعلى ذلك فلا وجه للهبة والوصية والميراث وإنما ترجع الثروة عن صاحبها إلى الحكومة القوامة على هذا العمل .

(٤) هارون هو أخو موسى عليهما السلام والعجل هو الذي اتخذه السامري لليهود ولما نصحهم هارون سفَّهوه .

(وقال في الروح) :

ألا ليت شعري كيف يشتد حادثٌ فيعصف بالدنيا وكيف يلين
ولو لم يكن إلا الوجود وشأنه لهانت شؤونٌ عندنا وشؤون
ولكنها روح تداولت الورى ولم يدنُ منها للظنون يقين (١)
يفتش عنها العقل وهو ضياؤها فكيف يرون الروح فيه تبين
إذا لم يكن بين اليقين وبيننا سوى الموت حد فالحياة ظنون

وقال :

احفظ مكانك في الدنيا بغير أسًى ما دمت بعد ليالي العمر تبرحهُ
فما الحياة سوى حمل تسير به حتى تنوء فعند القبر تطرحهُ

وقال :

لا يذهب الأصل الكريم من الفتى إن ضايقته هموم هذي الناس
فالطبع يصفو بالهموم ضياؤه كزجاجة وضعت على النبراس
والشمس يُبّدِلها مرور الغيم من لون النُّضار تألق الألماس (٢)

وقال :

لست أدري أيُّ المنى تقنع النفـ ـس ونفس الإنسان تأبى الصوابا
الأماني مثل الصحائف والدهـ ـر يرينا في كل يوم كتابا
أيُّنا قانعٌ وأيُّ امرئ شبَّ وأرضاه أنه قد شابا (٣)

---

(١) الروح من أمر الله وهي وراء الحد الموضوع للإدراك البشري فلا يتناولها العقل لأن العقل نفسه كما وصفه الشاعر ضوء لها فكيف يتوصل بمجهول إلى مجهول مثله ؟ وللفلاسفة أقوال متضاربة في تعريف هذه المجهولات تدل على أنهم أجهل الناس بها والله تعالى يقول : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

(٢) النضار الذهب والألماس معروف والمراد بالزجاجة في البيت الثاني زجاجة المصباح ولا يصفو نوره بغيرها .

(٣) المعاني في ذم الشيب مستفيضة وهي تدل على أن الناس إجماع في التأفف من هذا =

كلنا يسأل الزمان متى يا دهر حتى يرى الممات جوابا

(وقال في حوادث الدهر) :

عجبت لهذا الدهر يُضحك مرةً ويُبكي وشر الهم في ضاحك يبكي
يزيد بكاه في المصيبة كلما تذكر في وقت البكا زمن الضحك
ولو عرف الإنسان ما سيصيبه تجنب أسباب الحوادث بالتَّرك
ولكنها مثل التِّلغراف إن بدا لك السلك لا تدري بما هو في السلك
ومن شك في الأيام عاش بهمه ويزداد همًّا من يعيش بلا شك (١)

(وقال في سقوط الخير بين الناس) :

الدهر في هزَّته ضاربٌ من أهله الآخر بالأول
والناس في كفيه قد أشبهوا ما نخلته ربة المنزل
فالخير يهوي وحُثالاتُهم تُمسكها دائرةُ المُنخل (٢)

(وقال في العُطلة من العمل) :

أراني سابحًا والعمر بحرٌ يداي الليل فيه والنهارُ
وما لي ساحل أمضي إليه ولا مهوى به إلا القرار
فإن أهمل يديَّ قتلت نفسي كذلك عطلة المرء انتحار

(وقال في التهالك على المال) :

عجبت لمن سعى للمال حتى أضاع بأصفريه الأبْيَضينِ (٣)

= الطور من العمر . ولعل هذا الكره غريزة في النفس الإنسانية حرصًا على الحياة واستبقاء الذات والملذات .

(١) من عاش متهمًا الأيام مترقبًا صروفها فذلك منه هو الهم بعينه ومن أغفلها معتمدًا على القدر لا يفكر فيما يدع وما يذر كان همه ضعفين من الهم نفسه ومن مفاجأة الهم .

(٢) يريد أن الناس كالدقيق الذي يهتز به المنخل فلبابه يسقط والخشن منه يظل مرتفعًا وإن كان أقل قيمة في نفسه من ذاك .

(٣) عن أبي زيد : يقولون ما عنده طعام ولا شراب الأسودان وهما الماء والتمر العتيق ويقال=

يرى في قلبه عينًا فيغضي بها ويرى الظواهر باثنتين
وما بين الغنى والفقر إلا مساحة حفرة في خطوتين
وكل أخ غنيٌّ عن أخيه وربك غير ثاني الأصفرين (١)

وقال:

احذر فإن حذار الناس ليس سوى نتيجة الدهر والأيام والعبر
كم تاجَرَ الشيخ بالعمر الطويل فلم يُفدْ به في الورَى ربحًا سوى الحذَر

وقال:

إذا ما لئيمٌ جاء بالخير واعدًا فلا تَغْتَررْ إني أرى المرء مائنا
وأحمق ممن ظن أن تمطر السما دنانير من هَيَّا لهن الخزائنا (٢)

وقال:

إن أصحاب ذا الزمان إذا ما أمَّلوا الخير ساعدوك على الهمْ
فإذا لم يؤملوك تَخَلَّوا عنك والدهر قد نبا وتَجَهَّمْ (٣)
كنساء يَنُحْنَ « مستأجرات » كل صوت ودمعتين بدرهم

= ذهب منه الأبيضان أي شبابه ولحمه اهـ .
وقد كنى الشاعر بالأصفرين عن السقم والذهب وهذه التسمية من وضعه وتقول العرب أيضًا الأحمران للخمر واللحم .

(١) ثاني الأصفرين على ما مر بك هو الذهب والأول هو السقم وهما متلازمان . ومن المواعظ البليغة ما يروى أن الرشيد قال لابن السماك : عظني . وكانت بيده شربة من ماء فقال يا أمير المؤمنين أرأيت إن حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك ؟ قال : نعم قال : أرأيت لو حبس عنك خروجها أكنت تفديها بملكك ؟ قال : نعم قال : فلا خير في ملك لا يساوي شربة ولا بولة . . .

(٢) المائن الكاذب. وقد قيل أن أشعب ساوم رجلاً في قوس فسأله ديناراً فقال له أشعب: والله إنها لو رمى بها طائر في جو السماء ووقع مشويًّا بين رغيفين ما أعطيتك بها ديناراً.

(٣) نبا وتجهم أي انقلب وعبس وشبه الشاعر هؤلاء الأصحاب بالنائحات وهو تشبيه ليس أمكن منه .

(وقال سطرٌ في الطبيعة) :

أقـرَأتْني هـذي الـطـبـيـعـةُ سـطـرًا ... خَـطَّه الـصـدق فـي كـتـاب الـزمـان
كـل شـيء مـلَـوَّنٍ فـجـمـيـلٌ ... غـيـر هذا « الـتَّـلوُّن » الإنـسـاني [1]

وقال :

روحـي لمـاذا لـم أكـن طـائـرًا ... في شَـجَـر الجنات بين الحـمـامْ
روحـي لماذا لـم أكـن في الـسـمـا ... أو مَـلَـكًا يـسـبـحُ بين الـغـمـامْ
روحـي لماذا لـم أكـن قـطـعـةً ... مـن الـضـيـا أو قـطـعـةً من ظـلامْ
فـكـل مـا لـلَّـه تـدبـيـره ... أسـعـد ممـا فـيـه أيـدي الأنـامْ

وقال :

نـفـسـي ألاَ لا تَـهِـني بـعـدمـا ... عـرفت طـبـع الـزمـن الـغـادرِ
يـومٌ ويـومٌ ذا لجـمـع الـهـوى ... وذاك لـلـبـين ولـلـطـائـر [2]
وعـادة الأيـام أن تـلـتـوي ... فـي أول الأمـر أو الآخـر

وقال :

أمـت الـيـأس لا يمـتـلـك فـإن عَـزَّ ... ك نـيـلٌ يُـعَـزِّك الـتـأمـيـلُ [3]
وإذا جـاز أن تـشـاهـد ذا المـا ... ل فـقـيـرًا فـمـا الـغـنى مـسـتـحـيـل

وقال :

حـكـمـة الـلَّـه في الخـلائـق أن قـد ... طـال عـمـرٌ بـهـا وقـصّـر عـمـر
وأرى الـنـاس في الحـيـاة كـمـن يـصـ ... ـعـد طَـوْدًا مـنـه خـصـيـبٌ وقـفـر

---

(١) المراد بهذا التلون التقلب الذي يكون بين الناس ومنشؤه فساد التربية وضياع المبدأ .

(٢) الطائر هنـا هو موضع التفاؤل والتشاؤم عند العـرب على ما هو معـروف فيما يسـمونه بالزجر ومنه طائر البين . وكل ذلك من خرافاتهم .

(٣) عزك الأولى بمعـنى عز عليك ويعـزك الثانية من عـزاه عن المصيبـة ونحوها والتـأميل هو الأمل.

بعضهم دله القضاء على السهـ ــل وبعضٌ طريقهم فيه وعرُ
كيف يشكو من يصعد الجبل الشا مخ أن يعترضه شوك وصخرُ
إنما المرء زارعٌ وليالي الـ ـعمر بزرٌ فمنه حلوٌ ومرٌّ
للحياة الفؤاد من صنعة اللـ ـه وللموت صنعة الناس قبرُ
ذاك في أمره كهذا وكلٌّ فيه من هذه الخليقة سرٌّ (١)

وقال:

كم قلت ما بين قبور الورى يا ليت أني متُّ يا ليتا
يكفي حياةَ الأرض من ذمها أنيَ حيٌّ أحسد الموتى

(وقال في السعادة الأرضية):

سأموت لكن لا تموت محبتي هل للهوى يا عاشقين قبور
إياك تأمل في الحياة فضيلةً صرفًا وقد مزج الحياةَ غرور
لا يبصر الأشياء بيضًا من يرى بزجاجة سوداء وهو بصير (٢)
سأموت لا أسفٌ عليَّ ولا أسى مني على الدنيا ولا تحسيرُ
كل يرى فيها السرور لغيره فالوهم في الدنيا هو المسرور
هيهات يغشى الأرض ظلٌّ سعادة ما دام من جهة السما التدبير (٣)

(١) الفؤاد هو مقر الحياة وهي سر من أسرار الغيب والقبر مقر الأموات وليس يدري أحد ما وراءه ولا ما فيه إلا ما جاء من ذلك في الشرائع السماوية وهو من السمعيات التي لا جدال فيها .

(٢) من وضع على عينيه زجاجة ملونة يبصر الأشياء منصبغة بلونها كذلك الإنسان ينظر من أماله وأغراضه فتنصبغ الدنيا كلها بألوانها الوهمية من رضاء وسخط وغير ذلك . ومن غريب حكمة الله أن شعور العين بالنور لا يتم إلا متى بلغت تموجات دقائقه من ٤٠٠ إلى ٨٠٠ تربليون (ألف ألف بليون وهو ألف ألف مليون) فتبارك الله كم في البسائط من مركبات .

(٣) من الغريب أن كل إنسان في الدنيا يظن غيره سعيدًا ولا يظن ذلك في نفسه فالنتيجة من هذه المقدمة أن لا سعادة لأحد . وقد اختلف الحكماء وعلماء الأخلاق والعمران في =

وقال :

إمَّا يناصبك فتى حاسدٌ ... فلا تسل عن سبب ما هُوَهْ

اللص والحاسد في رتبة ... واللص لا يرقب إن تدعوهَ

وقال :

إن الحواسد ليس تلـ ... ـقى منهم اللعناتُ بُدًّا

خربت عقولهمُ فظنوا ... هزهم للفضل هدا

يا من يذم العقل من ... نقص وأهلَ العقل حقدا

كالظل فوق الماء مثـ ... ـل البُرد فيه وليس بُردا

في البحر درٌّ إن تَصِدْ ... هُ فما سلبت البحر عقدا

وقال :

أرى زمنا كله أحمق ... فمن يأمرون كمن يُؤمرونْ

وهذا قويٌّ وهذا ضعيف ... ولكن عن الذل لا يضعفون

وأحمق هذا الورى مُسْتَبِدّ ... يخادع بالعدل من يُظلَمُونْ

كمن راح يصرخ جِدَّ الصُّراخ ... وحاذر أن يسمع الجالسونْ

وقال :

نحن في دهر تعدُّ به ... سيئات الناس بالسبح

والذي يحيي لياليَهُ ... يُبدل القرآن بالمُلَح (١)

سبَّحوا لكن بأكؤسِهِمْ ... واستعاضوا سجْدةَ القدح

وقال :

الورى اثنان ذا وذا ... كلما انحطَّ يرتفعْ

= تعريف السعادة ولكن آية هذه السورة قول شاعرنا هذا .

(١) الملح هي النوادر والفكاهات .

ولـذا الـدهـر شـيـمـتُـهُ كـلـمـا ضـرَّ يـنـتـفـعْ
جـذبـتـنـي خـطـوبـه مـن قـريـب ومـمـتـنـعْ
ورمـتـنـي صـروفـه مـن بـطـيءٍ ومـنـدفـعْ
رمـيـةٌ والـزجـاج مـن أيـسـر الـرجـم يـنـصـدعْ
وكـذا الـعـمـر عـقـدةٌ آخـر الـشـدّ تـنـقـطـعْ

وقال:

مـن عـدَّ لـلـنـاس كل عـيـب فـلـيـس فـي الـنـاس بـالأديـبِ
يـا مـن يـعـدّ الـعـيـوب مَـهْـلاً فـعـلـك هـذا مـن الـعـيـوبِ

وقال:

لا تـغـتـرر بـالـنـاس فـي حـالـة فـهـم مـع الـتـاجـر فـي سـوقِـهِ
كـم خـاطـب بـنـتَ غـنيّ لـكـي يـجـعـلـهـا مـفـتـاح صـنـدوقـهِ
ومـن رمـاهُ دهـرهُ صـار مـن رُعـاتـه مـن كـان مـن نـوقـهِ (١)

وقال:

إذا رأيـت وجـوه الـنـاس بـاسـمـةً يدعـوك ذا بـأخي فـيـهـم وذا بـأبي (٢)
فـاعـلـم بـأنـهـمُ سـود الـقـلـوب كـمـا تُريك سودُ الليـالي رَوْنـقُ الشـهُـبِ

(قال في الوصف بالشهرة):

قد مضَّني وصف «الشهير» فما أرى معـنـاهُ شـيـئًـا مـن فـخـامـة لـفـظـهِ

(١) النوق: جمع ناقة، والرعاة: جمع راعٍ والتمثيل واضح شواهده في حوادث التاريخ.

(٢) العرب تستعمل لفظة الأخ على أربعة أوجه أحدها المُلابس والملازم للشيء كقولهم أخو الحرب والثاني المجانس والمشابه كقولهم هذا الثوب أخو هذا والثالث الصديق والرابع أخو النسب بقرابة وهو المشهور في استعمالهم أو قبيلة كقولهم يا أخا تميم وبه فسر قوله تعالى: ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ [مريم: ٢٨].

كالشاهِ في الشطرنج أكبرُ نفعه ... للاعبين جهادهم في حفظهِ [1]

(وقال في تناهي الشر من الناس للناس) :

يا أرض يا جنَّان يا أهل السما ... يا من يكونون ويا من كانوا

إن يسأل الإنسان عن عدوّهِ ... فخبَّروا أن اسمهُ الإنسانُ

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

(١) الشطرنج لعبة معروفة وضعها الفرس ولها قصة طويلة ويقال أنها تمثل في التدبير مذهب الاختيار المشهور وهو أن الإنسان له اختيار في أعماله والنرد (الطاولة) ليمثل مذهب الجبر وهو أن الإنسان مسيَّر لا مخير وأمره للقضاء والقدر لأن الذي يلقي الفصوص لا يدري بماذا تجيء فتارةً تكون سعدًا وتارةً تكون نحسًا . والشاه في الشطرنج مقيد لا نفع له في الغالب ومدار اللعب كله على حفظه وهو مع ذلك أكبر قطعة في الرقعة .

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

الباب الثاني

في النسائيات

طلاق الإمبراطورة جوزفين (١) :

قد رأينا أن نورد في شرح هذه القصيدة فصلاً برمته من تاريخ فرنسا الحديث ونجعلهُ مقدمة لهـا ليصور هذه الحادثة للعقل قبل أن يصورهـا الشعر للقلب . قال صاحب التاريخ المذكور في كلام :

وجاء اليوم الذي عين لتبليغ هذا الخبر المكدر الثقيل إلى جوزفين . وكان آخر شهر نـوفمبر سنة ١٨٠٩ وكـانت قد سمعت بـأخبار متعـلقة بذلك ملأت قلـبها بالحزن والكدر وهي مع نابليون في فونتـينبلو . وقد جعل انتظار الطلاق كل شيء في القصر مكدراً .وكان الضيوف قد خرجوا منه ورياح الشتاء غير المنعشة تعصف بأشجـار الغابة الساقـطة أوراقها . وصرفت جـوزفين الصباح فـي خدرها تذرف الدموع وكانت شفقة نابليون وحنو قلبه يمنعانه أن يأتي غرفة زوجته الحزينة المظلومة فصرف الصباح أيضًا في مكتبه والتقيا عند الظهر على المائدة فجلسا صامتين وأكلا بدون أن ينظر أحدهـما إلى الآخر وكان اصفرار وجـه كليهما علامـة على الكدر الشديد في قلبه وجـلست جوزفين بدون أن تتحرك كأنها صنـم . فارتبك نابليون وضرب القدح بـالسكين علامة للفـراغ من الطعام غيـر منتبه لذلك فـخرج الخدم فأقفل الباب ودنا منهـا وهو أصفر كالميت وفرائصه ترتعد وأمسك بـيدها فوضعها فوق قلبه وقال بـصوت مرتجف : يا جوزفين الصالحة أنت تعـلمين شدة حبي لك والدقائق الـقليلة التي شـعرت فيها بـالسعادة قائمـة بك . يا جوزفين إن نصـيبي

(١) جوزفين هذه هي امرأة الإمبراطور نابليون الكبير وكانت أرملة ضابط حينما تزوجها وذلك قبل طلاقها بخـمس عشرة سنة وهو يومئذ ضابط بسيط . وقـد تزوج بعدها ماريا لويزا ابنة إمبراطور النمسا في سنة ١٨١٠ للميلاد .

متغلب على إرادتي وأشد عواطفي لا بد أن تضحي لما فيه خير فرنسا .

وكانت منتظرة أن تسمع منه هذا الخبر ومع ذلك صعقت له فوقعت غائبة عن الصواب . فخاف نابليون وفتح الباب بسرعة ودعا من يعينه فجاء ألكونت دي بومون وحملها معه إلى الطبقة العليا ودخلا بها غرفتها فكانت تقول وهي محمولة غائبة عن شعورها : لا لا إنك لا تقدر على ذلك لا ترغب في قتلي .. وبعد ذلك بزمن قصير حل اليوم المعين للطلاق وكان الخامس عشر من شهر ديسمبر سنة ١٨٠٩ فاجتمع كل أعضاء الأسرة الإمبراطورية في قاعة قصر التويلري الكبيرة واجتمع معهم كبار أرباب الخطط وكانت سمات الحزن تلوح فى وجوه الجميع فكلمهم نابليون بصوت ثابت وقد اشتد اصفرار وجهه قائلاً :

إن مصالح إمبراطوريتي السياسية وإرادة شعبي التي طالما كانت ضابطًا لأعمالي تدعونـي إلى أن أترك العرش الذي أجلستني عليه يد العناية لوارث يرث حب الأمة مني . وأراني قطعت الأمل من سنين كثيرة أن يجيئنى أولاد من زوجتي المحبوبة الإمبراطورة جوزفين فهذا هو الذي يحملني على تضحية أشد عواطفي في سبيل ترقية رعيتي . وقد بلغت الأربعين فلا يزال لي أمل أن أعيش وأربي الأولاد الذين يمن الله بهم عليّ تربية موافقة لآرائي وأميالي ، والله أعلم بالضيق الذي أطبق عليّ من هذه الرغبة على أن شجاعتي تسهل عليّ احتمال كل شديدة حبًا في منفعة فرنسا . ولا أشكو من زوجتي المحبوبة بل أثني عليها وأقدر حبها لي قدره وقد سعدت بها خمس عشرة سنة من عمري وسيبقى لها تذكار في قلبي إلى الأبد. وقد توّجتها بيدي وسيبقى لها لقب الإمبراطورة إلي الأبد . ولا ينبغي أن ترتاب في حبي لها بل تعلم أنني أصدق الأصدقاء .

وبعد أن فرغ من كلامه كان في يد جوزفين ورقة فحاولت قراءة ما فيها غير أن الحزن والبكاء منعاها من ذلك فأعطتها لرينو وغطت وجهها بيديها وجلست على كرسيها فقرأ فيها ما يأتي : أقول بإذن زوجي المعظم المحبوب أنه لا أمل لي

بالحصول على أولاد لسد احتياجات سياسته ومصالح فرنسا فأسر الآن بأن أظهر له أعظم براهين الحب والغيرة التي ظهرت في الأرض ، وكل ما عندي هو من جوده فإن يده هي التي تـوجتني وبجلوسي على عـرشه لم أرَ من الأمة الفرنسـوية غير علامات الحـب . وإني أشارك الإمبراطور بالـعواطف في قبول الـطلاق لإزالة ما يحول دون سـعادة فرنسـا ويحرمهـا من الحصول علـى سياسة نسـل ذلك الرجل العظيم الذي أقامته العناية ليمحو شرور فتنة مخيفة وليرجع المذبح والعرش والنظام المدني على أن قطـع آصرة الزواج لا يغير من عـواطف قلبي وسيرى الإمـبراطور أنني أصدق أصدقـائه وأنا عالمة أن هذا العمل الذي سـيق إليه بالسياسـة مزق قلبه على أن كلينا يتمجد بالضحايا التي أداها في سبيل مصالح البلاد .

وفي اليوم الثـاني جمع نابليون مـجلس الأعيان في القـاعة العظيمة لـيشاهد إجراء الـطلاق رسـميًّا وكان أوجين (ابن جوزفين من زوجـها الأول) في كرسي الرئاسـة فصـرّح أن أمه والإمبـراطور راغـبان في الطـلاق وقال أن دموع جـلالة الإمبراطور النـاشئة عن هذا الطلاق كافيـة لتمجيد أمي . وكان الإمـبراطور لابسًا الملابس الرسمية متكئًا على عمود ولوائح الهم والنكد تلوح على وجهه وهو ينظر إلى الفضاء صـامتًا فكان القوم كـأنهم في جنازة . وكان في وسط القـاعة منضدة مستديرة عـليها دواة وأقلام ذهبية وأمامـها كرسي خالٍ وأخذ القوم يـنظرون إليها كنظرهم إلـى آلة الإعدام . ثم فتح باب من جـانب القاعة ودخلت جـوزفين وقد اشتد اصفرار وجهها حتى كاد يصير أبيض كالثوب البسيط الذي كانت تلبسه يومئذ وكانت متكئة على ذراع هورتنس (شقيقة أوجين) التي لم تكن قادرة على التجلد فكانت تبكي بكاء شـديدًا ، وعند دخولها وقف الناس وقد مـلأت الدموع أعينهم جميعًا . وتقـدمت بالجلال المخصوص بها إلى الكرسي فجلسـت عليه واعتمدت جبهـتها بيدها وأصـغت إلى قراءة كتاب الطـلاق . وعندما انتهت القـراءة المحزنة اشتد ويلها فغطت عينيها بمنديل وبعد هنيهة نهضت وحلفت بصوت صاف مرتجف بأنها تقبل الـطلاق ثم جلست وتناولت القلم ووقعت علـى الكتاب الذي قطع من قلبهـا أعظم الآمال وأحبـها عندها . ولم يقـدر أوجين أن يتحمل ذلك فـأصيب

بدوار ووقفت ضربات قلبه وسقط على الأرض وليس فيه ما يدل على الحياة .

وكانت بعد ذلك لنابليون وجوزفين مواقف محزنة جداً فصَّلها صاحب التاريخ الذي نقلنا عنه هذه الكلمات ببعض تصرف .

القصيدة :

رأى قلبُه من قلبها ما يكابدُ ... فنازعَهُ فيها الهوى والمقاصدُ

رأى حبهُ معبودها وفؤادُها ... يدقُّ كما دق النواقيس عابدُ

رأى دمَها وجْداً رأى وجدها دمًا ... فغيَّب عنه الرأي ما هو واجدُ

رأى قلبها كاللؤلؤ الرطب ناضراً ... فأشفق أن تُلقى عليه الجلامدُ

فتًى جاهد الدنيا وجاهد أهلها ... وفي نفسهِ لم يدر كيف يجاهدُ

أقامت له الأيام صدر أمورها ... وفي صدره همٌّ من الحب قاعدُ

بكى وبكيت « جوزفين » حزناً وقلبها ... على قدميه من جوَى الحب ساجدُ

ولما أضا برق المنى في فؤاده ... لها أيقنت أن سوف تدوي الرواعد.(1)

يقولون هذا ليثنا أين شبْلُهُ ... ألم تدر أن الموت يا ليث صائدُ

فمن يرث التاج الذي أنت تاركٌ ... ومن ينتضي السيف الذي أنت غامدُ

ومن يَلجُ الباب الذي قد فتحْتَهُ ... ومن خلفهِ الدنيا وتلك الفراقدُ

وأيُّ جبين فيه سيْماكَ تُجْتَلَى ... وأيُّ فؤادٍ فيه سرُّك خالدُ

سيُظلم عرش الشمس إن غاب بدره ... ولم يك مولودٌ عليه ووالدُ

أتثبت هذي الأرض لاثنين مثلهُ ... وقد هزَّها ما بين كفيه واحدُ

فأولى « بنابليون » نسل من السما ... يجاهد في أفلاكها ويجالدُ

لتنضمَّ في أملاكه الأرض كلها ... ونبتون في جوّ السما وعُطاردُ (2)

---

(1) يشير ببرق المنى إلى رغبة نابليون في الأولاد وبالرواعد إلى ما سيكون من كلمات الطلاق .

(2) نبتون وعطارد كوكبان في السماء .

ويرميَ ذاك النسر ظل جناحه إلي حيث لا يرقى من الوهم صاعدُ
كفى الأرض ما نالتهُ من مَطَرَاته لكل أوان زارعون وحاصدُ (١)
ويوم تولى برجهَ شرٌّ كوكب فدارت على أقطابهنَّ الشدائد
ومد عليه النحس ظلَّ كآبةً تغَشَّتْهُ حتى كل ما فيه كامدُ (٢)
كأن خيال الموت مدَّ طرافه عليه فكلٌّ ساهمُ الخد جامدُ (٣)
كأن لهيب الشمس في مهجة الهوى فللشمس جرمٌ أكمدُ اللون باردُ
إذا كان في الأيام إيمان رحمة فيومك يا جوزفين فيهنَّ جاحدُ
صرخت فردَّ الجوّ أنفاس أهله ليصعد صوتٌ من فؤادك شاردُ
ليصعد صوت العدل للّه شاكيًا عليه يمين من بكاك وشاهدٌ
ليبلغ سكان السماء تنهدٌ من الأرض إذ جوٌّ الفضيلة راكدُ
لتضطرب الأرواح من ظلم أهلها لتصرخ في سر القلوب المحامدُ
فقد نزعوا قلبًا وتاجًا ونعمةً وزوجًا ولم يفقد كهاتيك فاقدُ
رموا قلبك المكسور في مطرح النوى يُطارد من آفاته ما يُطاردُ
ولا فخر للأنثى سوى ضبط قلبها تقَرّبهُ أنى تشأ وتُباعدُ
دَوَتْ قصفاتُ الدهر وانطوت المنى وغطت سماء النصر تلك المكائد
وجاء وليُّ التاج والتاج ذاهب وحلت أماني الدهر والدهر زاهد (٤)

(١) يريد بالمطرات الحروب التي قام بها نابليون وتاريخ هذا الرجل العظيم كأنه قطعة من السحر .

(٢) الكمدة تغير اللون وذهاب صفائه .

(٣) سهوم الخد تغيره أو عبوسه وكلا الحالين يكون عند الاضطراب والعامة تقول: فلان مسهّم إذا كان متغير الوجه لذهاب فكره في أمر . والطرف بيت من أدم .

(٤) هذا هو ابن نابليون الذي كان في سببًا في طلاق جوزفين ومند خلق هذا الطفل مات سعد الإمبراطور العظيم ولم يكدره في منفاه غير تذكاره حتى قال هيجو في بعض قصائده « إن الرجل الذي لم يكن يشتري العالم بدمعة من دموعه صار يذرفها هدرًا على خيال طفل صغير » . وقد لقبه نابليون عند ولادته بملك رومة . . . فكان الجزاء من =

وأصبح ركن العرش كالغصن مائلاً ... على كل ريح لا يرى من يساندُ

ودارت بنابليون في النحس دورة ... تقابل فيها حظه والنواكدُ

وقصُّوا جناحَيْ نسره بعد أن دوى ... لخفقها جوّ العلى والفدافدُ

فيا نسر ماذا يصنع الفرخ بعدها ... وقد حطمت ظفريه هذي المباردُ

تركت له ملكًا بغير رعيَّة ... وكفًّا ولكن ليس في الكف ساعدُ

وبوَّأته عرشًا إذا ما ادّكرته ... لقيت كما يلقي الخيالات راقدُ

جنيت عليه بالسياسة قبلها ... بلى قد جنتها قبل ذاك العوائدُ

أتذكر إذ عاندت قلبك جاهدًا ... فهذا الذي قد كنت فيه تجاهدُ

وكذَّبته والقلب صوت من السما ... ولولاه ما سُدّدْت إذ أنت قائدُ

وألزمته نصح الورى وهو مُبصرٌ ... وللعين لا للقلب تُعطي المَرَاودُ

فما قتلتك الحادثات وإنما ... أرتك دم القلب الذي أنت فاصدُ

(وقال في حِسان الأرض والسماء) :

أنبئتُ أن الحور في الفَرْقَدِ ... فقلت للقلب إليها اصعدُ

وللضلوع انْفَرِجي ساعةً ... وللجفون انتظري واسهدي

وقلت يا صدري تنفس بما ... طويت من دهري ومن حسَّدي

فلم يَرُع قلبي سوى زفرة ... طارت به للأُفق الأبعدِ

يا هذه الحسناء رفقًا فما ... قلبيَ من طين ولا جَلْمَدِ (١)

القلب ذَوْبُ الروح لكن متى ... تمسَّه نار الهوى يُعْقَدِ

= جنس العمل .

(١) هذا الأسلوب هو أسلوب القرآن الحكيم في القصص الواردة فيه فإنهُ يذكر منها الأركان وما يمتد بينها ولكنهُ يترك في كل موضع فرجةً يلتفت إليها الفكر فمتى قرأ الإنسان مفتتح هذه القصيدة ثم وصل إلى هذا البيت علم أن الشاعر أمام حوراء وأنه تهيأ لمخاطبتها ثم خاطبها وهذا كله محذوف من الكلام .

تـالـلَّـه مـا الـوردة قـد أصـبـحـت ترتشـف مـن ريـق الـسـمـاءِ الـنـدي
واخـتـبـأت مـا بـين أوراقـهـا ريـح كـنـفـح الـزمـن الأرغـد
ومـا الـعـيـون الـنُّجْلُ قـد كـحّلت مـن إثـمـد الحـسـن بـلا مـرودَ
وانـبـعـثـت مـا بـين أجـفـانـهـا أسـرار حـد الـصـارم المـغـمـد
ولا شـفـاه الـغـيـد قـد أطـبـقَـتْ عـلـى ابـتـسـام كـان عـن مـوعـد
واحـتـبـس الـوجـد بـهـا قـبـلـةً لـولا الحـيـا قـد نـالـهـا المجـتـدي
مـا كـل ذا مـشـبـه قـلـبـي ومـا أظـهـر مـا في الـقـلـب مـن مـقـصـدِ
قـالـت لـيَ الحـور أمـا في الـدُّنـا مـن لا تـرى مـثـلـك مـن سـيّـدِ
تـهـواك أو تـرضـيـك عـنـد الـهـوى أو تـسـتـر الحـسـن فـلا تـعـتـدي
نـراك ظـمـآنَ ألمـا تجـد عـلـى مـيـاه الأرض مـن مـورد
هـيـهـات قـد أصـبـح مـعـنـى الـهـوى بين الـغـواني نـحـو « سـوّرْ يدي » [١]
يـا رب مـن طـين خـلـقـت الـورى مـن بـات في عُـدْم وفـي سـوْدَد [٢]
فـمـا الحـور الأرض يـهْـجُـرْنَـنـا إن لـم نـكـن مـن طـيـنـة الـعَـسْـجَـد

(وقال في النساء الجاحدات[٣]) :

أتجحد من لا فضل فيها سوى التقى ومن لا أرى فيها سوى صورة القلب

---

(١) سور اليد جعل فيها سواراً وهذا هو الحب الفاسد وربما كان طاهراً ولكنه في هذا الشكل لسوء تربية النساء أو أكثرهن في هذا الزمان .

(٢) العدم الفقر والسؤدد الثروة والجاه والله تعالى قد خلق الإنسان من طين وهؤلاء يردن أن يكون من ذهب حتى يقرضن أعضاءه أو على الأقل يتمثل لهنّ بثروته تمثالاً ذهبيًّا .

(٣) هذا الجحود قد كاد يصير سنّة من سنن التمدن الغربي وأخذ يتسرب إلى أفئدة النساء حتى شعرت به فضلياتهن وقد قالت الملكة مرغريتة والدة ملك إيطاليا الحالي في حديث لها مع أحد كبار رجال الصحافة الأمريكية : « إن الفتاة التي تتربى تربية دينية تكون أكثر احترامًا لنفسها من التي لا تؤمن بشيء وتلك حقيقة تؤيدها كل ظروف الحياة وأحوالها . وهم يسمون الفتاة التي لا تؤمن بشيء (عقلاً قويًا) لكنها على الحقيقة ليست بذات نفس قوية . ثم هي تفقد لطف التصور وشاعرية الوهم ويقسو قلبها بالتجارب =

ومن هي من نور السماء مضيئة | على كل نفس بالأمانيَ والحبّ
ومن الحسن إذ خصت به غير حجة | على ومن المربوب في قدرة الرب
وفيها صفات خيرها الضعف أنه | لما تدفع الدنيا بمنزلة الجذب (١)
وما ضرها في ذلك الضعف أنها | من الناس مثل العين للجفن والهدب
فأيٌّ فتاة تحتمي بسوى فتى | وأيٌّ فؤاد يتقي بسوى الجنب
وأقبح شيء أن أنثى ضعيفة | يخامرها الإلحاد كالملح في العذب
ويدعونها « العقل القوي » وإنما | دعوْا حطبًا ما جفَّ من غُصُنٍ رطب
خذوا الدين من قلب النساء وأطفئوا الـ | ـصباح فهل يبقى سوى ظلمة الرعب

(وقال في أم الحماقة) :

ألا إنما أم الحماقة من غدت | بما ادَّهنت تلقي على عمرها سترا
فيحسبها من رآها طفلة الصبا | ويا ربما كانت كجدته عمرا (٢)

(وقال في قوة الجنس اللطيف) :

هي للنعيم وإن شقينا موعدُ | في كل يوم مُخْلَفٌ ومَجدَّدُ
لعب الزمان بنا على آمالها | ما إن يحققها ولا هي تنفدُ
وأشد ما لقي امروءٌ من نفسه | أملٌ إذا اقتربت إليه يبعدُ
قالوا النسا خد الزمان فهل ترى | بسوى دماء العاشقين يوردُّ

= الدنيوية فلا تجد فيه قوة لاحتمال متاعب الحياة فالمرأة التي لا دين لها زهرة لا رائحة فيها » اهـ وهذه هي فلسفة القلوب النسائية التي كانت دائمًا مصدر الحكمة .

(١) الدفع والجذب قوتان طبيعيتان لا يستقيم النظام بإحداهما وما تدفعه الدنيا هو الهموم التي هي في اصطلاح كل الناس « عثرات البخت » ولا سلوة فيها إلا بالمرأة .

(٢) هذا التشبيه للنساء العجائز اللواتي يحرصن على التصابي ومن طباع النساء تصغير أعمارهن حتى قيل أن لكل امرأة ثلاثة أعمار : العمر الحقيقي والعمر الذي تعلنه عن نفسها والعمر الذي تريد أن تُدعى به ... وقد ذكروا أن امرأة دعيت إلى محكمة لأداء شهادة فسألها القاضي ما اسمك ؟ فعرّفته فسألها : وما عمرك ؟ فقالت : أترك هذا لعدالة المحكمة ... ! والادهان هو ما يستعمله من أنواع الطلاء .

قالوا بنات الشمس في الدنيا وقد صدقوا لأن لظى الهوى لا تخمد
قالوا وأمثال النجوم لأنها ما حولها إلا ظلامٌ أسودُ (١)
إن النساء هي الوجود أما يرى كل الرجال لأجلها ما يوجدُ
هي في القلوب وكل شيء راجع للقلب فهي لكل شيء موردُ
والقلب في نسج الطبيعة عقدة بين الهوى والرأي لم تَلِهَا يد (٢)
فإذا نظرت إلى العظائم لم تجد إلا إرادات النسا تتجسدُ (٣)
وإذا بحثت وجدت كل عظيمة في طيها نظرات أنثى تشهدُ
يدعونه (الجنس اللطيف) لضعفه فسل البخار بلطفه كم يجهدُ (٤)
ما الشأن في صغر الأمور وضعفها أين الرصاص إذا دوى والجلمدُ
السيف يقطع والردى ذو سطوة والنار تحرق والنسا تتوددُ (٥)
وإذا تقلدن الحليَّ فإنما مفتاح باب القلب ما تتقلدُ
ما البحر ملتطما تضارب موجه كالغيظ في صدر امرئٍ يترددُ

(١) من كلام شاعرنا « المرأة هي السر الذي لم يكشف للرجل » ولذلك ترى في الناس من يجور عليها في الحكم حتى من أكابر الفلاسفة والملوك وقد قال بعضهم لو كان الرجال بدون النساء لأصبحوا يتكلمون مع الملائكة . وهي كلمة تفسر نفسها لأن الرجال لا يجيئون من غير النساء فإن كانت أشخاصٍ عاقلة من غيرهنّ فأولئك هم الملائكة .

(٢) لم تَلِها أي : لم تعقدها وهذا المعنى مضمّن فيها لأن المادة لا تفيده .

(٣) شرحَ هذا البيت تاريخ الحوادث الكبيرة وقد قال فيلسوف لا يأتي عظيم إلى هذا الوجود إلا وقد سبقتهُ عظيمة وهي أمه . وهذا التفسير هو شطر المعنى الذي أراده الشاعر . ولما منح اللورد بيكنسفلد ألقاب الشرف قال اعطوا ذلك لامرأتي فكل الفضل في أعمالي لها. ومثل هذا كثير .

(٤) هذه التسمية من مصطلحات الإفرنج وهي ظرافة في التعبير اشتهروا بها ويسمون الجنس الآخر « بالجنس النشيط » وهم الرجال والبخار أضعف شيء لأنهُ ذرات متحللة من الماء ولكنه مع ذلك القوة التي لا تعاند كما نرى من آثاره في جرّ الأثقال وغيرها .

(٥) هذه كلها مترادفات في فعلها وإن كان الأخير أضعفها وألينها في لفظه .

مـتـواثـبًـا كـالـشـيـخ يـحـرج صـدره | فـتـقـوم هـامـتـه لذاك وتـقـعـد (١)
مُـتـنـفّـسًـا نَـفَـس الـقـتـال إذا دوى | وقـعُ المهـنَّـدِ يـلـتـقـيـه مُـهـنَّـدُ
مُـتـغـيّـظًـا حـردًا فـلـولا أنـهُ | مـاءٌ لـسـال أشـعّـةً تـتـوقـدُ (٢)
تَـثِـبُ الـعـواصف فـوقـهُ وثـب الجنو | ن يـظـلُّ يُـبـرق إذ يهـيـج ويـرعـدُ
بِـأَشَـدَّ مـن أنـثـى تـكـلـفـت الـهـوى | وأتـت بحيـلة ضـعـفـهـا تـتـنـهـدُ (٣)

وقال :

يصف فتيات صغار رآهنَّ وقد دُعِيَ إلى محفل لإحدى مدارس البنات :

زهـورٌ ومـا لـلـزهـر هـذي المـبـاسـمُ | وروضٌ ومـا لـلـروض هذي الحـمـائمُ
أرى فـتـيـات كـالـغـصـون وإنمـا | تـنـزَّهـنَ أن تـلـوي بهـنَّ الـنـسـائـمُ
أرى أمـهـات لـم يجئ بـعـد عـصـرهـا | وقـد ولـدت مـا بـيـنـهـنَّ المكـارمُ
أراهـنَّ كـالألمـاس فـضـلاً وإنمـا | مـدارسـنـا هـذي لـهـنَّ مـنـاجـمُ
أرى الـعـلـم قـد أمـسـى عـلـيـهـنَّ حـلـيـةً | ومـا الحَـلـي دون الـعـلـم إلا تمائمُ (٤)
وأحـقـر شـيء فـي يـد الـبـنـت إبـرةٌ | ولـكـنـهـا لـم تُـغـنِ عـنـهـا الخـواتـم

---

(١) حرج الصدر ضيقه وهامة الشيخ بيضاء فهو إذا حرج صدره لا يجد من حول ولا حيلة إلا القلقلة في مكانه لأنه عاجز عن النهوض ضعيف عن كظم الغيظ فتردد هامته كما ترى في تردد الموج .

(٢) حرد وحردان أي غاضب وترى البحر في تموجه كأنه يريد أن يتطاير .

(٣) هذا الفصل لا ينطبق على كل النساء ولا طبقه الشاعر على كلهن . وإنما خص به طائفة المتكلفات ولسن بأشد ويلاً من المتكلفين . وقد قيل إن لقمان بن عاد تزوج عدة نساء كلهن خنّه في أنفسهن وكان يقتلهن واحدة بعد واحدة فلما قتل آخراهن ونزل من الجبل كان أول من تلقاه ابنة له فوثب عليها فقتلها وقال : ألست امرأة ؟ . . . وهذه النقطة في العمران موضع عميق غرقت فيه أفكار كثير من فحول العلماء والفلاسفة .

(٤) التمائم جمع تميمة وهي ما يعلق على الأطفال وقاية لهن وذلك من الخرافات الشائعة في كل عصر .

وقال:

في حاجات النساء التي لا تنتهي وأن ذلك من ضعفهنّ:

ضعفنَ وضعفهنَّ لنا عذابٌ ... كهمّ المرءِ بالسيف الكليلِ [1]

ومن آيات ضعف النفس أن لا ... تحاول غير شبه المستحيلِ

وما بكثير فضل العقل مَن لا ... تفضلهُ القناعة بالقليلِ

فما همٌّ المليحة غير طرفٍ ... ولو من حظ صاحبها كحيلِ [2]

ولا ما تبتغيهِ غير ثوبٍ ... ولو من عمر صاحبها طويلِ

وكم عثر الفتى في ذيل ذلٍّ ... لترضى عنهُ ساحبة الذيولِ

(قلب المرأة):

يا طالب الدُّر من الدَّراري

وصائغ الدرهم والدينار

مِن الضُّحى ومَغْرِب النهار [3]

ومن إذا ثارت من الغُبارِ

ثائرةٌ تلوح في الأنوار

كأنَّها جسرٌ على الأنهار

يقول ابني في الهواء داري

ذلك في البعد وفي الإنكار

يشبه وصل ربَة النفارِ

(١) كلال السيف تثلمه ووقوفه دون المضاء وفي الحديث: « النساء ضعيفات عقل ودين » وذلك تركيب طبيعي فيهن أثبتته الأبحاث العلمية.

(٢) في الخرافات الهندية أن الذي صنع المرأة هو الإله فولكان وهو من أقبح الآلهة شكلاً وأشنعهم منظراً ... وبيان وجه الحكمة في هذا الطباق موكول إلى الأذواق.

(٣) المراد بمغرب النهار وقت الطَّفْل وهو الوقت الذي تنكسر فيهِ أشعة الشمس على جوانب السماء فتكون كالذهب وفي هذا الشطر لفٌّ ونشر.

تَقَــلُّبٌ والحب ذو أطـوار

حينًا يماري ثــم لا يمــاري

وكيفـما دار بـــنا يــداري

وعزمةٌ كوجــهة التيــار (١)

وذلةٌ في هيـــبة الجــبَّــار

وعزَّة في مســحة انـكســار

آه من المــرأة في اقـــتـدار

فإنمــا بـــذور الافـــتــكار

في قلبها إن عَـمَــدَتْ للــثَّار

يُنْبِتْنَ منه شـــجراتِ الــنـار

وقلب ذات الحسن في اعتباري

صــحيفةٌ من صُحُف الأقــدار

أكثــر ما تكتبُ باحــمرار (٢)

في لــغة الأخيار والأشـــرار

ســطورها أشعةَّ الإبـــصار

توقيـعهُا من الإلــه البـــاري

عنوانها إلى القضــاء الجـاري

مُفـــادها ســرٌّ من الأســرار

يجمع بين الـصفو والأكدار (٣)

(١) التيار لا ينصرف عن اتجاهه مطلقًا وكذلك إرادة المرأة إذا عزمت والحوادث كثيرة .

(٢) يريد بالاحمرار لون الدم وفي الأمثال الحسن أحمر والمراد أن إراقـة الدم كثيرًا ما يكون سببها من النساء .

(٣) ننقل هنا جملة عن الخرافات الهندية القديمـة في خلق المرأة لأنـها لا تخـلو من حـكمة =

ونحن في دهر من الأدهــار
يُباع فيه الحـب بالأَسـعار
وأصبحـت عفيــفة الإزار
طـاهرة الذيل من الأَوزار (١)
عَـزُوفة النفس عن الأقذار (٢)
من دنس « التمدُّن » الغـرَّار
تُعدُّ بـين سائـر الجـواري
كأنها من مـتحف الآثار (٣)

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

وقال :

في فلسفة النسل يذكر شعوره نحو ابنته « وهيبة » (٤) :

لولا اثنتـان لكان الـناس قـد جحـدوا ... الأُمُّ في لـطفـهـا النـفسيّ والـوَلدُ (٥)

= وسبيلها سبيـل باقي خرافاتهم المأثورة في هذا النحو : زعموا أن كبـير آلهتهم لما خلق الرجل استنفد فيه كل مواد الخلق فلم يبق لديه شيء منها فلما أراد خلق المرأة فكر طويلاً ثم أخذ من استـدارة القمر ومن اختلاف لون الأزهار ومن لين غـصن البان ومن روائح العطر ومن عيون الظباء ومن شوك الورد ومن صلابة الألماس ومن طباع الحية ومن وداعة الحملان ومن جبن الأرنب ومن شراسة النمـر ومن إعجاب الطاووس ومن حلاوة العسل ومن خفة الأوراق ومن حفيف الشجر ومن لطافة أشـعة الشمس ومن انقضاض الصاعقة ومن بكاء السحاب ومن نوح القمري ومن حرارة النار ومن برودة الثلج ثم صنع من كل ذلك المرأة . وهم يعنون بذلك أنها خلاصة الخلـق وأن من أصل الفطرة فيها هذه الطباع المتناقضة . وعلى هذا النحو جاءت أقوال كثيرة في المرأة .

(١) الأوزار الذنوب .

(٢) عزفت نفسه عن كذا ترفعت وابتعدت .

(٣) هذا هو اصطلاح شبان اليوم « المتمدنين » الذين هم نساء الغد . . . وقد قيل أن أرستيب الفيلسوف شفع لبعض أصحابه عند الملك الذي كان لعهده فأبى عليه الملك فخر أرستيب على قدميه يقبلـهما فنسبه بعض من كان موجوداً إلى التملق والـدناءة فقال الفيلسوف لا لوم عليّ إنما اللوم على الملك الذي جعل أذنيه في قدميه . !

(٤) وهيبة هي بنت الشاعر وهي بكر أبويها لا تزال في سـنتها الأولى حرسها الله وحقق فيها آمال أبيها بمنه سبحانه وكرمه .

(٥) ولَد الرجل ووُلْدُه بالفتح والضم هم جماعة أولاده . ومـن أقـوال بـعض الفـلاسـفـة =

حب البنين على هذا الورى حُجَجٌ فيها الدليل على الإيمان لو رشدوا
هم يهملون غدًا حتى إذا خرجت أطفالهم أيقنوا أن الزمان غد (١)
وما الصغار لأهليهم سوى عقَد في خيط إيمانهم بالروح تنعقد
ما أوسع الجوّ فوق الفخ إن نشبت فيه القنيصة لولا هذه العقد
أرى البنين إلى ألبابنا كتبًا خطّ المحبة في عنوانها الأبد (٢)
فإن قرأت فآمال مصورةٌ لها معان هي الإسعاد والرغد
ألفاظها في قواميس النفوس هي الـ ـقلب الشفيق وسر الروح والكبد
ولي ابنة هي معنى النفس في نظري وحكمة الفكر والوحي الذي أجد
كأنَّ قلبي يراع ملّ من يده فحسنها ليَ من نور السماء يد
صغيرةٌ وعجيبٌ أن يكون بها قد زاد في كل هذا العالم العدد (٣)
« فيا وهيبة » إن يسعد ذووك فمن نور بعينيك يجلو نجمهم سعدوا
للدهر شرع ومنه حكمة كُتِبَتْ على القلوب فلم يجهل بها أحد (٤)

= القدماء في حنان الأُمهات ولطفهن النفسيّ : إن الإله جوبتير (كبير آلهتهم) لما لم يستطع أن يوجد في كل مكان أناب عنه الأُمهات . والمراد من هذا التعبير الرمز إلى العناية كما ترى .

(١) لا يتم اهتمام الإنسان بالغد ما دام منفردًا لأنه ابن يومه الحاضر ولكن متى رزق ولدًا أصبح كل همه بالزمن الآتي لأن الأطفال رجال الغد لا رجال اليوم فيوقن الإنسان أنه لابد من العمل لغده . وكذلك النفس لا ينبغي أن تفكر أو تعمل إلا لآخرتها .

(٢) محبة الأبناء غريزية في طباع الإنسان ولكن يوجد أناس شاذين عن كل قاعدة إنسانية والشذوذ موجود في كل شيء كأنه نظامات الطبيعة ومن هؤلاء جبار اسمه (إيكولين) قالوا أنه كان في مدينة (بيزا) فوقع في أيدي أعدائه فوضعوه مع أولاده في برج وسدوا عليهم فأكل أولاده . . ثم هلك بعدهم جوعًا . والفظاعة كلها في تصور هذه الحادثة .

(٣) لو لم يكن إلا أن وهيبه كانت السبب في إيجاد هذا المعنى في الشعر العربي لكفاها فضلاً عليه .

(٤) الطائر الغرد هو هذا المخلوق الصغير الذي يصيح (بابا . ماما) إلخ وهي الأصوات الملائكية في الأرض . ومن الناس أجلاف لا عواطف لهم كرجل من الفلاحين كان =

لا يصبح البيت روضًا للذين به ... ما لم يكن فيه هذا « الطائر الغَرِدُ »

(أحلام وهيبة) :

وقال :

وهي في الشهر السابع من عمرها يصف أحلامها :

هفَت « أم البنين » للاضطجاع ... تُراعيها العناية إذ تراعي
ونامت تمسك الأجفان مهلاً ... وترسلها إشارات الوداع
وأبسط ما يكون الحب معنى ... إذا لم يَعدُ حدَّ المستطاع (١)
« وهيبة » وابتسام الحلم باد ... على شفتيك هل يدعوك داع
وهي ناغتك أمك في دعاب ... كأنَّ كلامه لغة الطباع
لمحت وراءه من كل معنى ... وإن كان ابتداعًا في ابتداع
فمن « بي بي » إلى « بابا » إلى ما ... يشذ عن القياسي والسماعي
ولفظٌ تقبلين له ولفظٌ ... ترين له معاني الامتناع
فكيف تميزت لك وهي طرًا ... سواء عندنا في الاختراع
« وهيبة » ما ترين الآن حتى ... أشرت بمثل مصَّات الرضاع
يخادعك المنام وذا دليل ... على أن الحياة من الخداع
فما الأحلام غير حياة ضيق ... وإن الضيق بعض الاتساع (٢)

= كثير الأولاد فلما ولدت له بنت وقد كادت روحه تزهق من كثرتهم سماها « زهقنا » ولم يزل ذلك اسمها إلى اليوم .

(١) قبل أن ينام الطفل الصغير يفتح عينيه ويغمضها هنيهة فكأن ذلك إشارات منه لوداع أهله في انصرافه عنهم إلى أن يستيقظ .

(٢) الأحلام حياة ضيقة لأن الإنسان لا يكون فيها كامل التصرف والضيق إنما هو اتساع ما وعلماء المنافع (وهم الباحثون في منافع الأعضاء) يسمون الأعمال التي تظهر من آثار قوى النفس في بدء الطور الأول من الحياة عندما يكون همُّ الطفل قاصرًا على الغذاء والنوم « بالمنعكسة » لأنها موقوفة على حركة الدقائق العصبية أما الفلاسفة فيسمونها «القوى البهيمية » أو الشهوية .

كـأنك يا وهيبة لم تزالي ... ببعض الروح في ذا الارتفاع (١)
فإن نمت التقيّ شطرٌ بشطر ... فكان الحلم لذة الاجتماع
وما يقضي الصغير اليوم نومًا ... لأمر غير هاتيك الدواعي
رأيتك يا وهيبة ذات ثغر ... عليه من السما بعض الْتماع
فلم أشكك وربك أن فجر الـ ... ـبيان يطير من هذا الشعاع
نظرت إليك في موج الأماني ... كأنك درة لمعت بقاع (٢)
فإن بلغت بك الدنيا فسيري ... إلى العلياء من غير انقطاع
فإن النفس مثل العين تسمو ... إذا ضربت بمنطلق البقاع
عجبت ليائس ترك المعالي ... وأحجم عن كبيرات المساعي
ألم يك قبل هذا الدهر طفلاً ... يشق عليه حتى مدُّ باع
ويحسب بسطة الدنيا جميعًا ... كما بين الذراع إلى الذراع
ومن لم يتسع في الفخر يعجز ... وما جَدَلُ الفتى بعد اقتناع (٣)

---

(١) الارتفاع هنا كناية عن السماء والتعليل في هذا البيت شعريّ محض لأن نوم الطفل ناشئ عن ضعف قواه وتأثره من اليقظة لما يعرض له فيها .

(٢) المراد أن هذه الأمواج عميقة لأن الأماني في طفل صغيرة تكون بعيدة طبعًا .

(٣) الجدل والمجادلة والمناظرة واحد فإذا تم الاقتناع ببرهان أو بمقدمة له انقطع الجدال وصار عبثًا لأنه لا يكون إلا للحصول على الاقتناع . وكذلك من أيقن بعجزه عن المعالي انقطع عن السعي لها فإذا لم يتسع فيها حتى يظل في حركة كان ذلك منه مقدمة للعجز ولذلك قيل : الحركة بركة .

الباب الثالث

في الوصف

القمر:

أطلَّ علينا والهوى يتعطَّفُ كما أقبلت فتَّانةٌ تتأسَّفُ
وبتُّ أظن البدر في دَوَرَانه جناحَ الأماني فوق رأسي يُرفرفُ
كأن نهاري نامَ فالبدرُ والدجى له حلمٌ في نومهِ يتألَّف
ألستَ تراها كالخيال تلاشيًا متى انفتحت عين من الصبح تطرف
كأني أرى بين الكواكب نسوةَ الـ ـعزيز وهذا البدرُ فيهنَّ يوسفُ(1)
كأن النجومَ الغُرَّ سبحةُ زاهد مُعلَّقةٌ في الأُفْق والبدرُ مُصْحَفُ
كأنك يا بدرَ الكواكب بينها فتاةٌ مشتْ بين الأزاهر تقطفُ
كأنك في مَوْجِ الضياء مليحةٌ تَرَاقصُ في ماء الغدير فيرجفُ
كأنك في شطّ الحنادس جسمها وقد سترت من بعضه « تتنشفُ »
تمثَّلَ فيكَ الحب والحسنُ للورى فأنت بمعنى الحب والحسن تُوصفُ
فبينا تُرى في التمّ تُدْنِفُنَا هوًى وتُصبي غوانينا إذا أنت مدنفُ
كأنك كرسيُّ الزمان وهذه الـ ـنجوم كراسيٌّ صغار تصففُ
كأنك سِترُ الغيب أُسدلَ بيننا وبين السما فالغيبُ هيهات يكشفُ
كأن الليالي صورَّتها يدُ الهوى وفيها ضياء البدر وشيٌ وزُخْرُفُ

---

(1) العزيز : هو فرعون مصر الذي كان يوسف عليه السلام في زمنه وقد كانت امرأة العزيز تعشق يوسف فلامها نسوة في المدينة فدعتها وأعطتهنّ مدى وفاكهة وقالت ليوسف اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن يحسبن أنهن يقطعن الفاكهة لما أخذن به من جماله . فالإضافة في نسوة العزيز نسبية فقط .

ولما تعاتبنا اتهمت ودادَها لتكمُلَ لذات الهوى حين تخلفُ
وقلت اكتبي لي بالعهود رسالةً تلطّفُ من شكّ الجوى وتُخفّفُ
فشدَّت على قلبي وقالت بلوعة إذا ما التقينا فالهوى منكَ أعرفُ
وإن غبتُ كان البدر مني رسالةً إليك وما فيه من المحوْ أحرفُ (١)
فقلتُ بلى إن باعَدَ الدهرُ بيننا فهذا الذي في أَمرنا يتكلفُ
يُضلِّل عُذَّالي فيبدو لعينهم إذا راقبوهُ واقفًا وهو يزحفُ (٢)
فإن تبصريه فابسمي للقائه أرى من هنا نور الثنايا فأهتفُ
وإن مرَّ في واديكِ رَطْبًا شُعاعُهُ فقولي إذَن إني من الوجد أذرفُ
وإن هو أَلقى فوق فيكِ ابتسامةً فذاك سلامٌ من فمي يتلطفُ
وإن جاء يومًا خاشعًا في غمامة ومَرَّ نسيمٌ تحته يتأففُ (٣)
فهاتيك روحي قد أَتتك فسلمي وذاك وداعي حينما كِدْتُ أتلفُ

وقال :

يصف غروب الشمس والليل :

تدرَّجت الشمس وسنى الجفون لمضجعها في سرير الأفق

---

(١) المحو هو السواد المنتشر على وجه القمر وقد اختلفوا فيه فذهب قوم إلى أنه شبح ما ينطبع فيه من جبال الأرض ونحوها كأنه مرآة وقال آخرون أَنه سواد النصف المظلم من القمر الذي لا يقع عليه ضوء الشمس قالوا والصحيح أن بعضه لون الظل الذي تلقيه جبال القمر المرتفعة على وهاده والبعض الآخر لون الصحاري التي فيه وما يتخلل جباله من الأتربة والرمال وبقايا العفاء وحينما يكون القمر بدرًا فذلك المحولون تلك الأتربة .

(٢) يسمون هذه الحركة الجزئية للقمر بالتمايل وقد قسموه إلى ثلاثة أقسام تمايل طولاً وتمايل عرضًا وتمايل يومي .

(٣) المراد بتأفف النسيم أنه حارّ كما تكون زفرة الهم ونحوه . واستحسان القمر والتغزل فيه عادة صحبت الإنسان في كل دهر حتى أن قبائل الهوتانتو لعهدنا وهي قبائل ضاربة في إفريقيا تقيم كل سنة حفلة رقص عامة إكرامًا لهذا البدر ، ويعتقدون أنه خالق الموجودات .

ومـدت يـدًا مـن وراء الـسـحـاب لـتـكـشـف عـنـه مـلاء الـشـفـق (١)
ونـامت فـأرخت عـليـهـا الـنـجـوم ولائـدهـا كِـلَّـةً مـن غـسـق
وأقـبـل يـهـمـس هـذا الـنـسـيـم بـإذن الـربـى سـاعـة وانـطـلـق
فـمـالـت مـن الـنـوم أغـصـانـهـا عـلى بـعـضـهـا والـتـحـفنَ الـورق
ونـام بـهـا الـطـيـر بـعـضٌ سـكـوت وبـعـضٌ بـأحـلامـه قـد نـطـق
وقـد فـاض بـحـر الـكـرى فـيـضـةً تـلاعـب زخَّـارهـا بـالحـدَق
فـمـنـهـا تـطـوَّح في لجـة ومـنـهـا وشـيـك ومـنـهـا غـرق (٢)
ولـكـنـنـي خـفـت مـن جـوره فـأركـبـت عـيـنـي سـفـين الأرق
فـيـا هـنـد ذا كـلـه بـاطـلٌ وإن صـح أمـا الـتـجـافي فـحـق (٣)

(وقال نجوم الليل والغزَل) :

لا تحـسـبي أنجـم هـذا الـدجى أشـركـهـا في لـهـونـا مـشـركُ
الـلـيـل مـسـرور بمـا بـيـنـنـا وهـذه أسـنـانـه تـضـحـكُ

(وقال وهو معنى غريب) :

أرى لـيـلاً يمـوت الـصـبـح فـيـه ويـحـيـى رأفـة بـالـعـاشـقـيـنـا
كـأنّ وجـوه أنجـمـه إذا مـا طـلـعنَ وجـوه قـوم صـائـمـيـنـا
وقـد لـبـس الـسـمـا فـبـدت عـلـيـه كـمـرقـعـة الـرجـال الـزاهـديـنـا
يـذكّـرنـي وهّـمـي أيّ هـمّ بـأبـنـاء الـغـرام الـهـالـكـيـنـا

(١) الشفق هو النور الذي يكون بين غروب الشمس والعتمة ويكون أيضًا بين الفجر وطلوع الشمس وبعض هذا النور حاصل من انكسار أشعة الشمس حينما تسقط من الأفق على كرة الهواء وأكثره يكون من الانعكاس وتجد هذا الشفق ملونًا كأنه الملاء وهي جمع ملاءة.

(٢) وشيك أي قريب الغرق .

(٣) يريد بهذا كله سهره ومراقبته الطبيعة في هواها ومع ذلك فهي تنكز هذا الهوى وتجافيه .

فيبدو الأفق مقبرة لعيني تضيءُ بها « قبور الصالحينا » (١)

(وقال في ليلة أنس) :

من أشعة النظر لأشعة القمر
من سهاد أعينه لكواكب السهر
من ذبول مقلته لنضارة الحور
من مِطَالِ ليلته لمدبر القصر
من نحوس طالعه للقضاء والقدر
أشتكي ولي كبد إن شكوت تنفطر
غير أنه ضرر مُسْعِدٌ على ضرر
يا فؤاد ملتفتًا نحو مشرق الغرر
قد نجوت من خطر ووقعت في خطر
طائر بلا حذر واقع بلا حذر
تارة هنا وهنا مثل نحلة الزهَر
لِحظهنَّ منكسر في فؤاد منكسر
وهو فيه منخفض للدلال والخفر
وهو فيه مرتفع للصدود والبطر
في العيون ذو أثر في القلوب ذو أثر

(١) في الأثر ما معناه أن القبور يكون عليها نور من أعمال أصحابها وهو معنى مجازي أما النور الذي يرى على بعض القبور القديمة في وقت الظلام فهو مادة الفسفور المنتشرة في الهواء من الجسد المتحلل لأن جسم الإنسان يحتوي على كمية من هذه المادة . وقد كان القدماء يظنون أن الشمس والقمر وغيرهما من الكواكب مساكن لأرواح عظيمة هي واسطة بين العالم وخالقه كما أن الأجسام مساكن للنفوس . ومن هنا نشأت عبادة هذه الأجرام ولعلها أيضًا منشأ خرافة العقول العشرة .

مثل ريشة نفضت   صبغها على الصور [1]
النجوم ساطعة   في سماء معتكر
مثل مشط غانية   في ذوائب الشعر [2]
والسماء حالية   بالكواكب الزهرُ
كنسيج عاشقة   خرمته بالإبر
والنسيم من سقم   يرتمي على الشجر
مثل وعد مخلفه   سائر إلى حذر
والدجى لها قمر   كجبين مفتخر
هو تحت لجتها   درة من الدرر
وهو بين مرتفع   مرة ومنحدر
مثل درهم ورِق   راقص على الظفر
ليلة بها عُصُر   قد جَرت إلى عصر
مر لي زمان هوى   وهي منه كالخبر
فنسيمها سحر   نائب عن السحر
وصباحها ثمل   قد دعي ولم يزر
عطلوا لها فلكا   إن أدير لم يدر
يشغف المحب هوى   بجمالها النضر
ذاكر أحبته   بنسيمها العطر
هي روضة سقيت   من غمامة العمر
القدود أغصنها   ينثنين في الأزر

---

(١) المراد بها ريشة المصور .

(٢) يريد مشط غواني هذا العصر وهو المرصع بالألماس .

والقلوب من ثمر   في الغصون منتشر
واللحاظ طائرة   قد نقرن في الثمر
والحظوظ قائمة   بين خيرة الخير
كلما هفا أمَل   نبهوه بالوتر
الكؤوس جائرة   لم تَدَعْ ولم تذر
كالقطار واقفه   في « محطة » السمر
والعقول أجمعها   أصبحت على سفر
العيون زائغة   في المناظر الأخر
تحسب الضيا نهرًا   والرجال كالجزر
تحسب الدجى سحبا   والنسيم كالمطر
تحسب المدام لظى   والحباب من شرر
تحسب السما نُزُلا   والنجوم كالسرر
تلك ليله جعلت   في الورى من السير
أهلها شمائلهم   سورة من السور
والنديم بينهم   قطعة من الهذر
خلته أعاد له   روحه أبو العبر (١)

(وقال في صوت فتاة ناعمة الدل) :

حديثها مثل حفيف الصبا   أقل ما هيج منه هواه (٢)

(١) أبو العبر رجل متحامق كان في زمن بني العباس وكان يمزج الحكمة بالسخافة دائمًا ومن قوله : إذا حدثك إنسان بحديث لا تحب أن تسمعه فاشتغل عنهُ بنتف إبطك حتى يكون في عمل وأنت في عمل . . . .

(٢) الضمير في هواه وبكاه عائد على العاشق . وقد لحَّن هذه الأبيات وغنى فيها بلبل مصر الشيخ سلامة حجازي ووضعها في (أسطوانات الفونوغراف وله فيها صوت « أقل ما يؤثر البكاء » .

ولفظها مثل دبيب الجوى أقَل ما أثر فيه بكاه
تغنت الأملاك في قلبها فرددت رجع صداها الشفاه
وكل ما يطرب في أرضنا مما برى ربُّك أو في سماه
يُسمع في حرفين من لفظها إن هي قالت من جوى الحب « آه »

(وقال يصف الصباح) :

يا كوكب الليل دَهَاكَ الصباحْ فاصرف إلى الغرب عنان الرياحّ
واختف يا ليل بشعر الدُّمى من الغواني وعيون الملاحْ (١)
ضاقت بك الحيلة في عسكر منفر حتى ذوات الجناحْ (٢)
يفر حتى النوم من وجهه وتهرب الأحلام خوف افتضاحْ
فكم محب أسعدته المنى بخلسة الطيف التي لا تباحْ
فجاءه بين الوفا والرضا وكوكب السعد جرى في النجاحْ
وزال ما قد كان من وحشة تعترض الأنفس عند السماحْ
حتى إذا كادت دموع النوى تجف من أنفاس ذاك المزاحْ
أقبل هذا الصبح من « برده » يفتش الأجفان عنه فراحْ (٣)
وكم نسيم كان يسعى بما يحمله عمن تشكى وباحْ
من دمعة تغسل جرح الجفا ورقَّة تعطف رأس الجماحْ
أو نَفَحَات من غواني الحمى يكدن يمسحن وجوه القباحْ (٤)
أدركه الصبح بأجناده فتاه من روعته في البطاحْ

---

(١) الدمى جمع دمية وهي تصاوير العاج .
(٢) يريد بالعسكر الصباح وهو أمواج الضياء وذوات الجناح الطير .
(٣) تفتيش الأجفان كناية عن استيقاظ النيام ولا تكاد تجد مثل هذا التصوير .
(٤) المسح هنا من قولهم على وجهها مسحة من الجمال .

يا صبح إن كنت حياةً فما ... لبث حياة كتبت للكفاحْ (١)
الناس في أيدي أمانيهم ... والشر في كفَّيه روح الصلاحْ
والأرض ميدان لهذا الورى ... يقصف منهم بالرماح الرماح
وإن تكن يا صبح موتًا فما ... أهنأ قلبًا قد شفي واستراح
قد عربد الأحياء من سكرهم ... وإنما الشمس لهم كأس راح (٢)

(وقال الطبيعة في الجفاء):

تاللَّه لو سمع الزمان تنهدي ... يوم الجفا لم يبق في الدنيا جفا
ولو أن قرص الشمس كانت ناره ... هجرًا ومسته المدامع لانطفا
ولو أن جوّ الليل كان ظلامه ... بعدًا وشاهد ما بقلبي لاختفى
فالليل عندي والنجوم تزينه ... كالنعش تجعله الزهور مزخرفا
وكأن هذا الصبح بعدكم يد ... شهرت لتقتلني حسامًا مرهفا

(وقال شمس الربيع):

أصبح نبْتُ الرُّبى فطيما ... لما مضت أشهرُ الرضاع (٣)
وما أرى ذا الربيعَ إلا ... « مهندس » الحسن والطباع
زيَّن قصر الهوى وقصر الـ ... ـهوى من الدهر في انصداع
ففَضَّضَ الليل بالدراري ... وذهَّب الصبح بالشعاع
وليلة بدرها ابتسامٌ ... كأنه موعدُ اجتماعِ
بتنا فكانت لكل واشٍ ... كأنها نوبْةُ الصداع
من قُبَلة منحةً وأخرى ... لطاعة الدَّل بامتناع

(١) يريد بالكفاح حركة الأحياء واضطرابهم في أمر المعاش وهو تنازع البقاء .
(٢) العربدة حركة السكران فشبه الأحياء بالسكارى والشمس بالراح وهي الخمر لأن لها تأثيرًا في اضطرابهم بل في كل الوجود.
(٣) أشهر الرضاع هنا هي أيام الشتاء لما فيها من المطر .

كـوردة فـتّـحـت وضـمّـت بـغـيـر صـوت ولا سـمـاع
والـلـيـل مـثـل الـسـفـين بـاتـت يـهـزُّهـا المـوج لانـدفـاع
فـلـم تـكـن سـاعـةٌ وأخـرى حـتـى أتـى الـفـجـر بـالـشـراع [1]
ولاحـت الـشـمـس مـن بـعـيـد كـأنـهـا قُـبـلـة الـوداع

(وقال الياسمين السارق) :

لاحـتـكـام الـهـوى غـنـاءُ الحـمـامَـهْ أقـعـد الـغـصـن في الـربى وأقـامَـهْ
كـتـب الـروض في الـطـبـيـعـة شـعـراً لـيس يـدري غـيـر الحـمـام نـظـامهْ
فـهـو إن تـبـدُ صـفـحـة مـن غـمـام هـزَّ مـن أغـصُـن الـربـى أقـلامَـهْ
تـسـألون الـنـسـيـم كـم ذا يحَـيِّي وغـصـون الـربـى تـردُّ سـلامَـهْ
هـي مُـذْ قـيـل أشـبـهـتْـهـا قـدودٌ لـم تجـد غـيـر حـسـرة ونـدامَـهْ
مـا تَـرَوْن الـنـسـيـم صـار مـقـيـمًا كـل يوم عـلى الـغـصـون « قـيـامَـهْ »
أيـهـا الروض قـد أسـأت مـحـبًّـا كـان قـدْمًـا يـبثُّ فـيـك غـرامَـهْ
هـجـرت مـن يـحـبـهـا الـزهـر لمَّـا سـرق الـيـاسـمـين مـنـهـا ابـتـسـامَـهْ

وقال :

فـاض سـبْـلُ الـشـرق حتى جـرفـت مـوّجـةُ الـصـبـح عـن الأرض الـظلامـا
ثـم لمَّـا داهـمـت أعـيـنـنـا سـبـحـتْ فـيـهـا وأغـرقـن المـنـامـا

(وقال القلب التعب) :

لـيَ قـلـبٌ كـلـه صـداٌ مـن غـبـار الـهـجـر والمِـحَـنِ
فـيـهِ مـن صـدع الـهـوى أثـر هـو بـاب الـهـمّ والـشَّـجـنِ
أغـرقـتـه الحـادثـات إلـى أن رمـاهُ شـاطـئ الـزمـنِ
مـن لـعـيـنـي أن تـلـم بـهـا خـلـسـة مـن غـفـلـة الـوسـن

(١) الشراع كناية عن الصباح وهي من ألطف أنواعها .

أشــتكــي فــيــهــا بلا عـــذل وأريــح الــنــفــس مــن بــدنــي

لــيــت شــعــري مــا أفــدت إذا قــصــفــت كف الهــوى غُــصــنــي

بــعــت أيــامــي بــلا ثــمــن واشــتــريت الموت بــالــثــمــن

(وقال في مطرة من مطرات الخريف) :

الــروض ظــمــآن بــأنــفــاســنــا لــذاك هــذي الــســحــب تــرويــه

والــصــيــف قــد مــات وراحــوا بــه فــتــلــك عــين الــشــمــس تــبــكــيــه

ولاح شــعــري في خــدود الــهــو (ا) فــلــعــلــع الــرعــد لــيــلــقــيــه (١)

وهــنــد قــد عــابــت جــبــين الــســمــا فــجــرت الــغــيــم لــتــخــفــيــه

وكــلــمــا أفــتــر لــنــا ثــغــرهــا تــلألأ الــبــرق لــيــحــكــيــه

يــا هــنــد مــا الحــســن ســوى صــفــحــة مــن دفــتــر الــغــيــب ومــا فــبــه

(وقال في قلبي) :

وهي من فنون الوصف

خــواطر فــي قلبي يضــيء بهــا الفــكرُ أشــعــتــهــا فــي كل مُنْبَثَق فــجــر

لــهــا رونق مــن حكــمــة الــعــبــر التي تسامت بــهــا الدنيــا أو انحــدرٍ الــدهر

كما من شعاع الشمس والريح والندى تناول ســر الحسن في أرضــه الزهر (٢)

---

(١) يريد بما لاح في خدود الهواء قوس قزح وشبهها بالشعر لأن كليهما ألوان وخيالات وإن كان ذلك فـي أحدهما حـقيقـة وفي الآخر مجـازاً . وهذه القوس تـظهر متـى كان في استقبال الشمـس سحابة ممطرة وكانت الشمس بقرب الأُفق والناظر مـستدبراً لها . وعلة ظهورها انعكاس أشـعة الشمس عن قطرات المطر المتساقط من الجوّ بعد انكسـارها فيها وانحلالها إلى ألوانها السبعة وهي الأحـمر والنارنجي والأصفر والأخضر والأزرق والنيلي والبنفسجي ويظهر اللون الأحمر في أعـلى القوس ثم يكون ترتيب سائر الألوان على ما ذكرنا . وقد تكون تلك القوس اثنتين فيكون ترتيب الألوان في الخارجة على العكس أي من البنفسجي في أعلاها إلى الأحمر في أسفلها وفي كل ذلك كلام طويل .

(٢) يقول فلاماريون أكبر علماء الفلك أن الأرض كلها لا تتناول من أشعة الشمس وهي ذلك البحر الناري الهائل إلا نصف جزء من مليار (ألف ألف مليون) جزء وهذا النـصف =

جلوت على الأيام أسرار وحيها بوصف يقول الناس أن اسمه الشعر

تجسم فيهم لفظه وتحكمت معانيه حتى ذاك درٌّ وذي سحر

إذا قلبوا في شطر بيت عيونهم تنزل من وحي القلوب لهم شطر

وما عرفوا من خُدعة السحر عندها أقطر على زهر هنالك أم سطر

كأن يراعي من أشعة « رتنج » يرى من وراء الحبر ما ستر الحبر (١)

بلفظ ترى معناه من قبل لمحه كما فاح من زهر على غصنه العطر

تَهاداهُ أهواء النفوس كأنه من الدهر للنفس التي ساءها عذر

وما كلماتي غير نبض العلى وما لساني إلا قلبها وهي الصدر

أعدت نشاط الدهر بعد مشيبه فقد بات مختالا وطُرَّته البدر

فقولوا لحسادي على بعد بيننا تظنون أن السحب فوق السما جسر

فإن يك في هذي العصافير طائر هِجَفٌّ فما شاءوا اسمك يا نسر (٢)

ولي كلمات لو يطيرون مرة لامست ومنها كل قافية وكر (٣)

ولكنهم إن يصعدوا يتسفلوا دوالَيْكَ ذا شبرٌ وذلكم شبر (٤)

= على صغره أعظم من مجموع قوة ما يحرقه كل أهل الأرض في سنة كاملة .

(١) رنتجن هو صاحب هذه الأشعة المعروفة باسمه وهي أشعة تخترق الحجب الكثيفة فتظهر للعين ما وراءها لا يقف في سبيلها شيء وتتألف من بطارية يصدر عنها مجرى كهربائي قوي الفعل وبعض أنابيب على وضع خاص مغطاة بغلاف من المقوى الأسود الدقيق موضوع تجاهها ورقة مغشاة بمحلول معروف فتتألق هذه الورقة بضوء ساطع وهاج مصدره المجرى الكهربائي في الأنبوية وهذا الضوء يتخلل الأجسام وشرح تركيبها وكيفية الإدراك بها طويل وهي مبنية على أشعة تعرف في العلوم الطبيعية « بالأشعة القطبية الإيجابية » وهذه ناشئة عن تفاعل كهربائي .

(٢) في القاموس الهجف الظليم المسن وقد حصره في هذا النوع ولكن بعض العرب استعمله للنسر واستعمله الشاعر هنا في العصافير لمكان النكتة .

(٣) ضمن الوكر وهو العش معنى القفص .

(٤) دواليك أي مداولة .

صغار على كبر وشر فضيحة وسخرية طفل صغير به كبر
على أنها من سنة الكون لم يزل يضايق من خلط التراب به التبر
وفي القلب مني لوعة لو تخلصت من الصبر يومًا واحدًا قتل الصبر
وفيه وكم فيه من الحب والجوى فذاك له أمر وهذا له أمر
وفيه من الآمال ما العمر دونه فلا سعد إلا أن يزاد لنا عمر
وفيه من الأيام ماض مكفن بدمعي عليه من طفولته قبر
وفيه وما فيه وذا الدهر لم يزل يعد علينا موجةً وهي البحر
على أنني لم أفرغ الهم كله ولكنه نزر وقلَّ له النزر
تعلمت لطف الوصف من لغة الهوى ففيها جنون القلب قيل له الهجر

(وقال يصف نور الكهرباء) :

يا آية في صفحة الليالي
من سورة الكوكب والهلال
أقام منك شاعر الجمال
تتمة الدليل للعذَّالِ
على القلوب وعلى الآمالِ
فأنت للعاشق في المثالِ
أشعة لكن من الدلالِ
في ظلمة الهجر أو الملال
بل أنت عندي شعلة الخيال
تمثلت من رونق الجلال
في قطعة من صفة المعالي
أو مَثَلٍ يسير في الأمثال

أو دمعه الهجر على الوصال

وأنت ما بين الزمان الخـــالي

وبين آيات الزمان الحـالي [1]

وبين ما يأتي في الاستـــقبال

مَعنـى الرجا في لفظة المحال

(١) يشير إلى أن اخـتراع مثل هذا النور وغيـره من باقي الاختراعات كان كـالمحال في الزمن الماضي وهو اليوم من السـهل فلا يبعد أن يتحقق المحال عنـدنا في الزمن الآتي على هذا القياس .

وهذا فصل (١)

من كتابه « ملكة الإنشاء » بعث بهِ لصديقهِ الأديب إلياس أفندي العجان أحد الصيادلة وكان استبدل نور الغاز بالكهرباء في المكان الذي هو فيه ثم كان يعبث باللولب كلما زاره صديق فيطفئ النور فجأةً ويبعثه فجأةً لدعابة فيهِ . قال :

ما هذا صرف الله عنك شدة البياض . في غير الأعراض . أسئمت الليل فأذريته صبحا . وأوريته قدحا . أم زهدت في السواد . لغير الحداد . وللعيون والأهداب . لا الفنون والآداب . فأطلعت من سقفك الكواكب تتألق . كالعيون السواكب تتدفق وعفت تلك المصابيح . وهي كالحظ تميل مع الريح . فإن كنت أشفقت أن تطول ألسنتها فتسود عرض الحائط فإن قطع اللسان . بالإحسان لا بالهجران . وما الذي جنته عفا الله عنك حتى تجفف من الهجر لَهَوَاتها . وتأخذها بغير هفواتها . وتطرحها جانبا . وتنأى عنها مغاضبا . فلا كلمة مواساة تطفئ من لوعتها حتى ولا « أف » . ولا نفخة من صدرك إلى صدرها . تخفف من حرها . ولا عنايةمن أمرك بأمرها . تجبر من كسرها وهل عمي الليل وسألك العلاج . فتضع له أعينا من زجاج . أم سألك الناس آية تخرق العادة فمثلت لهم بعد الغروب الشروق . أم انتجع غيثك بعض المجدبين فخيلت له البروق وما أشك أنك أمسيت تحاول تجزئة القمر . فتكون منكَ لكل أمة « فلقة » إلى آخر العمرُ .

لا أعجب والله من فرعون حين قال هذه الأنهار تجري من تحتي . إلا أنت حين تقول هذه النار أجري من تحتها . وليتني أعلم أهي استعارةٌ أم مجاز . ومن مناهل الغاز أم من مسائل الألغاز . وكأني بأصابعك وقد عرفت أن لها خواتم في الهواء . فهي تلعب بها كيف تشاء . مرة تحبب لجليسك العمى . وتتركه لا إلى

(١) رأينا أن ننشر هنا هذا الفصل لمناسبتهِ القطعة السالفة في وصف الكهرباء .

الأرض ولا إلى السما « بأسفه ليل كلما شئت أظلما » ومرة تذكّره بيوم النشور ، فتبعث عليهِ النور ، بعد أن يكون في ظلمة القبور .

هذا على أن كواكبك من الزجاج ، لا من الأبراج ، فكيف لو كنَّ ، كما لا تظن ، أكنت تبتلع الشمس ، لتقول أنا اليوم والأمس ، أم كنت تلف الأرض بالأرض ، لتنزل علينا آية « ظلمات بعضها فوق بعض.............. »(١)

وإني لأنتظر لك ليلة يخفت فيها زفير الكهرباء فينقطع بعض الأسلاك . ويقع وحش الظلمة في تلك الشباك . هنالك إذا استوحشت فرفعت رأسك غنّتك القناني لا القيان . وترامت على قدميك تفدّيك بدمائها المختلفة الألوان . وإذا مددت رجلك إلى الباب . ليكشف لك النقاب ، ويمط هذا الجلباب ، حسبك تُحَيّيهُ فحيَّاك . وأبى أدام الله عليه العافية إلا أن يقبل جبينك ويلثم فاك . وربما مدَّ ذراعه إلى الطوق . والظلمة تدعو إلى شدة الشوق . فيظنه عناقًا وتظنه خناقًا. ثم تلتمس المخرج فتحسب الحيطان . أنك تسألها الحنان . فتضمك إشفاقًا إلى صدرها . وتأخذ رقبتك لنحرها . وهكذا من حبيب إلى حبيب . ومن نصيب في هذا الهوى إلى نصيب . حتى يُوَفَّى الكيل . ويكشف عنك الغطاء فتبصر آية الليل . والسلام .

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

(١) هنا سجعات أهملناها لأنها مما تقتضيه المداعبة .

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

الباب الرابع

في الغزل والنسيب

قال:

أروني سوى دار هناك مَعْهدا ... فأصرف هذا القلب عما تعوَّدا
وهل غير واديها يرق نسيمه ... وتشربُ أزهار الغرام به الندى
إذا خطرت منه على القلب نفخةٌ ... توهمتها من شدة الشوق موْعدا
وأعشقه حتى لأحسبني أرى ... بأشجاره من لذة الوجد حُسدا
هنالك لا شكوى سوى قُبل الهوى ... ولا عتب إلا صوتهنَّ مرددا
هنالك دارٌ قدَّس الحب أرضها ... فكل فؤاد في ثراها تَعبَّدا
تُضلُّ بما فيها من الحسن والهوى ... وتُهدي بما فيها من الطهر والهدى
فما هبَّ منها الريح إلا مُعَطرا ... ولا مرَّ فيها الطير إلا مغردا
ولي عند أهليها فؤاد أقمته ... على نور هاتيك الكواكب مرصدا
ولكنَّ في مرآته صدأ الأسى ... ولا شيء إلا ريقها يذهب الصدا
نفورك يا حسناء غشَّى قلوبنا ... وما الحزن إلا ظلٌّ هجرك والردى
وحيَّرَني في الحب قلبي كأنه ... صغير تغاضى أهله فتمرّدا
إذا منعوه لم يطيقوا بكاءَه ... وإن أرسلوه في هواه تعوَّدا
فيرضونه طوعًا وكرهًا لحبه ... ويتعبهم في حبه متعمدا
فداؤك يا ليل الرضا العمر كله ... وقلَّ شبابي أن يكون لك الفدا
فما لك لا تلقي على الدهر نظرةً ... كأنك قد أمسيت يا ليل أرمدا
أرى كل ليل ينتهي عند حده ... وليل الجفا يمضي مع الهجر سرمدا

وما انعكس الدهر القديم لهجرها فطال ولكن كل همي تجدّدا

فأنسى بغمّ اليوم يوميَ كله وألهو بهمي في غد ناسيًا غدا

مضى زمن عيناهِ قلبي وقلبها وأصبح في قبر الليالي مُوَسَّدَا

وها زمانٌ ممسك بيد الجفا ولو لم يكن أعمى لما أمسك اليدا

فأين ليالٍ كنَّ إن مرض الهوى سرين له من جانب الوصل عُوَّدَا

وأين نسيمٌ كان إن حف حولنا تناثر في جوّ الرياض تَنَهَّدَا

فإن مَسَّ قدَّ البان أرقصهُ هوى وإن مس خد الزهر فيها تورَّدا

ألا إنما هذا التنهد حيرةٌ أضلّت فؤادًا مؤمنًا فتشهدا (١)

أو الحسرات الفاجعات لمهجة ضغطن على همّ بها فتصعدا

أو الحزن في صدر الشجيّ وقد طغى على خاطر في نفسه فتبدَّدا

أو الروح قد ضاقت فهمَّت فأرسلت لها نفسًا يبقي الطريق ممهدا

وإلا فصوت القلب مسَّتهُ فرحةٌ كما لو أطفأوا بالماء جمرًا توقدا

فيا زمني أمْلِ الهوى لأخطه وأوح إلى قلبي الغرام لأنشدا

فلست أرى أن تنقضي بسوى الهوى ولست أرى أن تنقضي في الهوى سدى

وقال :

يعارض بيتي عنترة المشهورين في هوس الشوق وحماسة الوجد (٢) :

ولقد ذكرتكِ يائسًا فكأنما ذكراك مصباحٌ لقلبي المظلم

---

(١) التشهد قول : أشهد أن لا إله إلا الله وعادة المؤمن إذا قالها أن يمد صوتهُ في المدّ الأول الواقع في لفظة لا حتى يشعر بها كأنها خارجة من قلبه .

(٢) البيتان المشهوران لعنترة هما :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

ويقال أنهما منحولان له .

بخواطر غُر تسيل كأنها ضحكات ثغرك للمحب المغرم
هزَّت دمي حتى لخَيَّلَ لي الهوى أن القلوب إذنْ ستخلق من دمي

وقال:

أحب التي لم أخلُ من هجرها ولا خلا هجرها لي من عذول ولائم
نبيَّةُ شرع الحسن من معجزاتها لمن عذلوا انطاقها للبهائم (١)

(وقال في وحدة الحب):

تقول أني مُشركٌ في الهوى يا هند هل يهوى الفؤاد اثنتين
الحب طفل أنت أمٌّ له والطفل لا يولد من مرأتين

وقال:

وَشوا إليك ولما رأوا جفاءك قالوا
وعرَّضوا بيَ حتى إذا صغيت أطالوا
لا بدع أن الحسن الهجر وهو منك دلالُ (٢)
لون السحائب كالطين وهي ماءٌ زلالُ

وقال:

في بعض أنواع الحب وهو ما لم يكن فيه لقاء:

يبيع الهوى صبري ونومي بلوعة وسهد ولا أدري إذن أين سوقهُ

---

(١) لابن حزم: الحسن شيء ليس له في اللغة اسم يعبر بهِ عنهُ ولكنهُ محسوس في النفوس باتفاق كل من رآه وهو بُرد مكسو بهِ الوجه وإشراق يستميل القلوب نحوه فتجتمع الآراء على استحسانه وإن لم يكن هناك صفات جميلة فكل من رآه راقهُ واستحسنه وقَبله حتى إذا تأملت الصفَات أفرادًا لم ترَ طائلاً وكأنهُ شيء في نفس المرئي يجده في نفسه الرائي اهـ وقيل الحسن يلاحظ لون الوجه والجمال يلاحظ صورة أعضائه والملاحة تعمهما جميعًا. والمراد بالبهائم في البيت العذال أنفسهم وإنطاق البهائم من آيات النبوّة.

(٢) يقال أن الهجر أربعة أنواع هجر ملال وهجر دلال وهجر مكافأة على الذنوب وهجر يوجبهُ البغض المتمكن في القلوب.

ويقتادني شرقًا وغربًا ولم أزل أسائل نفسي أين تفضي طريقهُ
أحب ولا أدري وأدري ولا أعي وإن أعِ لا أسلو ولست أطيقهُ
ومن غمرته لجة البحر غمرة فطاح بها لم يعنه ما عميقهُ
وما لوعتي أني أموت بلوعتي ولكن مقال الناس ذاك عشيقهُ
وكم « فَلَكِيٍّ » في الهوى سائل إذا رأى مغربي من أين كان شروقهُ (١)
نموت وذاك الحسن يجهل ما بنا وهيهات يدري البحر أيٌّ غريقهُ

(وقال في حسناء عاذلة) :

العذل من ثقله للقلب لم ينزل
واللحظ من لطفه قد حل في المقتل
يا ربة الحسن ما في الحسن أن تعذلي
للكف قفَّازها والنعل للأرجل (٢)

(وقال في شدة النحول) :

تقول أما ترضى مع الحب والجفا بأنك حيٌّ والحياة كثيرُ
وكل الذي أبقاه مني غرامها بقية نوم في الجفون تطير
كأنّيَ من « غاز الإنارة » في الهوى فبينا يرى غازاً إذا هو نور

(وقال ندى الغرام) :

بكت في روض أحزاني وحبي بأطهر من ندى زهر الربيع
وكانت فيَّ عاطفة التصابي فقد مزجت بعاطفة الخشوع
وكنت رميت في قلبي بسهم فهذا آخرٌ بين الضلوع

---

(١) كنى بفلكي الهوى عن العاذل المتطفل والمراد بالمغرب مغرب الحياة ومن أين كان شروقه أي من أي أفق ظهر هذا الحب .

(٢) المراد أن العذل لا يناسب الحسن لأن من الحسن حسن الكلام كما أن النعل لا تناسب الكف مثلاً . والقفاز هو ثوب الكف الحريري وقد يكون من الجلد الرقيق .

دموعك في الحياة ندى غرامي | وإن كانت تسمّى بالدموع

وقال :

إنما الحب لحاظ | فائتلاف فهيامُ

غير أني في هواها | نظرةٌ عندي غرام (١)

(وقال في الغانيات المتفرنجات) :

قائمات يمسن بالقامات | هزهن الغرام للغارات

فنصبن اللحاظ جسراً إلى النفـ | ـس وأرسلن فوقهُ الحسرات

وجعلن ابتسامهن نوراً إلى القلـ | ـب ليكشفن عن مقر الحياة

كل هيفاءَ إن مشت عقد الحب | عليها جوًى من النظرات

وإذا ما تمايلت بسط الحسـ | ـن بساطًا لها من المهجات

علم اللّه ذلنّا في هوانا | ودلال الأوانس الفاتنات

فجميع الوجود لم يخل من ذكـ | ـرى عذاب المحب للغانيات

فهي أنّى صغت يذكرها الطيـ | ـر من العاشقين بالآهات

وهي أنّى تلفتت مثل الأفق | لها من بريقه الزفرات

ليس خفق الأقدام منهن في الأر | ض لهذا الثرى سوى قبلات

ليس نور النجوم والأفق مرآ | ةٌ لتلك الدمى سوى بسمات

« ألفات » فإن جررن ذيول الـ | ـوشي تيهًا رأينها « لا مات » (٢)

وهما حالتان في الحسن صارا | لمريد التعريف خير أداة (٣)

(١) جعل بعضهم الهيام مرتبة من مراتب العشق بعد الوله والوله بعد الشغف والشغف بعد الوجد ثم هذا بعد غيره إلى النظر الذي هو سبب الحب والغرام أشدها وكل هذا تقسيم نظري .

(٢) الألف هي الخط القائم واللام هي ألف قائمة ولكن لها ذيلاً وأكثر الناس يكتبهُ مسحوبًا لا مقوّسًا .

(٣) أل : هي أداة تعريف وفي لفظة التعريف هنا تورية جميلة وقد جرت عادة العصر أن لا =

تلبس القبعات يا ليتها تر حم نفسي من فتنة القبَّعات
حكت الرمح في القوام فمال الر يش فيها ليحكي الرايات
وكأنْ قد رأى النسيمَ عتابا فالتوى من قساوة الهاجرات
زينتها بزخرف الوشي مما قلدتهن من بنات النبات
فهي عش القلوب تسكن فيها بين مثل الثغور والوجنات
ولهذا يقال فينا « على الرأ س » إذا ما أجيب ذو الحاجات
كم تَجَنَّى التي أحب وعندي أن بعض العصيان كالطاعات
إن رأتني يدق ناقوس قلبي من جفاها كدقة الأموات
فهبي ظلمة الليالي إذا ما غشت الأرض والسما هفواتي
أو ليس الظلام يعقبه الصبح وتمحى الآيات بالآيات
غير أني لو كانت الشهب أقلا مي وكان الظلام حبر دواتي
ووصفت الذي أقاسي من الحب وكان الوجود من صفحاتي
لانطوى الكون ثم أبصرت في آخر أوراقه « البقية تأتي » (١)

(وقال فيمن تستحسن تشبيهاته) :

قالت أرى تشبيهه ينهى بأمري في النهى
فما لها قولوا لها جزت وصالي ضنها
كأنها ما قلت فيـ ـها مرة « كأنها »

= يتعرف الحسان على أحد إلا وهنّ « كاللامات » التي وصفها الشاعر .

(١) هذه الكلمة وهي (البقية تأتي) من مبتذل الكلام الصحافي يضعونها في آخر كل مقالة لم تتم ولكن الشاعر نقلها بهذا البيان إلى درجة يحسده عليها أرباب الصحف على ما نظن.

وقال:

رويدًا رويدًا نسيم الرياض ... وحاذر على قلب مشتاقها
يجن إذا أنت أذكرته ... بضعفك رقة ميثاقها
وكيف وعشاقها ما دعوك ... تحمل علة عشاقها (١)
فتاة كمشبوبة الكهربا ... جمالاً وسبحان خلاقها
تراها خلاصة حسن الوجود ... إذا ما نظرت لإشراقها
فيا من يعذب شمس السماء ... صباح مساء بإحراقها (٢)
دع الحب يكسر من قلبها ... ولو قدر نعسة أحداقها (٣)

وقال:

قلبي معي وقد نسيـ ... ـت أنه كان معي
يوم نفضت أعيني ... مستعطفًا وأضلعي (٤)
وما وعيت من جفا ... ها غير أني لم أع
تميل إن أعرض لها ... فأين ألقي مطمعي
كأن كل موضع ... تراه إلا موضعي

وقال:

أضرَّ بي الهجر حتى ما يطاوعني ... وهمي إذا ما توهمت الفؤاد سلا
وكلما قلت في نفسي الحبيب رضى ... تمثلت شخصه عيني يشير « بلا »

(١) يشير بهذا التمثيل إلى قولهم نسيم عليل .
(٢) تظهر الشمس في الشروق وفي الغروب كأنها محترقة وهي أم الجمال .
(٣) هذا الكسر مجازي والمراد بهِ التواضع وفي الحديث الشريف أن الله مع المنكسرة قلوبهم .
(٤) نفض الأعين هو البكاء ونفض الضلوع هو إظهار كل ما تجنه من الحب وغيره .

وقال :

يعارض المتنبي في غزل إحدى قصائده (١) :

عـذرها في الصدود للعشاق أنـهـا مـا دَعَتْ إلى الأشـواق
وهي لم تخلق القلوب ولا دلّـ ـت عليها نواظر الأحداق
سائلوها فأين عقل السُّكارى أسقَاهم ليسرق العقل ساقي
إنما أنجم السَّماء تبعنَ الشـ ـمس قِدمًا لذلك الإشراق (٢)
تُظهر الحسن ثم تسألنا الغضَّ فليت القلوب غير رقاق
ذلكم وجهُها وكيف عن الديـ ـنار يُغضي من ضاق بالإملاق (٣)
ليس كل امرئ يرى المال في كف غنيٍّ يُدعى من السُّرَّاق
صاغها اللّه مثل لؤلؤة البحـ ـر صفاءً وأنجم الآفاق
وكما تشتهي دلالاً وظرفًا وجمالاً في سائر الأخلاق
ولكون الكمال لم يُعطَ للنا س أتى قلبها بلا إشفاق

وقال :

بقيّة قلب كيفما اهتاج لم يكن لخشيته الإلحاظ غير مقاتلِ
يردُّ دويَّ الدهر غير مفزَّعٍ وتفرعهُ رنَّات هذي البلابل

(١) هذه القصيدة هي التي يقول في مطلعها :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي

وهذا البيت أحسن ما فيها .

(٢) يشير إلى ما يسمى بالنظام الشمسي وهو مجموع الأجرام الفلكية التي لها حركات حول الشمس وذلك على رأي كوبرنيكوس الذي ظهر في القرن الخامس عشر للميلاد أن الشمس ثابتة والسيارات تدور حول نظام خاص وذلك كله بفعل الجاذبية والأرض من جملة هذه السيارات وهي تجيء بعد الزهرة التي هي بعد عطارد ثم يجيء بعدها المريخ ثم المشتري ثم زحل .

(٣) تشبيه الوجوه الحسان بالدنانير تشبيه قديم والإملاق هو الفقر .

ولـو خـالـطـت سُـمـر الأَسـنَّة لبَّـهُ ... لما أثـرت فـيـه كـمـسّ الأنـامـلِ
وكم في الهوى من معضلات مسائل ... ومـا القـلـب إلاَّ بعـض هذي المسـائلِ
فـقـد بـاد لـولا هـزَّةٌ في جـوانـحي ... وقـد عـاد لـولا ظبـيةٌ فـي المنـازلِ (١)

وقال:

هـو الهـوى لا طريـق لـلنـفـوس بـه ... إلاَّ الـتـي هي بـين الـقـلـب والـكبـدِ
ومن يـحـب يجـد غـيـر الهوى كمـدًا ... والنـاس يدعـون هـذا الحب بـالكـمـدِ
كم كـابـد الحب مـن ظلـم الأنام ولـم ... يـزل وسـوف يـلاقـي الـظـلـم لـلأبـدِ

وقال:

لـكِ قلـبي فـمـا أرى الحـزن حـزنًـا ... أن تـغـيـبـي ولا أرى اللـهـو لهـوا
كـاتم الـشـوق والمحـبـون بـعـدي ... كـل نـفـس ومـا تـشـاءُ وتـهـوى
أسـتـحـي أن أبوح بـاسـمك فـي النـا ... س لـئـلا أقـبّلَ الإسـم سـهـوا (٢)

وقال:

يـا ويـلهـا زفَـرَات صـب مـا طـوى ... صـيـف الـشـبـاب فـمـن لـه بـربيـعِ
سـنـةٌ عـلـى سـنـة وشـهـرٌ بـعـده ... شـهـر وأسـبـوعٌ عـلـى أسـبـوعِ
أجـد الـزمـان مـن الـسـعـود كـأنـه ... صـكٌّ خـلا من مـرضـع الـتـوقـيـعِ (٣)
وأرى مـآبـي مـن هـواك عـطـيـةً ... أكـآبـتي أم ذلـتـي وخـشـوعـي
هـند عـلـى وجـه الـلـيـالـي مـسـحـة ... مـنـي كـسـتـهـا حـسـرة الـتـوديـعِ

---

(١) باد أي فني فالقلب بهذا المعنى معضلة من المسائل لأنه إن ظن أنه فنى فالهزة الضعيفة التي يشعر في جوانحه تدل على أنه باق. وإن ظن أنه باق فابتعاد تلك الحبيبة وتعلق القلب بها يدل على أنه عندها وأنه ليس في موضعه وهكذا تكون المسألة دورًا.
(٢) يريد أنه ذكر اسمها تخيلها فلا يتمالك أن يقبل هذا الخيال فعندما يرى الناس أنه قبل هذا الاسم لأن القبلة كانت بعد النطق به يعرفون أنه اسم التي لا يريد أن يعرف اسمها...
(٣) الصك هو ما يسمى اليوم بالسند وهو من غير توقيع لا فائدة منه.

تجدين ما هزّت فؤادك رحمةٌ — لمصائبي ونوائبي ودموعي
أعطيتنِي صفراً وصفراً في الهوى — وسألتني عَنتًا عن المجموع ...

(وقال في نحو هذا التوجيه) :

(طرحت) العين من نومي وقلبي — غداة الهجر من أمل التلاقي
وقبلُ طَرحت نفسي من هنائي — وآمال الوصال من اشتياقي
فرحماك انظري من بعد هذا — أيبقى غير أصفار الفراق

(وقال أيضًا) :

أقول لجفنها « والكسر » فيه — من العدد الصحيح من الودادِ
أهذا الكسر من أعشار قلبي — فقال نعم وكسركمُ اعتيادي (١)

وقال :

لي حبيب كأنه الـ — ـماسُ بين المعادن
أسطع الناس نجمةً — في سماءِ المحاسن

وقال :

فتًى غنِجٌ حاكى الفتاة شمائلاً — وأشبه منهُ حسنهُ الغضُّ حسنها
إذا قلت في تشبيهه ذا كأنهُ — وأبصرت خديه أقول كأنها

(وقال في ابتسام) :

تلطفت بالسلوان حتى أطاعني — وركّبت منه للصبابة مرهما
جمعت له من ضحكة الصبح في الربى — ومن برد أنفاس الكواعب في الحمى
ومن نفحات هن والوصل والمنى — إذا ائتلفت لم تبق قلبًا متيما
ومن نظرات في السرائر لو أتت — على كل سر لم يغادرن مبهما

(١) الكسور في علم الحساب على نوعين كسر أعشاري لأنه يدل على أجزاء من عشرات وكسر اعتيادي ففي كل من لفظة الكسر وأعشار واعتيادي تورية والأعشار هي قطع الإناء المكسور .

ومن كل حسن في الطبيعة مشرق على صفحات النفس في الأرض والسما
وقلت لجفني نم وللقلب لا تهم فلم يبق إلا أن تتوب وتندما
ومرت ليال لا الدجى ذلك الدجى ولا ما أرى من أنجم كنَّ أنجما
إلى أن تلاقينا فلما تبسمت رأيت فمي قد خان عهدي وسلما
فعدت إلى قلبي إذا هو خافقٌ يكاد من الأشواق أن يثب الفما
فراجعت نفسي أذكر العزم والنهى إذا هي تغريني بأن أتقدما
فما يصنع المجنون والكون كله لدي حسن ليلى لم يقاوم تبسما (١)

وقال:

تبدل الحب والحبيب معا والقلب ما زال يحمل الوجعا
وكلما ضاق بي الغرام ترى عيني طريق البكاء متسعا
والحب للمرء من سعادته لو لم يلد في فؤاده الطمعا
يكابد القلب حمل هجرهمُ لينتهي أمره بما صنعا
والحب للقلب مثل دائرة فكلما دار دورة رجعا

وقال:

يا أمانيَّ كم بنا من شقاء ومن عنا
كيف سميت روضة لا زهور ولا جنى
كيف سميت جنة وأرى فيك مدفنا
ليس يا نفس علتي وهمومي سوى المنى

(١) المجنون وليلى معروفان والمراد بالمجنون هنا كل من جن بعشقه وبليلى كل حسناء جن بها عاشق. وقد تفلسف بعض الصوفية فزعم أن في العشق اثنين وسبعين نوعًا من المجنون. لأنه جاء في الحديث أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالك إلا فرقة واحدة. وهو استنباط حسن ولكن في عصرنا لكل يوم جنون، وفي كل جنون فنون وتحت كل فن سبعون نوعًا أو ثمانون ....

تحـــمـل الـــقـلـــب مـن هـــنـا ... ك وتـــرمـــي بــــه هـــنـــا
لـــلـــتـــي إن ذكـــرتـــهــــا ... مـــــرة أنـــس مــــن أنــــا

وقال:

أحـب ولـــكـــنـــهـــا غـــادة ... إذا قـــربـــوا المـاء منهـــا التـــهـب
فكيف بجـــسمي على ضعـفـه ... ومـــا حـــمـلــتني هـذي الـنــوب
فيــا رب صــيـر بـقـيـة قـلـبي ... حـــديـدًا فـــإن فـــؤادي « ذهــب »

(وقال في نحو الهوى):

لـلـحـب نـحـو قـد رأيت بـدرسـه ... أهـلـيــه أوزانًا « لجـمـع الـقـلـة »
« والـعين » فـيـه ذات نـقـط تحـتـهـا ... والـقـلـب أنـى كـان « حـرف الـعـلـة »
وقـوامـهـا ألف الـوصـال فـإن أقـل ... (مـالت) وتـبـعـده أجـدها « مـلَّت »
وغـريـب هـذا الـنـحـو أن اسـم « الـذي » ... لم يدع (موصولا) بغير رضا (التي) (١)

(وقال طريق الحب):

تـقـول طـريـق الحـبّ وَعْـرٌ وأرضـه ... ظنونٌ عـلـيـهـا كل مجـد محـطمُ
ومـن هـا هـنـا تـلـقـاه بـالـدم مـشـرفـًا ... ومـن هـا هـنـا تلقـاه بالموت يـظلمُ
فـلا تـعـتـسـفـه إنَّ أيـسـر مـا بـه ... عـلـيـك أسى يضني الحشـا أو تـنـدمُ

---

(١) التورية في هذه الأبيات ظاهرة لمن يعرف شيئًا من النحو والصرف وإنما نذكر هنا نادرة من عجائب أمريكا تناسب هذا النحو الغريب فقد نشروا أمريكيان إعلانًا يقولان فيه أنهما مستعدان لمدارسة الشبان والفتيات (علم الغرام) وسائر (فروعه) المتعلقة به في أوقات معينة . فتناولت إحدى الصحف الإنجليزية هذا الإعلان ونشرته وعلقت عليه ما يأتي :
ينبغي أن تكون الكلية الجامعة التي تنشأ في أمريكا لمدارسة الغرام في وسط جنة تجمع الحسان من الحور والولدان ثم يكون ترتيب الدروس هكذا : (يوم الأحد) دروس استعدادية (يوم الإثنين) الغزَل (يوم الثلاثاء) الشكوى (يوم الأربعاء) التقبيل والمداعبة (يوم الخميس) فلسفة الدلال (يوم الجمعه) تعيين أوقات الوصال (يوم السبت) الامتحان العمومي . . .

ويـا أيهـا العُـشّـاق إن كـان في الـورى مـسـاكـين مـا إن يُـرحـمـون فـأنتـم
بـلـى إن طُـرق الحـب أوعـر مـسـلـكًـا ولـكـنـنـي بـالحـب أدري وأعـلـمُ
ومـاذا يـضـر الـطـير فـي الجـوّ أن يـرى وعـورة هـذي الأرض وهـو يَـحـوّمُ
فـلي مـن وراء الحـب لـلحـب مـسـرحٌ وأحـزم أهـل الحـزم مـن يـتـكـتـمُ
كـمـا اهـتـاج فـي الـنـفـس الـكـلام فـمـرّ لا يُـحَـس بـه حـتـى تـسـلـمـه الـفـمُ
فـيـا فـتـنـتي حـسـبي مـن الحـب رحـمـة رضـاؤك لـي أني عـلـيـك أُسـلـمُ

وقال في ركوب البحر للتنزه مع الحبيب :

أرسـل بـنـا المـركـب فـي لجـة ننـشـقـه أنـفـاس هـذا المـسـاء
إنَّ شـراع الـبـحـر مـن يـأسـه قـد انطـوى والـنـسـمـات الرجـاء
فـاهـجـر بسـاط الأرض نقـض الدجـى فـي غـزل تحـت عـيـون الـسـمـاء
الـنـاس يـصـغـون لألـفـاظـنـا وأيٌّ سـر فـي حـروف الـهـجـاء
جـلَّـت مـعـاني الحـب عن حـصـرهـا مـن كل نـفـس بـين (حـاء وبـاء) (١)

وقال :

فَـزَعـات الحـب فـي نـظـرهْ فـاسـألـي بـاللّه عـن خـبـرهْ
كـدت مـن فـرط الـصـدود لـهُ تـنـزعـين الـصـبـح مـن سـحـرهْ
ولـو أن الـطـيـر يـعـرفـهُ لاسـتـمـات الـطـيـر فـي شـجـرهْ
انـظـري مُـضـنـى هـواك ولـو نـظـرة المـاشـي إلـى أثـرهْ
أنـت فـي لـيـل الـهـوى قـمـرٌ وهـو ظـلٌّ فـي ضـيـا قـمـرهْ
آه مـن هـذا الـدلال ومـا بـين بـاديـه ومـسـتـتـرهْ
وتـكـالـيـف المـدلـل إذْ يـتـجـلـى الـتـيـه فـي صـورهْ

(١) الحب في التهجئة (حاء وباء) ولكن في معناه لا ينتهي له معنى وهكذا ألفاظ العشاق يكون وراءها مما هو في أنفسهم ما لا يعرف منها ولا يكون فيها .

أنـا أضـنـى أن أعـددهـا   مـن تـأبـيـه إلـى خـفـرهْ
أنـا أضـنـى أن أعـرفـهـا   مـن تـصـافـيـه إلـى كـدرهْ
أنـا أضـنـى أن أُحـيـط بـهـا   مـن تـغـاضـيـه إلـى حـذرهْ
عُـمـري والـلَّـه أقـصـر مـن   سـاعـة أبـكـي عـلـى قـصـرهْ

وقال :

عـجـبـت لـهـزات بـقـلـبـي خـفـيـفـة   وفـي الـهـزة الأولـى تـهـدم جـانـبـي
ولـلـحـب لـذات مـتـى هـي أقـبـلـت   أخـذن عـلـى قـلـبـي طـريـق الـعـواقـب
فـمـن أيـن مـا يمّـمْـتُ ألـقـاه جـاذبـي   ومـن أيـن مـا أرتـدُّ ألـقـاه جـاذبـي
ومـا فـي الـهـوى مـن حـيـلـة غـيـر حـيـلـة   رأيـت اسـمـهـا الخـذلان بـين الـتـجـارب
ومـا يـصـنـع الـعـضـب المـهـنـد إن هـوى   عـلـى المـاء مـهـمـا كـان مـاضـي المـضـارب

(وقال أيضًا) :

أقـول لـهـا أوحـي إلـيَّ رسـالـة   مـن الـشـعـر لـم يـنـطـق بـهـا شـاعـر قـبـلـي
فـقـالـت تـأمَّـل حـاجـبـيَّ فـواحـدٌ   يـتـرجـم والـثـانـي رمـوز الـهـوى يمـلـي
وأبـلـغ آيـات الـهـوى قـول عـاشـق   خـلا الحـب يـا أهـل الـصـبـابـة عـن مـثـلـي

وقال :

رأيـتـهـا لـلـتـي تمـشـي بـجـانـبـهـا   كـأنـهـا الـبـدر فـي لـوح الـزجـاج أضـا
تـرنـو وتـغـضـي ولـي فـي لحـظـهـا أمـلٌ   فـكـأنمـا قـلـت وافـانـي أراه مـضـى
يـا هـنـد هـذا الـذي سـمـيـتـه غـضـبًـا   فـكـيـف أعـرف مـا يـدعـى لـديـك رضـا
ويـلاه مـن أمـل يـفـضـي إلـى أمـل   حـتـى يـصـيـر بـه هـذا الـهـوى مـرضـا (١)
والحـب كـالجـوّ مـن يـصـعـد إلـيـه يجـد   مـهـمـا ارتـقـى فـيـه مـن بـعـد الـفـضـاء فـضـا

(١) لبعض الفلاسفة العشق نصف الأمراض . وهو ينظر في ذلك إلى تأثيره في الروح وتأثير الروح في البدن .

(وقال مهاجرة النجوم) :

لهنَّ على وادي النفوس دبيبُ ... ففي كل نفس رقة ونسيبُ
يغازلنَ حتى ما يبين لنا الهوى ... ألفظي أم قلبي هناك يذوبُ
نجومٌ هبطنَ الأرض فانفتحت لها ... لتصبح أفلاكًا لهنَّ قلوبُ
فأبراجها في النحس صدٌّ ونفرةٌ ... وبينٌ وتبريح الهوى ورقيبُ
وأبراجُها في السعد وصلٌ ورغبةٌ ... وصدق ووعدٌ في الوفاء قريبُ
وتَعْرض ما بيني وبين عواذلي ... فيكسف وجه للعذول كئيبُ (١)
فتاةٌ أتت من جنة الخلد للورى ... وفي ثوبها ريح الملائك طيبُ
أليس بخديَّها من الحور قبلة الـ ... ـوداع ودمع للوداع رطيبُ (٢)
يقولون صدَّت عن بني الحب عفة ... وطهرًا كأن العاشقين ذنوبُ
رأت ما رأت من أنجم الحظ فانثنت ... وقد علمت أن الغرام نصيبُ
فماذا عليها أن يخيب مؤمّل ... إذا كان حتمًا أنه سيخيبُ
وعلَّمها نجم الهوى كيف تنطوي ... قلوبٌ على أشواقها وجنوبُ
وما ضرَّ من يهوى الحبيب مدللاً ... سوى علمه أن الدلال حبيبُ
يدير الهوى فيما يشاء عواطفي ... وللحبّ صوت في النفوس خلوبُ
كأن فؤادي منبرٌ أحدقت به ... ظنوني وهذا الحب فيه خطيبُ
وأبكي بعين ليس تمسك عبرة ... كأن عيون العاشقين ثقوبُ
ورثَّ فؤادي فهو لا يحمل الهوى ... كأن دبيب الشوق فيه وثوبُ
وللهجر في نفسي يدٌ مطمئنةٌ ... وأخرى بأحلام الغرام لعوبُ

(١) يشير إلى سبب الكسوف وهو تعرض (القمر) بين الشمس والأرض .
(٢) قبلة وداع الحور كناية عن حمرة الخدين لأن هذه الحمرة كأنها أثر لقبلة فراق طويل ويريد بالدمع الرطيب تلك المسحة التي تكون على الوجنات وتقول العامة : (خد نادي) .

هوًى وصدود ذاك يأكل مهجتي وذا لندى فجر الحياة شروبُ
فهل يرتوي قلبي وقد نضب الوفا وهل ينبت الآمال وهو جديبُ
تجنَّت وما في حيلتي غير توبة ترد شباب الوصل حين يشيبُ
ولكن إذا عدَّت حياتي وحبها ذنوبًا فيا للَّه كيف أتوبُ

(وقال ارتجالاً في معنى عرض له) :

أنتِ يا من أحب إن لم تكوني فَرَجًا للشقيِّ أو لم تكوني
سلوة للحزين أو لم تكوني دمعة للسرور بين جفوني
فالليالي على الهناء بكاءُ
أنت في أعين الخليّ منام أنت للطفل في الكرى أحلام
أنت في مسمع المشوق سلام أنت بين الأنام لو لم تكوني (١)
رجمتهم على الفساد السماءُ

وقال :

غدا السحر في عينيك والحب والهوى فمن أجل ما أعني يقال عيونُ
وهنَّ كقلبي حائرات وتارة إذا شئت أن تجني عليَّ سكُونُ (٢)
فما النجم برَّاقًا ولا الظبي أكحلاً ولا الماس يقسو والزجاج يلينُ
ولا العقل يحكيها إذا ابتسمت رضا ولا مثلها أما غضبت جنونُ
وكنت مليك السعد يوم عبسنَ لي فإن ضحكت يومًا فكيف أكونُ
بحسبي كلا يوميك في الوصل مرة أعز وأُخرى في جفاك أهونُ
على ذاك مرّ الدهر فالصبح ضاحكٌ طروبُ الصبا والليل بعدُ حزينُ

---

(١) قوله : لم تكوني في القطعة الأولى أي لم يكن منك وذلك على المجاز أما (تكوني) في القطعة الثانية فهي من كان التي بمعنى وُجد .
(٢) نظرات الحبيب إذا كانت ساكنة موجهة إلى نقطة واحدة فهي أقتل ما تكون وقتئذ .

(وقال في رضاءٍ بعد عتاب) :

حبيبٌ يرينا قلبهُ ذا قساوة ... ويتبعها خوفًا علينا بلينهِ
عواطفه يوم العتاب كأنما ... عقدنَ جميعًا « مجلسًا » في جفونهِ
فيأتي هواه ممسكًا بشماله ... عذاب فؤادي والمنى بيمينهِ
يقول انظري يا رحمة القلب صبَّه ... ويا رقة النفس اسمعي لحنينهِ
فتحكم هاتيك العواطف بالرضا ... « وتغريمه » لي قُبلة في جبينهِ

(وقال يصف وقفة حسناء) :

بين الدلال وبين الحسن « محكمة » ... اليوم « جلستها » والحكم في غدها
والقلب متهمٌ فيها بسلوته ... وتهمة النفس فيها من تَجَلُّدها
ويلي على ذا الهوى إن عشت عشت أسى ... وإن أمت أزعجوا نفسي بمرقدها
هم يذكرون سلوّى للنكاية بي ... كفتح أجفان مغضى العين أرمدها
سَلُوا التي اختلفت بين النوافذ والـ ... ـرفوف كيف رأتني في تردّدها
يدي على كبدي منها وقد وقفت ... حزينة خدُّها ملقًى على يدها
ترنو إلى الشمس تمضي كالحبيب على ... وعد فتخجل من إخلاف موعدها
باللَّه يا كفَّها رفقًا بوجنتها ... إن الحياة شعاع من توقُّدِها
من عاب سقميَ فلينظر خواتمها ... ما قام لؤلؤها إلا بعسجدها [1]
والحب كالروض أهلوه الزهور فمن ... صفر الوجوه إلى زاهي مُوَرَّدها [2]

---

(١) عبر بالسقم وأراد أثره وهو صفرة اللون .

(٢) من العجيب أن اللون الأصفر في الأزهار أكثر من غيره فقد نشر بعضهم تقويمًا عن ألوان الأزهار في فرنسا جاء فيه أنه يوجد من أشكال اللون الأصفر ٨٠٨ ومن الأبيض ٦٨٧ ومن الأحمر ٥٠٥ ومن الأخضر ٣١٣ ومن الأزرق ١٥٧ ومن اللون المتقلب ١٣٢ ومن البنفسجي ١٢٢ . فكأن أكثر الأزهار عاشقة .

وقال:

لو خيَّروا المجنون بين العقل مكـ ... ـتملاً وبين هواجس الوسواسِ
فالصبُّ يعذل إن تجاوز حبهُ ... قلبًا يلين إلى فؤاد قاسي

(وقال شجرة الحبيبة):

يا دوحة طرحت على أعطافها ... ثوب الربيع مطرَّزًا بظلالِ
يا ليت طيرك كان يعرف ما بنا ... فلعلهُ يفضي لهنَّ بحالي
أو ليت نهرك كان يدري علتي ... فلعلهُ يبدي لهنَّ خيالي
حار الشجيَّ فما يلاقي مُسعدًا ... فكأنه من غير ذي الأجيالِ
يتعجبون لسقمه فكأنهُ ... أثرٌ قديمٌ كان في الأطلالِ
يا دوحتي إن تأت هند فذي الصبا ... ريحي وخضرة ذي الربى آمالي
أنا كالسماء قناعةً ألا يكن ... بدرٌ رضيت من الدجى بهلالِ
تتقلب الأيام لا أشكو فإ ... ما بالنهار تجيء أو بليالي
ما في يديَّ ولا إليَّ ولا بيمنـ ... ـاي الهوى يجري ولا بشمالي
يا هند ما شاء الغرام فإنما ... لهوى القلوب طريقة الأطفال
ما يمنعوا طلبوه حتى بالدمو ... ع وكلهم عما لديه أسالي

وقال:

خطَّ هذا الحب مقبرة ... ليَ بين الهمّ والترحِ
كل يوم يدفنون بها ... مَيّتًا من جانب الفرحِ

(وقال في الحسن والردى):

شيئان قد خفيا على الألباب في ... كل الأنام وما عرفت لماذا
حسن الغواني والردى ومن العجا ... ئب أن ترى هذا يجرُّ لهذا

وقال :

تـعــرض الخـــدّ لـعــيـني ... لـيــذوب الـفـم حـبــا

ارحــمـي قـد كـاد قـلـبـي ... من فــمـي يخــرج غـضـبـا

وقال :

بـي غـادة لـم يـشـك هـزّتـهـا ... إلا أنـا والـقـلـب والـقـرطُ

سـخطت فـصـدَّت والتوت ونأت ... يـا رب أيّ فـعـالـهـا الـسـخطُ

(وقال في رواية له) :

لـو أن جـرح الـقـلـب يـغـسـلـهُ ... مـاء الـغـمـام العـذب والـبـحـر

ويـكـون مـرهـمـه نـسـيـم صـبـا ... من بـين مـا يـتـفـتـح الـزهر

ويـلـف في قـطـع يمـزقـهـا ... بـيـديـه من أنـواره الـفـجـر

لـرأيـت هـذا كـلـه عـبـثًـا ... وعـلـمـت أن دواءه الـصـبـر

(وقال فيها) :

هـاتوا الـعـناصر من نار مـؤججة ... ومن تـراب ومن مـاء ومن ريحِ [1]

هاتـوا السـمـاء ونجوما في جـوانـبها ... مثل الحرائق أو مثل المصابيح

هاتوا الـتـعـاسـة هـاتوا كـل فـاجـعـة ... هـاتوا المـمـات يـريـني نـزعـة الـروح

فـكل هـذا عـلى نـفـسي أخـف أذى ... من قلب عاشقة في الأرض مطروح

وقال :

الـزمــان مــعــتــرك ... لِـيَ أي مـعــتــرك

مــتَّ يــا هــوى صــغـري ... يــوم كـنـت كـالمـلـك

فــادفـنـيـه يـا كـبـدي ... فــي الـســرور والـضـحـك

---

(١) هذه هي العناصر الأربعة على ما كان معروفًا قديمًا أما اليوم فقد أبلغها العلماء باكتشافهم إلى ما فوق السبعين .

وقال :

بين الغرام وبين الحسن لي نظر　　طول الزمان رمى حديه بالصدإ
فاستنبئي الهجر عني والبكاء وما　　يعد حزنًا فكل الحزن من نبإي
سترحمين ولكن حين لا أملٌ　　أن يروي الماء من قد مات بالظمإ

وقال :

على شفتيك علقت الأماني　　إذا أنت ابتسمت تحيتينِ
وأجفى ما يكون الحب إن لم　　تحركه الشفاه بنسمتينِ
وأظلم ما يكون العمر إن لم　　يضئ فيه الشباب بوجنتينِ
فيا ثوب الصباح إذا تدلى　　وزر على السماء بنجمتينِ
أظنك بعض آمالي لديها　　وقد أسفت عليه بدمعتينِ
ويا عين الصبا في الروض ترنو　　وتنعس فيه بين الزهرتينِ
أظن الورد قبل وجنتيها　　فأثر في مكان القبلتينِ

وقال :

في حسناء تنكر أن لها عاشقين وفي صدرها وردة حمراء:

رأيت على صدر المليحة وردةً　　عليها لأنفاس القلوب حفيف
ومن تحتها في الصدر ما لست قادرًا　　على وصفه لكن أقول قطوفُ
فقلت لها لا تنكري بعد عاشقًا　　فإن شهود العاشقين وقوفُ
ألم تنظري أوراق وردك قد حكت　　جفونًا وكلٌّ أحمرٌ ونحيفُ

وقال :

على قلبي دللتهمُ　　فمن دلَّ على أجلي
ويا أملي بوصلهمُ　　سلام اللّه يا أملي
تحيلت لقربهمُ　　فقربت الردى حيلي

(وقال في النظرة الأولى) :

أقول لهـا كلي لحسنك عاشق ... فلِمْ ذا بدأت الحب بالعينِ والعَينِ

فقالت رموز العشق فيك كثيرة ... لذا أتهجاهنّ حرفين حرفيْنِ

(وقال في تشبيه الحسناء بالبدر) :

أخطأ من شبهها ضلَّةً ... بالبدر ليس الكل كالبعض

فتلك إن تسفر تصن حسنها الـ ... ـنفوس في منزلة العرض

والبدر لما لم يجد عاشقًا ... ألقى بذاك النور في الأرض

وقال :

يا ليل رد الطيف عن مضجعي ... أخاف أن يغرق في أدمعي

وفتش الفجر لعل الصبا ... قد سرقت سرّيَ من أضلعي

أنا لما بي يا نجوم السما ... فاحترمي الموت ولا تلمعي

لم يبق من قلبي سوى لوعة ... عرفت منها أن قلبي معي

وليس في نفسي سوى حسرةً ... قد خلفتها لذة المطمع

يا من عذلتم أهل هذا الجوى ... أغضبتم القلب على المسمع (١)

لو كان فيكم عاشق موجع ... رثيتم للعاشق الموجع

وكيف إن لم تجدوا لوعة ... تدرون ما بالواجد المولع

ما أنتمُ في العذل إلا كمن ... يشير للأنجم بالإصبع

قالوا الهوى يا ليت هذا الهوى ... شخص تراه العين في موضع

نشكو له أو نشتكي ظلمه ... أو نتجنى الظلم أو ندَّعي

وغادة فيها دلال الصبا ... إن قلت أني عاشق تفزع

وهبتها الروح فقالت إذنْ ... أضيعها قلت لها ضيعي

---

(١) ذلك لأن العذل يسقط من الأذن فيؤلم القلب .

وزاد هــذا الــدلُّ حــتــى غــدت | إن ذكــروا اسـمي عــنـدهـا تجــزع
قــال لــهــا الحب أكــلــتُ المنى | مـن قــلــبــه قــالــت ولا تــشــبــع
فــقــال إني قــد سلــبــتُ الـهـنـا | مـن عــيــشــه قــالــت ولا تــقــنــع
يـا حــيــرة الأنــفــس فــي حــبــهــا | لـم يــتــرك الحبُّ لــهــا مــا تــعـي

(وقال نسيم الحي) :

هــو الليل فــيــمــا كنــتُ أعــهــد إنما | تجــاذبــه شــوقــي إلــيــك فــمــدهُ
سئمت فــخلــت الصبح لا مبتــدا له | ومــن هــمَّ فــي أمــر تــخــوف ضــدهُ
فــيـــا مـن يمــل الـهــم بــادئ بـدئـه | تــذكـــر إذن أوســـاطــه ثــم حــدهُ
وقـالـوا نـسـيـمٌ قــلـت مـن حـيـه إذا | وجــدت عــلــى حــر الحـشـاشـة بـردهُ
فــلمـا شـمـمـت الورد من نفـخـاتـه | عــلــمــت يــقــيــنًـا أنــه مــس خــدَّهُ

(وقال الشمس والشمس) :

قــلت يــا شــمـس الضـحـى بي غـادةٌ | هــي أنــت غــيـــر أن لـم تَــبِــنِ
ولــعــيـنــهــا شــعـــاع كــلـمـــا | قـــابـلـتـه مــهـــجــتي يــلــذعـني
ولحُــبِّــيــهــا بــنــفــسـي لــوعــةٌ | حـــوّلــت كــل المــنــى لــلــشــجــن
فــســرور الــنـــاس إن قــدِر لــي | صـــار فــي قــلــبي أشــدَّ الحـــزنِ
بــكــت الــشــمـس لأجــلــي دمــعــةً | هـــي ذا الــبـــدرُ الــذي أرّقَــنــي (١)
ونــســيـم الــصــبــح قــد جــفــفــهـا | فــامَّــحــتْ من صــفَــحَــات الوسـن
ذاك يــا هــنــد وقــد أُنــســيــتـنـا | فـــكـــأن الحـــب تحــت الــكــفَــن
مـــرَّ مــا مـــر وكــم مـن قــائــل | لـــيــت مـــا كــان إذن لــم يــكــن

(١) تشبيه البدر بأنه دمعة الشمس آية في لطف الكناية .

وقال :

ارحمي

عـــاشـــقًـــا فـــي كـــمـــدِ مُـــســـتـــطـــار الـــكـــبـــدِ

وعـــــده كـــــل غـــــدِ مـــــنـــــك حـــــتـــــى الأبـــــدِ

وارحمي

قـــلـــبـــه أن يـــقـــفـــا حـــســـرةً أو أســـفـــا

لـــوعـــةً أو كـــلـــفـــا فـــالـــذي مـــرَّ كـــفـــي

وارحمي

أن يـــزيـــد الـــلـــعـــب والجـــفـــا والـــغـــضـــب

فـــهـــنـــاك الـــعـــطـــب وهـــواك الـــســـبـــب

وارحمي

مـــن جـــفـــاك المـــســـقـــم بـــعـــض روح فـــي دمـــي

ولـــســـانًـــا فـــي فـــمـــي طـــالمـــا قـــال ارحـــمـــي

وقال :

أيـبـقـي الـهـوى مـني عـلى أي حـالـةٍ سـوى مـا تـرى مـن هيكل مـتـهـدم

فـهـا أنا فـي أهل الـغـرام من الـضـنى كـآثـار عـض فـي يـد المـتـنـدم

خـفـيـت فـمـا يـجـلـو الـنـهـار بنوره ظـلال نحـولـي وهـي من صـدإ الـدم

ويا عـجبي لا الـشـمـس تسطع لي ولا سـواها ويجـلـو ظلـمـتـي ضوء مـبـسـم

وقال :

روض الـكـواكـب قـد جـفَّـتْ أزاهـره فـطـار مـن قـفـص الإصـبـاح طـائـرهُ

لـه جـنـاحـان إمـا يـرتمـي بـهـمـا فـأول الجـوّ فـي عـيـنـيـه آخـرهُ

قد عـشـشت لـلـوجود الـشـمـس بينهـما كـمـا تـعـشـش في قـلـب خـواطـرهُ

ضموا إلى الشمس قلبي إن باطنه نارٌ وإن يك مجَّ النور ظاهرهُ
قلب غدا عالمًا في الكون منفردًا وما معاني الهوى إلا عناصرهُ
تصرَّف الوجد فيه بين منبسط وقابض منه حتى قلت ساحرهُ
يا أيها الحب إن تسحق فؤاد شجٍ فامزجه بالدمع إذ تهمي محاجرهُ
واكتب به في تواريخ الزمان فتًى قضى بحب فلان وهو هاجرهُ
آه عليه وآهات إذا انصرفت ممالة اللحظ عن وجهي نواظرهُ
من لي به وأنا حيٌّ ومن لَيَ أن تكون من بعض أكفاني مآزرهُ
تشم روحي منها فوق عالمها ريح الزمان الذي كانت تجاورهُ
عسى يكون إلى جنبي قتيل هوى مثلي تهزُّ بقاياه مقابرهُ
وكل دهر يطيب المرءُ مبتهجًا به فأكثره طيبًا مآثرهُ

وقال :

كم قلت آه ولم يخلص بها نفسي كأن بعض زوايا الهم تخفيهِ
وكم بنفسي شوق حين يخطر في ثوب الرجا تعلق الأذيال بالتيهِ
وفي ضلوعي فؤادٌ حين تحمله كف المنى وترى ما فيه تلقيهِ
قلبٌ لقد عاش لولا ما يزهده منها وقد مات لولا ما يمنيهِ
يا قوم هل حيلة في هجر غاضبة حتى على نظر للصب يلهيهِ
وتكرهُ البدر لا غيظًا ولا حسدًا لكن لأنا رأينا حسنها فيهِ

(وقال أيضًا) :

أقول آه فترى أنني كالطفل مما ليس شيئًا بكاه
واللّه لو ينطق صخر لما خاطب هذا الحسن إلا « بآه »

وقال :

رب هل من ملك يوحى الرجاء فلقد ضقنا بشيطان الشقاء

كل شيء في العذاب هين … إن تلهّى القلب عنه بالعزاء
ضحكت لي الأرض عن بدر هوى … فاضحكي عن نجم سعد يا سماء
أنا أهوى ملكا من طهره … حل في القلب كما يجري الهواء
هي ضوئي فاعذلوا إن تجدوا … أعينًا تبصر من غير ضياء
يا نعيم النفس ما أبغي سوى … أن أضيء القلب من ذاك الرواء
إن آمالي وما يخرج من … فمك الطاهر في الحب سواء
انظري العين فقد باحت بها … وكلام القلب للقلب البكاء

وقال :

حبيبٌ إذا أبصرته اضطرب الهوى … به فكأني باللحاظ هززته
وساءله العذل عني وعن هوى … يقولون من تشويقه قد عرفته
فقال نعم قد شقته ليت أنه … أضاف (ولو عيني) وقال عشقته (١)

(وقال في رسالة) :

وما أنس يوم البين من هند أنَّةً … تطاير منها بانفجار الهوى قلبي
فلم تك منها « آه » غير شرارة … من الشوق مست فيَّ قنبلة الحب

(وقال في كتاب من حبيب) :

كتبت لي سلامها فكأني … نلت منها سلامةً من زماني
فوق رق كأنه صفحة المر … آة فيها أطلت العينان (٢)
قبّلته فخلته ورق الفل … عليه تحية البستانِ
وطوته فخلتهُ صفحة الخد … تلظت بقُبلة الولهانِ
بيراعٍ كأن « ريشته » إمّا … يشقُّ القلوب حد سنانِ

(١) الفرق بين لفظتي شقته وعشقته هي العين وقول الحبيب عن محبه (عشقته) لا يساويها شيء .
(٢) يريد سواد الحروف في بياض الورق كما يظهر سواد العينين في صفاء المرآة .

أخـــذوه مـن الـريـــاض وقـد شـــا | هـد فـيـهـا مـحـاسنَ الحـيـوانِ (١)
فـهـــو الـيـوم إن تـكـلـم عـنـهـا | سـفَّـه الـواصـفـين لـلـغـــزلانِ

وقال :

أيهــتـدي الـطـيـف إلى رقـادهـا | لـعـلـه يسـأل عـن مـيـعـــادهـا
أعـــد أيـامـي وأيـام الجــفـــا | نـقــصـانـهـا داع إلى ازديـادهـا
مـثـل الأفـاعـي انـكـمـشـت وإنما انـ | ـكـمـاشـهـا يـكـون لامـتـدادهـا
هـنَّ الـغـواني كـل صـب عـنـدهـا | كـالصـفـر لا « يُجـمع » فـي أعـدادهـا
واهًـا لأزهـار الـربـى فـي حـسـنـهـا | أن لا يـنـال الـنـحـل مـن شـهـادهـا (٢)
وبـي الـتـي يـأبـى لـهـا جـمـالـهـا | أن تـصـدأ الألحـاظ في أغـمـادهـا (٣)
تـرى حـيـاة الـعـاشـقـين تنطـفي | ولا تملُّ الـنـفـخ فـي رمـادهـا
يَسْتَنِدُ الـقـلـب إلى اقـترابـهـا | وقـربُـهـا يـعـثـر فـي بـعـادهـا
آه عـلـى أسـرار ذا الـغـيـب أمـا | أقـدر أن أنـظـر فـي فـؤادهـا
لا تـعـجـبـوا إن رقَّ فـيـهـا غـزلـي | كـرقـة الـنـفـخـة من أبـرادهـا
فـلـيـس إلا زفـــراتـي وأنـيـــ | ـني والـهـوى يـخـلـط فـي إنـشـادهـا

وقال :

في حسناء مخضبة الكف تحمل زهرة من البنفسج :

يـا غـادة ثـوبـهـا كـوجـنـتـهـا | وحـلْـيـهـا مـثـل أدمـعـي دُرَرُ
والحـسـن لا تـنـتـهـي مـنـاظـره | لـلـعـين إلا إذا انـتـهـى الـنـظـرُ
فـضـحـت بـالـزهـر حـب ذي شَغف | فـاحَ بـأسـرار قـلـبـه الـزهَـرُ
بـنـفـسـجٌ فـي يـد مـخـضَّـبـة | كـالخـدّ فـيـهِ مـن عـضَّـة أثـرُ

(١) الحيوان هنا اسمه جنس يشمل كل أفراده .
(٢) الشهاد والشهد واحد والمراد هنا مادتهُ التي تكون في الزهر وإطلاقه عليها من المجاز .
(٣) هذه كناية عن تقليب نظراتها كأنها تستعمل الألحاظ دائمًا .

ضاع شذاه بكل ناحية كأنه منك بيننا خبرُ
سليه عن عفتي وعن شغفي فإنه من مزيجها عطرُ
سليه عن رقتي وعن طربي فحسنهْ من روائها نَضرُ
سليه عن فتكة الغرام بنا فلونهُ من عذابها كَدرُ
تلهين بالعاشقين لاعبةً كأنهم في صحيفةٍ صُوَرُ

وقال :

غرست الهوى حتى إذا أثمر الهوى وحان جناهُ مرَّت الثمرات
وما طمعي أن يحلوَ الحب بعدما سقاهُ دم الأكباد والعبراتُ
فيا أسفا للروض لا أينع الجنى ولا نفخت أرواحه العَطَرَاتُ (١)
ويا لهفة الزرَّاع زاغت عيونهم ببرق وولَّت عنهم المطَرَاتُ
ويا حزني والدهرُ ما زال كالحا وللحظ في آفاقه عثراتُ
جزعنا وما مرَّت من الهجر ليلةٌ فكيف إذا مرَّت بنا العشراتُ
وفينا قلوب كالورى غير أنها لكثرة ما حملن منكسراتُ
وأعمارنا طولى ولكن طُرْقَها بما شوَّقتنا الحور مُخْتَصَرَاتُ
ونحن بمغناطيس ذا الحب كالذي تخدّره من غيره الخطراتُ (٢)
تراه إذا ما نام مُسْتَسْلِم القُوَى وتفعل ما شاءت به النظراتُ

---

(١) ألف يا أسفا هي ألف الندبة أو هي مقلوبة عن ياء المتكلم وأصلها يا أسفي . والأرواح جمع ريح وقولهم أرياح خطأ .

(٢) يشير إلى التنويم المغناطيسي وقد ثبت أن الفاعل فيه هو توجيه الفكر وتحديد النظر .

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

الباب الخامس

في الأغراض والمقاطيع

(قال في أغراض مختلفة):

كففت عن الدنيا يدي ولساني ... وهمي ولكن الجموح عناني
فما برحت خيل الليالي تردُّني ... إذا نشبت حرب الهوى لمكاني
عفا اللّه عن قلبي فلولا اضطرابه ... بهذا الهوى ما اهتز فيه لساني
وللقلب عهدٌ ينزل الجسم عنده ... على حكمه من عزةٍ وهوان
فما حدثتني النفس يوم عظيمة ... فشمرت إلا زلّت القدمان
إذا عشق الإنسان قص جناحه ... وهيهات للمقصوص بالطيرانِ
ومن ضيعة الإعمار أني أرى الهوى ... أمانيّ لا يتبعن غير أماني
ولو أن لي عمرين عشت متيمًا ... بعمر وكافحت الزمان بثاني
ولكنما الدنيا رياض وأهلها ... ثمارٌ على أغصانها لأوان
وفي كل يوم رجفة من فجيعة ... وهل بقيت دارٌ على الرجفان
فإن لمتموني بالزمان وأمره ... معي فأروني أين شخص زماني
ولو أن هذا الدهر للعز لم نكن ... نسلّم للدنيا بغير ضمانِ
تقطع قلبي كل قسم لحادث ... كأحرف رمز قطعت لمعاني (١)

---

(١) أحرف الرمز هي الأحرف التي يتواطأ عليها بين اثنين أو جماعة اصطلاحًا على تعبير مخصوص يتفاهمون به فيما بينهم ويعرف هذا النوع عند الإفرنج (بالكرِبْتوغرافيه) وهو قديم في التاريخ أكثر ما كان يستعمل في الحروب ولم يكن إلا كتابة ثم اصطلحوا في القرن الخامس عشر وما يليه على استعمال الأرقام وجرى ذلك إلى اليوم وأكثر من يحتاج إليه رجال السياسة . =

وذلك تاريخ الحياة شرحته   بشعري ومن قلبي يفيض بياني
إذا قلَّبته النفس يومًا فخشخشتْ   صحائفه سمُّوه بالخفقان
سيأخذه مني الملائك بعدما   يصان بجلدين هما الكفنان
فيا ليت يمحى منه « باب فلانة »   وإن لم يكن سوءًا « وباب فلان »
ولكن هذا الحب نار تسعَّرت   وأيَّتُما نار بغير دخان
وإن عبت قلبي بالهوى وهو طبعه   فعب قرص هذي الشمس باللَّمَعَان

(وقال في صاحب لا يكتم) :

ولي صاحب أودعت سري حلمه   ولم أدر أن الحد فيه جريحُ
متى مسه مني على غير ريبة   أذى خطأ أمسى بذاك يبوحُ
أراه « فُنُغْرافًا » فمن مس إبرة   وإن صغرت في جانبيه يصيحُ

وقال :

فى رجل متقلب يكون مع كل إنسان بوجه:

وجوهك شتَّى واحد ذو بلاهة   وآخر من هذي البلاهة بارد
ووجه أرى فيه النفاق ملوَّنًا   وآخر إن يبصر ذوي الفضل حاسد
ووجه من الكيد المخبأ بارق   ووجه من اللؤْم المشهَّر راعد
فيا عجبًا تمشي بستة أوجه   مع الدهر بين الناس اسمك واحد (١)

= ولهذه الكتابة طرق مختلفة وهي تكون بالكتب والتلغراف والعلامات كالمصابيح في البحر ونحوها ولم يكن هذا الفن ذا قواعد عند العرب كما هو اليوم عند الإفرنج حتى وضعوا له المعجمات الخاصة ومما ورد من ذلك أن ملكًا أرسل رجلاً يتجسس أحوال عدوه فوقع أسيرًا بينهم ثم أمر أن يكتب إلى ملكه أن العدو ضعيف وأنهم قليلون فكتب في ذلك كتابًا جاء في آخره :

« قد رأيت من أحوال القوم ما يطيب به قلب الملك نصحت فدع ريبك ودع مهلك » ففطن الملك إلى أن المراد بالقلب العكس وإن مقلوب الجملة الأخيرة نصحت إلخ هكذا « كلهم عدو كبير عد فتحصن » ومثل هذا عنهم قليل .

(١) إنما جعل الأوجه ستة لتطابق الجهات الست المعروفة وهي الأمام والخلف واليمين =

(وقال وهي متنوعة الأغراض):

زمـان عـلى حـاليـه غـيـر مـذمم ... وأحلـى الهـوى في المغـضب المتبـسم
تـقلّبنـا طـوعًـا وكـرهًـا صـروفـه ... ومـن لـم تـقـلـبه الحــوادث يسـأم
فـمـن فـرح كـالـوعـد في فـم غـادة ... إلـى ترح كـالخلف في قلب مـغـرم
وثـغـر الهـوى إن دام يـبـسم لـلفتـى ... سلا ومـتى يضـحـك شبـابك تهـرم
ولي صبـوة لم يعـصر الـهجـر مـاءهـا ... ولا كــدرت يـوم الـلـقــاء بمـأثـم
صـقلـت بهـا قلبي فـكم مـر حـادث ... يـفـل المــواضي وهـو لـم يـتـثـلـم
ورقت بـهـا نفسي عـلى كل فـاجـع ... ومـهـمـا جـهـدت المـاء لا يـتـضـرم
وأعــرضتُ عـن خـل رأيـت لـسانـه ... من الـلـؤم مـثل الظـفر غـيـر مُقَـلم (١)
إذا لـم يـكـن حــراً فـلست بنـادم ... وإن كــان حــراً عـالـي النفس يـندم
وبـي غـادة إن تـبـتـسـم خلـت أنـهـا ... عـلـى حـسنـهـا مـخلـوقـة من تـبـسم
تـكـلـفـنـي صـبـراً ومـا الـصـبـر هـين ... وهـل نـال نجـمًـا من رأى ضـوء أنجم
عـلـى زفـرة لـو أنـشـقـوهـا لـنـائـم ... رأى أنـه فـي مـارج من جـهـنـم (٢)
يـقـولون أخــرج من فـؤادك حـبـهـا ... وكـيـف أنـقي الحـب يـا قـوم مـن دمي
ومـا نزل الحـسـن الـسـوي بـسـلـم ... إلى الـقـلب حـتى تـرفـعـوه بسـلم (٣)

= والشمال وفوق وتحت .

(١) هذه الكلمـة جامعة لكل صـفات اللسان البـذيء لأن الظفر إذا لم يقلّم كـان طويلاً قذراً حاداً وهي أشهر تلك الصفات .

(٢) رأى من الرؤيا وهي الحلم . ومـن الغريب في أمر هذه الأحلام أنك لـو أدنيت من جفن النائم مصباحًا لرأى أنه ينظر في نومه إلى حريق مضطرم ولو أدنيت شيئًا حـاراً من قدمه لحلم أنه يطـأ على النار ولو نضـحته بدفعـة من ماء بارد لخيـل له المطر والبرق ومـاأشبه ذلك .

(٣) الحسن السويُّ التام .

خذوا خطرات الفكر عني لعلني	أغالط نفسي بعدها بالتوهم
وإلا فما أذهبتم الشوق إن أنا	أقرّ به قلبي وأنكره فمي
بربك يا هند اجمعي بين مهجتي	وبين شهود من جفونك واحكمي

في المديح والتقريظ[1]

وقال :

وكتب بها إلى أستاذ الأدب ، وفخر البيان في لغة العرب ، الشيخ إبراهيم اليازجي الشهير :

نظرت إليَّ فقلتُ يا قلب اتّق ... وتقول بالألحاظ للقلب اعشقِ
وأصده عنها فتجذبه وإن ... قلت استكن تنظر إليهِ فيخفقِ
يا قلب ما في الحب إلا ذلة ... إن مس خاطرها عزيزاً يطرقِ
وصبابة إن مسَّ جفني نائم ... ريحٌ تمرُّ بها عليه يأرقِ
هل للغواني موعد يعرفنهُ ... إلا مقالة سوف يومًا نلتقي
ومتى ودهري أحمق يأتي لنا ... من صُلبهِ إلا بيوم أحمقِ
وإذا تعاقل دهر حرّ مرة ... فهو الغراب متى تفاصح ينعقِ
لو أنه أعطى الرجال بحقهم ... لأحلَّ إبراهيم عين المشرقِ
خرس الزمان لنطقه وأرى له ... قلما متى أوحي لأخرس ينطقِ
يهتزُّ في تلك الأنامل هيبةً ... كالبحر يلعب موجهُ بالزورقِ
قلمٌ إذا الأَقلام صحن ترى له ... صوت البنادق بين صوت البندقِ
وتراهُ إن وشّى السطور أتى بها ... مثل الشباب على بياض المفرقِ
أحيى لنا اللغة التي قد شوّهوا ... من خلقها فكأنها لم تُخلقِ
وأباحَ من ثمراتها ولقد أرى ... غُصنًا بكف سواهُ لما يُورقِ
مولاي هذي بنت ساعتيها وخيـ ... ـرٌ من كتاب لفظةٌ لم تُطرقِ

---

(١) هذه القصائد والمقاطيع كان لها باب مخصوص في الجزأين الأول والثاني ولكننا أثبتناها هنا لقلتها وهي مرتبة على تواريخ نظمها .

إن قصرت عما أريد فإنما كلماتها أنفاس وقتي الضيّقِ
وحديث يوم من لسان منافق أدنى وأقصر من تحية شيقِ

وقال :

وبعث بها إلى نادرة الفلك العلامة سليمان أفندي البستاني معرب الإلياذة الشهير :

سرُّهُ فيها قد أنهتكا فإذا مرَّ النسيم شكا
ناحلٌ لولا تنهدهُ وفؤادٌ فوقه يدهُ
ودموع منه تسعدهُ ظنهُ العذال قد هلكا
وهو إن لاح الصباح لهُ ورأى شمس الصباح بكى
ظلمته وهو ما ظلما حملته وهو ما سئما
حبَّها والبعد والسقما تركته وهو ما تركا
وطرق الحب واسعة ربما ضلت بمن سلكا
أنا من نفسي ومن زمني والهوى والهجر والمحن
مع هذا الهم والوهن أعزلٌ قد خاض معتركا
يا سليمانًا وأنت لها ذي يدي فامدد لها يدكا
أنا در ما له صدفُ أنا سهم ما له هَدَفُ
أنا قلب مضه أسف أنا جوٌّ نير حلكا
وأرى نجمي على قلق فكأنْ قد هاجر الفلكا
أيها الشرق المنير أما قطرت فيك القلوب دما
ثم اجروا في الدم القلما فغدا فخر العلوم لكا
ليت شعري كيف صرت وما نطق طير كيف قيل حكى
عصبة الشرق إذا فقدوا « فسليمان » له سندُ

هـو فـرد تحتـه عـددُ ... وهـو رأس المـال لـلشـركـا

وكـنـوز الـبـحـر جـوهـره ... وإن الـبـحـر امـتـلا سـمـكـا

هـو فـي الأقـلام قـائـدهـا ... هـو فـي الأعـلام واحـدهـا

هـو فـي الأخـلاق بـين بـني ... آدم قـد مـثـل المـلـكـا

وقال:

وبعث بها إلى العلامتين الفاضلين منشئي مجلة (المقتطف) تقريظًا لدخولها في السنة الحادية والثلاثين:

وصلتما نسب الشرق الذي قطعت ... كف الليالي بأهليه الأُلى سلفوا

وردّتما وجنتيه بالشباب وقد ... غشاهما من صدا أيامه كلَفُ

كم بات ينظر مرآة الزمان فلا ... يرى بها غير آثار لما وصفوا

وما الذي جاءه من كل قاصية ... وظل يبحث في الآثار « مكتشف »

وإنما عدم الشرق الرجاء بنا ... فبات ينقب في « أحشائه » الأسف

تخاذل القوم حتى لو تُسائل عن ... معنى الوفاق لضلُّوا فيه واختلفوا

وأنتما في جواب الخاذلين لهم ... بعقدة الرأي تلك اللام والألف (١)

العلم في طرف من غرب روضكما ... وللسياسة من شرقيّه طرف

وبين هذين روض مثمر فكهٌ ... داني الجنى ولهذا قيل « مقتطفُ »

لو أن للعلم شخصًا كنتما ملَكيْ ... أعماله ودليلي هذه الصحف

(١) اللام والألف لا ينفكان ويضرب بهما المثل في التلازم والاتحاد وهذان الفاضلان مثل حيّ في ذلك .

وقال:

يقرظ خطابًا في التربية ألقته السيدة الأديبة جوليا إبراهيم حنا وأجادت في إلقائه والإيماء به ما شاءت الإجادة:

نطقت فالبيان يقرع أذنًا ... والمعاني إلى القلوب خفافُ
بكلام كأنه صَدَقَاتٌ ... فلهذي النفوس منه اختطافُ
عنده الناس في المديح سواءٌ ... ولهم في سواه بعدُ اختلافُ
أنت « يا جوليا » إذا قلت قولاً ... لم يكن للنفوس عنه انصرافُ
فهو الطهر والفضيلة والعز ... ة والمجد والتقى والعفافُ

وقال:

يهنئ صديقه الطبيب الرمدي الشهير إسكندر بك جريديني بزفافه وبعث بها إليه لاقتصار الحفلة على ذويه مراعاةً للحداد:

يا عروس الطهر فوق السحب
ظاهراً منها وشاحُ الذهب (١)
في التماع النّيرات الشهُبِ
في ائتلاف الخمر أُم الطرب
في ازدهاء القطر فوق العشبِ
ارقبي الشمس لدى مشرقها
وانزعي الإكليل عن مفرقها
وخذي الصافيَ من رونَقِها

(١) الوشاح ما تتقلده المرأة متشحة بهِ فتطرحهُ على عاتقها فيستبطن الصدر والبطن وينصبّ جانبه الآخر على الظهر حتى ينتهي إلى العجز ويلتقي طرفاه على الكشح الأيسر فهو من المرأة في موضع حمائل السيف من الرجل. والمراد بوشاح الذهب ما يتموج من تفاويف السحاب.

قبل أن تستر من رونقها
برداء الأرجوان القشبِ
واجمعي من كل روض نَفَسا
واخلعي عن كل زهر ملْبسا
واجعلي ديباجه والأطلسا
وحريرَ الياسمين الأملسا
حالةً تكسو عروس العجبِ
ثم جيئي الطير في تلحينها
وخذي الأنغام من تلقينها
واسمعي الغدران في أنينها
واسألي الألحاظ عن رنينها
في فؤاد المستهام الوصِبِ
فإذا أتممت هذا أجمعا
فاصحبي العفة ثم أسرعا
وأتيا في الأرض بدراً طلعا
ثم قوما في زفافه معا
بين هاتيك الحسان العُرُبِ
فضعي الإكليل في حليته
وانشري الأنفاس في حُلَّته
واجعلي الألحان في نغمته
واخلفي الشاعر في كلمته (١)
إنها قبلة خد الأدب

(١) الكلمة هي القصيدة والشاعر لم يكن موجوداً هناك بل بعث بقصيدته .

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

بارك اللّٰه بتــحــقيق المــنى
للعروســين وزاد في الــهــنا
وأدام الحــب موفور الجنى
لنــــرى الحسنـــاء أمّ الأُمَنَا
ويكون « إسكندرٌ » خير أبِ

(أبيات عينية) :

وبعث إليه صديقه المذكور بالأبيات الآتية

أيـهـــا « الـصـــادق » فـي وداده — والـفـــتـى البـــارع وابن البـــارع
طـمـعـت فـي ودكم نـفـسي ومـا — أنـا بـعـد « المصطفى » بـالـطـامع
وإذا الأوغـــاد رامـــوا الحـط مـن — رفـعـتـي لا شك أنـت « الـرافـعـي »

(فكتب إليه) :

كـلـمـــات تـلـك أم ذي أعـينٌ — جـعـلت قـلـبي لـهـا كـالخـاضـع
أشــرفـت مــثـل فــتـــاة لـفــتـى — تـلك فـي الـقـصـر وذا فـي الـشـارع
وهْـي لـلـود الأقــانـيـم الـتـي — مـا لـهـا فـي عـدهـا من رابـع (١)
يـا طـبـيـب لـبـعـين هذي « قـطـرة » — من دوا جـفـن الـقـريـض الـدامـع
فـاقبل الـتـقـصـير من عـيـني فـتـى — غـضـهـا فـي ذا الـضـيـاء الـسـاطـع

وقال :

مقرظًا رواية الشعب والقيصر التي عربها صديقه الأديب جورج طنوس :

« طـنـوس » قـد أرسـلـتـهـا نـفـثـة — تـهـزأ بـالـســحـــر ومـن يـســجـــرُ
وقــطــرة مــن قـلــم مُــبــرق — عـــمـــامـــه فـــي أرضـنـــا ممـطــرُ
بـدت لـــنـــا مـــن أفـق نــيّــر — وأنـــت هــذا الأُفـــق الــنــيّـــرُ
بـين الــروايــات لــهـــا دولــة — كـأنهنَّ « الـشـعـب والـقـيـصـرُ »

(١) الأقانيم هي الأب والابن والروح والمراد الإشارة إلى عدد الأبيات .

وقال :

وبعث بها إلى ابن عمه الشاعر الناثر عز تلو عمر بك تقي الدين الرافعي:

لو كنت تعلم ما يكون نصيبه ... لم يستملك عذوله ورقيبهُ
ردَّ السلام عليه أيةُ ريبة ... فيمن يُسلّم مرَّة وتجيبه
وكفى تعانده الطبيعة كلها ... حتى لأوشكت الحياة تذببهُ
فالنجم مكتئبٌ عليه سهاده ... والأُفق مغبرٌّ عليه شحوبهُ
والغصن ميَّاس القوام يُغيره ... والأيك صدَّاح الهزار يريبهُ
والروض ممتزج به نفَس الحبيـ ... ـب ولا يكون إلى المحب هبوبهُ
لاموه فيما ضرَّه ما ضرَّه ... إلا ملامُهم وتلك ذنوبهُ
يا قوم إن جرح الطبيب مريضَه ... فكفى عزاءً أن ذاك طبيبهُ
ما قال آه لا يقول صيانة ... لحبيبه كي لا يقال حبيبهُ
وفضيحة المشتاق أهون عنده ... مما تُكنُّ من الغرام جنوبهُ
كالنار ذاع دخانها ملء الفضا ... والجمر مقتصرٌ عليه لهيبهُ
ما عُدَّ في الشعراء من لا يحتذي ... شعري إلى «عمر التقي» نسيبهُ
أتمثل الآداب فيه فينبري ... لعجيبهنَّ من البيان عجيبهُ
خُلُقٌ تولى اللَّه جمع شتاته ... فالفضل أجزاءٌ وذا تركيبهُ
وإليك يا عمرُ تحيةَ وامق ... أهداكها بيد الزمان أديبهُ

وقال :

في صوت وتمثيل صديقه بلبل العصر الغرّيد والممثل الشرقي الفريد الشيخ سلامة أفندي حجازي الشهير:

صوت حواه وأبقى منه باقيةً ... لغيره فحواها البلبلُ الغردُ
تغايرت فيه أنواع الغناء فمن ... تلقيبه بالحجازي يشتكي الرصدُ
إن قال آه لحزن خلته مَلَكًا ... يقول اللَّه والإنشاد يطَّردُ

وكم لـه أنَّة في موقف غـزل يكاد يخلق منها للهوى كبدُ
وكم يشير إلى حسن فتحسب أنْ قد هزت القلب في مهد الضلوع يد
وكم لـه نظرات هنَّ من طرب بين النفوس وأسباب الهوى عُقَدُ
إذا تلاهى حسبت اللهو شيمته حتى يثور فتدري أنه الأسدُ
مثل النسيم فبينا تلتقيه صبا في رقة الصبح إذ تلقاه يتَّقدُ
يا واحد الشرق في التمثيل دمت له حتى يرى الغرب أن الشرق منفرد
زفته لكمال ليس ينقصه إلا قرائح من كتابنا تَلدُ
يعرّبون وهم يا خجلتا عربٌ كأننا ما لنا عصر ولا بلدُ
يا قوم ذا جسد الشرق انطوى فمتى نفختم روحكم ينهضْ بها الجسدُ

وقال :

وقد بعث بهما إلى الأستاذ الحكيم المرحوم الشيخ محمد عبده:

لك اليدُ يخشى الظالمون يراعها وإن مُدَّت الأيدي فما فوقها يدُ
وأفحمت أهل الشرك حتى كأنما مدادك مما يجلبَ الخزيَ أسودُ

(بورآرثر[١]) :

قال قبل سقوط هذه المدينة الحصينة في الحرب الروسية اليابانية وكان الروس محصورين فيها:

حصن إذا ذكروه مثلو الأملا كأنما الدهر في تشييده عملا
الإنس داخله والجن خارجه والموت بينهما ما انفك ممتثلا
بنوه مثل بروج النحس واعتصموا به وما علموا أن أغضبوا زُحلا
يا صاحب (الروس) ما أغنى الجنود إذا تعلموا الحرب أن يغدوا لها مثلا

(١) كان فتح هذا الحصن عجيبة من عجائب الحروب وقد سقط بعد نشر هذه القصيدة بأيام قلائل وذلك بعد أهوال مسطرة في التاريخ .

رميت بالجيش صخراً ليس ذا وهَن ... ولو رميت به (الصيني) لما احتملا
وظل أسطولك الميمون ممتنعًا ... كالنجم لا عيب إلا أنه أفلا
أما الحصون فقد مالت إلى عزل ... فكلما لزم الباب امرؤ دخلا
(وبورت آرثر) قد كانت محجَّبة ... تبغي لها بطلاً لا يشبه البطلا
فما لها كشفت عن صدرها فغدت ... أشواق عاشقها تأتي لها شعلا (1)
وأول الوصل أن يبقى الحبيب على ... شرط الآباء ولكن يمنح القُبَلا
كأنما أرضها من طول نَفْرتها ... قد استحت فغدت محمرة خجلا
وقلبها صخرة لو أن نسمتها ... مرت على قلب صب عاشق لسلا
وما إليها ولا منها سوى رسل ... من النفوس وكل أكثروا الرسلا
ماذا استطاع امرؤ يلقي معاديه ... بحيلة فيرى من مثلها حيلا
وما التمنع في حصن أحاط به ... قوم أظافرهم قد تحفر الجبلا
في الجو والبحر قد طاروا بأجنحة ... وبالسفائن ماشيهم قد انتعلا
فهم سيوف وهم نار وهم أسلٌ ... تلقى السيوف وتلقى النار والأسلا
وإن يعد الرجال الصيد بينهم ... يعد ناشئهم في غيرهم رجلا
قوم طِباق الثرى إن مرة فزعوا ... ردوا الزمان لما شاؤوا وإن غفلا
لا تزدهيهم حياة يحفلون بها ... ذل امرؤ بحياة النفس قد حفلا
وكيف يفلح من يمضي إلى أجل ... يوم الوغى بفؤاد يحذر الأجلا
يا منهضي الشرق نصر اللّه يتبعكم ... وإن كفرتم فما بالكفر من خذلا
سرُّ الأنام عقول في رءوسهمُ ... واللّه أكرم من أن يخذل العقلا
إن الصبي ولا إيمان أطهر من ... ما بين جنبيه من ذا عده بطلا

(1) إشارة إلى أخذ اليابانيين الحصن المعروف بنمرة ٢٠٣ وهو مفتاح المدينة فلم يشرفوا عليها إلا منهُ .

ومـا لـذلـكـم الأسـطـول مـضـطـربًـا يـطـوف بـالأرض حـتـى أفـزع الـدولا
أظـنـه شـــاعــرًا مـــا إن يـلـذ لــه من (بـورت آرثر) إلا أن يـرى طلـلا
مـشى عـلى الماء رطبًـا من (نـضـارته) فـكـلـمـا هـب ريـح نـحـوه سـعـلا [1]
وكـلـمـا ذكـروا (تـوجـو) اسـتـخـف به وسوف يـعـلـم من (تـوجـو) بما جـهـلا [2]
مـثـل الـغـراب تـولـى عـنـد مـغـربـهـا يـبـغـي إلى عـشـه فـي طـيـره الـسـبـلا
وكـان فـي الأفـق نجـم حـين قـابـلـه جـنـاحـه بـخـوافـيـه اخـتـفـى وعـلا
فـقـال أسـودهـا مـا بـال أبـيـضـهـا وقـد نـفـخـت بـعـيـدًا عـنـه قـد ذبـلا
فـلـيـحـمـد الـلَّـه أني لـو قـذفـت لـه ملء الجـنـاحـين ريحًـا لانـطـفـا عـجـلا
يـا قـائـد الـدولـة الجـاري بـطـائـرهـا نـصـيـحـة لـك أمـهـل سـفـنـهـا مـهـلا
مـن جـرب الـبـحـر فـلـيـهـنأ بـسـاحـلـه ومـن يخـف لجـه فـلـيـحـمـد الـبـلـلا

(ابن القيصر[3]) :

يـا نـفـوس الـوغـى لـقـيـصـر قـولـي إن نجـم الـسـعـود داني الأُفـولِ
قــد أتـيـنـا مـن الـسـمــاء وكـنـا فـي غـمـار الجـيـوش قـبـل قـلـيـلِ
أبـلـت الحـرب كـل جـسـم عـلـيـنـا فــرمـيـنـا بـهِ إلـى عـزريـلِ
أيـهـا الـقـيـصـر الـعـظـيـم أنـاةً إن عـمـر الـزمـان غـيـرُ طـويـلِ
تـأمـر الـدهـر أن يُـذل أُنـاسًـا أتـراه لـديـك مـثـل الـدلـيـلِ
وتـريـد الـقـضـا إلـيـهـم رسـولاً أعـلـيـه أجـريـت رزق الـرسـولِ

(١) يشير إلى حادثة مراكب الصيادين التي ضربها الأسطول ظنًّا أنها من أسطول الأعداء .
(٢) توجو هو قائد الأسطول الياباني الذي أدهش العالم بمهارته .
(٣) نشرت إحدى المجلات الإنكليزية مقالة ذكرت فيها أنهُ لما كان أميرال أسطول البلطيق يعرض على مولاه القيصر حالة الأسطول قبل القيام لنجدة بورارثر ويفصل له جميع قواه من النسافات والطرادات والمدرعات وغيرها قطع القيصر عليهِ كلامه قائلاً أتدري أن وزنه اليوم ١٤ رطلاً فدهش الأميرال وقال أي وزن يا مولاي قال وزنَ وليّ العهد . فكان الأميرال في البحر والقيصر في البرّ .

أنت تقضي بالنصر حكمًا ولكـ ـن ورا الغيب مجلس التبديلِ

قال تاج الملوك أيتها الرو ح امثلي يُراع بالتهويلِ

أنت شر الأرواح أقبلتِ من شر مكان وبين شر قبيلِ

أنا إن شئت فالقضاء كلامي وعناد القضا من المستحيلِ

كيف أخشى النحوس تظلم وابني نجمُ سعدي وغرةُ المأمولِ

أو أهاب الزمان يدبر وابني بهناء الزمان خير كفيلِ

أَو أظن الخطوب تشكل وابني نوره في الخطوب خير دليلِ

أَو أخاف الرياض تَذبل وابني زهَرٌ ناضر من التقبيلِ

وجهة الدهر والحياة وذا المـ ـلك وكل مُشَبَّهٌ بجميلِ

إنما النصر ثغره وابتسامٌ منه خير من صارم مسلول

ولكم في البحار أُسطول حرب وعلى أذرعي أرى « أسطولي »

غضبت عندها النفوس وقالت نحن في الزمر والهوى في الطبولِ

قد فتحتَ السبيل للموت فينا بين أقدامهم وتحت الخيولِ

إنما الجند أنفسٌ وجسومٌ وهي الحرب « معمل التحليلِ »

ما غناء الدنى وأصغر طفل غالبٌ حبه كبارَ العقولِ

وقال :

بعد عقد الصلح بين الدولتين وقد كسفت الشمس يومئذ إلى القيصر :

فتحت لألحاظ السيوف جفونها وكان لها بين النفوس دبيبُ

وأسكنت ريح الموت في فلواتها وكانت كدهري ركدةٌ فهبوب

وأقررت في الأرض السلام لأهلها وكان كحظي جيئة فذهوبُ

وأطلقت من بعد الدما الماء سلسلاً على تَلَعَات الرزق فهو خصيبُ

وأمسكت كف اليُتْم عن كل أسرة فعاد لأهليه أبٌ وقريبُ

وغى وسلامٌ للمطامع والهوى ... وإن قيل أوثان وقيل صليبُ
بخستم بلاد الشمس في النصر حقها ... كأن لم يكن يومٌ هناك عصيبُ (١)
كأن الدماء الحمر ماء على الثرى ... وتلك الشعوب الصفر فيه حبوبُ
فقد غضبت شمس السماء لقومها ... وكادت عن الدنيا لذاك تغيبُ (٢)

وقال :

في تقلب الدهور على مصر :

يا مصر من لك في الزمان ومن ترى ... للمقعدين إذن من المتوثب
ضحكوا إليك وصافحوك خديعةً ... فذهلت عن ناب هناك ومخلب
قوم هم « غزل السياسة » إن رنوا ... ذهبوا بقلب الأرض كل المذهب
غضبوا لأن الشمس تغرب وحدها ... لم لا تسير بشرقها للمغرب
غرتك من ضوء التمدن لمعةٌ ... إنَّ النحوس لتستظلُّ بكوكب
فطلبت أيسر مطلب ومن النهى ... أن يمنحوه جزاء أصعب مطلب
أجرمت أو لم تجرمي من بعدها ... فالذنب معروف وإن لم تذنبي
إن الحوادث مرُّها وكرورها ... ضربت عليك مذلةً أن تغضبي
قولوا إذا الأفعى تفصَّل ظهرها ... ما شئت إن تتقلبي فتقلبي

(١) تلقب اليابان بالشمس المشرقة والصين بالمملكة السموية وكوريا بمملكة الصباح وكلها في الشرق الأقصى ومثل هذه الألقاب الشعرية مستفضية هناك .

(٢) عقد الصلح في يوم ٢٩ أغسطس سنة ٩٠٥ وكانت الشروط مجحفة باليابانيين وكسفت الشمس يومئذ ومن الغريب أن حادثة مثل هذه الحادثة وقعت منذ ٢٤٩٠ سنة وذلك على ما روى هيرودتس المؤرخ أنهُ في سنة ٥٨٥ قبل الميلاد كانت الحرب دائرة بين الماديين والفرس وبينما هم في القتال إذ أظلمت الشمس بغتةً فذعر الجيشان وحسبوا أن آلهتهم غضبت عليهم لهذه الحرب فآذنتهم بانقضاء العالم إن هم لم يكفوا وما لبثوا بعد ذلك أن اصطلحوا .

وقال :

بعد حادثة دنشواي وقصاص المتهمين :

نظرتم إلى العدل في أمرهم ... وأغفلتم رحمة العادل
نعم قد غسلتم دما بدم ... ولكن صبغتم يد الغاسل [1]

(وقال في غرض) :

لكل ذي همة حالٌ يغالبها ... وربما عركته سورةُ الحالِ
ولي همامة نفس صاح صائحها ... فأنذر الدهر منها يوم أهوالِ
أقحتمها سرة العلياء وانحرفت ... عن الأكافيف إشفاقا على التالي [2]
وعزمة هي ضرس الدهر إن أخذت ... طريقها لعدو أو لمختالِ
أظمأت منها الليالي فهي ما برحت ... تخال كل صباح نَبع سلسالِ
وفكرت كمدار النجم جارية ... بالسعد في أمة من غُرّ أقوالي
ترمي بمنفتق الجوّ الأشعة من ... قلبي فيحسبها الراؤون آمالي
ورب ذي كلمات بات يبغضني ... لما تقدمته في السلَّم العالي
وما الفقير الذي تلقاه منزويًا ... عن العيون بأطمار وأسمال [3]
مرمقَّ العيش لا مال يميل به ... إلى الحظوظ ولا حظ إلى المال [4]
وإنما هو ذو الآمال عطله ... زمانه ويراها حلية الحالي
والشعر منه جديدٌ كالقصور وما ... قديمه فاعذروه غير أطلال

(وقال أيضًا) :

أنا للهوى والحسن مذْ صرت شاعرًا ... أنفت لأن أدعى من الشعراء

---

(١) لفظة الصبغ هنا مضمنة معنى التدنيس وما شابهه .
(٢) سرة العلياء وسطها والأكافيف حيود وطرق تكون في الجبل .
(٣) الأطمار والأسمال الخرق البالية .
(٤) مرمَّق العيش لا يكاد يجد ما يسد الرمق .

فهم خلطوا أنفاسهم في هوائهم ... وما غير أنفاس الحسان هوائي
أسيّر من قلب لقلب خواطري ... وهم بين مدح في الورى وهجاء
فيا ليلة ألقت عليّ نجومها ... ظلامًا وفي أطرافهنّ ضيائي
رماني في ظل الفناء سكونُها ... وأعطيتها من ذاك طول بقائي
سكنت لإطراقي وفكري وحيرتي ... فلا أنا في أرض ولا بسماءِ
كأنيَ سر للقضا أو كأنني ... أفكر في معنى لسر قضاءِ
وبتُّ يقول النجم عنيَ سائلاً ... إذا أثرٌ باق من القدماءِ
مكانَكِ إلا أن تحركني الصبا ... لشعر فهاتي عند ذاك لوائي

وقال :

نصبت للحظ في الشرق الصراط لكي ... يمضي إلى جنة في العيش أو نار
فلم يكد يتخطى فوقه قدَمًا ... حتى تعثر في فضلي وأشعاري

وقال :

يخاطب بعض الكتاب :

أساءك الدهر ولا ... أقبح من سيئته
حظك في اليراع كالـ ... ـمجرم في مشنقته

(وقال في نحو ذلك) :

ما في اليراع لأهل الشعر فائدة ... إلا كما رفعت كفٌّ لتسليم
هم الملوك ولكن في السما ولمن ... يبغي هنالك منهم ألف إقليم
يشبهون (من الإفلاس) أنجمها ... دراهمًا فهي فيهم أجر تعليم
وهان ملكهم فالناس لو قبلوا ... باعوا النجوم لهم ألفًا « بمليم »

وقال :

قل للعداة وفي بصائرهم عمى ... هل تبصرون وحكمتي مصباحُ

صيحوا فإن الجو متسعٌ وكم ... من قبلكم فيه الورى قد صاحوا
عدُّوا عن الأقلام كم فيكم فتى ... يهذي ويحسب أنه إفصاحُ
ما كاد يحسن أن يقلم ظفره ... حتى توهم أنه « جرَّاح » (١)

وقال:

حُسدْتُ ولكني علوت ونكّسوا ... فلم يرِ غير الظل من هو حاسدُ
كنجم السما نوراً وعزّاً ومتعةً ... وفي الأرض قد قامت عليه المراصدُ

(وقال براغيث الأعراض):

أرى قوماً لئاماً لم يرعهم ... وقار المجد في القوم الكرام
سفاهتهم ترجح في اعتقادي ... بأن الخرس أولى بالكلام
وهم حشرات أهل الأرض جاءت ... لإتمام التناسب والنظام
فلست أراهم في الأرض إلا ... براغيثاً لأعراض الأنام

وقال:

وفيه نوع جديد من البديع سماه ضرب المثل من المثل:

مرَّ في أرض لؤمه وهي شوك ... وجنى منه كل ذم ومَيْنِ
يبتغي أن أجيبه وأراه ... مثلما تبصر القذارة عيني
كم تمنى والشوك في قدميه ... أنه عائد بخفَّيْ حنين (٢)

---

(١) الجراح يحتاج إلى علم خاص وأدوات خاصة والطفل الصغير يستطيع أن يقلم ظفره بيده ومما يصح أن يكون مثلاً لهذه الطائفة أن نحوياً خاصم آخر في دين له فرافعه إلى الأمير فسألهُ الأمير: ما دينك عليه ؟ قال: درهمان. ومد الألف كثيراً ونطق النون بغنّة فقال خصمه أصلح الله الأمير إن هي إلا ثلاثة دراهم ولكنهُ ترك من حقه واحداً لظهور الإعراب . .

(٢) قيل أن حنيناً هذا إسكاف من أهل الحيرة ساومه أعرابي بخفين ثم انصرف ولم يشترهما فألقى حنين أحدهما في أول طريقه والآخر في آخره فمر الأعرابي بالأول فتركه فلما رأى الآخر أناخ راحلته ورجع ليأخذ الأول فركبها حنين وطار بها فرجع الأعرابي إلى قومه بخفي حنين . وقيل في أصل المثل غير ذلك والمثل الذي انتزعه الشاعر ظاهر المعنى .

(وقال في الشكوى):

بت أبكي من الزمان ونفسي ... مقلتي والمنى دموع بكائي
لا من الأرض في يديَّ ولا غيـ ... ـر لحاظي تنال وجه السماء
آه من خيبة يجيء بها النحـ ... ـس على شؤمه بلا استحياء
آه من غدوة الرجال وما يضـ ... ـمر غدرًا لا قلوب النساء
والذي ضلَّت العقول وحارت ... فيه أن الظلام صنو الضياء
ضقت حتى لقد أرى الأرض طرسًا ... والبرايا عبارة استهزاء (١)

(وقال أيضًا):

حملت أربعة وقد لازمنني ... همي وجلدي والهوى وثيابي
حتى عرفت فتى رماه شؤمه ... فإذا به قد عُدَّ بين صحابي
إن قيل عني البدر فهو دُجُنَّتي ... أو قيل عني الصبح فهو ضبابي
فعددت أربعتي لأعرف شؤمه ... من أيُّهن فقال زد وعذابي

وقال:

أنا من الدنيا ومن ذا الهوى ... يغالب الموت عليَّ الحياه
كالنبت في شاطئ نهر متى ... نما قليلاً حاربته المياه

وقال:

السعد في فلك النحـ ... ـس بالغٌ منه حزنه
أنى تقلب في الأفـ ... ـق فهو واللون لونه
مثل الغراب سواءٌ ... ظهر الغراب وبطنه

(١) للفلاسفة والحكماء في هذا المعنى تعبيرات مختلفة ولولا أن هذه العبارة شعرية وأن الشعر «مذهب واسع» لكانت من المنكرات ونحن على كل حال نستغفر الله .

وقال :

في شرقي يلبس قبعة كبيرة :

فـوق رأس الـثـقـيـل قـبـعـة الـغـر ... ب كـأن لم تـكـن لـذا الـشـرق أُمَّـه
كـورّوهـا وقـيـل قـد رفـعـتـه ... فـي زمـان مـا فـيـه للـفـضل ذمـه
وَيْـحَ هـذا الـزمـان أصـبـح لحَّـا ... نًا ألـم (يرقـع) الثـقـيـل (بجـزمـه)

وقال :

في رجل ذي لحية طويلة :

ذو لحـيـة من شـؤمـه طـالـت كـسـو ... ء الحظ والـيـوم العـصـيـب وشـبـهـه
سـوداء لـم تحـك الـزجـاج مـدخـنًّـا ... إلا لتظهر لي (الكسوف) بوجهه (1)

وقال :

في بعض الأغنيا الثقلاء :

دعـوا باردًا قـد سـود الـبـخـل قـلـبـه ... بما فيه من حرص على البيض والصُّفر
فـلـو مـس مـيـزان الحـرارة وجـهـه ... لأهبطه ذاك « الـبـرود » إلى الـصِّـفـر

(وقال في غرض) :

أسـمـيـك الحـبـيـب وذا زمـان ... تـنـاسـى أهـلـه مـعـنـى الحـبـيـب
وتـدعـونـي الأديـب وذي بـلاد ... تـغـافـل أهـلـهـن عـن الأديـبِ
ولـيـس بـضـائـري من جـهـل قـومـي ... إذا لـم يـعـرفـوا قـدر الـلـبـيـبِ
فـمـا كـل الـلـحـاظ إذا تـرامـت ... تـطـل من الـعـيـون عـلـى الـقـلـوبِ

(1) الزجاجة المدخنة تستعمل لرؤية كسوف الشمس في أوله لأنها تكسر أشعتها . ومما يروى في طول اللحى الغريب أنه كان مع المهدي رجل من أهل الموصل يقال له سليمان بن المختار وكانت له لحية عظيمة فذهب يومًا ليركب فوقعت لحيته تحت قدمه في الركاب فذهب عامتها . فقال فيه بعض الشعراء :

ألا ليت اللحى كانت حشيشًا ... فـنـعلفها خيـول المسلـمينا

وقال :

يؤرخ ميلاد بنته وهيبة (١) :

يـا عـروس الـشـعـر أهـلاً ثـم أهـلاً بـالـنـجـيـبـه (٢)
يـوم مـيـلادك عـيـد الـقـلـب يا بـنـتي الحـبـيـبـه
قـلـت فـي تـاريـخـه زيّـنـتِ بـيـتـي يـا وهـيـبـه
سـنـة ١٣٢٣

وقال :

في حسناء تلاعب هرة :

لاعـبـت هـرتـهـا يـا هـرة قـبّـلي في يـدها ذاك الـسـوارا
أنـت إن قـبَّـل فـوكِ يـدهـا أتمـنـى أنـني أصـبـح فـارا

(والفلاح في الصباح (٣)) :

هات يا « محمود » لي المحراث حالا وضع الآن على الثور الحبالا
يا « عليّ » قم فخذ هذي الجمالا للسباخ قارب الصبح الطلوع
أنت (يا خضرة) قومي فاحلبي (يا سماحي) قل (لزينب) اذهبي

(١) للشاعر تواريخ كثيرة كلها جيدة كهذا التاريخ ولكنه حذفها مع ما حذفه من شعره .
(٢) كان اليونان القدماء يعتقدون أن عرائس الشعر بنات جبيتارو متاموزين آلهة الذاكرة وكن في اعتقادهم آلهات العلوم والفنون وهن تسع الأولى ترأست فن التاريخ والثانية فن الروايات والأهاجي والثالثة فن الروايات الفاجعة والرابعة ترأست الأشعار الرقيقة والمراثي المحزنة والخامسة للمنظومات في الفخر والفصاحة والسادسة لعلم الهيئة والفلك والسابعة للقدود الموسيقية والثامنة للرقص والتاسعة للموسيقى وألحانها . ولكل منهن اسم ورسم وعلامات مغايرة للأخرى .
(٣) اقترح هذه القصيدة على الشاعر الأستاذ الدكتور صرّوف صاحب المقتطف الأغر وطلب أن تكون على هذا النحو من البساطة في التركيب والتعبير وفي نية الناظم أن يصنع ديوانًا صغيرًا على هذا النمط لطبقات الشعب المصري .

وخذي خبزاً ومشًّا لأبي ... ثم أرسل (هائمًا) ترعى القطيع [1]
يا إلهي كن بعوني واكفني ... شر أطماع (الخواجا) واهدني
للرضا وبالقنوع أغنني ... عز من كان غنيًّا بالقنوع
رب بارك في بنيَّ أجمعين ... وكن اللّهم لي خير مُعين
واكفنا أدواء هذه السنين ... إن من لم تكفه أنت يضيع
قال بسم اللّه ربي وخرج ... والصباح لججٌ فوق لججْ
والضياء كالأماني في المهج ... والدجى في مهبط النجم صريع
والنبات في غرام بالصبّا ... فهي إن تأبَ عليه قربا
وهو أن تقرب تولى وأبى ... والندى في أعين الزهر دموع
ذلك الفلاَّح سلطان النشاط ... في يديه صولجان من سياط
وله أين مشى الزرع بساط ... وهو في مملكة الخلق وضيع
ملك لا يعرف الهم ولا ... يبتغي بكل عيش بدلا
لا يقول لين قلبي قد خلا ... من همومي أو خلت منه الضلوع
فتحت شمس النهار عينها ... فرأت في مسرح الأرض أبنها
قائمًا يسأل من كونها ... أن يكون العام ميمون الربيع
فرمت في الأرض مثل الذهب ... وأشارت للفتى أن تدأب
أعطك الخير جزاء التعب ... فانحني بالفأس يظهر الخضوع
كل فلاح على ذلته ... كتب التاريخ في جبهته
إن هذا المرء من حرفته ... عاش في الدنيا الوضيع والرفيع

(وقال في بعضهم) :

كم من سفيه أنتهي من أمره ... ويعود يبدؤه فما إن انتهي

---

(١) يشير بكثرة هذه الأسماء إلى كثرة أولاد الفلاحين وهي النقطة العمرانية المهمة .

كالكلب في الأسواق يضرب رأسه   بالعظم وهو بما تألم يلتهي

وقال :

أشدُّ عذابي من بني الدهر أنني   أرى ذا أسى مما دهاه ينوحُ
وإن فؤادا كل شيء مؤثرٌ   به أثرًا مهما يعش لقريحُ
فقد صرت من ضغط الهموم على دمي   كأن عروقي في الحياة جروحُ

وقال :

لا يغرنَّك في الجمال ودادٌ   إن هذا الندى إذا سال جفَّا
كل كف تريد حفظ الدنانير   وهيهات تلزم الدنانير كفَّا (1)

(وقال في بعضهم) :

قلبت في نعم ولم   يخطر بقلبك الانقلاب
وحسبت همك قد مضى   واليوم همك ذا الحساب
إن المعلم إن نسى   شيئًا فما نسي الكتاب

وقال :

في روايته « موعظة الشباب » عن لسان فتى الرواية (2) بعد انقلاب حاله من العز إلى البؤس :

لقد صار شيطان الرذائل حائرا   بذا القلب يخشى التيه بين قفاره
ألا فانظر والإنسان كيف اقتداره   وكيف تحار الجن عند اقتداره
مضى ما مضى لم يبق إلا مصائب   وإلا سواد العمر بعد نهاره

(1) هذا التشبيه لا ينطبق إلا على الوداد الذي يكون منشؤه الجمال الظاهري وهذه الحقيقة حرب بين فلافسة العمران وفلافسة الأخلاق .

(2) هذه الرواية هي أول رواية تمثيلية مطبقة على درس الأخلاق العصرية وهي فوق ذلك تمتاز بروح الشعر الطائفة في كل معانيها وستطبع قريبًا بعد تمثيلها إن شاء الله .

وقال :

في مغربي فيها يستحضر الأرواح :

يستحضر الأرواح تأمر بالفسا ... د وإنما هي روحه تستحضر
روح كأخبث ما يكون تصاعدت ... من قلبه ولنتنها تتبخر [1]
إياك لا يَغْرُرْكَ نور جبينه ... وصلاحه وانظر إلى ما يُضمر
فالهرُّ ذو خبث ولكنا نرى ... عينيه في وقت الظلام تنوّر

(وقال فيها) :

إن كنت ذا عقل وعندك حيلةٌ ... فهما اليدان لطالب الحاجات
هيهات تقدر أن يقول الناس خذ ... من غير أن تحتال قبلُ بهاتِ

(١) استحضار الأرواح أمر كان من الشعوذة في الزمن القديم ويقال أنه صار حقيقة ثابتة في هذا العصر وله كتب مؤلفة فيه وهو شائع في أوروبا وأمريكا من عادة المغاربة أنهم إذا شرعوا في الاستحضار أطلقوا البخور .

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH

المراثي (١)

(أول الدمع) :

وهي أبيات نظمها ساعة قرأ نعي شيخ الشعراء صديقه المرحوم محمود باشا سامي البارودي :

وددت ولا واللَّه ما نفع الودُّ ... فيا ليت هذا النجم إذا غاب لم يبدُ
ويا ليت « يا محمود » إذ قضي الردى ... وجاء كتاب الموت أنى له ردُّ
زمانٌ كما أبصرت لا النفس تفتدي ... بمجد ولا يُفدى بنفس امرئٍ مجدُ
وليس وجود الخلق إلا ذريعة ... لفقدهم بعض الوجود هو الفقدُ
وما جارت الدنيا ولا جار بها ... ولكنَّ غايات الأُمور لها حدُّ
خزنت الدموع الحمر دهراً ولم أكن ... أحاذر أن العهد يعقبه عهدُ (٢)
فما هيَ إلا أحرف مر نصلها ... على خيط هذي العين فانتثر العقدُ
وهز فؤادي ذلك الخطب هزة ... رأيت لها ركن الجوانح ينهدُّ
فيا مصر لا تبقي على القول عبرةً ... وخلي لنجديك وصف الهوى نجدُ

---

(١) كل الشعراء قد درجوا على وصف الموت بصورة محزنة وقد كان قدماء اليونان يمثلونه مع النوم تارة راقدين على صدر أمهما وتارة على هيئة شابين بأعين فاترة أو منطبقة وفي يد كليهما مشعل ملتهب النار ثائر الدخان وليس في هذا التمثيل ما يدل على فظاعة . وأول من مثل الموت بصورة تبعث الخوف وتُلقي الرعب هو « إيربيد » اليوناني فقد مثله متشحًا برداء أسود وقد أتى ليترشف من دماء الضحايا المذبوحة على القبور وكان ذلك بعد عصر الشاعر هوميروس الشهير ثم توسع الشعراء والمصورون في هذا المعنى وساعدهم على ذلك جبن الحضارة حتى صار الموت كما يصفه شعراء اليوم آية الأحزان وشقاء بني الإنسان .

(٢) المراد بالعهد عهد البكاء ويفسره قوله : خزنت الدموع إلخ .

ويـا روض قــد طـار الـهـزار لجـوّه | فـقل لـعصافـيـر الربـى بعـده تشـدو
ويا ناسـجي الشعـر الذي أخلق الـبلى | رويدكـم ما مـصر في الـعُجـمة الهـندُ
سـددتم عـلـينـا كـل فـج بـلـفظة | يلـين لهـا في بأسـه الحـجـر الـصلـدُ
فـإن تجـدوا للـشعـر ريحًـا زكـيَّـةً | علـى شبـه منه فـما كـالـدم الورد (١)
إذا فُلَّ حـد السيف فـاسأل به الـوغى | أقام مـقام السيف في الساعد الغمدُ
وفي كنف الرحمن « يـا سامي » العلى | فـمـا ثـمَّ إلا نـعـمـة اللّـه والخـلـدُ

وقال :

يرثي فقيد الحكمة المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي مصر وكان لموته يوم مشهود :

سـكتَّ وقـد ضـجَّت لـك الـثـقـلان | وأغـضـيـت والأبـصـار فـي رجـفـانِ
فـويحـي مـتى تـصغي إلـيَّ مناجـيًـا | وويـحـي إذا أدعـوك كـيـف تـراني
أمـان وآمـالٌ وديـن وحـكـمـة | ذهـبـت بـهـا عـنـا بـبـضـع ثـواني
ضـبطـتَ عنان الحـادثـات فأمـسكت | وخـلّـفـتـهـا تجـري بـغـيـر عـنـانِ
وكنت أمـان الرأي من عـثرة الهـوى | فـمـن ذا لـه مـن بـعـدهـا بـأمـانِ
وكـنـت لـنـا فـي أمَّـة الـشـرق أمَّـةً | فـيـا ضـعـفـهـا كـفَّـين تـنـفـردانِ
وكنت رجـاء الديـن فـالديـن سـاكن | ولـكـنـه قـــد عـــاد لـلـخـفـقـانِ
سـنعـرف أن مـدَّ المـدى عـمَّ تنجلي | وغـى فـقـدت مـن راحـتـيـك يماني
ونـسـمـع إن طـار الجـدال بـفـتـنـة | عـن الصـارخ الهـاذي بغـيـر بـيـانِ
ونـبـصـر إمـا غـيَّـم الـشـك مـرة | بــوارق أفـكـار بـلا لمـعـانِ
ولا بـد مـنهـا أنهـا الـنـار أطـفـئـت | ومـا بـعـد طـفْئ النار غـيـر دخـانِ

(١) أي أن ما ينظمونه هو شبه الشعر لا الشعر نفسه كما أن الدم فيه شبه من الورد بحمرته ولكن لكل واحد منهما رائحة هي ضد الأخرى .

« محمد » قد هيلَت لمصرعك الورى أقاصيهم فوق الثرى وأداني
ولو أنه يوم تدجَّى ظلامه لكشَّفه عن أفْقنا القمرانِ
ولكنها من ظلمة الحزن والأسى وذل لمن أسعدتهم وهوانِ
فقد كنت من عين الزمان وسمعه بحيث غدا يخشاك ذانِ وذانِ
حفظت لجنبيَّ الفؤاد فما له تفلَّق عنه بعدك الصدفانِ
وكنت لدهري جدَّةً فمساؤُه وإصباحه من بعدها خَلقَانِ
وكانت علوم الناس في الدين والدُّنى كحبل ومنه عندك الطرفانِ
فهل تتغانى بعد فقدك أمةٌ على فقرها لمّا تجدْ لك ثاني
بكائي على فكر خفضت جناحه على الموت حتى عيَّ بالطيران
بكائي على تلك الخواطر قد هوى بها فَلكُ الدنيا من الدورانِ
بكائي على ذاك اليراع مُمَدَّدًا وكم خط عنه لفظه الملكانِ
تفرَّد بالآيات عن كل كاتبٍ ولم يشترك في زهره غُصنُانِ
ولهفيَ من داءٍ يغيض به الهدى وكيف يجفُّ البحر للسرطانِ (١)
على أنها الدنيا تجر إلى الردى فمن عَجِل فيها ومن متواني

وقال:

يرثي فقيد الإسلام ، وفقيه الأنام ، عمه المرحوم الشيخ عبد القادر الرافعي الكبير مفتي الديار المصرية وكان قد تولى الإفتاء بعد الشيخ محمد عبده فما لبث أن هنأه الناس حتى قضى رحمه الله :

الدهر طِرْسٌ ونحن الأحرفُ السود والموت آخره والعمر تمهيدُ
وذي الليالي بلاغاتٌ مُحبَّرة جناسهُن الأماني والمواعيدُ
عيشٌ وموت وما الاثنان في نَسَق فواحد منهما لاشك تقليدُ

(١) مات المرحوم بعلة السرطان .

ويح الفواجع قلب ساكن وبه   في العلم زلزلة فالعلم مهدودُ
ويح العجائب دهرٌ في التقى هَرِمٌ   يطويه يوم درى بالأمس مولودُ
ويح الحوادث من ظل رمين به   على المنى وهي بيضٌ فالمنى سودُ
الموت صدق ولكن في روايته   بين الفواجع قد ضاعت أسانيدُ
كتابه للورى حق ولو قدروا   أستغفر اللّه قالوا عنه « مردود »
أنائمًا في ظلال الخلد ملتحفًا   وفوق نعشك نور اللّه ممدودُ
انظر فذي الأرض تجري من مدامعنا   والجوُّ من زَفَرات الناس مسدودُ
في النفس فاجعة في القلب قاطعة   في اللبّ رائعة في العقل تشريدُ
يا ويح فتيا الورى جاءتك قاصدةً   ومن سواك لهذا الأمر مقصودُ
رأى لك اللّه زهدًا وهي طامعة   فالحد بينكما بالموت محدودُ
تبغي المجرة أن لو ألحدوك بها   وإن بعض دراريها جلاميدُ
فإن قبرك فخر للتراب بما   يحويه من كل معنًى فيه تخليدُ
وإنما الأرض جيد والقبور لها   عقد ومثلك درٌّ فيه منضودُ
سيلثم الفجر تربًا أنت فيه عسى   يُلْقَى على الصبح نورٌ منك مشهودُ
ويطلع الليل في ثوب الحداد وفي   جفون أنجمه من ذاك تسهيدُ
فاذهب إلى اللّه في كفيك مصفحه   وسُنَّةٌ كان فيها منك تجديدُ
وخلفك الرحمات الغر صاعدة   بها لألسنة الكونين ترديدُ
عليك في الأرض نوح للأنام وفي   جوار ربك للأملاك تغريدُ

تمَّ الديوان والحمد لله هو الأول والآخر

تقاريظ

قال :

حسنة البيان وبديع الزمان ، وآية البلاغة الناطقة بالإحسان صديقنا الحميم ، نابغة العصر حافظ أفندي إبراهيم:

وإنما هي أيام لها ولنا ... ما دام يتبع المفقود موجودُ
أراك وأنت نبت اليوم تمشي ... بشعرك فوق هام الأوّلينا
وأوتيت النبوة في المعاني ... وما دانيت حدَّ الأربعينا
فزن تاج الرئاسة بعد « سامي » ... كما زانت فرائده الجبينا [1]
وهذا الصولجان فكن حريصًا ... على ملك القريض وكن أمينا
وحسبك أن مُطْرِيَك « ابن هاني » ... وإنك قد غدوت له قرينا

وقال:

صديقنا نابغة البرازيل المجيد ، وأديبها الفريد ، قيصر إبراهيم معلوف صاحب ديوان تذكار المهاجر الشهير :

ذهب الورى أن الأوائل لم تَدَعِ ... لبني الزمان من المعاني مبتكَرْ
حتى نشرت عليهمُ « يا مصطفى » ... آياتِك الغراً فكذبت الخبَرْ
ديوان شعرك فيه كل بديعة ... لنظير آيتها ابن بُرْدٍ ما نظرْ
إن يشتهر بالقول غيرك أنه ... بقصيدة سمح الزمان بها اشتهرْ
لكن شعرك كله « يا رافعي » ... من معجزات الشعر والدُّرَر الغُرَرْ

(١) يريد رئيس الشعراء المرحوم محمود باشا البارودي وقد كان رحمهُ الله يقرظ كل جزء من هذا الديوان فنحن نضع في مكان تقريظه من هذا الجزء طلب الرحمة والكرامة له من الله .

فات العدى المتشدقين بأنك الـ ـملك الذي يعنو البيان إذا أمر
لو كان « أحمد » عالمًا بك ما ادعى حق التنبئ ظاهر لك كالقمرْ

وقال :

كوكب الشعر الساطع في سماء المعاني ، والأديب الذي يتعلق كلامه بالنفوس كأنه من الأماني ، نجل عمنا الفاضل عمر بك تقيّ الدين الرافعي :

بُعثت بالحق لمن نازعوا بسحرهم موسى وما ضارعوا
ألقيت ما يلقف من إفكهم يراعة كوكبها ساطعُ
فأبطل السحر وما يعمل السا حرُ برهان لها قاطعُ
وحسبُها (الصادق) فيما أتى مؤيدًا إذ كلهم خاضعُ
ألقى من الحكمة ألواحها فجلَّت الحكمة والصانعُ
طرازه الأول في شعره وغيره الثالث والرابعُ
فلتهنَ هذا الشرق (يا رافعي) وليْهنك التوفيق والطالعُ

وقال :

الشاعر المفلق ، والنجم المشرق ، نجل عمنا الأديب محمد أفندي محمود الرافعي :

بلغت بالسبق يا ابن السادة الصيد في حلبة الفضل شأوًا غير مجدودِ
زنت القريض بما يعيا الفحول به مما ابتكرت ومن رأي وتسديدِ
كأن شعرك فيما جئت من طُرَف نفح الأزاهر أو ماء العناقيدِ
كأنني حين أتلو آية ثَملٌ يهتز نشوانَ بين الناي والعودِ
لو أدركوا كُنْه ما ألفت من دُرَرٍ في سلك نظمك ألقوا بالمقاليدِ

•• فهرس الجزء الأول ••

الموضوع	الصفحة
كلمة الناظم	٥
مقدمة الشارح	١٣
الباب الأول (في التهذيب)	١٥
مجد المأمون	١٧
الكمال في التربية	١٨
الاعتماد على النفس	١٨
زمن الدراسة	١٩
بعد المدرسة	٢٠
الشرف بالمعارف	٢١
الاجتهاد	٢٢
العلم والعمل	٢٢
الوطن	٢٣
وقال ليتلوها طفل صغير في الاحتفال	٢٤
وقال ليتلوها طفل أصغر من ذاك	٢٥
وقال يتفجع لمجد الشرق القديم ويضرب الأمثال للشرقيين لعلهم يتذكرون	٢٦
وهذه شذرات من الحكمة ألحقناها بالكتاب	٢٨
وقال في إنسان لا فخر فيه وهو يفتخر بأجداده	٢٩
رمضان	٣١

الموضوع	الصفحة
الباب الثاني (في المديح)	٣٣
وقال يمدح الجناب العالي الخديوي ويهنئه بعيد جلوسه على الأريكة	٣٥
وقال يمدح إنسان الزمان وشرف الإنسان فضيلة الشيخ محمد عبده	٣٨
وقال يمدح شاعر العصر وإمام النظم والنثر الشيخ عبد المحسن الكاظمي	٤١
وقال يمدح عمه الأستاذ الأفضل الشيخ عبد الحميد أفندي الرافعي	٤٣
الباب الثالث (في الوصف)	٤٧
وقال يصف الأصيل وإقبال الليل ونضرة الرياض	٥٠
وقال في الخيام والقصور	٥٢
وقال في الخمر	٥٣
وقال فيها وهي من أول قوله	٥٥
وقال في غرض يصف القمر	٥٧
وقال يصف الصور المتحركة المعروفة (بالسنوغراف)	٥٩
وقال في الساعة	٦٠
وقال في وردة	٦١
وقال في شبان اليوم	٦١
وقال في حريق ميت غمر	٦٣
الباب الرابع (في الغزل والنسيب)	٦٧
وقال ووصف فيها القطار	٦٩
وقال ووصف فيها القطار أيضًا	٧١
وقال في غادة رآها والشمس في الطفل	٧٦
وقال في مليح غربي	٧٦
وقال وهي من فنون الجنون	٧٨

الموضوع	الصفحة
وقال وهما من أول قوله	٧٩
وقال في فلسفة الحب	٨٠
وقال في مليح تكاد وجنته تتقد	٨٤
وقال من بعد سلوه	٨٧
وقال مورِّيا	٨٩
وقال يتلهف	٩٠
وقال وهو معنى غريب	٩٢
وقال وهي من أول القول	٩٦
ومن أول قوله	٩٩
ومن أول قوله أيضًا	١٠٠
ومن أول القول	١٠٠
وقال في طريقة ابن زيدون	١١١
الباب الخامس (في الأغراض والمقاطيع)	١١٥
وقال يتوسل صاحب الشفاعة العظمى ﷺ	١١٥
وقال في الشكوى	١١٦
وكتب في رسالة	١١٨
وكتب إلى مخلف وعد	١١٩
وكتب إلى صديق	١١٩
وكتب إلى من ظن به خيرا فلما بلاه إذا هو لا خير فيه	١١٩
وقال يداعب صديقًا له	١٢٠
وكان يوما متكدرا فلقيه أصحابه فضحك إليهم	١٢٠

الموضوع | الصفحة

وقال في مليحة تبيع الليمون المعروف اليوسف أفندي ١٢١
وقرأ في إعلان بعض غادات اليابان ١٢٢
وقال في صغيرة تتعلم الكتابة في الكتاب ١٢٣
وقال في هيفاء تمشي على الحبل في تياترو ١٢٤
ورأى راقصات فأعجبه ما رأى فقال بديها ١٢٤
ورأى إحداهن وقد تأودت حتى لم تر الأعين السوداء شعرها ١٢٤
وقال يقص حادثة غرامية ١٢٤
وقال يذكر خطرة قلب ويصف خمول قومه ١٢٧
وقال في الصحافة في الشرق ١٢٨
وقال وأكثر ما تجر من وصف في مصر ١٢٨
وقال موريا ١٢٩
وقال مضمنا ١٢٩
وقال عن لسان إنسان ١٢٩
وقال وهي من أول القول ١٢٩
وقال في الحماس ١٣٢
وقال في هلاك الشك ١٣٢
وقال يهنئ نجل عمه الشيخ عبد الرحمن الرافعي بكريمته عناية ١٣٣
وقال يهنئ صديقه الشيخ عامر خليفة على نجليه النجيبين ١٣٤
وقال في الشتاء ١٣٥
وقال يداعب أعور متكبراً ١٣٦
وقال في بخيل ١٣٦

الموضوع	الصفحة

وقال واعظًا ١٣٦

وقال يتمنى ١٣٦

الباب السادس (في الرثاء) ١٣٧

قال يرثي الأمير عبد الرحمن أمير أفغانستان ١٣٧

وقال يرثي المرحوم السيد عبد الرحمن أفندي الكواكبي ١٣٨

باب التقاريظ ١٤١

قال لسان العرب وتاج الأدب صاحب السعادة محمود سامي البارودي .. ١٤١

وقال نجم الآفاق وجوهرة العراق الشيخ عبد المحسن الكاظمي ١٤٢

وقال فخر الدولتين السيف واليراع صديقنا محمد حافظ أفندي إبراهيم... ١٤٥

وقال حضرة صديقنا الشيخ حسين المهدي ١٤٥

وقال حضرة نجل عمنا الشاعر المجيد محمد أفندي محمود الرافعي ١٤٦

•• فهرس الجزء الثاني ••

الموضوع	الصفحة
مقدمة الكتاب (في سرقة الشعر وتوارد الخواطر)	١٥١
كلمة الشارح	١٦٣
الباب الأول (في التهذيب والحكمة)	١٦٥
وقال الفقر والغنى	١٦٨
وقال في طغيان الأغنياء والنعي على أهل الكسل من الفقراء	١٧٠
الحرب والسلام	١٧١
وقال في شأن الشرقيين اليوم	١٧٤
وقال في المال والعلم والدين وذكر أهلها	١٧٤
وقال ليتلوها تلميذ أتم دراسته في بعض مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية	١٧٧
وقال وتلاها تلميذ صغير السن جداً	١٧٨
وقال في علماء ينقضون الناس ويؤدي بهم العلم إلى الجحود والعياذ بالله	١٧٩
وهذه شذرات من الحكمة ألحقناها بهذا الكتاب	١٧٩
قال يمني نفسه	١٧٩
وقال في النفس الأمارة بالسوء	١٨٠
وقال في تخير الأصحاب	١٨٢
وقال في التوفيق والجد	١٨٢
وقال في مثله	١٨٣
وقال في اختيار الأصحاب	١٨٣
وقال في حديث جرى بينه وبين بعض أصحابه في ساعة هم	١٨٤
وقال في احتفال الناس بأمواتهم في مواسمهم المعروفة بمصر	١٨٥

الموضوع	الصفحة
الباب الثاني (في النسائيات)	١٨٧
ربة الحسن والقلم	١٨٧
بنت الزي	١٨٨
الحسناء والمرآة	١٨٩
حلي النساء	١٩٠
المرأة المصرية	١٩١
الرجل عندنا والمرأة عندهم	١٩٣
حكم الهوى	١٩٤
الشرقية والغربية	١٩٤
خير النساء	١٩٦
الرجل والمرأة	١٩٦
وقال فيمن يسلمن أولادهن للمراضع والخدم	١٩٧
وقال فيمن يستعملن الدهان والطلاء تطرية وتحسينًا	١٩٧
وقال والبيت الأول معرب معنى فرنسوي	١٩٧
الباب الثالث (في الوصف)	١٩٩
التاز	١٩٩
وقال يصف الليل وغروب الشمس	٢٠٠
وقال يصف قطار السلك المعروف (بالتراموای)	٢٠٢
وقال في فنون الوصف وذكر الليل	٢٠٣
وقال مرتجلاً في القمر وقد رآه بين نجمتين ينزلان عن صفحتيه قليلاً	٢٠٥
وقال في الخمر	٢٠٥
وقال فيها	٢٠٦
وقال يذكر أمانيها وما تعد من الغرور	٢٠٨

الموضوع	الصفحة
الخمر والهوى	٢٠٩
وقال يصف رقص بعض الغادات	٢١٠
وقال في روضة باكرها يوم النيروز المعروف (بشم النسيم)	٢١٢
وقال يصف الزهر والغصون في معنى عارض	٢١٢
وقال في البحر والسماء	٢١٣
وهذا فصل كتبه في رمل الإسكندرية	٢١٥
الباب الرابع (في المديح)	٢١٩
وقال يهنئ صاحب الجلالة مولانا أمير المؤمنين السلطان عبد الحميد خان	٢١٩
وقال يهنئ الجناب العالي الخديوي بعيد جلوسه السعيد	٢٢٠
وقال يمدح إمام الشرق وفيلسوفه العظيم الشيخ محمد عبده	٢٢٢
وقال وبعث بها إلى صاحب السعادة أحمد منشاوي باشا	٢٢٤
الباب الخامس في الغزل والنسيب	٢٢٧
وقال يعارض المتنبي في غزل إحدى قصائده	٢٢٧
وقال وقد استيقظ يومًا فإذا في جفنه رمد	٢٢٩
وقال في معنى عرض له	٢٣٠
وقال في النحول	٢٣٢
وقال في مثله	٢٣٢
وقال في المكاشفة	٢٣٣
وقال في دلال الحسان	٢٣٣
وقال يبث الشوق ويخاطب الحبيبة وهي نائمة	٢٣٦
وقال هذا الموشح في معنى اقتضاه	٢٣٨
وقال في القبلة المكتمة	٢٤١
وقال في معنى	٢٤٣

الموضوع	الصفحة
وقال في مليح كان في روضة	٢٤٦
وقال وإذا قرئ كل بيت شطره كان من العروض الأولى	٢٤٦
وقال من الضرب الثاني من العروض الثالثة من الخفيف	٢٤٦
وقال في مليح كان في محطة	٢٤٧
الباب السادس (في الأغراض والمقاطيع)	٢٤٩
قال في معانٍ مختلفة من الغزل والحكم	٢٤٩
وقال في تعليل أن الدنيا لا سعادة فيها	٢٥٠
وقال ارتجالا (في غادة رآها تمضغ العلك (اللبان)	٢٥٠
وقال في صاحب متقلب وكتب بها إليه وأشار فيها إلى مذهب «داروين»	٢٥١
وقال في آخر بذيء اللسان يبطن غير ما يظهر	٢٥١
وقال يداعب صديقه رقيق الحال ذكر أنه سيشتري (عربة)	٢٥١
وقال في ثقيل	٢٥٢
وقال في جماعة من أصحابه	٢٥٢
وقال أيضًا	٢٥٢
وقال في سفيه كتب إليه كتابًا يذمه فيه استلفاتًا له	٢٥٢
وقال في رجل طويل اللحية جدا	٢٥٣
وقال في حادثة السرب المشهورة	٢٥٣
وقال في كتاب حبيب	٢٥٥
وقال في إنسان يذكر عن الشاعر أنه مقلد	٢٦٨
وقال يعزي ابن عمه الأديب الشيخ أحمد أفندي الرافعي عن وفاة والدته	٢٦٨
تقاريظ	٢٦٩
وقال أمير السيف والقلم محمود سامي باشا البارودي	٢٦٩
وقال شاعر البدو والحضر الشيخ عبد المحسن الكاظمي	٢٧٠

فهرس الجزء الثالث

الموضوع	الصفحة
مقدمة الكتاب (نوع من نقد الشعر)	٢٧٣
الكلمة الأخيرة للشارح	٢٨٣
الباب الأول (في التهذيب والحكمة)	٢٨٥
قال في حالة مصر الاجتماعية لسنة ١٩٠٥	٢٨٥
وقال بعد حادثة دنشواي المشهورة	٢٨٨
وقال فى السياح في مصر	٢٨٩
وقال في ذم الخمر	٢٩٠
وقال في تيه الأغنياء	٢٩١
وقال يتخيل أنه في مصر كركفلير في أمريكا	٢٩٢
وقال في الأماني البعيدة	٢٩٤
وقال في أماني النفس الكاذبة التي تؤملها في الناس	٢٩٤
وقال في فلسفة الحياة والوجود	٢٩٤
وقال في ضعف الشرق والشرقيين	٢٩٦
وقال في نحو ذلك	٢٩٦
وقال في الطبيعة والناس	٢٩٧
وقال في الروح	٢٩٨
وقال في حوادث الدهر	٢٩٩
وقال في سقوط الخير بين الناس	٢٩٩

الموضوع	الصفحة

وقال في العطلة من العمل	٢٩٩
وقال في التهالك على المال	٢٩٩
وقال سطر في الطبيعة	٣٠١
وقال في السعادة الأرضية	٣٠٢
وقال في الوصف بالشهرة	٣٠٤
وقال في تناهي الشر من الناس للناس	٣٠٥
الباب الثاني (في النسائيات)	٣٠٧
طلاق الإمبراطورة جوزفين	٣٠٧
القصيدة	٣١٠
وقال في حسان الأرض والسماء	٣١٢
وقال في النساء الجاحدات	٣١٣
وقال في أم الحماقة	٣١٤
وقال في قوة الجنس اللطيف	٣١٤
وقال يصف فتيات رآهن وقد دعي إلى محفل لإحدي مدارس البنات	٣١٦
وقال في حاجات النساء التي لا تنتهي وأن ذلك من ضعفهن	٣١٧
قلب المرأة	٣١٧
وقال في فلسفة النسل يذكر شعوره نحو ابنته وهيبه	٣١٩
أحلام وهيبة	٣٢١
وقال في الشهر السابع من عمرها يصف أحلامها	٣٢١
الباب الثالث : في الوصف	٣٢٣
القمر	٣٢٣

الموضوع	الصفحة
وقال يصف غروب الشمس والليل	٣٢٤
وقال فى نجوم الليل والغزل	
وقال في معنى غريب	
وقال في ليلة أنس	٣٢٦
وقال في صوت فتاة ناعمة الدال	٣٢٨
وقال يصف الصباح	٣٢٩
وقال فى الطبيعة في الجفاء	٣٣٠
وقال شمس الربيع	٣٣٠
وقال الياسمين السارق	٣٣١
وقال فى القلب المتعب	٣٣١
وقال في مطرة من مطرات الخريف	٣٣٢
وقال في قلبي وهي فنون من الوصف	٣٣٢
وقال يصف نور الكهرباء	٣٣٤
وهذا فصل	٣٣٥
الباب الرابع : في الغزل والنسيب	٣٣٩
وقال يعارض بيتي عنترة المشهورين في هوس الشوق وحماسة الوجد ...	٣٤٠
وقال في وحدة الحب	٣٤١
وقال في بعض أنواع الحب وهو ما لم يكن فيه لقاء	٣٤١
وقال في حسنة عاذلة	٣٤٢
وقال في شدة النحول	٣٤٢
وقال فى ندى الغرام	٣٤٢

الموضوع	الصفحة
وقال في الغانيات المتفرنجات	٣٤٣
وقال فيمن تستحسن تشبيهاته	٣٤٤
وقال يعارض المتنبي في غزل إحدى قصائده	٣٤٦
وقال في نحو هذا التوجيه	٣٤٨
وقال في ابتسام	٣٤٨
وقال في نحو الهوى	٣٥٠
وقال فى طريق الحب	٣٥٠
وقال في ركوب البحر للتنزه مع الحبيب	٣٥١
وقال فى مهاجرة النجوم	٣٥٣
وقال ارتجالاً في معنى عرض له	٣٥٤
وقال في رضاء بعد عتاب	٣٥٥
وقال يصف وقفة الحسناء	٣٥٥
وقال فى شجرة الحبيبة	٣٥٦
وقال في الحسن والردى	٣٥٦
وقال في رواية له	٣٥٧
وقال فيها	٣٥٧
وقال في حسناء تنكر أن لها عاشقين وفي صدرها وردة حمراء	٣٥٨
وقال في النظرة الأولى	٣٥٩
وقال في تشبيه الحسناء بالبدر	٣٥٩
وقال في نسيم الحي	٣٦٠
وقال الشمس والشمس	٣٦٠

الموضوع	الصفحة

وقال في رسالة ٣٦٣

وقال في كتاب من حبيب ٣٦٣

وقال في حسناء مخضبة الكف تحمل زهرة من البنفسج ٣٦٤

الباب الخامس : في الأغراض والمقاطيع ٣٦٧

وقال في أغراض مختلفة ٣٦٧

وقال في صاحب لا يكتم ٣٦٨

وقال في رجل متقلب يكون مع كل إنسان بوجه ٣٦٨

وقال وهي متنوعة الأغراض ٣٦٩

في المديح والتقريظ ٣٧١

قال وكتب بها إلى أستاذ الأدب الشيخ إبراهيم اليازجي الشهير ٣٧١

وقال وبعث بها إلى نادرة الفلك العلامة سليمان أفندي البستاني ٣٧٢

وقال وبعث بها إلى العلامتين الفاضلين مجلة (المقتطف) ٣٧٣

وقال يقرظ خطابًا في التربية ألفته السيدة الأديبة حوليا إبراهيم حنا ٣٧٤

وقال يهنئ صديقه الطبيب الرمدي الشهير إسكندر بك جريديني بزفافه . ٣٧٤

أبيات عينيه ٣٧٦

وبعث إليه صديقه المذكور بالأبيات الآتية ٣٧٦

فكتب إليه ٣٧٦

وقال مقرظًا رواية الشعب والقيصر التي عربها صديقه جورج طنوس .. ٣٧٦

وقال وبعث بها إلى ابن عمه الشاعر عز تلو عمر بك تقي الدين الرافعي . ٣٧٧

وقال في صوت وتمثيل صديقه بلبل العصر الشيخ سلامه أفندي حجازي ٣٧٧

بور آرثر ٣٧٨

الموضوع	الصفحة
قال قبل سقوط هذه المدينة الحصينة في الحرب الروسية اليابانية	٣٧٨
ابن القيصر	٣٨٠
وقال بعد عقد الصلح بين الدولتين وقد كسفت الشمس يومئذ إلى القيصر	٣٨١
وقال في تقلب الدهور في مصر	٣٨٢
وقال بعد حادثة دنشواي وفصاص المتهمين	٣٨٣
وقال في غرض	٣٨٣
وقال أيضًا	٣٨٣
وقال يخاطب بعض الكتاب	٣٨٤
وقال في نحو ذلك	٣٨٤
وقال براغيث الأعراض	٣٨٥
وقال وفيه نوع جديد من البديع سماه ضرب المثل من المثل	٣٨٥
وقال في الشكوى	٣٨٦
وقال أيضًا	٣٨٦
وقال في شرقي يلبس قبعة كبيرة	٣٨٧
وقال في رجل ذي لحية طويلة	٣٨٧
وقال في بعض الأغنيا الثقلاء	٣٨٧
وقال في غرض	٣٨٧
وقال يؤرخ ميلاد بنته وهيبة	٣٨٨
وقال في حسناء تلاعب هرة	٣٨٨
الفلاح في الصباح	٣٨٨
وقال في بعضهم	٣٨٩

الموضوع	الصفحة
وقال في روايته « موعظة الشباب » عن لسان فتى الرواية	٣٩٠
في مغربي فيها يستحضر الأرواح	٣٩١
وقال فيها	٣٩١
المراثي	٣٩٢
أول الدمع	٣٩٢
وقال يرثي فقيد الحكمة المرحوم الشيخ محمد عبده	٣٩٣
وقال يرثي فقيد الإسلام عمه المرحوم الشيخ عبد القادر الرافعي الكبير	٣٩٤
تقاريظ	٣٩٧
قال حسنة البيان نابغة العصر حافظ أفندي إبراهيم	٣٩٧
وقال صديقنا نابغة البرازيل المجيد ، قيصر إبراهيم معلوف	٣٩٧
وقال كوكب الشعر الساطع في سماء المعاني ، نجل عمنا الفاضل عمر بك تقي الدين الرافعي	٣٩٨
وقال الشاعر المفلق ، نجل عمنا الأديب محمد أفندي محمود الرافعي	٣٩٨
فهرس الجزء الأول	٣٩٩
فهرس الجزء الثاني	٤٠٥
فهرس الجزء الثالث	٤٠٩

كتب نادرة ترفع لأول مرة
MAHDE-KASHLAN & K-RABABAH